

جوهر من كنز سنن أبي العباس

في
عصور العرب في الزاهرة

الجزء الرابع

السطر الثاني من رسائل

العصر العباسي الأول

وهو يحوى

رسائل العباسيين من أول خلافة المقتدر إلى استيلاء بني بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ

تأليف

أحمد زكي صفوت

أستاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م / رقم ٦٩٨

كل الحقوق محفوظة

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لك ربى على ما أوليتنى من سابغ نعمك ، وأبليتنى من بالغ توفيقك ، وصلاة وسلاما على رسولك الأمين ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الهداة الأعلام .

وبعد : فهأنذا أصدر الجزء الرابع من « جمهرة رسائل العرب » حاويا الشطر الثانى من رسائل العباسيين فى العصر العباسى الأول - من أول خلافة المعتصم إلى استيلاء بنى بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ - وقد بقيت من هذه الجمهرة حلقة خامسة هى « رسائل الأندلسيين » أرجو أن يوفقنى المولى القدير إن شاء الله إلى إنجازها ، كما وفقنى إلى إنجاز أخوتها الأربع ، ومن قبل ما وفقنى إلى إصدار « جمهرة خطب العرب » فى حلقاتها الثلاث ، فله أوفر الحمد وأوفاه .

وقد سَلَخْتُ حتى الآن فى تأليف هاتين الجهرتين سبع سنين دأباً - ثلاثاً فى جمهرة الخطب ، وأربعا فى الأخرى - قطعت فيها أشواطهما السبعة ، مشابراً على العمل فيهما صيفَ شتاء ، سحابةَ النهار أجمع وقطعا من الليل فى بعض الأحياء ، واهباً لهما كل أوقات فراغى من عملى الدراسى - عدا

مأخرجته في هذه الفترة من مؤلفات أخر^(١) - دون أن أنيل نفسى حظها من
الجمام والراحة ، والآن - بعد أن كدّها ذلك الإيجاف ، الذى كاد يُشرف
بها على البهر والإعجاف - أراها ظمئة ظمًا مُلِحًا إلى فترة راحة قصيرة ، تستجِمُّ
فيها وتستريح ، حتى تتوَّب إلى الميدان فتية النشاط ، قوِّية الرِّكض ،
فتقطع الشوط الأخير في غير ضَجَر ولا ملالة ، فإلى القراء الكرام معذرتى
في هذا التريث ، وإلى الملتقى القريب ، إن شاء الله .

وإنى لأحتمل فى سبيل ذلك العمل الشاقّ المضى ما ألقاه فيه من جَهد
ولُغوب ، بصدر رحيب ، وعين قريرة ، وليس لى من ورائه مطمع إلا أن يذكر
اسمى فى عِداد من نصبوا أنفسهم لخدمة هذه اللغة العربية الشريفة ، ففازوا
على تعاقب الأجيال بطيب الذكري ، وخالد الأثر ، سددنا الله وإياكم إلى
طريق الخير والصلاح ، وكتب لنا سعادة الدنيا والأخرى ، إنه المنعم المتفضل
المحمود

أحمد زكى صفوت

وحرر بالقاهرة فى { جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧
أغسطس سنة ١٩٣٨

(١) وهى : ترجمة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وكتاب الكامل فى النحر والصرف ،
فى أربعة أجزاء لطلبة دار العلوم ، وكتاب علم البيان ، وكتاب علم المعانى ، وتاريخ الخطابة فى الجاهلية
والإسلام ، وتاريخ الجدل والمناظرة ، وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة بالاشتراك مع بعض حضرات الزملاء .

فهرس الرسائل

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر	١	١
» » » » » » » »	٢	٢
إلى الآفاق عند القبض على بابك الخرمي	٣	٣
إلى ملك الروم	٤	٨
إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم	٥	٨
كتابه إلى إسحق بن إبراهيم الموصلي	٦	١٠
رواية أخرى	٧	١١
كتابه إلى صديق له	٨	١٢
كتاب له	٩	١٢
» »	١٠	١٢
» في التشوق	١١	١٣
» »	١٢	١٣
» »	١٣	١٤
» »	١٤	١٥
كتابه إلى منصور بن المهدي	١٥	١٥
إلى العباس بن موسى	١٦	١٦
فصل له	١٧	١٦
فصل له	١٨	١٦
كتاب يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه	١٩	١٧
بين عبد الله بن الحسن الأصفهاني وابن الزيات	٢٠	١٨

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات	١٩	٢١
» » » » » » » »	١٩	٢٢
رد ابن الزيات عليه	٢٠	٢٣
كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب	٢١	٢٤
رد الحسن بن وهب على ابن الزيات	٢١	٢٥
كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب	٢٢	٢٦
كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الحسن بن سهل	٢٣	٢٧
» » » » إلى القاسم بن الحسن بن سهل	٢٥	٢٨
» » » » إلى محمد بن إسحق	٢٥	٢٩
» » » » إلى إسحق بن يحيى	٢٦	٣٠
» » » » إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	٢٧	٣١
جواب تعزية له	٢٧	٣٢
تعزية له	٢٨	٣٣
كتابه إلى إسحق بن إبراهيم	٣٠	٣٤
» إلى عبد الرحمن بن خاقان	٣١	٣٥
كتاب تعزية له	٣٢	٣٦
» له في الشكر	٣٢	٣٧
» في الشكر	٣٣	٣٨
كتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس	٣٤	٣٩
» » » » إلى أبي تمام الطائي	٣٤	٤٠
كتاب له	٣٥	٤١
كتاب ميمون بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب	٣٥	٤٢
» الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له	٣٦	٤٣

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
رد صديقه عليه	٣٧	٤٤
كتاب عبد الرحمن الحرائي إلى محمد بن سهل	٣٧	٤٥
» ابن الزيات بالعهد للوائح على مكة	٣٧	٤٦
» إبراهيم بن العباس إلى الوائح	٣٨	٤٧
» » » » إلى ابن الزيات	٣٩	٤٨
» » » » » » » »	٤٠	٤٩
» » » » » » » »	٤٠	٥٠
» » » » » » » »	٤١	٥١
» » » » » » » »	٤١	٥٢
» » » » » » » »	٤٣	٥٣
» ابن الزيات عن الخليفة إلى أحد عماله	٤٣	٥٤
فصول لابن الزيات	٤٤	٥٥
كتاب لابن الزيات	٤٥	٥٦
كتاب رجل إلى ابن الزيات	٤٥	٥٧
» الجاحظ إلى »	٤٦	٥٨
» الجاحظ إلى أحمد بن أبي دواد	٤٨	٥٩
» » في الاستعطاف	٥٠	٦٠
» إلى بعض إخوانه في ذم الزمان	٥٣	٦١
» » في استنجاز وعد	٥٦	٦٢
» آخر	٥٦	٦٣
» »	٥٦	٦٤
كتاب له في الاستمناح	٥٧	٦٥

[illegible]

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب لغسان بن عمرو الباهلي في الزم	١٦٩	٨٩
» » » » » » » »	١٧٠	٩٠
» آخر له	١٧٢	٩١
كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل	١٧٢	٩٢
تحميد لإبراهيم بن العباس صدر رسالة الخنيس	١٧٢	٩٣
» » » » في فتح إسحق بن إسماعيل	١٧٤	٩٤
» » » » من رسالة » في قتل » » »	١٧٤	٩٥
تحميد له	١٧٦	٩٦
» » في فتح	١٧٦	٩٧
» آخر له	١٧٧	٩٨
تحميد له	١٧٨	٩٩
» » في فتح	١٧٨	١٠٠
» » في آخر كتاب فتح	١٧٨	١٠١
كتابه إلى بعض إخوانه في شفاعة	١٧٩	١٠٢
» عن المتوكل إلى أهل حصص	١٧٩	١٠٣
» عن المنتصر إلى طاهر بن عبد الله	١٨٠	١٠٤
» عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله	١٨١	١٠٥
» عن المؤيد وهو ولي عهد إلى » » » »	١٨١	١٠٦
» إلى طاهر بن عبد الله	١٨٢	١٠٧
» » » » » » » »	١٨٣	١٠٨
» » » » » » » »	١٨٤	١٠٩
» » » » » » » »	١٨٥	١١٠
» إلى عبد الرحمن بن خاقان	١٨٦	١١١

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتابه إلى الحسن بن رجاء	١٨٧	١١٢
» إلى محمد بن الحسن بن الفياض	١٨٧	١١٣
» إلى عامل له	١٨٨	١١٤
كتاب له في السلامة	١٨٨	١١٥
» » » »	١٨٩	١١٦
» آخر	١٩٠	١١٧
ومن فصوله	١٩٢	١١٨
ومن كلامه	١٩٢	١١٩
كتاب الفضل بن حباب إلى إبراهيم بن العباس	١٩٢	١٢٠
» رجل إلى المتوكل	١٩٣	١٢١
» » إلى مالك بن طوق	١٩٤	١٢٢
» الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق	١٩٤	١٢٣
» أحد الكتاب إلى إبراهيم وأحمد بن المدبر	١٩٤	١٢٤
» عمر بن أيوب إلى أحمد بن المدبر	١٩٥	١٢٥
» أبي العباس المبرّد إلى إبراهيم بن المدبر	١٩٦	١٢٦
» إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون	١٩٦	١٢٧
كتابه إلى عريب	١٩٨	١٢٨
كتاب لابن المدبر	١٩٩	١٢٩
الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر	١٩٩	١٣٠
كتاب محمد بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر	٢٤٢	١٣١
» » » » إلى أحمد بن المدبر	٢٤٣	١٣٢
» » » » إلى أحمد بن دينار	٢٤٣	١٣٣
» » » » » » » »	٢٤٤	١٣٤

الرسالة	رقم الصفحة	رقم
كتاب محمد بن مكرم إلى نصراني أسلم	٢٤٦	١٣٥
» » » » إلى حاج	٢٤٦	١٣٦
» » » » إلى بعض الرؤساء	٢٤٧	١٣٧
كتابه إلى سليمان بن وهب	٢٤٧	١٣٨
كتابه إلى أبي العيناء	٢٤٩	١٣٩
فصول لابن مكرم	٢٥٠	١٤٠
كتاب سعيد بن موسى إلى أبي شراعة	٢٥٢	١٤١
رد أبي شراعة على سعيد بن موسى	٢٥٢	١٤٢
كتاب البيعة المنتصر بالله	٢٥٥	١٤٣
كتاب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	٢٥٨	١٤٤
رقعة المعتز والمؤيد في خلع أنفسهما من البيعة	٢٦٢	١٤٥
كتاب المنتصر بخلع المعتز والمؤيد	٢٦٣	١٤٦
كتاب البيعة المعتز بالله	٢٦٨	١٤٧
كتاب عن محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد - كتبه سعيد بن حميد	٢٧١	١٤٨
» سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان	٢٨١	١٤٩
» » » » إلى صديق له	٢٨٢	١٥٠
كتاب سعيد بن حميد إلى أبي العباس بن ثوبة	٢٨٣	١٥١
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة	٢٨٤	١٥٢
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة	٢٨٤	١٥٣
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة	٢٨٥	١٥٤
كتاب سعيد بن حميد إلى أبي هفان	٢٨٥	١٥٥
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	٢٨٦	١٥٦
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	٢٨٧	١٥٧

الرسالة	رقم الصفحة الرسالة	رقم
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	١٥٨	٢٨٨
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	١٥٩	٢٨٩
كتاب له في السلامة	١٦٠	٢٨٩
كتاب له في الشوق	١٦١	٢٩٠
كتاب آخر	١٦٢	٢٩٠
كتاب آخر	١٦٣	٢٩١
كتاب له في توصية	١٦٤	٢٩١
كتاب له في الاعتذار	١٦٥	٢٩١
كتاب تعزية له	١٦٦	٢٩٢
كتاب تعزية له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	١٦٧	٢٩٣
تعزية له في مثله	١٦٨	٢٩٤
كتاب له	١٦٩	٢٩٤
تحميد له في فتح	١٧٠	٢٩٥
فصول لسعيد بن حميد في المودة	١٧١	٢٩٧
كتاب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد	١٧٢	٢٩٨
رد سعيد بن حميد عليه	١٧٣	٢٩٨
كتاب لسعيد بن عبد الملك في السلامة	١٧٤	٢٩٩
» » » » » في سلامة الفطر	١٧٥	٣٠٠
كتاب له في الاعتذار	١٧٦	٣٠١
تعزية لسعيد بن عبد الملك	١٧٧	٣٠١
» » » » »	١٧٨	٣٠٢
كتاب له في توصية	١٧٩	٣٠٣
» آخر	١٨٠	٣٠٣

رقم الصفة	رقم الرسالة	الرسالة
٣٠١٣	١٨١	كتاب له في إطلاق محبوس
٣٠٣	١٨٢	» له
٣٠٤	١٨٣	فصول له
٣٠٤	١٨٤	كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المعتز
٣٠٦	١٨٥	» » » » » إلى عمال النواحي
٣٠٧	١٨٦	رد الأثر الك على كتاب ابن طاهر
٣٠٩	١٨٧	كتاب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمود الإسكافي
٣٠٩	١٨٨	رد جعفر على محمد بن عباد
٣١٠	١٨٩	كتاب ابن طاهر إلى عماله
٣١١	١٩٠	رقعة المعتز بخلع نفسه
٣١٢	١٩١	كتاب المازلي بالكرخ والدور إلى المهتدي
٣١٣	١٩٢	رد المهتدي عليهم
٣١٤	١٩٣	كتاب الموالى إلى المهتدي
٣١٥	١٩٤	كتاب المهتدي إليهم
٣١٦	١٩٥	كتابهم إلى المهتدي
٣١٧	١٩٦	» إلى القواد
٣١٧	١٩٧	كتاب المهتدي إليهم
٣١٨	١٩٨	» القواد إليهم
٣١٩	١٩٩	كتاب علي بن يحيى إلى سليمان بن وهب
٣١٩	٢٠٠	رد ابن وهب عليه
٣٢٠	٢٠١	كتاب ابن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر
٣٢٠	٢٠٢	» رجل إلى سليمان بن وهب
٣٢١	٢٠٣	رده عليه

الرسالة	رقم الصفحة	رقم
كتاب اعتذار سليمان بن وهب	٣٢١	٢٠٤
كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر إسماعيل بن بلبل	٣٢٢	٢٠٥
» » » إلى بعض الرؤساء	٣٢٣	٢٠٦
» أبي العباس بن ثوبة إلى إسماعيل بن بلبل	٣٢٣	٢٠٧
» عميد الله بن عبد الله بن طاهر إلى عميد الله بن سليمان	٣٢٤	٢٠٨
» سعيد بن عبد الملك إلى » » » »	٣٢٥	٢٠٩
» أبي العيناء إلى » » » »	٣٢٦	٢١٠
رد عميد الله عليه	٣٢٦	٢١١
كتاب أبي العيناء إلى عميد الله بن سليمان	٣٢٧	٢١٢
جواب لأحمد بن سليمان بن وهب	٣٢٧	٢١٣
كتابه إلى ابن أبي الأصبغ	٣٢٩	٢١٤
» إلى أخيه عميد الله بن سليمان	٣٢٩	٢١٥
» إلى صديق له	٣٣٠	٢١٦
كتاب أبي العباس بن ثوبة إلى عميد الله بن سليمان	٣٣١	٢١٧
» له	٣٣٢	٢١٨
» ابن ثوبة إلى عميد الله بن سليمان	٣٣٢	٢١٩
جواب عن تعزية لابن ثوبة	٣٣٣	٢٢٠
تعزية له إلى ابني عمر	٣٣٣	٢٢١
عهد من الموفق إلى أحمد الولاة - كتبه ابن ثوبة	٣٣٤	٢٢٢
كتاب جعفر بن ثوبة إلى عميد الله بن سليمان	٣٤٢	٢٢٣
» أحمد بن أبي طاهر إلى علي بن يحيى	٣٤٣	٢٢٤
» » » » » » » »	٣٤٤	٢٢٥
كتابه في ذم ابن ثوبة	٣٤٥	٢٢٦

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
٣٤٧	٢٢٧	كتاب أحمد بن أبي طاهر إلى أبي علي البصير
٣٥٢	٢٢٨	كتاب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يهنئه بالعيد
٣٥٣	٢٢٩	» » » » » » » » يهنئه بقدومه
٣٥٣	٢٣٠	» » » » » » » » يعزيه عن ابنه
٣٥٥	٢٣١	فصل لابن المعتز من تعزية بولد
٣٥٥	٢٣٢	تعزية له
٣٥٥	٢٣٣	تعزية أخرى
٣٥٦	٢٣٤	وله تهنئة بمولود
٣٥٦	٢٣٥	فصل له في قبول عذر
٣٥٦	٢٣٦	» » في حاجة
٣٥٧	٢٣٧	» »
٣٥٧	٢٣٨	» »
٣٥٧	٢٣٩	» »
٣٥٨	٢٤٠	» »
٣٥٨	٢٤١	» » في الشوق
٣٥٨	٢٤٢	وله شفاعة في شغل
٣٥٩	٢٤٣	فصل له في فراق
٣٥٩	٢٤٤	» »
٣٥٩	٢٤٥	» »
٣٦٠	٢٤٦	» »
٣٦٠	٢٤٧	وله في وصف المبيان
٣٦٢	٢٤٨	وله في وصف الكتاب والتلم
٣٦٢	٢٤٩	كتاب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب آخر إليه	٤٠٧	٢٧٣
» إلى عبد الله بن شبيب من صديق له	٤٠٧	٢٧٤
» إلى محمد بن طيفور من بعض إخوانه	٤٠٨	٢٧٥
» » » » » من بعض خاصته	٤٠٨	٢٧٦
رده عليه	٤٠٩	٢٧٧
كتاب صاحب البريد بـسينور	٤٠٩	٢٧٨
» على بن القرات عن المقتدر في المواريث	٤١٠	٢٧٩
» الوزير ابن مقله إلى القواد والعمال	٤١١	٢٨٠
» أحمد بن الضحاك إلى صديق له يصف شعب توان	٤١٢	٢٨١
» عن الإخشيد إلى أرمانيوس ملك الروم - كتبه النجيري	٤١٤	٢٨٢
» أبي الطيب المتنبي إلى أحد إخوانه	٤٢٥	٢٨٣
» الراضي إلى المتقي	٤٢٥	٢٨٤
التوقيعات في العصر العباسي، الأول		
توقيعات السفاح	٤٢٦	
» المنصور	٤٢٧	
» المهدي	٤٣٢	
» الهادي	٤٣٤	
» الرشيد	٤٣٤	
» المأمون	٤٣٧	
» الواثق	٤٤٢	
» أبي مسلم الخراساني	٤٤٢	

توقيعات عمرو بن عبيد	٤٤٣
» أبي عبيد الله	٤٤٣
» الفيض بن أبي صالح	٤٤٤
» يحيى بن خالد البرمكى	٤٤٤
» جعفر بن يحيى البرمكى	٤٤٤
» الفضل بن يحيى	٤٤٩
» الفضل بن سهل	٤٤٩
» الحسن بن سهل	٤٥١
» طاهر بن الحسين	٤٥٢
» عبد الله بن طاهر	٤٥٤
» يوسف بن القاسم	٤٥٥
» أحمد بن يوسف	٤٥٧
» عمرو بن مسعدة	٤٥٩
» محمد بن يزداذ	٤٦٠
» عبد الله بن محمد بن يزداذ	٤٦٠
» إبراهيم بن العباس	٤٦١
» محمد بن عبد الله بن طاهر	٤٦١
» عبید الله بن سليمان بن وهب	٤٦٢
» عبد الله بن المعتز	٤٦٣
» على بن عيسى	٤٦٣

فهرس أعلام الكتاب

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

أبو عبيد الله ٤٤٣	(أ)
أبو علي البصير ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،	إبراهيم بن العباس ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،
١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،	٤٢ ، ٤٣ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
أبو العيناء ١٤٢ ، ١٥٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،	١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
٣٢٦ ، ٣٢٧	١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
أبو مسلم الخراساني ٤٤٢	١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،
أحمد بن أبي طاهر طيفور ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،	٤٦١
٣٤٥ ، ٣٤٧	إبراهيم بن المدبر ١٦٩ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
أحمد بن إسماعيل ٣٦٢ ، ٣٦٣	إبراهيم بن المهدي ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ،
أحمد بن سليمان بن وهب ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،	١٤ ، ١٥ ، ١٦
٣٣٠	ابن التوءم ٩٨
أحمد بن الضحاك ٤١٢	ابن عبد كان ٣٦٦
أحمد بن علي المازرائي ٣٦٥	ابن مقلة ٤١١
أحمد بن يحيى الأسدي ٣٦٤	أبو شراعة ٢٥٢
أحمد بن يوسف ٤٥٧	أبو الطيب المتنبي ٤٢٥
أم الشريف ٣٩٣ ، ٣٩٤	أبو العاص بن عبد الوهاب ٧٥
(ج)	أبو العباس بن ثوبة ٣٢٣ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
الجاحظ ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ،	٣٣٣ ، ٣٣٤
٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠	أبو العباس المبرد ١٩٦

(ط)

طاهر بن الحسين ٤٥٢

(ع)

عبد الرحمن بن أحمد الحراني ٣٧

عبد الله بن أحمد ٣٦٥

عبد الله بن الحسن الأصبهاني ١٨

عبد الله بن خاقان ١٥٤

عبد الله بن طاهر ٤٥٤

عبد الله بن محمد بن يزداد ٤٦٠

عبد الله بن المعتز ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ،

٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧ ،

٣٦٢ ، ٣٠٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ،

٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤٦٣

عبيد الله بن سليمان بن وهب ٣٢٦ ، ٤٦٢

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٣٢٤

عبيد الله بن يحيى بن خاقان ١٥٠

علي بن عيسى ٤٦٣

علي بن الفرات ٤١٠

علي بن يحيى ٣١٩

عمر بن أيوب ١٩٥

عمر بن عبيد ٤٤٣

عمر بن عثمان القيني ١٣٧

عمر بن مسعدة ٤٥٩

(غ)

غسان بن عمرو الباهلي ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢

جعفر بن ثوابة ٣٤٢

جعفر بن محمود ٣٠٩

جعفر بن يحيى ٤٤٤

(ح)

الحسن بن وهب ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ،

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،

٣٤ ، ٣٥ ، ١٩٤

الحسن بن سهل ٤٥١

الحسين بن الحسن بن سهل ٣٦

(ر)

الرازي ٤٢٥

الرشيد ٤٣٤

(س)

سعيد بن حميد ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،

سعيد بن عبد الملك ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،

٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٥ ،

سعيد بن موسى ٢٥٢

السفاح ٤٢٦

سليمان بن وهب ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١

(ص)

صاحب الشامة ٣٩٥

(ف)

الفضل بن حباب ١٩٢

الفضل بن سهل ٤٤٩

الفضل بن يحيى ٤٤٩

الفيض بن صالح ٤٤٤

(م)

المأمون ٤٣٨

مالك بن أنس ٤٦٥

المتوكل ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٤٣

محمد بن سليمان ٣٩٩

محمد بن طيفور ٤٠٩

محمد بن عباد ٣٠٩

محمد بن عبد الله بن طاهر ١٧٢ ، ٣٠٤ ،

٤٦١ ، ٣١٠

محمد بن عبد الملك الزيات ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ،

٢٢ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥

محمد بن مكرم ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ،

٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

محمد بن يزداذ ٤٦٠

المعز ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢١١

المعتصم ١ ، ٢ ، ٨

المنتصر ٢٥٨ ، ٢٦٣

النصور ٤٢٧

الهدى ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧

المهدى ٤٣٢

ميمون بن إبراهيم ٣٥

(ن)

النجيرى ٤١٤

(هـ)

الهادي ٤٣٤

(و)

الواثق ٤٤٢

(ي)

يحيى بن خالد البرمكى ٤٤٤

يعقوب الكندى ١٧

يوسف بن القاسم ٤٥٥

فهرس

بعض ما ورد في الهامش من الفوائد التي قد يحتاج القارى إلى مراجعتها

٢	بابك الخرمى	١٥٠	سر من رأى
٨	عمورية	١٧١	شُطَب السيف
١٠	الأشنان	١٩٦	تلقيب أبي العباس صاحب الكامل بالمبرد
١٧	أبو يوسف يعقوب الكندى	٢٠٨	سجنا نافع والخيس
١٩	الأنواء	٢١١	حذف الواو والياء من هو وهى
٣٨	زعم والسقاية	٢١٧	لا تجملونى كقدح الراكب
٥٠	المرة والخلط والمزاج	٢١٨	المثشار والمثشار
٥٥	لقيته على أوفاز	٢٢٣	ابن قيس الرقيات
٦٢	لا جرم	٢٢٤	عتبة وأبو العتاهية
٦٦	على بن الحسين وابن زياد	٢٣٥	ابن الزيات وابن أبى دواد
٦٧	المعتزلة أهل العدل	٢٣٩	بزر جهر
٦٩	مقابع بنى أمية	٢٤٠	إنا معشر النبأ بكاء
٨٨	بجمل أهل خراسان	٢٥٣	الكلالة - الفلكوة
٩٢	الصدى	٢٥٤	لم أبال ولم أبل
١١٣	الحبيص والقالودج واللوزينج	٢٣٥	ابن الزيات والوزارة
١١٤	الشفارج	٢٨٣	آل ثوبة بن يونس
١١٧	إبراهيم بن هرمة	٢٠٧	دُعِيَتْ نَزَال
١١٨	الزوراء	٣١٦	من أصلح جَوَانِيهِ أصلح الله برانيه
١٢٣	أبو رغال	٣٦٦	العباس بن أحمد بن طولون وعقوقه لأبيه
١٣٠	إن أخاك الصَّدُوقَ من لم يَخْدَعَكَ	٣٧٤ ، ٣٩٥	القرامطة
		٣٨٢	الشجرة الملعونة فى القرآن

٣٨٤	الحكم طريد رسول الله	٤٣٤	يا بن اللعناء
٣٨٦	عمار بن ياسر	٤٣٥	لا أم لك
٤٢٧	أبوسلمة الخلال	٤٤٦	حديث « يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج . . . »
٤٢٨	حديث « كما تكونوا يولى عليكم »	٤٥٢	بل رحمه
٤٣٠	الرافضة	٤٥٩	تنجيم الديون
٤٣٠	السيد الحميرى	٤٧٤	ساء وأساء
٤٣١	بخل أبى جعفر المنصور		

فهرس الأمثال التي ورد شرحها في الهامش

٤١	بلغ السكين العظم	١٢٧	رب أكلة تمنع أكلات
٨١	أجود من كعب بن مامة	١٢٧	رب عجلة تهب ريثا
٨٦	أسمع من لافظة	١٢٨	تطلب أثرا بعد عين
٨٦	جوع كلبك يتبعك	١٢٩	أشأم من خوتعة
٨٧	نعم كلب في بؤس أهله	١٢٩	أشأم من البسوس
٨٧	سمن كلبك يا كلك	١٢٩	أشأم من عطر منشم
٨٧	أجوع من كلبة حومل	١٣٠	عش ولا تغتر
٩٦	عند الصباح يحمد القوم المسرى	١٣٠	إن أخا الهيماء من يسعي معك
٩٧	غمرات ثم ينجلين		ومن يضر نفسه لينفعك
١٠٢	لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا	١٣١	لم يذهب من مالك ما وعظك
١١٦	القيد والرثعة	١٣٢	لا تعدم صنائع آلة
١١٢	كتاركة بيضها بالعراء	١٣٢	ليس لها راع ولكن حلبة
	وملبسة بيض أخرى جناحا	١٣٣	للمرى يراش السهم — قبل الرماء
١١٢	أحق من نعامه		يملا الكفنان
١٢٤	إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى	١٣٣	عند النطاح تغلب القرناء — عند
١٢٤	شر السير الحقيقة		النطاح يغلب الكباش الأجم
١٢٥	الرشف أوقع للظمان	١٣٣	ليس عليك نسجه فاسحب وخرق
١٢٥	ليس الرى عن التشاف	١٣٦	سمنك في أديمك
١٢٥	يا عاقد اذكر حلا	١٣٦	غشك خير من صمين غيرك
١٢٥	رب لاثم ملثم — رب ملوم لا ذنب له	٢١٣	أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك
١٢٦	الفرار بقرباب أكيس	٤٣٣	قد أنصف القارة من رامها

البَابُ الْخَامِسُ

الترسل

في

العصر العباسي الأول أيضاً

١ - كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

وروى صاحب زهر الآداب قال :

وكتب المعتصم، حين صارت له الخلافة سنة ٢١٨ هـ، إلى عبد الله بن طاهر :
« عافانا الله وإياك ، قد كانت في قلبي منك هفوات غفرتها الاقتدار ،
وبقيت حزازات ^(١) أخاف منها عليك ، عند نظري إليك ، فإن أتاكَ ألفُ
كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم ، وحسبك معرفة بما أنا مُنطوٍ لك عليه ،
إِطْلَعِي إِيَّاكَ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِي مِنْكَ . والسلام » . (زهر الآداب ٣ : ٩١)

(١) الحزازة : وجع في القلب ، من غيظ ونحوه .

٢ - كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

وروى صاحب العقد الفريد قال :

كتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر :

« أَعَزُّ عَلَىَّ بَأْنُ أُرَاكَ عَلِيًّا أَوْ أَنْ يَكُونَ بِكَ السَّقَامُ نَزِيلًا
فَوَدِدْتُ أَنَّي مَالِكٌ لِسَلَامَتِي فَأُعِيرُهَا لَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
فَتَكُونَ تَبَقَى سَالِمًا بِسَلَامَتِي وَأَكُونَ مِمَّا قَدْ عَرَكَ بَدِيلًا
هَذَا أَخٌ لَكَ يَشْتَكِي مَا تَشْتَكِي وَكَذَا الْخَلِيلُ إِذَا أَحَبَّ خَلِيلًا »^(١)

(العقد الفريد ١ : ٢٣٠)

٣ - كتاب المعتصم إلى الآفاق عند القبض على بابك الخرمي

وهذه نسخة كتاب كتب بها عن المعتصم ، إلى ملوك الآفاق من المسلمين ، عند قبض الأفشين حيدر بن كاوس على بابك الخرمي^(٢) ، وهي :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه ، والعصمة لأوليائه ، والعز لمن نصره ، والفلاح لمن أطاعه ، والحق لمن عرف حقه ، وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه^(٣) ، ورغب عن ربه ودينه ، وابتغى إلها

(١) أقول : الظاهر أن المعتصم كتب إليه هذا الكتاب ، قبل أن يلي الخلافة .

(٢) قدما لك في الجزء الثالث ما كان من أمر بابك الخرمي في خلافة المأمون (انظر ص ٥٣٠) فلما ولي المعتصم الخلافة وجهه لحربه سنة ٢٢٠ الأفشين التركي - وكان من أجل قواده - ونشبت بينه وبينه وقعت وحروب ، كانت خاتمتها أن فتح البلد - مدينة بابك - ودخلها المسلمون واستباحوها ، وأسر الأفشين بابك ، وقدم به على المعتصم يسر من رأى ، فقتل وصلب بها سنة ٢٢٣ هـ .

(٣) الفلج : الظفر والفوز .

(٤) صدف عنه كضرب : أعرض .

غيره ، لا إله إلا هو وخدّه لا شريك له ، يحمدهُ أمير المؤمنين حمداً من لا
يعبدُ غيره ، ولا يتوكلُ إلا عليه ، ولا يفوض أمره إلا إليه ، ولا يرجو
الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ، ولا يستعينُ في أحواله كلها
إلا به ، ويسأله أن يصليَ على محمد عبده ورسوله وصفوته من عباده ، الذي
ارتضاه لنبوته ، وابتعثه بوحيه ، واختصّه بكرامته ، فأرسله بالحق شاهداً
ومُبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ، والحمد لله الذي توجه
لأمير المؤمنين بصنعه ، فيسر له أمره ، وصدق له ظنه ، وأبجَحَ له طلبته ،
وأفدَ له حيلته ، وبلغ له محبته ، وأدرك المسلمون بثارهم على يده ، وقتل
عدوهم ، وأسكن روعتهم^(١) ، ورحم فاقتهم ، وأنس وحشتهم ، فأصبحوا
آمنين مطمئنين مقيمين في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ، بمد القتل
والخوف والتشريد وطول العناء ، وتتابع البلاء ، منّا من الله عز وجل على
أمير المؤمنين بما خصّه به ، وصنعا له فيما وفقه لطلبه ، وكرامةً زادها فيما
أجرى على يده ، فالحمد لله كثيرا كما هو أهله ، ونرغب إلى الله في تمام نعمه ،
ودوام صنعه ، وسعة ما عنده بمنّه ولطفه .

ولا يعلمُ أمير المؤمنين - مع كثرة أعداء المسلمين ، وتكفُّفهم^(٢) إياه
من أقطاره ، والضغائن التي في قلوبهم على أهله ، وما يترصدونه من العداوة ،
وينطوون عليه من المكيدة ، إذ كان هو الظاهر عليهم^(٣) ، والآخذ منهم -

(١) أي فزعهم .

(٢) تكفّفوه : أحاطوا به .

(٣) أي الغالب لهم .

عَدُوًّا كَانَ أَعْظَمَ بَلِيَّةً ، وَلَا أَجَلَ خَطْبًا ، وَلَا أَشَدَّ كَلْبًا ^(١) ، وَلَا أَبَدَ
مَكَايِدَةً ، وَلَا أَرْمَى بِمَكْرُوهِهِ ، مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةِ الَّذِينَ يَغْزُوهُمْ الْمَسَامُونَ
فَيَسْتَقْلُونَ عَلَيْهِمْ ، وَيَضْعُمُونَ أَيْدِيَهُمْ حَيْثُ شَاءُوا مِنْهُمْ ، وَلَا يَقْبَلُونَ لَهُمْ
صُلْحًا ، وَلَا يَعْمَلُونَ مَعَهُمْ إِلَى مُوَادَعَةٍ ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ عَلَى طَوْلِ الْأَيَّامِ ، وَتَصَرَّفِ
الْحَالَاتِ ، وَبَعْضِ مَا لَا يَزَالُ يَكُونُ مِنْ فِتْرَاتِ وُلَاةِ الثَّغُورِ - أَذْنَى دَوْلَةٍ مِنْ
دَوْلَاتِ الظُّفَرِ ، وَخُلْسَةٍ مِنْ خُلْسِ الْحَرْبِ ، كَانَ بِمَا لَهُمْ مِنْ خَوْفِ الْعَاقِبَةِ فِي
ذَلِكَ مِنْغَصًّا لِمَا تَعَجَّلُوا مِنْ سُرُورِهِ ، وَمَا يَتَوَقَّعُونَ مِنَ الدَّوَائِرِ بَعْدُ ، مَكْدَرٌ
لِمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ فَرَحَةٍ

فَأَمَّا الَّذِينَ بَابَكَ وَكَفَرْتُهُ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَغْزُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يُغْزَوْنَ
وَيَنَالُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يُنَالُ مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ الْمُنْحَرِفُونَ عَنِ الْمُوَادَعَةِ ، الْمُتَوَخِّشُونَ
عَنِ الْمِرَاسَلَةِ ، وَمَنْ أَدِيلُوا ^(٢) مِنْ تَتَابُعِ الدُّوَلِ ، وَلَمْ يَخَافُوا عَاقِبَةً تُذَرِّكُهُمْ
وَلَا دَائِرَةً ^(٣) تَدُورُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ مِمَّا وَطَّأَ ذَلِكَ وَمَكْنَهُ لَهُمْ ، أَنَّهُمْ قَوْمٌ ابْتَدَعُوا
أَمْرَهُمْ عَلَى حَالِ تَشَاغُلِ السُّلْطَانِ ، وَتَتَابُعِ مِنَ الْفِتَنِ ، وَاضْطِرَابِ مِنَ الْحَبْلِ
فَاسْتَقْبَلُوا أَمْرَهُمْ بِعِزَّةٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَضَعْفٍ وَاسْتِثَارَةٍ مِمَّنْ بَارَاهُمْ ، فَأَجَلُّوا مَنْ
حَوْلَهُمْ لِتَخْلُصَ الْبِلَادُ لَهُمْ ، ثُمَّ أَخْرَبُوا الْبِلَادَ لِيَعِزَّ مَطْلَبُهُمْ ، وَتَشْتَدَّ الْمُؤَنَةُ
وَتَعْظُمَ الْكُلْفَةُ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ، فَلَمْ يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُوَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا
وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمْ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْحَلَ أَمْرَهُمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ

(١) مِنْ كَلْبِ الزَّمَانِ وَالشَّتَاءِ كَفَرَحَ : أَيْ اشْتَدَّ .

(٢) الْإِدَالَةُ : الْغَلْبَةُ ، أَدَالَهُ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ .

(٣) الدَّائِرَةُ : الْمَهْزِيعَةُ .

واشتدت ضرورتهم ، واستجمع لهم كيدهم ، وكثر عددهم واعتدادهم ، وتمكنت الهيبة في صدور الناس منهم ، وتحقق في نفوسهم أن كل ما يهدم الكافر ويمنهم أخذ باليد ، وكان الذي بقي عندهم منه كالذي مضى ، وبدون هذا ما يُختدع الأريب ، ويُستزل العاقل ، ويُعتقل الفطن ، فكيف بمن لا فكرة له ولا روية عنده !

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النعم ، ومنافستهم على ما في أيديهم ، وتقطعهم حسرات في إثر ما خُصوا به ، وأنهم إن لا يكونوا يرون أنفسهم أحق بذلك ، فإنهم يرون أنهم فيه سواء .

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُفضى إليه الخلافة ، ماذا عنقه ، موجهاً همته ، إلى أن يوليّه الله أمر هؤلاء الكفرة ، ويملكه حربهم ، ويجعله المقارع^(١) لهم عن دينه ، والناجز لهم عن حقه ، فلم يكن يألو^(٢) في ذلك حرصاً وطلباً واحتيالاً ، فكان أمير المؤمنين - رضى الله عنه - يأبى ذلك لخصته به ، وصيائته بقربه ، مع الأمر الذي أعده الله له وآثره به ، ورأى أن شيئاً لا يفي بقوام الدين وصلاح الأمر .

فالما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته ، وأطلق الأمر في يده ، لم يكن شيء أحب إليه ، ولا أخذ بقلبه ، من المعاجلة للكافر وكفرته ، فأعزّه الله ، وأعانته الله ، فله الحمد على ذلك وتيسره ، فأعد من أمواله أخطرها ، ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب ، وأنهمضهم بالمعضلات ، ومن أوليائه وأبناء دعوته

(١) المقارعة : المناضلة .

(٢) ألا . يألو : قصر .

ودعوة آباءه - صلوات الله عليهم - أحسنهم طاعةً ، وأشدّهم نكايَةً ،
وأكثرهم عُدةً ، ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصّة
مواليه وعدّد غلمانَه ، وقبّل ذلك ما اتّكل عليه من صنّع الله جل وعز ، ووجهه
إليه من رغيته . فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملائعِين ؟ ألم يكذب
الله ظنّونهم ، ويشفّ صدور أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شاءوا في كل
مَوطِن ومُعْتَرَك ، ما دامت عند أنفسهم مقاومة .

فلما ذلّوا وقتلوا ، وكرهوا الموت ، صاروا لا يترأّون إلا في رءوس الجبال ،
ومضايق الطُرُق ، وخلف الأودية ، ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تنالهم
الخيَلُ ، حصناً للمطاولَة ، وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك ، وهو خير
الكائدين ، واستدرجهم حتى جمّعهم إلى حصنه معتصمين فيه عند أنفسهم ،
فجاءوا اعتصامهم لِحَيٍّ^(١) لهم ، وصنّع أوليائه ، وإحاطةً منه به تبارك
وتعالى ، فجَمَعَهُمْ وحصرهم لكيلا تَبْقَى منهم بقيةٌ ، ولا تُرْجَى لهم عاقبةٌ ،
ولا يكون الدينُ إلا لله ، ولا العاقبةُ إلا لأوليائه ، ولا التعسُّ والنكسُ
إلا لمن خذله .

فلما حَصَرَهُم الله ، وجبَسَهُم عليهم ، ودانتهم^(٢) مصارعُهُم ، سلّطهم الله
عليهم كيدٌ واحدة ، يختطفونهم بسيوفهم ، وينتظِمُونَهُمْ^(٣) برماحهم ، فلا
يجدون ملجأً ولا مهرباً ، ثم أمكنهم من أهاليهم ، وأولادهم ، ونساءهم ،

(١) الحين : الهلاك .

(٢) دانتهم : أى قاربتهم .

(٣) انتظمه بالرمح : اختله .

وَحُرْمَهُمْ ، وصَيَّرُوا الدَارَ دَارَهُمْ ، وَالْمَحِلَّةَ مَحِلَّتَهُمْ ، وَالْأَمْوَالَ قَسَمًا بَيْنَهُمْ ،
وَالْأَهْلَ إِمَامَةً وَعَبِيدًا ، وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا فَعَلَ بِهِؤُلَاءِ وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ
وَالثَّوَابِ ، وَمَا أَعَدَّ لِأَوْلَئِكَ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعِقَابِ ، وَصَارَ الْكَافِرُ بَابَكَ لَا فَيْمَنَ
قُتِلَ ، فَسَلِمَ مِنْ ذُلِّ الْغَلْبَةِ ، وَلَا فَيْمَنَ نَجَا ، فَعَايَنَ فِي الْحَيَاةِ بَعْضَ الْعِوَضِ ، وَلَا
فَيْمَنَ أُصِيبَ ، فَيَسْتَغْلِبُ بِنَفْسِهِ عَنِ الْمَصِيبَةِ بِمَا سِوَاهِ ، لَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى
أَطْلُقُهُ وَسَدَّ مَذَاهِبَهُ ، وَتَرَكَهُ مُتَلَدِّدًا^(١) بَيْنَ الذِّلِّ وَالْخَوْفِ ، وَالْفُصَّةِ وَالْحَسْرَةِ ،
حَتَّى إِذَا ذَاقَ طَعْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَفَهِمَهُ ، رَعَرَفَ مَوْقِعَ الْمَصِيبَةِ ، وَظَنَّ مَعَ ذَلِكَ
كُلَّهُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقٍ مِنَ النِّجَاةِ ، فَضَرَبَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَأَعْمَى بَصَرَهُ ، وَسَدَّ
سَبِيلَهُ ، وَأَخَذَ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ ، وَحَازَهُ إِلَى مَنْ لَا يَرِيقُ لَهُ ، وَلَا يَرِثُنِي لِمَصْرَعِهِ ،
فَامْتَثَلَ مَا أَمَرَ بِهِ الْأَفْشِينَ « حَيْدَرُ بْنُ كَاوُسٍ »^(٢) مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي
أَمْرِهِ ، فَبَثَّ لَهُ الْحَبَائِلَ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْأَرْصَادَ ، وَنَصَبَ لَهُ الْأَشْرَاكَ ، حَتَّى
أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِهِ أَسِيرًا ذَلِيلًا مُوثَقًا فِي الْحَدِيدِ ، يَرَاهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مَنْ كَانَ يَرَاهُ
رَبًّا ، وَيَرَى الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُ .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّ دِينَهُ ، وَأَظْهَرَ حُجَّتَهُ ، وَنَصَرَ أَوْلِيَاءَهُ ، وَأَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ ،
حَدًّا يُقْضَى بِهِ الْحَقُّ ، وَتَتِمُّ بِهِ النُّعْمَةُ ، وَتَتَّصِلُ بِهِ الزِّيَادَةُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
فَتَحَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَقَّقَ ظَنَّهُ ، وَأَنْجَحَ سَعْيَهُ ، وَحَازَ لَهُ أَجْرَ هَذَا الْفَتْحِ
وَذُخْرَهُ وَشَرْفَهُ ، وَجَعَلَهُ خَالِصًا لِمَا مَهْ وَكَأَلَهُ ، بِأَكْمَلِ الصَّنْعِ وَأَحْسَنِ الْكِفَايَةِ ،

(١) تلدد : تافت يمينا وشمالا ، وتحير متبلدا ، وتلبث .

(٢) هكذا في تاريخ الطبري (١٠ : ٣٠٧) وفي زهر الآداب (١ : ٣٢٤) وفي صبح الأعشى

« حيدر بن طاوس » بالطاء .

ولم ير بُؤْسًا فيه ما يُقْذَى عَيْنَهُ ، ولا خلا من سُرُور يراه ، وبشارةٍ تَجِدُّ له عنه ، فما يَدْرِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ما مُتَّعَ فِيهِ مِنَ الْأَمَلِ ، أو ما خُتِمَ لَهُ مِنَ مِنَ الظَّفَرِ ، فالحمد لله أولا ، والحمد لله آخرا ، والحمد لله على عطاياه التي لا تُحْصَى ، ونِعَمَهُ التي لا تُنْسَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . (صبح الأعشى ٦ : ٤٠٠)

٤ - كتاب المعتصم إلى ملك الروم

وكتب ملك الروم إلى المعتصم كتابا يتهدده فيه ويتوعده ، فأمر بجوابه ، فلما قرئت الأجوبة عليه لم يَرْضَها ، وقال لبعض الكتاب اكتب ، وأملِ عليه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أما بعدُ ، فقد قرأتُ كتابك ، وفهمتُ خطابك ، والجواب ما تَرَى لا ما تسمع ، وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُمِّي الدَّارِ . (زهر الآداب ٣ : ٩٢ ، وصبح الأعشى ١ : ١٩٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٦١ ، وأدب الكتاب ص ٢٣٥)

٥ - كتاب إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم

وشَخَّصَ المعتصم غازيا إلى بلاد الروم سنة ٢٢٣ هـ ، بعد قتل بابك ، ففتح عَمُورِيَّة^(١) ، وكتب إليه إبراهيم بن المهدي يهنئه ، بخروجه عن أرض الروم ، بعد فتح عمورية :

(١) عمورية : بلد من بلاد الروم ، فتحه المعتصم سنة ٢٢٣ هـ ، وكان النجبون قالوا له : إننا نجد في كتبنا أن مدينتنا لا تفتح إلا في وقت إدراك التين والعنب ، وبيننا وبين ذلك الوقت أشهر ، ويمتلك من المقام البرد والثلج ، فأبى أن ينصرف وأكب عليها حتى فتحها ، فأبطل ما قالوا ، وفي ذلك يقول أبو تمام في مطلع بائته المشهورة مهثاله :

« الحمد لله الذي تَمَّ لأمير المؤمنين غزوته ، فأذلَّ بها رقابَ المشركين ،
وشَفَى بها صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، ثم سَهَّلَ اللهُ له الأوبةَ سَالِمًا غَانِمًا ، (وكذا
وكذا) وَلِيَهِنَتْهُ ما كَتَبَهُ اللهُ له مما أَحْصَاهُ فلا يَنْسَاهُ ، لِيَقِفَهُ به مَوْقِفًا
يَرْضَاهُ ، فإنه عز وجل يقول : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا
عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ،
فَأَسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّتِي بِأَيْعَتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

فَطَوَى اللهُ لأمير المؤمنين نازِحَ^(١) البعدِ بَرًّا وَبَحْرًا ، ووقاه وَصَبَ
السَّفَرِ سَهْلًا وَوَعْرًا ، وحاطه بحِراسته كَالِئًا^(٢) ، ودافع عنه بحفظه راعيًا ،
حتى يُوَدِّيَهُ إلى المحلِّ مِنْ داره ، والوطنِ مِنْ قَرَارِهِ ، وجزاه عن الإسلامِ
خاصَّةً . وعن رعيَّته كافَّةً ، بتخيُّره مستخلفًا عليهم ، وقاتلًا مقامه فبهم :
هرون^(٣) ابنَ أمير المؤمنين ، فقد استخلفه رفيقًا شفيقًا ، حليما وَقُورًا ، يقظانًا
سَاكِنًا ، لم يُشَدِّبْ^(٤) عليه أمرًا ، ولم ينتشرْ عليه طَرَفٌ ، ولم يضع معه سبيلًا ، ولم
يُسَخِّطْ وليًّا مُكَانِفًا ، ولا عدواً مُخَالِفًا ، بلا سيفٍ أَشْرَعَهُ ، ولا سُورًا أَقْرَعَ به^(٥) ،

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
وفيها يقول :

يا يوم وقعت عمورية انصرفت عنك الى حفلا معسولة الحلب

(١) النازح : البعيد .

(٢) كالئًا : أي حارسًا حافظًا .

(٣) هرون : هو الملقب بالوائق بالله ، وقد ولي الخلافة بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفي سنة ٢٣٢ هـ .

(٤) التشذيب : التفريق ، والطرف بالتحريك : الناحية .

(٥) أشرع نحوه الرمح والسيف وشرعهما كنع : أقبلهما إياه وسددهما له ، وأقرع الدابة بالجامها

وقرعهما كنع : كفها به وكبحها .

فمثل جزاء أمير المؤمنين في تخيُّره إياه ، فجزاه الله على ما حفظ من وصاته على محمود مقامه ، إنه محبب الداعي .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٩٨)

٦ — كتابه إلى إسحق بن إبراهيم الموصلي

وأهدى إبراهيم بن المهدي ، إلى إسحق بن إبراهيم الموصلي^(١) ، جراب ملح ، وجراب أشنان^(٢) ، وكتب إليه :

« لولا أن القلّة قصّرت عن بلوغ الهمة ، لأتعبت السابقين إلى برك ، ولكن البضاعة قعدت بالهمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ذكر ، فبعثت بالمتدأ به ليمنه وبركته ، والمختوم به لطيبه ونظافته ، وأما ما سوى ذلك ، فالمعبر عنا فيه كتاب الله تعالى ، إذ يقول : « لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ ، إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ »^(٣) .
(السعد الفريد ٣ : ٣٠٨)

(١) هو إسحق بن إبراهيم الموصلي ، المتوفى سنة ٢٣٥ ، وقد أورد صاحب الأغاني ، كثيراً جداً من أخباره ، فارجع إليها فيه .

(٢) الأشنان بالضم والكسر : نبات حمض (والحض من النبات — كشمس — كل نبت ملح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له) تغسل به الأيدي على أثر الطعام ، وعزبه جرض كعق نظر لسان العرب مادة أشن وحرض ، وشفاء الغليل من ١١ .

(٣) وفي رواية الصولي ، في كتاب الأوراق ٢ : ٣٠ « عن إسحق قال : ظهرت بعض ولدي ، فكتب إلى إبراهيم بن المهدي : « لولا أن البضاعة قصرت عن الهوى ، لأتعبت السابقين إلى برك ، وحسبك أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها بركة ، وقد بعثت إليك ما المتدأ به لينه » والمختوم به لطيبه ورائحته ، جراب ملح ، وجراب أشنان » .

٧ - رواية أخرى

وفي رواية أخرى، أن يحيى بن خالد بن برمك، عزم على ختان ولده، فأهدى إليه وجوه الدولة كل^١ منهم بحسب حاله وقدرته، فصنع بعض المتجملين العاجزين خريطين^(١)، وملأ إحداهما ملحاً مطيباً، والأخرى سعدة^(٢) معطراً، وكتب معهما رقعة فيها:

« لو تمت الإرادة، لأسعفت العادة، ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة، لتقدمت السابقين إلى خدمتك، وأتعبت المجتهدين في كرامتك، لكن قعدت بي القدرة عن مساواة أهل النعمة، وقصرت بي الجدة^(٣) عن مباهاة أهل المكنة^(٤)، وخشيت أن تطوى صحيفة البر، وليس لي فيها ذكر، فأفدت المفتتح بيمينه وبركته، وهو الملح، والمختتم بطيبه ونظافته وهو السعد، باسطاً يد المذرة، صابراً على ألم التقصير، متجرّماً غصصاً الاقتصار على اليسير، والقائم بعذري في ذلك: « أَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ » والخادم ضارع في الامتنان عليه بقبول خدمته ومعذرتة، والإحسان إليه، بالإعراض عن جرائته، والرأى أسمى »

ثم دخل دار يحيى، ووضع الخريطين والرقعة بين يديه، فلما قرأ الرقعة أمر أن تُقرأ وتقرأ إحداهما دنائير والأخرى دراهم.

(غرر الحقائق الواضحة ص: ٤٤٨)

(١) الخريطة: وعاء من آدم وغيره.

(٢) السعد: نبت طيب الريح.

(٣) الجدة: الغنى.

(٤) المكنة: القوة والشدة.

٨ - كتابه إلى صديق له

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى صديق له :

« لو كانت التُّخْفة على حَسَب ما يوجبُه حَقُّكَ ، لَأَجْهَفَ بنا أَدَنَى حقوقكَ ، ولكنه على قدر ما يُخْرِج الوَحْشة ، وَيُوجِب الأُنْس ، وقد بعثتُ بكذا وكذا » . (العقد الفريد ٣ : ٣٠٩)

٩ - كتاب له

« وصل كتابك السَّارُّ المؤنِّس ، فكان أسرَّ طالِع إلى ، وأحسنَه مَوْقِعاً مني ، إذ كنت أَسْتَعْلِي بَعْلُوْكَ ، وَأَرَى نِعْمَتَكَ تَحْطُّ إلى ، وَيَتَّصِل بي ما يتصل بالأُدْنَيْن من حُلْمَتِكَ ^(١) ، وَحَمَلَة شُكْرِكَ ، وَمَظَانِّ معروفِكَ ، والمُقيمين على تَأْمِينِكَ ، فلا أَعْدَمَنِي اللهُ ما أَسْتَجْنِي [مِنْكَ] ^(٢) ، ولا أزال عني ظِلَّكَ ، ولا أَفْقِدَنِي شَخْصَكَ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٣٧)

١٠ - كتاب له

كتبتُ إليك ونحن في عافية مجدِّدة ، والحمد لله المتطوِّل بالنعمة ، المرجوُّ للمزيد ، ولست وإن باعدتْكَ الدارُ مني ، ونأى بك الزمَنُ عنا ،

(١) الاحمة : القرابة .

(٢) استجني : طلب الجنى ، والعنى ما أطلبه وآمنه منك ، وكلمة « منك » ليست في الأصل ، والقام يقتضيها .

بِمَقْصِيِّ الْقَلْبِ عَنْ بَرِّكَ بِالذِّكْرِ وَالْعَنَايَةِ ، وَلَا اللِّسَانِ بِالْإِعْدَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ ، وَلَا
النِّيَّةِ فِي الْإِخْلَاصِ وَالْحُبَّةِ لِأَحْيَاءِ الْمَهْدِ بِالْمَكَاتِبَةِ ، وَتَجْدِيدِ الْوُصْلَةِ بِالْمُرَاسَلَةِ ،
فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « التَّوَاصُلُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَضَرِ التَّزَاوُرُ ،
وَفِي السَّفَرِ التَّكَاتُبُ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٣٧)

١١ - كتاب له في التشوق

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي مُذْفَارِقُكَ ، وَغَابَ عَنِّي شَخْصُكَ ، وَبَعْدَ مِنِّي قُرْبُكَ ،
أَجِدُ مِنْ نَفْسِي مُنَازِعًا إِلَيْكَ ، وَأَمَلًا وَاقِفًا عَلَيْكَ ، وَشَوْقًا مُزْعِجًا إِلَى قُرْبِكَ ،
وَالْأَخْذِ بِالْحِظِّ مِنْكَ ، وَإِنْ عَدَانِي عَنْ مَشَاهِدَتِكَ بِاللِّقَاءِ ، أَوْ بَكْتَابِ
تَقْصِيرِهِ مَشُوبٌ بِعَذْرِ ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ رَاغِبًا إِلَيْهِ أَنْ يَجْمَعَنَا فِي دَوَامٍ مِنْ نِعْمَتِهِ ،
وَضِلٍّ مِنْ كَرَامَتِهِ ، وَكَيْفَايَةِ مِنْ حِرَاسَتِهِ » . (اختيار النظم والنثور ١٣ : ٣٩٥)

١٢ - كتاب له

وله في ترك وداعٍ عند فراق :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَنَا مِنَ الْأُنْسِ بِمُودَّتِكَ ،
وَالسُّرُورِ بِمَكَانَتِكَ ، مَا لَوْ وَصَفْنَاهُ فَأُطْنَبْنَا ، لَجَاوَزَ^(١) ذَلِكَ مَا نَنْطَوِي عَلَيْهِ ،
وَقَدْ تَرَكْتَ مِنْ تَوْدِيْعِكَ عِنْدَ شَخْوَصٍ عَنِ الْبَلَدِ الَّذِي يَجْمَعُنَا ، مَا لَوْ لَا حَسَنُ

(١) فِي الْأَصْلِ « لِنَادِرٍ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ظنى بك ، لَوَقَعَ منى بأعظمِ مواقعِ المساءِ والغيظِ على نفسى ، وأنتَ مَنْ
أَعَدُّهُ سرورى وأنسى ، وأهْوَى مشاهدةَ غُدُوِّى وَرَواحِى إليه ، ولَقَلَّ
ما أَعْلَمُ أنه ما استتمَّ لى سرورٌ بعدك ، أو نزلَ بأحدٍ ما نزلَ بى من الشوقِ
إليك ، أو حَلَّ منى أحدٌ بمثلِ مكانك ، أو استصفيتُ لذةً أو راحةً إلا معك
وفى قُربك . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٩٥)

١٣ - كتاب له

وكتب^(١) إبراهيم بن المهدي :

« كتابى إليك كتابٌ مُخَيَّرٌ وسائِلٌ ؛ فأما الإخبارُ ، فعن تصرفِ
الخطوبِ ، على ما يوجب العذرَ عندَ صديقِ العزيزِ على ، فى إبطائى عنه بالتهُدُّ
له ، وأما السؤالُ ، فعن إمساكِ هذا الأخِ الوادِّ^(٢) عن مثلِ ذلكَ ، فإن العذرَ^(٣)
كاشِفٌ لما أسْلَفَ ، مُصْلِحٌ لما استأنَفَ » .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٧٧ والعقد الفريد ٢ : ١٩٢)

(١) فى المنظوم والنثور أن هذا الكتاب لإبراهيم بن العباس .

(٢) فى العقد « هذا الأخ الودود الودود » .

(٣) وفيه « فإن البذل » .

١٤ - كتاب له

وكتب :

« أما بعد ، فإنك لو عَرَفْتَ فضل الحَسَنِ ، لتَجَنَّبْتَ شَيْنَ القَبِيحِ ،
ورَأَيْتُكَ : آثَرُ القَوْلِ عندك ما يضرُكَ ، فكنت فيما كان منك ومنا ، كما قال
زُهَيْرُ بنِ أَبِي سُلَيمٍ :

وَذِي خَطَلٍ فِي القَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ ، فَمَا يُلْعِمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ^(١)
عَبَأْتُ لَهُ حِلْمًا وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ^(٢)
وَأَنْ مِنْ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْنَا ، وَإِسَاءَتِكَ إِلَى نَفْسِكَ ، أَنَا صَفَحْنَا عَمَّا أَمْكَنَّا ،
وَتَنَاوَلْتَ مَا أَعْجَزَكَ ، فَلَهُ الْحَمْدُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ .

(المقدم الفريد ٢ : ١٩٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٣٦)

١٥ - كتابه إلى منصور بن المهدي

وفصل منه إلى المنصور بن المهدي :

« وما الحقُّ إلا حقُّ الله ، فمن أدَّاهُ فلنفسه ، ومن قَصَّرَ عنه فعليها ،
نسأل الله أن يعمرَّنا بالحق ، ويصلِّحنا بالتوفيق ، ويحصِّننا بالتقوى .
(الأوراق للصولي ٢ : ٣٥)

(١) الخطأ : الخنأ .

(٢) عبأ الأمر كنع : هبأه .

١٦ - كتابه إلى العباس بن موسى

« عبد الرحمن بن عبد الله ، مَنْ لا أحتاج إلى وصف حاله لك ، ولعلّي عَرَفْتُهَا بعدك ، غير أنّي أحبُّ مَسَرَّتَهُ ، بقضاء حقه ، وواجب حُرْمَتِهِ ، في مودّته وموالاته ، وقد جعلك ممن يحافظ على ذلك ومثله ، أراك الله ماتحبُّ أن تحفظني ونفسيك فيه ، وتؤليّه ما جعلك الله أهله ، وجعله حقيقةً به .
(الأوراق للصولي ٢ : ٣٥)

١٧ - فصل له

« لم يبق لنا بعد هذا الجنس شيء نَحْنُ أعيننا إليه . إلا الله الذي هو الرجاء ، قبله ومعه وبعده . » (الأوراق للصولي ٢ : ٦٣)

١٨ - فصل له

« أمّا الصبرُ ، فمَصِير كل ذي مصيبة ، غير أن الحازم يقدّم ذلك عند اللوعة طلباً للمثوبة ، والعاجز يؤخّر ذلك إلى السّلوّة ، فيكون مغبوناً نصيب الصّابرين ، ولو أن الثواب الذي جعل الله لنا على الصبر كان على الجزع ، لكان ذلك أثقل علينا ، لأن جزع الانسان قليل ، وصبره طويل ، والصبرُ في أوانه أيسرُ مثونةً من الجزع بعد السّلوّة ، ومع هذا فإن سبيلنا من أنفسنا على ما ملكنا الله منها ألا نقول ولا نفعل ما كان لله مُسْخِطاً ، فأما ما يملكه الله من حُسن عِزاء النفس ، فلا نملكه من أنفسنا . »

١٩ - كتاب يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه

وأهدى يعقوب^(١) الكندي إلى بعض إخوانه سيفاً وكتب معه :
 « الحمد لله الذي خصّك بمنافع ما أهدى إليك : فجعلك تهتئز للمكارم ،
 اهتزاز الصّارم ، وتفضي في الأمور ، مضاء المأثور^(٢) ، وتصون عرضك
 بالإرفاد^(٣) ، كما تصان السيوف في الأضداد ، ويظهر دم الحياء في صفحة خدك
 المشوف^(٤) ، كما يشفّ الرّونق في صفحات السيوف ، وتصل شرفك
 بالعطيات ، كما تصل متون المشرفيات^(٥) » .

(غرر الخصاص الواضحة ص ٤٤٧)

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، كان أبوه إسحاق أميراً على السكوفة للهندي والرشيد ، وكان يعقوب عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم ، فاضل دهره ، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ، ويسمى فيلسوف العرب ، وله مؤلفات كثيرة في علوم مختلفة من المنطق والفلسفة والهندسة والحساب (الأرطاطقي) والموسيقى والنجوم وغيرها ، وقد عدله ابن النديم ٢٣١ كتاباً في ١٧ علماً .

وله حديث مع أبي تمام ، حين أنشد المعتصم سيبته المشهورة في مدحه (وفيات الأعيان ١ : ١٢٢) انظر ترجمته في القهرست لابن النديم ص ٣٥٧ ، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ص ٣٦٦ (طبع أوربة) وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١ : ٢٠٦ .

هذا إن صح أنه كاتب هذه الرسالة وأشك في أنه هو ، لأن الصبغة البديعة البينة الأثر في أسلوبها لم تفش إلا بعد ذلك العصر .

(٢) سيف مأثور : في منته أثر بالفتح والكسر : وهو فرند السيف وروقه ودياجته .

(٣) الإرفاد : الإعطاء والإعانة .

(٤) المشوف : المجلّو ، من شافه شوفاً ، أي جلّاه ، ودينار مشرف : مجلّو ، وفي الأصل « مشروف » وهو تخريف .

(٥) المشرفي : السيف ، نسبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، وقيل : نسبة إلى موضع بالين .

٤٠ - بين عبد الله بن الحسن الأصبهاني وابن الزياد

وكان عبد الله بن الحسن الأصبهاني، يخلف عمرو بن مسعدة على ديوان الرسائل، فكتب إلى خالد بن يزيد بن مزيد:

« إن المعتصم أمير المؤمنين ينفخ منك في غير فتحهم، ويخاطب امرأ غير ذي فهم » .

فقال محمد بن عبد الملك الزياد : هذا كلام ساقط سخييف ، يجعل أمير المؤمنين ينفخ بالزق^(١) كأنه حداد ! وأبطل الكتاب .

ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر :

« وأنت تجري أمرك على الأربح فالأربح ، والأرجح فالأرجح ، لا تسقى بنقصان ، ولا تميل برُجحان » .

فقال عبد الله الأصبهاني : الحمد لله ، قد أظهر من سخافة اللفظ ، ما دل على رجوعه إلى صناعته من التجارة^(٢) ، بذكره ربح السِّلَع ، ورجحان الميزان ، ونقصان الكيل ، والحُسبان من رأس المال ، فضحك المعتصم وقال : ما أسرع ما انتصف الأصبهاني من محمد ، وحققها عليه ابن الزياد حتى نكبه .

(الأغاني ٢٠ : ٤٩)

(١) الزق : السقاء .

(٢) وذلك أنه كان جده أبان ، يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ويتجر فيه ، ثم أقام هو وولده عبد الملك بالكرخ (محلة ببغداد) فنشأ عبد الملك في التجارة ، وجد حتى صار من تجار الكرخ المياسير ، وكان يمت ابنه محمد على التجارة ولازمها ، فبأنى إلا الكتابة ، وطلبها وقصد المعالي ، حتى بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات ، كما قدمنا .

٢١ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات

وروى أنه دامت الأمطار بسراً مَنْ رَأَى ، فتأخر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذ وزير ، والحسن يكتب له ، فاستبطأه محمد ، فكتب إليه الحسن يقول :

أَوْجَبَ الْعُذْرَ فِي تَرَاجِيِ اللَّقَاءِ مَا تَوَالَى مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ^(١)
لَسْتُ أَدْرِى مَاذَا أَقُولُ وَأَشْكُو مِنْ سَمَاءٍ تَعُوقُنِي عَنْ سَمَاءِ^(٢)
غَيْرِ أَنِّي أَدْعُو عَلَى تِلْكَ بِالشُّكْلِ وَأَدْعُو لِهَذِهِ بِالْبَقَاءِ^(٣)
فَسَلَامٌ لِلَّهِ أَشَدُّ مِنْ غَضَا لَكَ مِنِّي يَا سَيِّدَ الْوُزَرَاءِ^(٤)
(الأغاني ٥٤: ٢٠ والعقد الفريد ٢ : ١٩٣)

٢٢ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات

واعْتَلَّ الحسن بن وهب فتأخر عن محمد بن عبد الملك أياما كثيرة ، فلم يَأْتِهِ رَسُولُهُ ، وَلَا تَعَرَّفَتْ خَيْرُهُ^(٥) ، فكتب إليه الحسن :

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ أَيْدُكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي بَقَاءً طَوِيلًا

(١) الأنواء جمع نوء بالفتح : وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر ، وطلوع رقبته من المشرق يقابله من ساعته ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، وقيل إلى الطالع ، فتقول « مطرنا بنوء كذا » .

(٢) السماء الأولى : المطر ، والسماء الثانية يريد بها الوزير .

(٣) الشك : الموت والهلاك .

(٤) الغنى : الناصر .

(٥) هذه رواية الأغاني ، وفي العقد الفريد : « وكان شاعر يختلف إلى يحيى بن خالد بن برمك ويمتدحه ، فغاب عنه أياما لعله عرضت له فلم يفتقده يحيى ، ولم يسأل عنه ، فلما أفاق الرجل من علته كتب إليه ... الخ .

أَجْمِيلاً تراه ، يا أَكْرَمَ النّاسِ لَكَيْمًا أراه أَيْضًا جَمِيلاً
 أَنِّي قد أَقْبَتُ عَشْرًا عَلِيلاً ما تَرَى مُرْسِلاً إِلَى رَسُولاً
 إِن يَكُن مُوجِبُ التَّعْهُدِ فِي الصَّحَّةِ مِنَّا عَلَى مِنْكَ طَوِيلاً^(١)
 فَهُوَ أَوْلَى بِأَسِيدِ النَّاسِ بِرّاً وَافْتِقَاداً لِمَنْ يَكُونُ عَلِيلاً
 فَلَمَّا ذَا تَرَكْتَنِي عُرْضَةَ الظُّلِّ مِنَ الْحَاسِدِينَ جَمِيلاً فَجَمِيلاً
 الذَّنْبِ ؟ فَمَا عَلِمْتَ سِوَى الشُّكْرِ قَرِيناً لِنَيْتِي وَدَخِيلاً
 أَمْ مَلَالٍ ؟ فَمَا عَلِمْتُكَ لِلصَّاحِبِ مِثْلِي عَلَى الزَّمَانِ مَلُولاً
 قَدْ أَتَى اللَّهَ بِالشِّفَاءِ ، فَمَا أَعْتَرَفُ بِمَا أَنْكَرْتُ إِلَّا قَلِيلاً
 وَأَكَلْتُ الدَّرَاجَ ، وَهُوَ غِذَاءٌ أَفَلَتَ عَلَيَّ عَلَيْهِ أَقُولاً^(٢)
 بَعْدَ مَا كُنْتُ قَدْ حَمَلْتُ مِنَ الْعِلَّةِ عِمّاً عَلَى الطَّبَاعِ تَقِيلاً
 وَلَعَلِّي - قَدْ دُمْتُ قَبْلَكَ - آتِيكَ غَداً إِنْ وَجَدْتُ فِيهِ سَبِيلاً
 (الأغاني ٤: ٢٠ والعقد الفريد ١: ٢٣٠)

٢٣ - رد ابن الزيات عليه

فأجابه محمد بن عبد الملك^(٣) :

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيلاً
 أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزاً مَقْبُولاً
 وَلَعَمْرِي أَنَّ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمَنُكَ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلاً

(١) في الأغاني « التعمد » وهو تحريف .

(٢) الدراج : طائر من طيور العراق ، وأفل النجم : غاب .

(٣) وفي العقد الفريد : « فسكتب الوزير يعتذر ... الخ »

إني أرتجى (وإن لم يكن ما كان مما نقيمت إلا جليلا)
 أن أكون الذي إذا أضمر الإخلاص لم يلتبس عليه كفيلا
 ثم لا يبذل المودة حتى يجعل الجهد دونها مبدولا
 فإذا قال كان ما قال إذ كان بعيداً من طبعه أن يقول
 فاجعلني لي إلى التعلق بالعذر سبيلا إن لم أجد لي سبيلا
 فقد عفا عما جاز بالصَّفْح والعفو وما سامح الخليل الخليل
 (الأغاني ٢٠ : ٥٥ والعقد الفريد ١ : ٢٣٠)

٢٤ - كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب

وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب ، وقد تأخر عنه :
 قالوا : جفاك فلا عهد ولا خبر ما إذا تراه دهاه ؟ قلت : أيلول^(١)
 شهره تجد حبال الوصل فيه فما عقت من الوصل إلا وهو محلول^(٢)
 (الأغاني ٢٠ : ٥٥)

٢٥ - رد الحسن بن وهب على ابن الزيات

وكان محمد قد ندبه لأن يخرج في أمر مهم ، فأجابه الحسن فقال :
 إني بحول امرئ أعليت رتبته فخطه منك تعظيم وتجيل
 وأنت عُدته في نيل همته وأنت في كل ما يهواه مأمول
 ما غالي عنك أيلول بلذته وطيبه ولنعم الشهر أيلول

(١) أيلول : شهر من شهور الروم .

(٢) تجد : تقطع .

الليلُ لا قِصْرَ فيه ولا طوْلُ والجَوْصافِ، وظَهْرُ الكأسِ مَرَحُولُ^(١)
والعودُ مستَنْطَقٌ عن كلِّ مُعْجِبَةٍ يَصْحَى بها كلُّ قلبٍ وهو متَبُولُ^(٢)
لكن تَوَقَّعَ وشكَّ البَيْنِ عن بلدٍ تحُلُّه ، فوكاء المين محلول^(٣)
مالى (إذا شِئِرتَ بى عنك مبتَكِراً دُهِمُّ البفال أو الهوجُ المراسيلُ)^(٤)
إلا رِعاياتُك اللاتى يعودُ بها حَدُّ الحوادثِ عني وهو مَفْلُولُ^(٥)
(الأفان ٢٠ : ٥٥)

٢٦ - كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب

واستسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبينا ببلاد الروم ،
وهو مع المعتصم ، فسقاه وكتب إليه :

لم تَلَقْ مِثْلِي صاحباً أَنْذَى بَدَأَ وَأَعَمَّ جُوداً
يَسْقِي النَّدِيمَ بَقْفَرَةٍ لم يَسْقِ فيها الماءَ عُوداً
صفراء صافيةً كَأَنَّ بكأسها دُرّاً نَضِيداً
وأجودُ حينَ أجودُ لا حَصراً بذاك ولا بليداً
وإذا استَقَلَّ بشكرها أوجِبْتَ بالشكر المزيداً^(٥)

- (١) رَحَلَ البعير كَنَعَ : سَطَّ عليه الرَحْل ، فهو مَرَحُول ، أى مهيأ للركوب ، والمعنى هنا : أن الكأس مهيأة للشرب .
(٢) صحا السكران كمدا وصحى كرضى : أفاق ، وقلب متبول : إذا غلبه الحب وهيمه ، وتبله الحب كنصر : أسقمه وأفسده .
(٣) وشك البين : قرب الفراق ، والوكاء : رباط القرية وغيرها ، والمعنى : فسالت عبرته .
(٤) ابتكر : بكر . والدم جمع أدجم : وهو الأسود . والهوج جمع هوجاء : وهى الناقة المسرعة حتى كأن بها هوجا . والمراسيل جمع مراسل : وهى الناقة السريعة السير .
(٥) استقل : نهض .

خذها إليك كأنما كُسيَتْ زجاجةٌ عُقودًا
واجعلْ عليك بأن تقو مَ بشكرها أبدًا عُهودًا

(الأغاني ٢٠ : ٥٦)

٢٧ — كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب ، يعزى ابن الحسن بن سهل ، عن أبيه^(١)
الحسن :

« إن أحقَّ النعم المرتجعة ، والعواري المستردة ، بأن تودَّعها النفوسُ
بالسكون عليها ، والرضا عن الله عز وجلَّ فيها ، والسخاء عما ارتبج واستردَّ
منها ، نعمةٌ عاريةٌ أعظم الله قدرها^(٢) ، وأجلَّ خطرَها ، وفسحَ في مُدَّتِها ،
وأطال الانتفاع بها ، حتى إذا حدَّها^(٣) طولُ الشَّواء بأهلها ، وتقادم الإلفِ
بينهما ، فجرى مجرى أخلق الأشياء بالدوام ، - إن^(٤) كان الدوام في شيء
مأمولًا - وأبعدَها من النِّفاد - إن^(٥) كان النِّفادُ على شيءٍ مأمولًا - فكانوا
لذلك من حالها [في غِرَّة^(٦)] عنها ، وإغفالٍ لموقعها ، أمضى^(٧) الله أمره
الذي هو قناء كلِّ مادونه ، وهلاك كلِّ شيءٍ إلا وجهه ، فكان ذلك قضاءه

(١) في الأصل « عن ابنه » وهو تصحيف .

(٢) في الأصل « فقدها » .

(٣) من حدا الليل النهار أى تبعه ، وحدا الإبل أى ساقها ، والمعنى : صحبها ولازمها ، والشَّواء :

الإقامة ، وفي الأصل « حتى إذا حراهما طول الشَّواء أشلهما » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « وإن » .

(٥) في الأصل « وإن أيضا » .

(٦) في الأصل « لعرمرهم » وقد أصلحته كما ترى .

(٧) جواب إذا .

القضاء الفصل ، وحكمته الحكم الذي ليس مردّ ، ثم نبّه به على فقد ما منح منه ، حتى عاد مشكوراً ، وعلى ما يجب به التسليم ، حتى عاد مُطاعاً .

وإن أميرنا وسيدنا وموئيل نعمتنا ، ومبتدئ أسلافنا ، وكافل أعقابنا ، وعامر مجديننا ، وباني مكارمنا ، بالبر الذي هو كان المعتمد له ، ثم بالأدب الذي رفع مناره وأعلامه ، وأثمن^(١) به لأهله ، وأقام له سوقه ، فلم يقرب إلا عليه ، ولم يحفظ إلا من ناحيته ، فالتمسّه الناس حين التمسوه من جهتيه اللتين : إحداهما الرغبة فيه لفضله ، والأخرى طلب التحير لمعرفة أبا محمد ، رضي الله عنه كل الرضا ، ورحمة الله كل الرحمة عليه ، كان ذلك النعمة التي دامت أحسن دوام ، وتلك العارية التي ثوت أطول الثواء ، فما أحقّك - بموضعك من ولادته - وأحقّنا - بموقعنا من جميل بلائه - أن نكون على ما وفاه من أمره شاكرين ، وعنه تبارك وتعالى راضين ، وأن نقول قول المحسنين المجملين المسلمين « إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » وأنا أسأل الله أن يصلي على محمد وعلى آل محمد ويسلم تسليماً ، وأن يحسن لنا ولك العزاء ، ويوفّر علينا وعليك الأجر والثواب ، وأن يجزي أبا محمد خيراً ، بنيته الجميلة ، وسعيه الحميد ، وأن يسدّ بك وبإخوتك - أبقاك الله لهم ، وأبقاهم لك ومعك - ما فلتت^(٢) الأيام من مكانه ، وأخلت من مشاهدته وأوطانه ، حتى لا يعفوله أثر ، ولا يفقد منه إلا ما فقد ، وأن يستقبل بكم أيامكم ، بأحسن ما مضى تمامه ، لمن

(١) في الأصل « وأثمر » وأرى أن صوابه « وأثمن » يقال : أثمنه سلعته وأثمن له : أعطاه ثمنها والمعنى : أجاز أعل الأدب وحجابه ، ويؤيد هذا التصويب ، قوله بعد « وأقام له سوقه » وربما كان « وأثر به أهله » .

(٢) أي نلت ، وفي الأصل « ماملت » وهو تحريف .

مضى منكم ، فيجعلكم الخلف الذي لا وصمة معه ، ولا وخشة عليه في نفسه ،
وأسأله أن يتولانا كم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليّه .

وكتابك - أكرمك الله - بما أحضركم الله من توفيقه ، الذي أرجو
ألا يغيب عنكم ، وإرشاده الذي أرجو أن يكون مقروناً بكم في كل أحوالكم ،
ما يلزمك في مريدك وأخلاقك ، لا تُحْلِي منه ، ولا تؤخر إيناسي بتعجيله ،
تولّاك الله بكل صالحة ، وعوض بك من كل رزية ، وأتم عليك النعمة ،
ولا أخلاق فيها من الزيادة » . (اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٣١٤)

٢٨ - كتاب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب ، إلى القاسم بن الحسن بن سهل ، يعزيه :
« مدّ الله في عمرك ، موفوراً غير منتقص ، وممنوحاً غير ممتنع ،
ومعطى غير مستلب » . (زهر الآداب ٣ : ١٩٩)

٢٩ - كتاب الحسن بن وهب إلى محمد بن إسحاق

وكتب الحسن بن وهب ، إلى محمد بن إسحاق ، يعزيه عن ابنه إسحاق :
« الأمير أعلم بالدين ، من أن يذكّر به ، وبالدين ، من أن يدلّ على ما خلقت
له ، وقد ورد - أعز الله الأمير - ما كان من النبأ العظيم ، والخطب الجليل ،
في سيف الخلافة ودعائمها ، ورُكنها في يومها وغدها ، فلو أن حادثاً سبق
بالنفوس آجالها ، وأعجلها عن الآجال المقدرة ، لكانت الرزية أحقّ الرزايا

بذلك ، فكنتُ أحق المنكوبين بمصابه أن ينالني ذلك منه »

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٢)

٣٠ - كتابه إلى إسحق بن يحيى

وكتب الحسن ، إلى إسحق بن يحيى بن مُعَاذ ، يعزيّه عن ابنه :

« مَنْ شَكَّ فِي مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَصِيبَةِ ، وَبِمَوْقِعِهَا مِنِّي ، فَأَنْتَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - غَيْرُ شَالِكٍ فِي ذَلِكَ وَلَا مَرْتَابَ بِهِ ، فَإِنَا كُنَّا مِنْ صَفَاءِ الْخُلَّةِ ^(١) عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَخُو مَوَدَّةٍ ، نَقِيبٌ إِذَا غَبْنَا ، عَلَى إِخْلَاصٍ وَمِقَّةٍ ، وَنَحْضُرٌ إِذَا حَضَرْنَا ، عَلَى بَرٍّ وَصِلَةٍ ، وَنَتَقَارِضُ الْحُبَّةَ قَرُوضًا مَجْزِيَّةً ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَشَكَرَ لَهُ مَا كُنْتُ أَعْتَدُ بِهِ مِنْهُ ، وَلَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَرْدَادَ حَبَا إِلَى بَيْكَا نِهِ ، وَتُضَعَّفُ حَسَنَاتِي فِي عَيْنِي بِحَيَاتِهِ ، وَلَقَدْ أَحْدَثَتْ لِي مَيِّتَتُهُ زُهْدًا فِي الْحَيَاةِ ، وَقَصْدًا فِي الشُّعْخِ عَلَيْهَا ، وَذَمًّا لِلدُّنْيَا ، وَاسْتِقْبَاحًا لِمُؤَوَّرِهَا ، وَلَكِنْ مَا الْحِيلَةُ ، جُعِلَتْ فِدَائِكَ ؟ وَمَنْ الظُّلَامَةُ ؟ وَمَا نَصْنَعُ بِهَذِهِ الْغَرَارَةِ ، الَّتِي سِيرَتَهَا - مِنْذُ كَانَتْ - سِيرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَأَحْكَامُهَا فِي كَدَرِ الصَّفَاءِ ، وَتَنْفِيصِ السَّرُورِ ، أَحْكَامُ رَاتِبَةٍ ^(٢) ؟ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَالْمَشْتَكِي إِلَيْهِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، لَا تَقْصَ لَكَ عِدْدًا ، وَلَا أَرَأَيْكَ فِي شَيْءٍ مِنْ نِعْمِهِ عِنْدَكَ فَيَجْعَلَا وَلَا تَبْدِيلَا . »

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٢)

(١) الخلة : الصداقة المخصصة لا لخلل فيها .

(٢) راتبة : أى ثابتة لا تتغير .

٣١ - كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وله إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، يعزيه :

« أطل الله بقاء الأمير مسروراً غير محزون ، ومُعْطَى غير مسلوب ،
ووفقه في إحواله كلها بما يستديم به النعم ، ويستحق به المثوبة .
أفْظَعْنِي^(١) ما رأيت في الأمير - أعزه الله - من أثر هذه الرزية ، التي
تكاد أن تكون أشبه بالنعم ، منها بالرزايا ، لما وفرَّ الله للأمير - إن شاء الله - من
ثوابها له ، وحاطه من بعدها في نفسه ، فإن حياة الأمير - أعزه الله - حياة
لأهله وذوي نائله ، بعد الذي جعل الله للدين والخلافة والعز بسلامته ،
والأمة من جمال مكانه وموضعه ، فوفرَّه الله لأُمير المؤمنين ، ولا تقصه ،
وتولاه بحسن المدافعة عنه ، والحياطة له ، ولا أراه سوءاً في نفس ولا جِسم
بقدرته ، وأحاذ الأمير من المكاره ، وأعاذنا فيه منها ، إنه ولى قدير » .
(اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٣١٦)

٣٢ - جواب تعزية له

والحسن بن وهب جواب تعزية عن ابنه ، إلى الطائي^(٢) الشاعر :
« أمتعنني الله بما وفرَّ عليَّ من مرافقتك ، وبلوغِ الوطر كل الوطر من
استتمام اليد عليك ، وإحاطة الملك لك ، زاد الله في النعمة عندك بطول حياتك ،

(١) أفظعه : وجده فظيحا ، أى شق عليه وأحزنه .

(٢) المفهوم منه ، أنه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الشاعر العباسي المعروف .

وتراقى أيامك ، وغفلة الدهر عنك وعن حظى منك .
 كتابي ، بأبي أنت وأمي ، وطار في وتلادي ، وكتابك في يدي ،
 وفلان عندي ، ونحن نصعد ونصوب في الشعر العجيب ، الذي أنفذته
 في درجته ^(١) ، وبيننا من ذكرك أطيب من روائح الرياض غيب القطر ،
 والحال سارة ، والعافية شاملة بحمد الله على النعمة ، ونسأله أحسن النماء
 والزيادة ، وذكرت مشاركتك ^(٢) إياي في المصيبة ، وما كان أحوجني حين
 طرقت بها الأيام - إلى أن تكون حاضرا ، فتؤيد ضعفا ، وتعم سدادا ^(٣) ،
 فإنها ^(٤) كانت حالا وافت غريبا بها ، شديد الغفلة عنها ، حتى كأني كنت
 لا أحسب الأيام على هذه الخليفة ، ولا الدهر على هذه المادة ، فسبحان الله
 لهذا السهو الطويل ، والتفريط الذي لا يشبه السفية ، فضلا عما يحب أن
 يقال عاقل حلیم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، لا انفكَّت أقدارُ السوء تسقط
 دونك ، والردي يخطئك ، وكلاءة الله تحيط بك .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣١٥)

٣٤ - تعزية له

وله تعزية :

« جَبَلَك الله على التسليم لأمره ، والرضا بقضائه ، وصبرك على مواقع

(١) في درجه : أى في طيّه .

(٢) في الأصل « مشاورتك » وهو تحريف .

(٣) في الأصل « وتعم سداد » والمعنى : وتعمنا بالسداد فترشدنا إلى وجوب التمسك بالصبر والتكسب
 عن الجزع ، وربما كان الأصل « وتعلم سدادا » أو « وتضم شرادا » .

(٤) في الأصل « فأما » وهو تحريف .

أقداره ، واحتمالِ الحقوق لنعمته ، إن الله عز وجل جعل النعم سبيلاً لاختبار الشكر، والمحَن سبيل ابتلاء الصبر؛ وأحقُّ الناس بالشكر على النعمة ، والصبر عند المحنة ، مَنْ قَرَنَ الله له بين الحالين ، فلم يُخلِّهِ من النعمة التي حقُّها الشكرُ ، ولا من المحنة التي حقُّها الصبرُ ، وهي حالك التي أصبحت عليها بحمد الله ، إلى الأحوال المنتظرة لك بعسدها ، المرجوة زيادةً الله إياك في أحسنها .

وكانت الحادثة في أبي فلان وما آثره من طاعة مَنْ مضى من خلفائه ، وطاعة أمير المؤمنين ، الرزية المرجوة المنتظريومها ، صنعَ الله بك وفيك في غدها ، وحلت من أمير المؤمنين ومن أوليائه وعوام رعيته محلَّها ، ثم كنت من أمير المؤمنين بموضع الرجاء لسدِّ ثلمها ، ولم شعثها : حتى تعفو بإذن الله آثارُ كلِّومها^(١) ، ويعود الصلاح في جميعها إلى أجل ما جرت به عادةُ الله فيها ولها ، فإن الله وإنا إليه راجعون ، قَبُولاً من الله تبارك وتعالى لقوله ، وانتهاءً إلى أمره ، وَوَلِيكَ الله في هذه المصيبة بأعظم الأجر ، وأجزل اللُّخْر ، وألهمك الله في النعم أحسن ما ألهمه مخملاً لنعمة ، أو قائماً بحق ، وسرَّبك من بعد مَنْ كنا نضنُّ ببقائه ، ونشجُّ على حياته ، ونعتدُّ بنعمة الله فيه ، نصرَّ الله وجهه ، ونسأل الله أن يهبَ له جزاء الآخرة ، وشريف منازلها ، ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ما نَقَلَهُ عنه من حظوظ الدنيا التي قد كان نشأ فيها ، وتقلَّب في أعلى مراتبها ، وأثابه الله أجلاً ما أثاب

(١) عفا الأثر : درس وامحى ، والكلام جمع كلم بالفتح : وهو الجرح .

شاكرًا لأنعمه ، مؤدّيًا لما يستحق به من طاعته ، وهناك الله ما أعطاك من رأى خليفته ، ووفقك لاستقبال ما تستدعى به مرضاته ، والزلفة لديه ، بقدرته .
(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣١٥)

١٤٠ — كتابه إلى إسحق بن إبراهيم

وكتب الحسن بن وهب ، إلى إسحق بن إبراهيم يعزيه ، عن يحيى ابن خاقان :

« صَرَفَ اللهُ المَكَارِهَ كُلَّهَا عَنْ الأَمِيرِ ، وَأَبْعَدَهَا عَنْ جَنَابِهِ وَمَقَرِّ دَارِهِ ، وَلَا فَجَعَهُ بَوْلِيٍّ يُؤَيِّدُ عِزَّهُ ، وَيُنْهِي ^(١) بَفْضَائِلَهُ ، وَيَقْدَحُ بِرِزْنَدِهِ ، وَيَحْطِبُ فِي حَبْلِهِ ، وَيُرَادِي مَنْ رَادَاهُ ^(٢) وَعِنْدَ ^(٣) عَنْ طَاعَتِهِ ، كَانَ يَحْيَى ابْنُ خَاقَانَ أَحَدَ الشُّيُوخِ ، أَوْ شَيْخَ الشُّيُوخِ الْعَارِفِينَ بِفَضَائِلِ الأَمِيرِ ، الْحَافِظِينَ لِمَآثِرِ أَسْلَافِهِ ، فَلَا أَعْلَمُنِي رَأَيْتُ فِي دَارِ الأَمِيرِ رَجُلًا أَصْفَى مِنْ جَانِبِهِ ، وَلَا أَطْهَرَ مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَلَا غَائِبًا كَانَ يَغِيبُ عَنْهَا بِأَنْقَى مِنْ غَيْبِهِ ، وَسَرِيرَتِهِ ، وَلَا أَنْصَحَ مِنْ جَيْبِهِ وَنَيْتِهِ ، وَكَانَ لِي مَعَ ذَلِكَ أَبًا بَعْدَ أَبِي ، وَكَافِلًا بَعْدَ مَنْ كَانَ يَكْفُلُنِي ، وَكَانَتْ عَنَائِيهِ بِلَغْنَتِي ، حَتَّى خَلَطَنِي بِإِخْوَتِهِ وَأَقَارِبِهِ .

وَأَتَانِي خَبَرُ مُصَابِهِ ، فَوَحَقَّ الأَمِيرُ الَّذِي أُعْظِمُهُ ، لَقَدْ هَدَّنِي ، وَبَلَغَ مَسَاعَتِي وَكُرْهِي ، وَتَذَكَّرْتُ مَا يَتَعَطَّلُ عَلَى الأَمِيرِ مِنْ عِمَارَةِ الأَنْسِ بِهِ ،

(١) أَنهَى الشَّيْءَ : أَبْلَغَهُ .

(٢) رَادَى عَنِ الْقَوْمِ : رَمَى عَنْهُمْ بِالْحَجَارَةِ .

(٣) عِنْدَ عَنِ الطَّرِيقِ كَنَصْرٍ وَسَمْعٍ وَكُرْمٍ : مَالٌ .

والإفضاء إليه ، والاستراحة إلى خلوته ، فاستوحشتُ لذلك ، وإن كنت أرجو أن يؤنس الله الأمير من سلامته ، بما يسدُّ كل خلل وثلمة ، ويدلُّ^(١) كل كلمٍ ورزية ، فعظم الله أجر الأمير ، وتظاهرت عنده مننُ الله وطوله وقدرته على ما يشاء في عباده .

(اختيار المنظوم والنثور : ١٣ : ٣١٧)

٣٥ — كتابه إلى عبد الرحمن بن خاقان

وله تعزية إلى عبد الرحمن بن خاقان :

« حَرَسَكَ اللهُ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْغَيْرِ ، مُؤَيِّدًا بِالتَّوْفِيقِ وَالْمَصْمُومَةِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، إِنْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكَ فِيمَا عَصَمَ مِنْ دِينِكَ وَنَفْسِكَ ، وَأَلْهَمَكَ حِفْظَكَ وَرُشْدَكَ فِي السَّعْيِ لِمَعَادِكَ ، وَالتَّمَسُّقِ الْقُرْبَةَ إِلَى رَبِّكَ ، النِّعْمَةُ الْجَلِيلَةُ الَّتِي تَضَعُ أَكْثَرَ الْمُنُونَةِ عَمَّنْ التَّمَسُّقِ تَذَكُّيرُكَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ ، وَوَعَظُّكَ بِمَا يُلْزِمُكَ مِنْ تَلَقُّي نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشُكْرِهَا : وَمُحَنَّتِهِ بِالتَّسْلِيمِ لَهَا وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا .

وقد رافانا من خبر الحادثة فيمن أكرم الله مشواه ومُنْقَلَبَهُ ، مَا جَلَّ حَقُّهُ اسْتَفْرَغَ الْجَمِيعَ ، وَعَمَّ حَتَّى كَادَ يَسُوِّي بَيْنَ الْأَقْرَبِ وَالْأَبْعَدِ ، فَإِلَى اللهِ نَشْكُو ذَلِكَ ، كَمَا نَرْغِبُ إِلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي التَّجَاوُزِ عَنْهُ وَالرَّحْمَةُ لَهُ ، وَأَنْ يَوْفِّقَكَ وَإِيَانَا مِنَ الصَّبْرِ عَلَى رِزْيَقَتِهِ مَا يُؤْمِنُنَا مِنْ حُبُوطِ الْأَجْرِ ، وَيُكْمِلَ لَنَا وَلَكَ

جزيل الذُّخْرِ »^(٢) . (اختيار المنظوم والنثور : ١٣ : ٣١٧)

(١) دمل الجرح كفرح واندمل : برئ والتحم وتماثل ، ودمله الدواء كمنصره : أبرأه ، والسكام : الجرح .

(٢) في الأصل « الأجر » وأرى أنه سهو من الناسخ ، إذ تقدمت هذه الكلمة في الفقرة السابقة

٣٦ - كتاب تعزية له

وله تعزية أيضاً :

« قد نفذ كتابي إليك في التعزية عن السيد الذي لا تُفجع بمثله ،
ولا تؤمل عِوضاً منه ، إلا باتصال أيامك ، وجميل حياطة الله إياك ، بما أرجو
أن يكون قد وصل والحمد لله ، وإليه أوجه الرغبة في إلهامك الصبر ، وحسن
المداونة لك على قضاء الحق عليك ، وقضاء الحق لك ، وما أعتد به من
مودتك ، التي تقتصر على مادونها الثقة ، وتستحكم بأقل منها الأسباب والمقاة .
(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣١٧)

٣٧ - كتاب له في الشكر

وكتب الحسن بن وهب في الشكر :

« مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا ، أَوْ ثَرَوَةً أَقْدَرْتَهُ عَلَيْهَا ، فَإِنْ
شَكَرَ لَكَ عَلَى مُهِجَةٍ أَحْيَيْتَهَا ، وَشَاشَةً^(١) أَبْقَيْتَهَا ، وَرَقَةً أَمْسَكَتَ بِهِ ،
وَقَمْتَ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنِهِ ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ ، وَمَدَى
يُوقَفُ عِنْدَهُ ، وَغَايَةٌ مِنْ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ ، خَلَا هَذِهِ النِّعْمَةُ الَّتِي
قَدْ فَاقَتْ الْوَصْفَ ، وَطَالَتِ الشُّكْرَ ، وَتَجَاوَزَتْ قُدْرَهُ ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ
فَايَةٍ ، رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ ، وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحَسُودِ ، فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْكَ فِيهَا
إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَغْنَفٍ كَرِيمٍ ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ ، وَأَنْتَى يَبْلُغُ جُهْدُ
الْمُجْتَهِدِ ؟ » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٥)

(١) الحشاشنة : بنية الروح في المريض والجريح .

٣٨ - كتاب في الشكر

قال ابن طيفور

ومن مختار ما كتب به من باب الشكر :

« أما بعد ، فما أعجز تعددي عما أتعرفُ منك وأتعرفُهُ بك دانياً ونائياً ، وما أدرى ما ابتدأتني به من معروفك ، أرهنُ لشكري ؟ أم ما تليت به من برك ، لبذلتك بعنايتك على نائيك ؟ أم ما ألبستني جماله ، على لسانك ، بأطرائك وثنائك ؟ أم ما عقدته لي عند غيرك بتلطُّفك وتأيُّيك ^(١) ؟ غير أنني أعلم أنك لم تقصِّر في استحقاق شكرٍ عليّ ، وأرجو ألاَّ أكون مقصّراً في معرفة ذلك منك ، ومن لم يقصّر علمه ولم يؤنَّ ^(٢) في شكره إلاَّ من عظم المعروف عنده مع جهده ، فقد دخل بالعلم والجهد في الشاكرين ، غير أن الذي أنستني به من رفدك ^(٣) وتوطيدك ، قد زادني وحشةً إليك ، وإنَّ حفظَ من حفظني فيك - وإن لم يكن مقصّراً - قد جدّد لي المعرفة بوثارة ^(٤) مكاني عندك ، ولقد بلغت أن أصلحت لي الأمور والرجال ، وأصلحتني إلى صلاح لي نفساً ، فليس كتابي هذا باستبطاء لأحد حتى يستبطئه ، ولا لشكري حتى يكون البدء منك ، ولكن رَوَّحتُ عن نفسي بذكرك ، وزينتها بشكرك ، وزكيتها بالإقرار بفضلك » . (اختيار النظم والنثر ١٣ ، ٣٧٨)

(١) تأتي للأمر : ترفق وأناه من وجهه .

(٢) أنيت وأنيت وتأنيت واستأنيت : تأخرت وأبطأت ، وفي الأصل « ولم يؤت » والأول عندي أولى .

(٣) الرفد : العطاء والصلة ، والتوطيد : التثبيت ، ووطد له منزلة : مهدها .

(٤) من وثر الشيء ككرم : إذا لان وسهل .

٣٩ - كتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس

وكتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس :

« وصل كتابك ، فما رأيت كتاباً أسهلَ نُؤنّا ، ولا أملسَ مُتُونّا ، ولا أكثرَ عُيُونّا ، ولا أحسنَ مَقَاطِعَ ومَطَالِعَ منه ، أنجزتَ فيه عِدَّةَ الرأى ، وبُشِّرَى الفِرَاسَةِ ، وعاد الظنُّ يقيناً ، والأملُ مبلوغاً ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحاتُ » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٦)

٤٠ - كتابه إلى أبي تمام الطائي

وكتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائي :

« أنت - حَفِظَكَ اللهُ - تحتذى من البيان فى النظام ، مثل ما يُقصد بحرّ فى لدّر من الأفهام ، والفضل لك - أعزّك الله - إذ كنت تأتى به فى غاية الاقتدار ، على غاية الاقتصار ، فى منظوم الأشعار ، فتجلّ متعقّده ، وتربط متشرّده ، وتنظم أشطاره ، وتجلو أنواره ، وتفصّله فى حدوده ، وتخرجه فى قيوده ، ثم لا تأتى به مهما اقتبسته مُشترَكَاً فيلبس ، ولا متعقداً فيطول ، ولا متكلفاً فيحول ، فهو كالمنجزة ، تُضرب فيها الأمثال ، ويُشرح فيها المقال ، فلا أعدمنا الله هداياك واردةً ، وفرائدك وافدةً » .

٤١ - كتاب له

« لَا تَرْضَ لِي يَسِيرَ النَّظَرُ ، فَإِنِّي لَمْ أَرْضَ لَكَ يَسِيرَ الشُّكْرِ ، وَضَعْتُ عَنْكَ مُؤْنَةَ التَّقَاضَى ، مَا وَضَعْتُ عَنْكَ مُؤْنَةَ الْإِلْحَاحِ ، وَأَحْضَرْتُ قَلْبِي مِنْ ذِكْرِكَ مَا هُوَ أَكْفَى مِنْ قَعُودِي بِصَدَدِ عَيْنِكَ ، فَإِنِّي أَحَقُّ مَنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ ، كَمَا أَنَّكَ أَحَقُّ مَنْ فَعَلَهُ بِي ، وَحَقَّقَ الظَّنَّ ، فَلَيْسَ وَرَاءَكَ مَذْهَبٌ ، وَلَا عَنْكَ مُقَصَّرٌ » . (اختيار المنظوم والمشهور ١٣ : ٣٨٣)

٤٢ - كتاب ميمون بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب

وكتب ميمون^(١) بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب يعزيه عن أمه :
« خُطُوبُ الْأَيَّامِ مَقْضِيَّةٌ عَلَى هَذَا الْخَلْقِ ، وَلَوْ كَانَتْ مَدْفُوعَةً عَنْ أَحَدٍ ، لِكَثْرَةِ مَنْ يَقِيهِ مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَيَفْدِيهِ مِنْهُمْ الْأَخْصُشُ فَلَا أَخْصُشُ مِنْ أَعِزَّائِهِ وَخُلَائِنِهِ ، سَلِمَتْ مِنْهَا وَعَرِيَتْ مِنْ مُلْهَمِهَا ، وَكَانَ سَبْقِي إِلَى ذَلِكَ أَبْرَزَ سَبْقٍ ، وَحَظِّي فِي التَّقَدُّمِ فِيهِ أَوْفَرَ حَظٍّ ، وَمَصِيبَتِكَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - بِالْوَالِدَةِ لِي مَصِيبَةٌ ، وَمَا نَالَكَ مِنْ ذَلِكَ لِقَلْبِي مُوجِعٌ . وَلَوْ كَانَ فِي طَاقَتِي أَنْ أَعْلَمَ كُنْهَ مَا خَامَرَ قَلْبَكَ مِنْ أَلَمِ ذَلِكَ ، لَحَمَلْتُ مِثْلَهُ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أَسْوَتَكَ فِي كُلِّ سَارٍّ وَغَامٍ ، وَلَا أَتَمَتَّعَ بِأَيَّامِ غَمُومِكَ ، وَلَا أَقْصُرَ فِيهَا عَنْ مَقْدَارِ حَالِكَ ، فَعَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ ، وَجَبَرَ مُصَابِكَ ، وَضَاعَفَ ثَوَابَكَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحْمَدُ عَلَى الْمَكْرُوهِ

(١) كان إليه خاصّة المكاتبات في أيام المتوكل ، وكان بليغا فصيحاً مترسلاً . . . انظر الفهرست

غيره . ثم الحمد لله الذى جعلك مكتفياً بنفسك فى مواطن حقوق الله عليك والمرجع فى اقتصارى على الكتاب - إذ كان دون الذى ينبغى فيما يلزمنى وإن كنت قد سلكت نفسى أول من لقيك مُعزّياً ومؤاسياً - إلى علمك بالخال فى ذلك ، وإن كنت أثق بأنى ممن لا يحتاج إلى اعتذار عندك ، فإن رأيت أن تدخل إلى الروح^(١) بكتابك وخبرك فى نفسك ، ومارزقك الله من حسن التعزّى عند مصيبتك ، لِأُحمَدَ الله على النعمة عندى فيما ألهمك من التوفيق والمصمة فعلت ، والتعزية - جُمِلتُ فداءك - تجدد اللوعة للمحزون ، وقد توقيت ذلك فى أبى أيوب^(٢) إشفاقاً عليه ، فجعل الله لكل عبّرة أفضتها ، وجرة تجرعتها فى هذه المصيبة ، حجاباً لك من كل سوء ، ووقاية لك من كل محذور . (اخيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٧)

٤٣ - كتاب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له

وكتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له :
« نحن فى مأدبة لنا ، تُشرف على روضة ، تُضاحك الشمس حسناً ،
قد باتت السماء تعلّها^(٣) ، فهى شرقة بمائها ، حالية بنوارها ، فأريك فينا ،
لنكون على سوائ من استمتاع بعضنا ببعض . »

(١) الروح : الراحة .

(٢) يعنى سليمان بن وهب .

(٣) غله كضرب ونصر وأغله : سقاه مرة بعد مرة .

٤٤ - رد صديقه عليه

فكتب إليه :

« هذه صفة لو كانت في أقصى الأرض لوجب انتجاعها ، وحث المطي في ابتغائها ، فكيف في موضع أنت تسكنه ، ويجمع إلى أنيق منظره حُسن وجهك ، وطيب شمائك ! وأنا الجواب » .

(العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

٤٥ - كتاب عبد الرحمن بن أحمد الحراني

إلى محمد بن سهل

وكتب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل :

« أعزك الله ، إن كل مجازاة قاصرة عن حق السابق إلى افتتاح الود ، وقد علمت أني استقبالك من الإقبال عليك بما لم تستدعيه ، واعتمدتك من الرغبة فيك بما لم تؤله » (العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

٤٦ - كتاب ابن الزيات بالعهد للواثق على مكة

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات عهد الواثق على مكة بحضرة المقتسم :

« أما بعد : فإن أمير المؤمنين قلدك مكة وزمزم ، ثرات أهلك الأقدم ، وجدك الأكرم ، ورخصة جبريل ، وسقيا إسماعيل ، وحفر عبد المطاب ،

وسقاية العباس^(١) ، فعليك بتقوى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيته .
(زهر الآداب ٣ : ٣٥٩)

٤٧ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى الواثق

ولما توفى المعتصم ، وولى الخلافة بعده ابنه الواثق ، كتب إليه إبراهيم^(٢) بن العباس الصولي يعزّيه بأبيه ويهنيئه بالخلافة :
« إن أحقَّ الناس بالشكر مَنْ جاء به عن الله ، وأولاهم بالصبر مَنْ كَانَ سَاقِفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وأميرُ المؤمنين - أعزّه الله - وآبأوه - نصرهم الله - أولو الكتاب الناطق عن الله بالشكر ، وعِتْرَةُ رَسُولِهِ المخصوصون بالصبر ، وفي كتاب الله أعظمُ اشْفَاء ، وفي رسوله أحسنُ العزاء .
وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله ، ما عفا^(٣) على أولاه آخره ، وتلافَتْ بدأتَه عاقبته ،

(١) زمزم : بشر بمكة ، ويعني بأبيه : إسماعيل ، ويحمده : إبراهيم ، عليهما السلام ، وكانت هاجر أم إسماعيل أمة لسارة زوج إبراهيم ، فوعدتها لإبراهيم فولدت منه إسماعيل فنارت منها سارة وناشدت إبراهيم أن يخرجهما عنها ، فأخرجهما إلى أرض مكة ، وذلك حيث يقول تعالى حكاية عن إبراهيم : « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ مَيْتَنِكَ الْمُحَرَّمِ » فأنبع الله لهما عين زمزم وذلك حيث يقول ابن الزيات (وركضة جبريل) وأسقاها منها ، ثم طمت تلك البئر وما زالت مطبومة إلى زمن عبد المطلب بن هاشم ، فأناه آت وهو نائم بالحجر فأمره بحفرها ، فحفرها وأقام سقاية زمزم للحاج ، وكانت السقاية في الجاهلية بيد ابنه أبي طالب ثم سلمها إلى أخيه العباس بن عبد المطلب .
(٢) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول (ابن عم عمرو بن مسعدة) كان شاعرا مجيدا ، وكتابا بارعا ، وهو وأخوه عبد الله من صنائع ذى الرياستين الفضل بن سهل ، اتصالا به فرفع منهما ، وتنقل إبراهيم في الأعمال الجليلة والدواوين ، فكان إليه ديوان الرسائل في مدة جماعة من الخلفاء العباسيين ، وكان واليا على الأهواز ، ومات في خلافة المتوكل بسر من رأى ، وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات سنة ٢٤٣ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٩ والفهرست لابن النديم ص ١٧٦ ومروج الذهب ٢ : ٣٨٢ والأغانى ٩ : ٢٠ ومعجم الأدباء ١ : ١٦٤ .
(٣) عفا وعفى : محا .

فَحَقَّقُ اللَّهُ فِي الْأَوَّلَى الصَّبْرُ ، وَفَرَضَهُ فِي الْآخِرَى الشُّكْرُ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَنْجِزَ ثَوَابَ اللَّهِ بِصَبْرِهِ ، وَيَسْتَدْعِيَ زِيَادَتَهُ بِشُكْرِهِ ، فَعَلَّ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ . (معجم الأدباء ١ : ١٨٩)

٤٨ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات

وكان إبراهيم بن العباس الصُّوْلِي صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ،
فَوَلَّى مُحَمَّدُ الْوِزَارَةَ ، وَإِبْرَاهِيمُ وَالٍ عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَقَصَّصَهُ وَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِأَبِي الْجَهْمِ
أَحْمَدَ بْنَ سَيْفٍ ، وَأَمَرَهُ بِكَشْفِهِ^(١) ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ تَحَامُلًا شَدِيدًا ، فَكَتَبَ
إِبْرَاهِيمُ إِلَى ابْنِ الزِّيَاتِ يَشْكُو إِلَيْهِ أَبَا الْجَهْمِ وَيَقُولُ : هُوَ كَافِرٌ لَا يُبَالِي بِمَا عَمِلَ ،
وَهُوَ الْقَائِلُ لَمَّا مَاتَ غُلَامُهُ يَخَاطَبُ مَلَكَ الْمَوْتِ :

تَرَكْتَ عَبِيدَ بَنِي طَاهِرٍ وَقَدْ مَاتُوا الْأَرْضَ عَرَضًا وَطُولًا
وَأَقْبَلْتَ تَسْعَى إِلَى وَاحِدِي ضِرَارًا كَأَنْ قَدْ قَتَلْتَ الرَّسُولَا
فَسَوْفَ أُدِينُ بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وَأَصْطَبِحَ الْحَمْرَ صِرْفًا شَمُولًا^(٢)
فَكَانَ مُحَمَّدٌ لِعَصْبِيَّتِهِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَقَصْدَهُ لَهُ يَقُولُ : لَيْسَ هَذَا الشَّعْرُ لِأَبِي
الْجَهْمِ ، وَإِنَّمَا إِبْرَاهِيمُ قَالَهُ وَنَسَبَهُ إِلَيْهِ .

(الْأَغَانِي ٩ : ٢٤ و معجم الأدباء ١ : ١٦٦)

(١) أى بكشف أمره ومحاسبته على ماله من الأموال .

(٢) اصطبح : شرب الصبوح وهو الشرب بالغداة ، صرفًا : غير ممزوجة بالماء ، شمولًا : باردة

٤٩ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات

وعزل ابن الزيات إبراهيم بن العباس عن الأهواز واعتقله بها وآذاه - وكان يؤمل منه أن يسأحه ويطلقه لقديم صحبته له - فكتب إليه :

فلو إذنباً دهرٌ وأنكر صاحبٌ وسلط أعداءٌ وغاب نصير^(١)
تكون عن الأهواز داري بنجوة! ولكن مقاديرٌ جرت وأمر^(٢)
وإني لأرجو بعد هذا محمداً لأفضل ما يرجى أخ وزير
(الأغاني ٩ : ٢٤ ومعجم الأدباء ١٦٩)

٥٠ - كتابه إلى عمر بن فرج

وكتب إبراهيم بن العباس إلى عمر بن فرج بعد أن عزل عن الأهواز ، وابن الزيات يعذبه بالناحية

« ولست أعزك الله واحداً من عدي تحصلهم وتقدمهم ، فتوسع على نفسك في أمرى ، أنا والله واحدك ، بالأسباب التي تجتمع لى فيك وبك ، ولا تجتمع فى غيرى ، من أخ ولا ولد ولا صاحب ، وقد كنت تدخرنى أعزك الله لطاعتك والوفاء لك ، فقد والله فعلت غير ممتنى بذلك ، وقد كنت أرجو ألا أضام فى جيرتك ومعك ، فلا تحذلى ، فإنى فى حالة إن أخليتنى فيها من نصرتك ، لم يرجع على من ذلك مقدار فى نعمتى ونفسى ، إلا رجعت عليك أكثر منه فى نعمتك وقدرك ، والسلام . »

(اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٣٦٥)

(١) نباه الزمان : جفاه .

(٢) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

٥١ - كتابه إلى ابن الزيات

وكتب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات يستعطفه :
 « كتبتُ إليك وقد بلغتِ المُدَّةَ المَحْزَنَ^(١) ، وَعَدَّتِ الأيامُ بكِ علىَّ ،
 بعدَ عَدَوِي بكِ عليها ، وكان أسوأ ظني ، وأكثرَ خوفي ، أنَ تَسْكُنَ في وقتِ
 حركتها ، وتكُفَّ عندَ أذاها ، فصرتَ علىَّ أضرَّ منها ، وكفَّ الصديقُ عن
 نصرتي خوفا منك ، وبَادَرَ إلى العدوِّ تقرباً إليك » .
 وكتب تحت ذلك :

أخَّ بيني وبين الدهر صاحبَ أينا غلباً
 صديقي ما استقام ، فإنَّ نَبَاَ دهرٍ علىَّ نَبَاً
 وثبتُّ على الزَّمانِ به فهاد به وقسِدَ وثباً
 ولو عاد الزَّمانُ لنا لَمَادَ به أَخَا حَدِيباً^(٢)

(الأغاني ٩ : ٢٦ ومعجم الأدباء ١ : ١٧٠)

٥٢ - كتابه إلى ابن الزيات

قال ابن طيفور :
 وكتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزيات وهو واقف
 على بابه ، وقد حُجِبَ عنه بعد أن عزل عن الأهواز :
 « جُعِلَتْ فِدَاءُكَ ، بِالْحَيْنِ^(٣) وَقَعْتُ ، وَإِلَّا فَنَ كَانَ أعزَّ بِحَالَةٍ رَضِيهَا فِي

(١) ومن أمثالهم « بلغ السكين العظم » يضرب عند بلوغ الشدة منهاها .

(٢) حدباً : أى عطفوا .

(٣) الحين : الهلاك والمحنة أى وقعت على الهلاك وصرت إليه .

نفسه وعند إخوانه مني ؟ ومن كان واحدك إذا حصلتَ واحداً ؟ وواحدى إذا خفتُ من زمانٍ نبوةً ؟ أما والله لو أميتك لقلتُ ، ولكنى أخاف منك حالة لا تحتملها لى ، وأتوقى منك عتبا لا تنصفنى فيه ، وما قدّر فقد كان ويكون ، وعن كل حادثة أهدوثة ، ولا أقولُ والله - أعزك الله - إنى غلِطت على نفسى ، فتبدلتُ بحالة كنت مغبوطا فيها ، حالة أنا فى مكروهاها ، بل أقول : إنى قهرتُ ، فلما فرغتُ إلى ناصرى الذى كنت أعيد^(١) ، وجدتُ من تهزنى أنل نية فى ظلمى ، ممن استنصرتُ فى نصرتى ، وتسببتُ للمقادير أسبابها ، وتجلتُ عما تجلّت عنه فى أمرى^(٢) ، وأحمدُ الله وأشكرُهُ »^(٣) .

وكتب فى آخره :

وكنْتَ أخى يا خاء الزمان فلما نبأ صرتَ حرّبا عوانا^(٥)
وكنْتَ أذمُّ إليك الزمان فأصبحتُ منك أذم الزمانا
وكنْتَ أعِدُّك للنائبات فهأنا أطلبُ منك الأمانا^(٦)

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٦٥ والأغانى ٩ : ٢٧ ، ومعجم الأدباء ١ : ١٧١)
(ووفيات الأعيان ١ : ١٠)

(١) أعد : أى اتخذه عدة .

(٢) فى الأصل « وتجلت عما تجلت عنه أمرى » .

(٣) وصورة هذا الكتاب فى الأغانى ومعجم الأدباء « أما والله لو أمنت ودك لقلت ، ولكنى أخاف منك عتبا لا تنصفنى فيه ، وأخشى من نفسى لائمة لا تحتملها لى ، وما قد قدر فهو كائن ، وعن كل حادثة أهدوثة ، وما استبدلت بحالة كنت فيها مغتبطا ، حالة أنا فى مكروهاها وألمها أشد على من أنى فرغت إلى ناصرى عند ظلم لطفى ، فوجدت من يظلمى أخف نية فى ظلمى منه ، وأحمد الله كثيرا » ثم كتب فى أسفلها : الأبيات . . . ولم يرد منه فى وفيات الأعيان إلا الأبيات حسب .

٥٣ - كتابه إلى ابن الزيات

ومما كتب إلى ابن الزيات :

« مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ مِثْلَ أَخِي لِي كَانَ عَوْنِي عَلَى الزَّمَانِ وَخِلِّي
رُفِعَتْ حَالُهُ فَخَاوَلَ حَظِّي وَأَبَى أَنْ يَغِزَّ إِلَّا بِذُلِّي »



وكتب إليه يستعطفه :

فَهَبْنِي مَسِيثًا مِثْلَ مَا قُلْتَ ظَالِمًا فَعَفُوا جَمِيلًا كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ مِنْكَ - لِسُوءِ مَا جَنَيْتُ بِهِ - أَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلُ
(معجم الأدباء ١ : ١٨٥)



وأقام ابن الزيات على الإساءة إليه ، حتى بلغ منه كل مكروه ، ثم وقف
الواثق على تحامله عليه ، فرفع يده عنه ، وأمر أن يقبل منه مارفعه ، وردّه إلى
الطُصرة مصونا ، فبسط لسانه في ابن الزيات وهجاه هجاء كثيرا .
(الأغاني ٩ : ٢٧)

٥٤ - كتاب ابن الزيات عن الخليفة إلى أحد عماله

وكتب عن الخليفة إلى أحد العمال :

« أَمَا بَعْدَ ، فَقَدْ انْتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (كَذَا) فَأَنْكَرَهُ ، وَلَا تَخْلُو
مِنْ إِحْدَى مَنَزَلَتَيْنِ ، لَيْسَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَذْرٌ يُوجِبُ حُجَّةً ، وَلَا يُزِيلُ

لائمة^(١) : إما تقصير في عملك دعائك للإخلال بالحزم ، والتفريط في الواجب ، وإما مظاهره^(٢) لأهل الفساد ، ومُدامنة لأهل الرّيب ، وأيّة هاتين كانت منك ، محلة النكرك بك ، وموجبة العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة^(٣) . والأخذ بالحجة ، والتقدم في الإعذار والإنذار ، وعلى حسب ما أقلت من عظيم العثرة ، يجب اجتهدك في تلافي التقصير والإضاعة ، والسلام . (العقد الفريد ٢ : ١٩٨)

٥٥ ... فصول لابن الزيات

وكتب ابن الزيات :

« إن حقّ الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم ، وتقويم أودهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم : فيقدمُ مُحسنهم ، ويؤخرُ مُسيئهم ، ليزداد هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم . »
وفصل له :

« إن من أعظم الحق حقّ الدين ، وأوجب الحرمة حرمة المسلمين ، فحقيق لمن راعى ذلك الحق ، وحفظ تلك الحرمة ، أن يُراعى له ، حسب ما راعاه الله ، ويحفظ له ، حسب ما حفظ الله على يديه . »
وفصل له :

« إن الله أوجب خلفائه على عباده حقّ الطاعة والنصيحة ، ولعبيده

(١) اللائمة : اللوم .

(٢) ظاهره : عاونه .

(٣) الأناة : الحلم ، والنظرة : التأخير .

على خلفائه بسط العدل والرفقة ، وإحياء السنن الصالحة ، فإذا أدى كلُّه إلى كلِّ حقّه ، كان ذلك سببا لتمام المَعُونَة ، واتصال الزيادة ، واتساق الحكمة ، ودوام الألفة » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٨)

٥٦ - كتاب لابن الزيات

وتوسَّل رجل إلى رجل بمحمد بن عبد الملك الزيات وادَّعى قرابته منه ، وبلغ ذلك محمداً ، فكتب إلى المتوسَّل إليه :
« بلغني أن رجلاً ادَّعى قرابتي ، وأورد عليك كتاباً ذكر أنه مني ، وما أنكر أن ينتفع بي من توسَّل بذمِّي ، إلا أنه من ادَّعى قرابةً ولا قرابةً له ، كان استعمال الشفاعة في أمره أولى »

(اختيار النظم والنثر ١٢ : ٢٦٧)

٥٧ - كتاب رجل إلى ابن الزيات

وكتب رجل إلى ابن الزيات :

« إن مما يُطمِئني في بقاء النعمة عليك ، ويَزِيدُنِي بصيرةً في العلم بدوامها لديك ، أنك أخذتها بحمَّةٍها ، واستوجبتها بما فيك من أسبابها . ومن شأن الأجناس أن تتواصل ، وشأن الأشكال أن تتقاوم ^(١) ، والشئ يتغلغل في معدنه ، ويَحْنُ إلى عُصْرِهِ ، فإذا صادف مَنبِتَهُ ، ولَزَّ ^(٢) في مَغْرِسِهِ ، ضَرَبَ

(١) هو من تقاوموا في الحرب أي قام بعضهم لبعض ، والمعنى : تتجاذب ويتصل بعضها ببعض .

(٢) لَزَّه كرده : شدّه وألصقه .

بِعِرْقِهِ ، وَسَمَقَ^(١) بِفِرْعِهِ ، وَتَمَكَّنَ تَمَكَّنَ الْإِقَامَةِ ، وَثَبَّتَ ثَبَاتَ الطَّبِيعَةِ .
(عيون الأخبار ١ : ٩٥)

٥٨ - كتاب الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك الزيات

قال الجاحظ^(٢) :

تشاغلت مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بِشُرْبِ النَّيِّذِ
أَيَّامًا ، فَطَلَبَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِمَوَاسَّتِهِ . فَأُخْبِرْتُ بِاتِّصَالِ شَغْلِي مَعَ الْحَسَنِ بْنِ
وَهَبٍ ، فَتَنَكَّرَ لِي ، وَتَلَوَّنَ عَلَيَّ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ رُقْعَةً نَسَخْتُهَا :
« أَهَذَاكَ اللَّهُ مِنْ سُوءِ الْغَضَبِ ، وَعَصَمَكَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى ، وَصَرَفَ
مَا أَعَارَكَ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى حُبِّ الْإِنصَافِ ، وَرَجَّحَ فِي قَلْبِكَ إِثَارَ الْأَنَاءَةِ^(٣) ، فَقَدْ
خِفْتُ - أَيْدِكَ اللَّهُ - أَنْ أَكُونَ عِنْدَكَ مِنَ الْمُنْسَوِيينَ إِلَى تَرْقِ الشُّفَهَاءِ .
وَمُجَانِبَةِ سُبُلِ الْحِكْمَاءِ ، وَبَعْدُ ، فَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :
وإن امرأاً أُمْسَى وَأَصْبَحَ سَائِلًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدٍ^(٤)

(١) سَمَقَ كَنَصَرَ : ارْتَفَعَ وَعَلَا وَطَالَ .

(٢) هُوَ أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو الْجَاظُ بْنُ بَجْرٍ ، صَاحِبُ الرِّسَالِ الْبَدِيعَةِ وَالتَّصَانِيفِ الْمُمْتَعَةِ ، وَهُوَ أَشْهُرُ
مَنْ أَنْ يَذَكَرَ ، نَشَأَ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ يَنْتَجِعُ بَغْدَادَ أَوْ آخِرَ عَصْرِ الْمَأْمُونِ ، وَفِي عَصْرِ الْمَعْتَصِمِ وَالْوَاتِقِ
وَبَعْضِ عَصْرِ النُّوْكَلِ ، وَكَانَ مَخْتَصِمًا بَيْنَ الزِّيَّاتِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٥ - انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ
١ : ٣٨٨ وَنَزْهَةِ الْأَلْبَا فِي طَبَقَاتِ الْأَدْبَاءِ ص ٢٥٤ وَتَارِيخِ بَغْدَادِ ١٢ : ٢١٢ وَالفهرست ص ١٦٩
وَمَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ٦ : ٥٦ (طَبْعُ مَطْبَعَةِ هِنْدِيَّةِ) وَأَمَّا الْمُرْتَضَى ١ : ١٣٨ وَمَرْوُجُ الذَّهَبِ ٢ : ٢٠٠
و ٤٣٩ وَسِرْحُ الْعَيُونِ ١٧٠ وَالنِّيةُ وَالْأَمَلُ ص ٣٩ ، وَلَهُ أَخْبَارٌ مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْأَغَانِي ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ
الْفَرْقِ ، وَالْإِتِّصَالِ ، وَالْمَلَلِ وَالنَّجْلِ ، وَغَيْرِهَا .

(٣) الْأَنَاءَةُ : الْحِلْمُ ، وَالنُّزُقُ : الطَّبِيشُ .

(٤) وَيُرْوَى هَذَا الْبَيْتُ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ - انْظُرْ دِيْوَانَ حَسَّانَ ص ١٤٢ - وَفِي دِيْوَانِ الْجُمَاسَةِ ٢ :

١٤ أَنَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي قُرَيْعٍ .

وقال الآخر^(١) :

ومن دعا الناس إلى ذمِّه — ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل
فإن كنتُ اجتَرأتُ عليك — أصلحك الله — فلم أجترئُ إلا لأن دوامَ
تغافلِكَ عني شبيهٌ بالإهمال الذي يُورث الإغفال ، والعموُّ المتتابعُ يؤمِّنُ
من المكافأة^(٢) ، ولذلك قال عُيَيْنَةُ^(٣) بن حصن بن حذيفةَ لِعِثْمَانَ رحمه الله :
« عُمَرُ كان خيرا لى منك : أرهبنى فأثقتانى ، وأعطانى فأغنانى »^(٤) .

فإن كنتَ لا تَهَبُ عِقَابِي — أيدك الله — حُرْمَةٍ^(٥) ، فَهَيْهَ لَأَيِّدِكَ
عندى ، فإن النِّعْمَةُ تَشْفَعُ في النِّقْمَةِ ، وإلاَّ تفعلْ ذلك لذلك ، فعدُّ إلى حسن
الهادية ، وإلاَّ فافعلْ ذلك لحُسْنِ الأُحْدُوثة ، وإلاَّ فأتِ مَأْنَتِ أَهْلِهِ من
العمو ، دون ماأنا أَهْلُهُ من استحقاق العقوبة ، فسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَكَ تعفو عن
المتعمد ، وتجنَّافى عن عِقَابِ الْمَصِيرِ ، حتى إذا صِرْتَ إلى من هَفَوْتُهُ بِكَرٍّ^(٦) ،

(١) ذكر صاحب زهر الآداب أنه محمد بن حارم الباهلي ، وفي الأغاني (ج ١٣ : ص ١٠) أنه
العتابي أو الحكم بن قنبر ، وقبله :

مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل

(٢) المكافأة : المجازاة .

(٣) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، أحد المؤلفة قلوبهم ، أعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من غنائم هو أزن مائة بعير — انظر سيرة ابن هشام : ٣٢١ .

(٤) بسط الجاحظ معاني هذه الرسالة بصورة أوسع ، في رسالته « الترييع والتدوير » وأورد
فيها أكثر فقرها بألفاظها — انظر الفصول المختارة من كتب الجاحظ على هامش السكامل للعبود
ص ٦٠ وما بعدها ، وبمجموعة رسائل الجاحظ ، طبع الساس ص ١١٢ .

(٥) في الأصل « الخدمة » وهو تحريف وصوابه « الحرمة » والتصويب عن رسالة الترييع والتدوير
وفيها « لحرمتي » .

(٦) في الأصل « ذكر » وهو تحريف ، والتصويب عن رسالة الترييع والتدوير أيضا (من
الفصول المختارة) والبكر : أول كل شيء ، وكل فعلة لم يتقدمها مثلها .

وَذَنْبُهُ نِسْيَانٌ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ إِلَّا لَكَ ، وَلَا إِلَّا نِعَامٌ إِلَّا مِنْكَ ^(١) ،
هَجَمَتْ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ .

وَاعْلَمْ - أَيْدِكَ اللَّهُ - أَنْ شَيْنَ غَضَبِكَ عَلَى كَزَيْنٍ صَفْحِكَ ^(٢) عَنِّي ،
وَأَنْ مَوْتَ ذَكَرِي مَعَ انْقِطَاعِ سَبَبِي مِنْكَ ، كَحَيَاةِ ذَكَرِي ^(٣) مَعَ اتِّصَالِ سَبَبِي
بِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ فِطْنَةً عَلِيمٌ ، وَغَفْلَةً كَرِيمٌ ، وَالسَّلَامُ .
(زَهْرُ الْآدَابِ ٢ : ١٠٨)

٥٩ - كِتَابُ الْجَاهِظِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ

وَكُتِبَ الْجَاهِظُ إِلَى أَحْمَدَ ^(١) بْنِ أَبِي دَوَادٍ يَسْتَعِظُفُهُ :
« لَيْسَ عِنْدِي - أَعَزُّكَ اللَّهُ - سَبَبٌ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ ، إِلَّا مَا طَبَعَتْكَ
اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّأْمِيلِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ
الظَّنِّ ، وَإِثْبَاتِ الْفَضْلِ بِحَالِ الْمَأْمُولِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعُتَّقَاءِ
الشَّاكِرِينَ ، فَتَكُونَ خَيْرَ مُعْتَبٍ ^(٥) ، وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ

(١) جَاءَ فِي رِسَالَةِ التَّرْبِيعِ وَالتَّدْوِيرِ بَعْدَ ذَلِكَ : « وَلَا الْعِلْمُ إِلَّا مِنْ تَأْدِيكَ ، وَلَا الْأَخْلَاقُ إِلَّا مِنْ
تَهْوِيلِكَ ، وَلَا يَقْصُرُ فِي بَعْضِ طَاعَتِكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ أَحْتِمَالِكَ ، وَلَا نَسَى بَعْضَ مَا يَجِبُ لَكَ إِلَّا لِمَا دَاخَلَ
مِنْ تَعْظِيمِكَ ، صَرَتْ تَتَوَعَّدُ بِالضَّرْمِ » .

(٢) أَيْ فِي مَقْدَارِ الْأَثَرِ ، أَيْ أَنَّ الْأَوَّلَ شَدِيدٌ جِدًّا كَمَا أَنَّ الثَّانِيَ عَظِيمٌ جِدًّا ، وَفِي رِسَالَةِ التَّرْبِيعِ
وَالْتَّدْوِيرِ قَبْلَ ذَلِكَ : « وَأَنْ مَنَعَكَ إِذَا مَنَعْتَ ، فِي وَزْنِ إِعْطَائِكَ إِذَا أُعْطِيتَ ، وَأَنْ عَقَابَكَ عَلَى حَسَبِ
ثَوَابِكَ ، وَأَنْ جَزَعِي مِنْ حَرَمَانِكَ ، فِي وَزْنِ سُرُورِي بِفَوَائِدِكَ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ « ذَكَرَكَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَصَوَّاهَا « ذَكَرِي » كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ وَكَأَنَّ وَرَدَتْ
فِي رِسَالَةِ التَّرْبِيعِ وَالتَّدْوِيرِ ، وَقَدْ كُنْتَ صَحَّحْتَهَا فِي زَهْرِ الْآدَابِ قَبْلَ أَنْ أَقْرَأَهَا فِي تِلْكَ الرِّسَالَةِ ،
وَهَذَا التَّشْبِيهُ كَالْتَّشْبِيهِ السَّابِقِ أَيْضًا .

(٤) مِنْ كِبَارِ أَعْمَةِ الْمُعْتَرِلَةِ ، وَكَانَ مَقْرَبًا مِنَ الْأُمَمُونَ أَمِيرًا عِنْدَهُ ، وَلَمَّا وَلِيَ الْعَتَصِمَ الْخُلَافَةَ جَعَلَهُ
قَاضِي الْقَضَاةِ ، وَخَسَّ بِهِ أَحْمَدُ ، حَتَّى كَانَ لَا يَفْعَلُ فِعْلًا بَاطِنًا وَلَا ظَاهِرًا إِلَّا بِرَأْيِهِ ، وَحَسَنَتْ حَالُهُ عِنْدَ
الْوَائِقِ فِي خِلَافَتِهِ ، ثُمَّ فُلِحَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٠ هـ - انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي وَفَيَاتِ
الْأَعْيَانِ ١ : ٢٢ .

(٥) أَعْتَبَهُ : أَرْضَاهُ .

يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الإِنعام ، وهذا الإِنعام سبباً للانقطاع إليكم ،
والكَوْنِ تحت أجنحتكم ، فيكون : لا أعظم بركةً ، ولا أنفى بقيةً ، من
ذنب أصبحت فيه ، ومثلك - جعلت فداك - عاد الذنب وسيلةً ، والسيئة
حسنةً ، ومثلك من انقلب به الشرُّ خيراً ، والغرمُ غنماً .

من عاقب فقد أخذ حظّه ، وإنما الأجرُ في الآخرة ، وطيبُ الذِّكرِ في
الدنيا ، على قدر الاحتمال ، وتجرُّعِ المرارِ ، وأرجو ألاّ أضيعَ وأهلكَ فيما
بين كرمك وعقلك ، وما أكثرَ مَنْ يعفو عن صغر ذنبه وعظم حقه ! وإنما
الفضل والثناء : العفو عن عظيم الجرم ، ضعيفِ الحرمة ، وإن كان العفو عظيماً
مُستطرفاً من غيركم ، فهو تِلَادٌ فيكم ، حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس إلى
مخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تنسكُلون ^(١) ، ولا على سالفِ إحسانكم تندمُون ،
وما مثلكم إلا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يرى بَمَلَأٍ من
بنى إسرائيل إلا أسمعوه شراً وأسمههم خيراً ، فقال له شَمْعُون الصفا : ما رأيتُ
كالْيَوْمِ ! كلّا أسمعوك شراً أسمعتهم خيراً ! فقال « كل امرئ يُنفق مما
عنده » وليس عندكم إلا الخير ، ولا في أوعيتكم إلا الرحمة ، « وكل إناء بالذى
فيه يَنْضَحُ » . (سرح الميون ص ١٧٥)

(١) نكل عنه كضرب ونصر وعلم : نكس .

٦٠ - كتاب له في الاستعطاف

« زَيْنَكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى ، وَكَفَاكَ مَا هَمَّكَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، مَنْ عَاقَبَ
- أَبْقَاكَ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى الصَّغِيرَةِ عُقُوبَةَ الْكَبِيرَةِ ، وَعَلَى الْهَفْوَةِ عُقُوبَةَ
الْإِصْرَارِ ، فَقَدْ تَنَاهَى فِي الظُّلْمِ ، وَمَنْ لَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالَى ،
وَالْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي ، فَقَدْ قَصَّرَ ، وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ سَرَفَ الرِّضَا ، مَخَافَةَ
أَنْ يُوَدِّىَ إِلَى سَرَفِ الْحَوَى ، فَمَا ظَنُّكَ بِسَرَفِ الْغَيْظِ وَغَايَةِ الْغَضَبِ ، مَنْ
طَيَّاشٍ ، مَجْجُولٍ لِحَاشٍ ، وَمَعَهُ مِنَ الْخُرْقِ بِقَدْرِ قِسْطِهِ مِنَ التَّهَابِ الْمِرَّةِ ^(١)
الْحَمْرَاءِ ، وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جَسْمٌ ، وَكَذَلِكَ جَنْسُكَ وَنَوْعُكَ ، إِلَّا أَنْ
التَّأَثُّرَ فِي الرَّقَاقِ أَسْرَعُ ، وَضِدَّهُ فِي الْعِلَاقِ الْجَفَاةِ أَكْمَلُ ، وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ جَزْعِي

(١) المرة والمخلط (بالكسر وجمعه أ: لاط) والمزاج (بالكسر أيضا وجمعه أمزجة) : واحد ،
وهو ما ركب عليه البدن من الطبائع الأربع : الدم والمرتين الصفراء والسوداء والبلغم ، وجاء في
العقد الفريد ٣ : ٢٨٧ في باب طباع الإنسان : « زعم علماء الطب أن في الجسد من الطبائع الأربع
اثني عشر رطلا ، فللدم منها ستة أرطال ، وللمرة الصفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال ... » وفيه
أيضا : « عن وهب بن منبه أنه قرأ في التوراة أن الله عز وجل حين خلق آدم ، ركب جسده من
أربعة أشياء ثم جعلها وراثته في ولده ، تنمو في أجسادهم ، وينمون عليها إلى يوم القيامة : رطب ويابس
وسخن وبارد ، قال : وذلك أني خلقت من تراب وماء وجعلت فيه يبسا ، فيبوسة كل جسد من قبل
التراب ، ورطوبته من قبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح ، ثم خلقت
للجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع آخر ، وهي ملاك الجسد وقوامه ، فإذا لا يقوم الجسد
إلا بهن ، ولا تقوم واحدة إلا بالأخرى : المرة السوداء ، والمرّة الصفراء ، والدم الرطب الخار ،
والبلغم البارد ، ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض ، فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ،
ومسكن الرطوبة في الدم ، ومسكن البرودة في البلغم ، ومسكن الحرارة في المرة الصفراء ، فأعيا
جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع ، وكانت كل واحدة فيه وفقا لا تزيد ولا تنقص ، كملت صحته ،
واعتدلت بنيته ، وإن زادت واحدة منهن غلبتهن وقهرتهن ومالت بهن ، ودخل على أخواتها السقم من
ناحيتهما بقدر ما زادت ، وإن كانت ناقصة عنهن ملن بها وعاونها ، ودخل عليها السقم من نواحيهن ،
لقلتها عنهن ، حتى تضعف عن طاقتهن ، وتعجز عن مقاومتهن » اهـ .

عليك من سلطان الغيظ وغلبته ، فإذا أردت أن تعرف مقدار الذنب إليك ، من مقدار عقابك عليه ، فانظر في عِلَّتِهِ ، وفي سبب إخراجه إلى مَعْدِنِهِ الذي منه نَجَمٌ ، وعُشَّةٌ الذي منه دَرَجٌ ، وإلى جهة صاحبه في التسرع والثبات ، وإلى حِلَامِهِ عند التعريض ، وفطنته عند التوبة ، فكلُّ ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة القبض^(١) في المقادير ، أو من طريق الأنفة ، وغلبة طباع الحمية من جهة الجفوة ، أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله أنه مقصَّره في حقه ، مؤخَّر عن رتبته ، أو كان مبلِّغا عنه مكذوبا عليه ، أو كان ذلك جائزا فيه غير ممتنع عنه ، فإذا كانت ذنوبه من هذا الشكل ، فليس يقف عليها كريم ، ولا ينظر فيها حليم ، ولستُ أسميه بكثرة معروفه كريما ، حتى يكون عقله غامرا لعلمه ، وعِلمُهُ غالبا على طباعه ، كما لا أسميه بكفِّ العقاب حكيما ، حتى يكون عارفا بمقدار ما أخذ وترك ، ومتى وجدت الذنب بعد ذلك لا سبب له إلا البُغْضُ المحض ، والنَّفَارُ الغالب ، فلولم ترض لصاحبه بعقاب دون قَعْرِ جَهَنَّمَ ، لعَذَرَكَ كثير من العقلاء ، وصوَّبَ رأيك عالم من الأشراف ، والأناةُ أقرب من الحمد ، وأبعدُ من الذم ، وأناى من خوف العَجَلَةِ ، وقد قال الأول : « عليك بالأناة ، فإنك على إيقاع ما تتوقعه أقدرُ منك على ردِّ ما قد أوقعته » وليس يصارع الغضب أيام شبابه شيء إلا صرَّعه ، ولا ينازعه قبل انتهائه إلا قهره ، وإنما يُحْتَالُ له قبل هيئجه ، فتي تمكن واستفحل ، وأذكى ناره وأشعل ، ثم لاقى من صاحبه قُدْرَةً ، ومن أعوانه سمعا وطاعة ،

فلو استبطنته بالتوراة ، وأوجرته^(١) بالإنجيل ، ولدّدته^(٢) بالزبور ، وأفرغت على رأسه القرآن إفراغا ، وأتيته بآدم شفيعا ، لما قصّردون أقصى قوّته ، ولن يسكن غضبُ العبد إلا ذكره غضبُ الربّ .

فلا تقف - حفظك الله - بعد مضيّك في عتابي التماسا للعفو عني ، ولا تقصّر عن إفراطك من طريق الرحمة بي ، ولكن قف وقفة من يتهم الغضب على عقله ، والشيطان على دينه ، ويعلم أن للكرم أعداء ، ويُمسك إمساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ، ولا يبرئ الهوى من الخطأ ، ولا تُنكر لنفسك أن ترلّ ، ولعلّك أن يهفو ، فقد زلّ آدم صلى الله عليه وسلم ، وقد خلقه بيده ، ولست أسألك إلا ريثما تسكن نفسك ، ويرتد إليك ذهنك ، وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الأحدثه ، والله يعلم - وكفى به عليما - لقد أردت أن أفديك بنفسى في مكاتباتى ، وكنت عند نفسى في عداد الموتى ، وفي حيز الهلكى ، فرأيت أن من الخيانة لك ، ومن اللوم في معاملتك ، أن أفديك بنفسٍ ميتة ، وأن أريك أنى قد جعلت لك أنفس ذخر ، والذخر معدوم ، وأنا أقول كما قال أخو تقيف « مودة الأخ التالذ وإن أخلق ، خير من مودة الأخ الطارف وإن ظهرت مساعيه ، وراقت جدّته » سلمك الله ، وسلم عليك ، وكان لك ومعك .

(سرح العيون ص ١٧٦)

(١) وجرته الدواء ، وأوجرته إياه : جعلته في فيه ، والوجور كصبور : الدواء يوجر في وسط الفم .

(٢) اللدود كصبور ، وككرم : ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شق الفم ، وقد لدّه إياه وألدّه .

٦١ - كتابه إلى بعض إخوانه في ذم الزمان

وكتب الجاحظ إلى بعض إخوانه في ذم الزمان :

«بسم الله الرحمن الرحيم : حَفِظَكَ اللهُ حِفْظًا مِنْ وَقَّهَ لِلْقَنَاعَةِ ، وَاسْتَعْمَلَهُ بِالطَّاعَةِ ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَحَالِي حَالٌ مَنِ كَشَفْتُ غُمُومَهُ ، وَأَشْكَلْتُ عَلَيْهِ أُمُورَهُ ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ حَالُ دَهْرِهِ ، وَمَخْرَجُ أَمْرِهِ ، وَقَلَّ عِنْدَهُ مَنْ يَثِقُ بِوَفَائِهِ ، أَوْ يَحْمَدُ مَغَبَّةَ^(١) إِخَائِهِ ، لِاسْتِحَالَةِ زَمَانِنَا ، وَفَسَادِ أَيْامِنَا ، وَدَوَلَةِ أَنْدَالِنَا ، وَقَدِيمًا كَانَ مَنْ قَدَّمَ الْحَيَاءَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَحَكَّمَ الصَّدَقَ فِي قَوْلِهِ ، وَآثَرَ الْحَقَّ فِي أُمُورِهِ ، وَنَبَذَ الْمَشْتَبِهَاتِ عَلَيْهِ مِنْ شَتُونِهِ ، تَمَّتْ لَهُ السَّلَامَةُ ، وَفَازَ بِوُفُورِ حَظِّ الْعَافِيَةِ ، وَحَمْدِ مَغَبَّةِ مَكْرُوهِ الْعَاقِبَةِ ، فَنَظَرْنَا إِذْ حَالَ عِنْدَنَا حُكْمُهُ ، وَتَحَوَّلَتْ دَوْلَتُهُ ، فَوَجَدْنَا الْحَيَاءَ مُتَّصِلًا بِالْحِرْمَانِ ، وَالصَّدَقَ آفَةً عَلَى الْمَالِ ، وَالْقَصْدَ فِي الطَّلَبِ - بِتَرْكِ اسْتِعْمَالِ الْقَحِيحَةِ^(٢) ، وَإِخْلَاقِ الْعِرْضِ مِنْ طَرِيقِ التَّوَكُّلِ - دَلِيلًا عَلَى سَخَافَةِ الرَّأْيِ ، إِذْ صَارَتْ الْحِطُّوَةُ الْبَاسِقَةَ^(٣) ، وَالنِّعْمَةُ السَّابِقَةُ ، فِي لَوْثِ الْمَشِيئَةِ ، وَسَنَاءِ^(٤) الرِّزْقِ ، مِنْ جِهَةِ مُحَاشَاةِ الرِّخَاءِ^(٥) ، وَمَلَابَسَةِ مَعَرَّةِ الْعَارِ .

ثم نظرنا في تعقب المتعقب لقولنا ، والكاشِرِ^(٦) حُجَّتِنَا ، فَأَقْنَدَ لَهُ

(١) المغبة : العاقبة .

(٢) القحة والوقاحة : قلة الحياء .

(٣) الحطوة بالضم والكسر : السكينة ، والحظ من الرزق ، والباسعة : العالية ، ونعمة سابغة : أى تامة .

(٤) السناء : الرفعة .

(٥) أى من جهة التباعد عن أسباب الرخاء ، وذلك بالعود عن العمل ، والإخلاص إلى الراحة والكسل .

(٦) الكاشِر: من كسر له إذا تندر له ، وأرى صوابه « والكاسِر » بالسين

عَلَمًا وَاضِحًا ، وشاهدًا قَائِمًا ، وَمَنَارًا بَيِّنًا ، إِذْ وَجَدْنَا مَنْ فِيهِ السُّؤْلِيَّةُ
الوَاضِحَةُ ، وَالْمَثَالِبُ ^(١) الْفَاضِحَةُ ، وَالْكَذْبُ الْمَبْرَحُ ، وَالْخُلْفُ الْمُصْرَحُ ،
وَالْجَهَالَةُ الْمُفْرِطَةُ ، وَالرَّكَاكَةُ الْمُسْتَخْفَةُ ، وَضَعْفُ الْيَقِينِ وَالِاسْتِثْبَاتِ ،
وَسُرْعَةُ الْغَضَبِ وَالْجَرَاءَةُ . قَدْ اسْتَكْمَلَ سِرُّهُ . وَاعْتَدَلَتْ أُمُورُهُ . وَفَازَ بِالسَّهْمِ
الْأَغْلَبِ ^(٢) وَالْحِظُّ الْأَوْفَرُ ، وَالْقَدْرُ الرَّفِيعُ ، وَالْجَوَازُ الطَّائِعُ ، وَالْأَمْرُ النَّافِذُ ،
إِنْ زَلَّ قَلِيلٌ حَكْمٌ ، وَإِنْ أَخْطَأَ قَلِيلٌ أَصَابَ ، وَإِنْ هَذَى فِي كَلَامِهِ وَهُوَ
يَقْظَانُ قَلِيلٌ زَوْيَا صَادِقَةً ، مِنْ نَسْمَةٍ ^(٣) مَبَارَكَةٍ .

فَهَذِهِ حُجَّتُنَا وَاللَّهِ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْجَهْلَ يَخْفِضُ ، وَأَنَّ التُّوْكَ ^(٤) يُرْدِي ،
وَأَنَّ الْكَذْبَ يَضُرُّ ، وَأَنَّ الْخُلْفَ يُزْرِى .

ثُمَّ نَظَرْنَا فِي الْوَفَاءِ وَالْأَمَانَةِ وَالنَّبْلِ وَالْبَلَاغَةِ وَحُسْنِ الْمَذْهَبِ وَكَمَالِ الْمُرُوءَةِ
وَسَعَةِ الصَّدْرِ ، وَقِلَّةِ الْغَضَبِ ، وَكَرَمِ الطَّبِيعَةِ ، وَالْفَائِقِ فِي سَعَةِ عِلْمِهِ ، وَالْحَاكِمِ
عَلَى نَفْسِهِ ، وَالْغَالِبِ لِهَوَاهُ ، فَوَجَدْنَا فُلَانًا بِنَ فُلَانٍ ، ثُمَّ وَجَدْنَا الزَّمَانَ لَمْ
يُنْصِفْهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَلَا قَامَ لَهُ بِوِظَائِفِ فَرَضِهِ . وَوَجَدْنَا فُضَائِلَهُ الْقَائِمَةَ لَهُ
قَاعِدَةً بِهِ ، فَهَذَا دَلِيلُ أَنَّ الطَّلَاحَ ^(٥) ، أَجْدَى مِنَ الصَّلَاحِ ، وَأَنَّ الْفَضْلَ قَدْ
مَضَى زَمَانُهُ ، وَعَفَتْ آثَارُهُ ، وَصَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِ ، كَمَا كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى
ضِدِّهِ ، وَوَجَدْنَا الْعَقْلَ يَشْقَى بِهِ قَرِينُهُ ، كَمَا أَنَّ الْجَهْلَ وَالْحُمُقَ يَحْطَى بِهِ

(١) المثالب : المعائب ، جمع مثلبة بفتح الميم مع فتح اللام وضمها ، والمبرح : الشديد ، والمصرح :
المنجلى الخالص ، من صرحت الحجر تصريحًا : أى انجلي زبدها فخلصت .

(٢) يقال : هضبة غلباء : أى عظيمة مشرفة ، وعزة غلباء كذلك على المثل .

(٣) النسمة : النفس .

(٤) التوك بالضم والفتح : الحق .

(٥) الطلاح : ضد الصلاح .

خَدِينُهُ^(١)، ووجدنا الشَّعر ناطقا على الزمان ، ومُعْرِبا عن الأيام حيث يقول :

تَحَامَقَ مع الحَمَقِ إذا ما لَقِيَتَهُم ولا قَهْمُ بالجهل ، فِعْلُ أَخِي الجهل
وخلَطُ إذا لاقيت يوما مَخْلَطًا يَخْلُطُ في قولٍ صحيح وفي هَزَلٍ
فإني رأيت المرءَ يَشُقُّ بعقله كما كان قبلَ اليوم يسعد بالعقل

فَبَقِيْتُ - أبقاك الله - مِثْلَ مَنْ أَصْبَحَ على أَوْفاز^(٢) ، ومن النُّقْلة على جهاز
لا يَسُوغُ له نعمة ، ولا تَطْعَمُ عينُهُ غَمْضَةً ، في أهْوَيلَ يُباكِره مَكْرَوهُها ،
ويُرَاوِحُه عقائبُها : فلو أن الدعاء أجيب ، والتضرُّع سُمِعَ ، لكانت العِدَّةُ
العظمى^(٣) ، والرَّجْفَةُ الكُبْرَى ، فليت - أَيْ أَخِي - ما أَسْتَبطِئُهُ من
النَّفْخَةِ ، ومن فِجْأة الصَّيْحَةِ ، قُضِيَ فحان ، وأُذِنَ به فكان ، فوالله ما عُدَّتْ
أمة برَّجْفَةٍ ولا رِيحٍ ولا سَخْطَةٍ ، عذابَ عيني برؤية المغايظَةِ المَدْمِنَةِ ،
والأخبار المَهْلِكَةِ ، كأنَّ الزمانَ يوَكِّلُ بمذابي ، أو يُنْصَبُ بأيامِي ، فما عِشُّ
من لا يُسَرُّ بأخٍ شفيقٍ ، ولا يَصْطَبِحُ في أولِ نهاره إلَّا برؤية مَنْ يكرهه ،
وبُعْمَةٍ مَنْ يُمُّهُ طَلْعَتُهُ ، فقد طالَتِ النُّمَّةُ ، وواظبتِ الكَرْبَةُ ، وادلهمت^(٤)
الظُّلُمَةُ ، وَخَمَدَ السَّراجُ ، وتباطأ الانفراجُ »
(العقد الفريد ١ : ١٩٥)

(١) الحدين والحدن بالكسر : الصاحب .

(٢) يقال : لقيته على أوفاز : أى على عجلة ، أو على سفر قد أشخص ، وأحدها وفز بالتحريك
والسكون : وهو العجلة .

(٣) يعنى الموت وموافاة الأجل المحتوم .

(٤) ادلهم الظلام : كئف واسود .

٦٢ - كتاب الجاحظ في استنجاز وعد

وكتب الجاحظ إلى رجل وعده:

« أما بعدُ ، فإن شجرة وَعْدِكَ قد أَوْرَقَتْ ، فليكن ثَمَرُهَا سالماً من
جَوَائِحِ المَطْل ، والسلام » . (العقد الفريد ١ : ٧٥ : ٢ : ١٩٩)

٦٣ - كتاب آخر

وكتب أيضاً:

« أما بعدُ ، فإن سحائب وعدك قد بَرَقَتْ ، فليكن وَبْلُهَا سالماً من
صَوَاعِقِ المَطْل والاعتلال » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

٦٤ - كتاب آخر

وكتب أيضاً:

« أما بعدُ ، فقد رَسَفْنَا ^(١) في قيود مواعيدك ، وطال مُقَامُنَا في سُجُونِ
مَظْلَمِكَ ، فأُطْلِقْنَا - أبقاك الله - من ضيقها وشديد غَمِّهَا بِنَعَمٍ ، منك ، مُشْمِرَةً ،
أولاً ، مُرِيحَةً » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

(١) رسف كنصر وضرب : معنى مثنى القيد .

٦٥ - كتاب له في الاستمناح

وكتب :

« أما بعد ، فما أقبح الأُخْدُوثةَ من مُسْتَمْنِحٍ حَرَمَتْهُ ، وطالبٍ حاجةٍ رَدَدَتْهُ ، ومُثَابِرٍ حَجَبَتْهُ ، ومنبَسِطٍ إِلَيْكَ قَبْضَتَهُ ، ومُقْبِلٍ إِلَيْكَ بَعْنَايَتَهُ لَوَيْتَ عَنْهُ ، فَتَنَبَّأْتُ فِي ذَلِكَ « وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ » .
(العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

٦٦ - كتابه إلى أبي حاتم السجستاني

وكتب إلى أبي حاتم السَّجِسْتَانِي^(١) - وبلغه عنه أنه نال منه - :
« أما بعدُ فلو كَفَفْتَ عَنَّا مِنْ غَرَبِكَ^(٢) ، لَكُنَّا أَهْلًا لَذَلِكَ مِنْكَ ،
والسلام » .

فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبيح . (العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

٦٧ - كتابه إلى قليب المغربي

وكتب إلى قُلَيْبِ الْمَغْرِبِي .
« وَاللَّهِ يَا قُلَيْبُ لَوْلَا أَنْ كَبِدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ ، وَرُوحِي بِكَ
مَجْرُوحَةٌ ، لَسَاجَلْتُكَ^(٣) هَذِهِ الْقَطِيعَةَ ، وَمَا دَذْتُكَ حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ ، وَأَرْجُو

(١) من شيوخ أبي العباس المبرد .

(٢) الغرب : الحدة .

(٣) ساجله : باراه .

أَن الله تعالى يُدِيل^(١) صَبْرِي مِنْ جَفَائِكَ ، فيردُّكَ إلى مودَّتِي ، وَأَنْفُ الْقَلِي^(٢) رَاغِمٌ ، فقد طال العهدُ بالاجتماع ، حتى كِدْنَا نَتَنَاكَرُ عند الالتقاء .

(شرح العيون ص ١٧٥)

٦٨ - فصول للجاحظ.

« أما بعد ، فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفَتْهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَأَجَبْتَهُ إِلَى طَلْبَتِهِ ، مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ ، وَنَزَعَ نَحْوَكُ بِالرَّجَاءِ . »



« أما بعد ، فَإِنْ فَلَانَا أَسْبَابُهُ مَتَّصِلَةٌ بِنَا ، يَلْزَمُنَا ذِمَامُهُ^(٣) ، وَبُلُوغُ موافقته من أياديكَ عندنا ، وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مَكَافَاتِهِ ، فَأَوَّلُنَا فِيهِ مَا يَعْرِفُ بِهِ مَوْقِفُنَا مِنْ حَسَنِ رَأْيِكَ ، وَيَكُونُ مَكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا . »



« أما بعد ، فَإِنْ الْمَاضِي قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ ، وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ فَيْكَ ، وَإِنَّمَا يُؤَوِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بغيرِ حِسَابٍ . »



« أما بعد ، فَإِنْ فِي الله العزاء من كل هالك ، وَاخْلَفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ الله تَنْقُطِعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . »

(١) أداله الله من عدوه : نصره عليه .

(٢) القلي : البغض والكراهية . وراغم : ذليل .

(٣) الذمام : الحق والحرمة .



« أما بعد ، فإن الصبر يَعْقِبُهُ الأجر ، والجَزَع يَعْقِبُهُ الهَلَع ، فتمسكْ بِحِظِّكَ مِنَ الصبر ، تَنَلْ بِهِ الَّذِي تَطْلُب ، وَتُدْرِكْ بِهِ الَّذِي تَأْمَل » .



« أما بعد ، فكفى بكتاب الله واعظا ، ولدوى الأبواب زاجرا ، فعليك بالتلاوة ، تَنْجُ مِمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٠)



وله فصول في الاعتذار :

« أما بعد ، فَنِعْمَ البَدِيلُ مِنَ الزَّلَّةِ الاعتذارُ ، وَبِئْسَ العِوَضُ مِنَ التَّوْبَةِ الإصرارُ » .



أما بعد ، فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ عَظَفْتَ عَلَيْهِ بِحِمْلِكَ ، مَنْ لَمْ يَتَشَفَّعْ إِلَيْكَ بِغَيْرِكَ .



أما بعد ، فَإِنَّهُ لَا عِوَضَ مِنْ إِخَائِكَ ، وَلَا خَلْفَ مِنْ حَسَنِ رَأْيِكَ ، وَقَدْ انْتَقَمْتَ مِنِّي فِي زَلَّتِي بِحِفَائِكَ ، فَأَطْلِقْ أَسِيرَ تَشَوَّقِي إِلَى لِقَائِكَ .



أما بعد ، فَإِنِّي بِمَعْرِفَتِي بِبُلُوغِ حِمْلِكَ ، وَغَايَةِ عَفْوِكَ ، ضَمِنْتُ لِنَفْسِي الْعَفْوَ عَنْ زَلَّتِهَا عِنْدَكَ .



أما بعد ، فَإِنْ مِنْ جَعَدَ إِحْسَانِكَ بِسَوْءِ مَقَالَتِهِ فَيْكَ ، مَكْذَبُ نَفْسِهِ بِمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ مِنْهُ .



أما بعد ، فَقَدْ مَسَّنِي مِنَ الأَلَمِ مَا لَمْ يَشْفِهِ غَيْرُ مَوَاصِلَتِكَ ، مَعَ حَبْسِكَ

الاعتذار عن هفوتك ، ولكن ذنبك تغتفره مودتك ، فامتن علينا بصليتك ،
تكن بدلًا من مساءتك ، وعوضًا من هفوتك .



أما بعد ، فلا خيرَ فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ، ولم يتسع
لهنات الإخوان .



أما بعد ، فإن أولى الناس عندي بالصفح ، من أسأله إلى ملكك التماس
رضاك ، من غير مقدرة منك عليه .



أما بعد ، فإن كنت ذممتني على الإساءة فلم رضيت لنفسك المكافأة .
(العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

٦٤ - رسالة الجاحظ في بني أمية

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أطال الله بقاءك ، وأتم نعمته عليك ،
وكرامته لك ، اعلم - أرشد الله أمرك - أن هذه الأمة قد صارت بعد
إسلامها ، والخروج من جاهليتها ، إلى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة :
فالطبقة الأولى : عصرُ النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر رضي الله
عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه ، كانوا على التوحيد
الصحيح ، والإخلاص المحض ، مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب
والسنة ، وليس هناك عملٌ قبيح ، ولا بدعةٌ فاحشة ، ولا نزاعٌ يد من طاعة ،
ولا حسد ولا غل ولا تأول ، حتى كان الذي كان : من قتل عثمان رضي الله

عنه ، وما انتُهِك منه ، ومن خَبَطَ لهم إياه بالسلاح ، وَبَعَجَ ^(١) بطنه بالحِراب ، وَفَرَى أَوْ ذَا جِهَ بِالمَشَاقِصِ ^(٢) ، وَشَدَخَ هَامَتِهِ ^(٣) بالعمد ، مع كَفَّه عن البَسْطِ ، ونهيه عن الامتناع ، مع تعريفه لهم قبل ذلك ، مِنْ كَمْ وَجْهٍ يَجُوزُ قَتْلُ مَنْ ^(٤) شَهِدَ الشَّهَادَةَ ؟ وَصَلَّى الْقِبْلَةَ ، وَأَكَلَ الذَّبْحَةَ ، ومع ضَرْبِ نِسَائِهِ بِحَضْرَتِهِ ، وَإِحْقَامِ الرِّجَالِ عَلَى حُرْمَتِهِ ، مع اتِّقَاءِ نَائِلَةِ بَنَاتِ الْفَرَاغِصَةِ عنه بيدها ، حتى أَطْنُوا ^(٥) إسماعيلين من أصابعها ، وقد كَشَفَتْ عَنْ قَنَاعِهَا ، وَرَفَعَتْ عَنْ ذَيْلِهَا ، لِيَكُونَ ذَلِكَ رَادِعًا لَهُمْ ، وَكَاسِرًا مِنْ غُرْبِهِمْ ^(٦) ، مع وَطْئِهِمْ فِي أَضْلَاعِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَإِلْقَائِهِمْ عَلَى الْمَرْبَلَةِ جَسَدَهُ مَجْرَّدًا بَعْدَ سَجْبِهِ !؟ وَهِيَ الْخَرْزَةُ ^(٧) الَّتِي جَعَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفْنًا لِبَنَاتِهِ ^(٨) وَأَيَّامَهُ وَعَقَائِلَهُ ، بَعْدَ السَّبِّ وَالتَّعْطِيشِ وَالْحَصْرِ الشَّدِيدِ ، وَالْمَنْعِ مِنَ الْقَوْتِ ، مع احتجاجه عليهم وَإِحْقَامِهِ لَهُمْ ، وَمَعَ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى أَنْ دَمَ الْفَاسِقِ حَرَامٌ كَدَمِ الْمُؤْمِنِ ، إِلَّا مَنْ

(١) بَعَجَهُ كَفَعَهُ : شَقَعَهُ .

(٢) فَرَاهُ كَرَمَاهُ : شَقَعَهُ أَيْضًا ، وَالْأَوْدَاجُ جَمْعُ وَدَجٍ بِالتَّحْرِيكِ : وَهُوَ عَرَقٌ فِي الْعُنُقِ ، وَالْمَشَاقِصُ جَمْعُ مَشْقَصٍ كَثِيرٍ : وَهُوَ النِّصْلُ الطَّوِيلُ ، أَوْ سَهْمٌ فِيهِ ذَلِكَ يَرْمَى بِهِ الْوَحْشَ .

(٣) الْهَامَةُ : الرَّأْسُ ، وَشَدَخَهُ كَفَعَهُ : كَسَرَهُ .

(٤) أَيْ الْمُسْلِمَ ، أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِهِ إِلَى الْمُنْذَرِ بْنِ سَاوَى : « فَإِنْ مِنْ صُلَى صِلَاتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا ، فَذَاكَ الْمُسْلِمُ » - انظر الجزء الأول ص ٤١ وكان فيما قاله عثمان في أثناء حصاره : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجل زنى بعد إحصانه فيرجم ، أو رجل قتل نفساً بغير نفس » ففهم أفتل ؟ - انظر تاريخ الطبري ٥ : ١٢٢ .

(٥) أَطْنُوا أَيْ قَطَعُوا .

(٦) مِنْ الْغُرْبِهِمْ أَيْ حَدَّتِهِمْ .

(٧) الْخَرْزَةُ : الْجَوْهَرَةُ ، وَفِي الْأَصْلِ « الْخَزْرَةُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٨) تَزْوُجُ عُمَانَ رَقِيَّةً وَأُمَ كَثُومَ ابْنَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْأَيَّامُ جَمْعُ أَيَّامٍ ، وَالْعَقَائِلُ لَهَا بِكْرًا كَانَتْ أَوْ نَبِيًّا ، وَالْعَقَائِلُ جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَعَقِيلَةٌ كُلُّ شَيْءٍ أَكْرَمَهُ .

ارتدَّ بعد إسلام ، أوزَنِي بعد إحصان^(١) أو قتل مؤمنا على عمْد ، أو رجلٍ
عدَا على الناس بسيفه ، فكان في امتناعهم منه عَطْبُهُ^(٢) ، ومع اجتماعهم
على ألا يُقتل من هذه الأمة مُوَلٍّ ، ولا يُجْهَز منها على جريح ، ثم مع ذلك
كَلِهَ ذَمُّوا^(٣) عليه وعلى أزواجه وحُرْمه ، وهو جالس في محرابه ، ومُصْحَفُه
يُلَوِّح في حجره ، لن يُرى أن موحدًا يُقدِّم على قتل من كان في مثل
صفته وحاله .

لا جَرَم^(٤) لقد احتلبُوا به دَمًا لا تطير رَغْوَتُه ، ولا تسكن فَوْرَتُه ،
ولا يموت ثأْرُه ، ولا يكِلُّ طائِبُه ، وكيف يضيِّع الله دمَ وَايَةٍ ، والمنتقم له ! ؟
وما سمِعنا بدمٍ بعد دم يحيى^(٥) بن زكريا عليهما السلام غلا غليانه ، وقتل
سافِحُه^(٦) وأدرك بطائِلَتَه ، وبلغ كل محبته ، كدَمِه ، رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم في أخذه وفي إقامته للناس ، والاقتصاص منه ، وفي بيع
ما ظهر من رباعه^(٧) وحدائقه وسائر أمواله ، وفي حبسه بما بقي عليه ، وفي
طَمْرُه^(٨) حتى لا يُحَسَّ بذكره ، ما يُغْنِيهم عن قتله إن كان قد رَكِبَ كلَّ
ما قَذَفوه به ، وادَّعَوْه عليه ، وهذا كله بحضرة جِلَّة^(٩) المهاجرين والسلف
المقدِّمين ، والأنصار والتابعين .

(١) أحسن الرجل : تزوج . (٢) أى هلاكه .

(٣) الذمر : الحُض والتهدد ، وفعله كنصر .

(٤) لاجرم : كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة ، فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى

معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقا ، فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم .

(٥) مات يحيى مقتولا - انظر تفصيل الخبر في ذلك في تاريخ الطبرى ٢ : ١٦ .

(٦) سَفَح دمه كقطعه : سفكه ، والطائِلَة : الثأر .

(٧) الرباع جمع ربع : وهو المنزل . (٨) الطمر : الخبء .

(٩) أى من عظمائهم وساداتهم وذوى الأخطار فيهم .

ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة ، ومَرَاتِبَ متباينة ، من قَاتِلٍ ،
ومن شَادٍ على عَضُدِهِ ، ومن خَاذِلٍ عن نُصْرَتِهِ ، والعاجزُ نَاصِرٌ بِإِرَادَتِهِ ، ومُطِيعٌ
بِحُسْنِ نِيَّتِهِ ، وإنما الشكُّ منَّا فيه وفي خَاذِلِهِ ، ومن أراد عَزْلَهُ والاستبدالَ به ،
فَأَمَّا قَاتِلُهُ والمُعِينُ على دَمِهِ والمُرِيدُ لذلك منه ، فَضُلَالٌ ، لاشكَّ فيهم ، ومُرَاقٍ ،
لا امتراء^(١) في حكمهم ، على أن هذا لم يعدْ منهم الفجورَ : إما على سوء تأويل ،
وإما على تعمُّد للشَّقَاءِ . ثم ما زالت الفِتَنُ متصلةً ، والحروبُ مترادفةً ، كحرب
الجلل ، وكوقائع صِفِّين ، وكيوم النهرِوان ، وقبل ذلك يوم الزابوقة^(٢) ، وفيه
اسير ابن حُنَيْفٍ^(٣) ، وقُتِلَ حَكِيمُ بن جَبَلَةَ ، إلى أن قَتَلَ أشقاها^(٤) على بن أبي
طالب ، رضوان الله عليه ، فأُسْعِدَهُ اللهُ بالشهادة ، وأوجب لقاتله النارَ واللَّعْنَةَ ،
إلى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروبَ ، وتخلَّيته الأمورَ ، عند
انتشار أصحابه ، وما رأى من الخللِ في عسكره ، وما عَرَفَ من اختلافهم على
أبيه ، وكثرة تلَوْنِهِم عليه ، فعندها استوى معاوية على الملك ، واستبد على بقية
الشُّوْرى ، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين ، في العام الذي سَمَّوه
عامَ^(٥) الجماعة ، وما كان عامَ جماعة ، بل كان عامَ مُرْقة وقَهْرٍ وجَبَرِيَّةٍ وغلْبةٍ ،
والعامَ الذي تحولت فيه الإمامةُ ملكاً كِسْرَوِيًّا ، والخلافةُ غَضْبًا قَيْصَرِيًّا ،
ولم يعدْ ذلك أجمع الضلالَ والفسقَ ، ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حَكَيْنَا

(١) أى لاشك .

(٢) الزابوقة : موضع قريب من البصرة ، كانت فيه وقعة الجمل أوله النهار .

(٣) أى عثمان بن حنيف ، وقد تقدم خبر ذلك في الجزء الأول ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٤) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله .

(٥) هو عام ٤١ هـ إذ اجتمع الناس على معاوية وبايعه أهل الأمصار كلها .

وعلى منازل مارتبنا ، حتى رد قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوفاً ، وجحد حكمه جحدا ظاهراً ، في ولد الفراش وما يجب للماهر^(١) ، مع اجتماع الأمة أن سميّة لم تكن لأبي سفيان فراشا ، وأنه إنما كان بها عاهراً ، فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار ، أوليس قتل حُجْر^(٢) ابن عديّ ، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر ، وبيعة يزيد الخليع ، والاستئثار بالنبي ، واختيار الولاة على الهوى ، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة ، من جنس جحد الأحكام المنصوصة ، والشرائع المشهورة ، والسنة المنصوبة ؟ وسواء في باب ما يستحق من الكفار ، جحد الكتاب ، ورد السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ، إلا أن أحدهما أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد ، فهذه أول كفره كانت من الأمة ، ثم لم تكن إلا فيمن يدعى إمامتها والخلافة عليها ! على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره ، وقد أُرِبت^(٣) عليهم نايّة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، فقالت : « لا تسبوه فإن له صحبة ! وسب معاوية بدعة ، ومن يبغضه فقد خالف السنة » فزعمت أن من السنة ترك البراءة ممن جحد السنة ! ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن عماله وأهل نصرته ، ثم غزو مكة ، ورعى الكعبة^(٤)

(١) يعني استلحاقه زيادا وقد تقدم خبر ذلك في الجزء الثاني ص ٣٢ .

(٢) انظر الجزء الثاني ص ٤٦ .

(٣) أُرِبت : زادت . والنايّة : الناشئة .

(٤) يعني غزو مكة في عهد يزيد . سار إليها حصين بن غير السكوني في جيش من أهل الشام بعد فراغهم من وقعة الحرة بالمدينة لقتال عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ ، وقد قذفوا البيت الحرام بالجانيق وحرقوه بالنار ، وأخذوا يرتجزون ويقولون .

خطارة مثل الفتيق المزبد نرى بها أعواد هذا المسجد

واستباحة المدينة^(١) ، وقتل الحسين^(٢) عليه السلام في أكثر أهل بيته ، مصاييح الظلام ، وأوتاد الإسلام ، بعد الذي أعطى من نفسه ، من تفريق أتباعه ، والرجوع إلى داره وحرمة ، أو الذهاب في الأرض حتى لا يحس به ، أو المقام حيث أمر به ، فأبوا إلا قتله ، والنزول على حكمهم ، وسواهم قتل نفسه بيده ، أو أسامها إلى عدوه ، وخير فيها من لا يبرد غليله إلا بشرب دمه ، فأحسبوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة وهتك الحرمه ليس بحجة ، كيف تقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام ، وقبلة المسلمين ؟ فإن قلتم ليس ذلك أرادوا ، بل إنما أرادوا المتحرز به^(٣) ، والمتحصن بحيطانه ، أها كان في حق البيت وحرمة أن يحصروه فيه ، إلى أن يعطى بيده ؟ وأي شيء بقي من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه ؟ واحسبوا ما رَوَوْا عليه من الأشعار ، التي قولها شرك ، والتمثل بها كُفر ، شيئاً مصنوعاً ، كيف تصنع بنقر القضيب بين ثنيتي الحسين^(٤) عليه السلام ، وتحمّل بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حواشٍ على الأفتاب العارية^(٥) ، والإبل

(والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب ، لكرامته على أهله) - انظر تاريخ الطبري

٧ : ١٤ - .

(١) يشير إلى وقعة الحرة . انظر الجزء الثاني ص ٩٧ .

(٢) انظر الجزء الثاني ص ٩٢ .

(٣) هو عبد الله بن الزبير .

(٤) وذلك أنه لما وجهه عبيد الله بن زياد آل الحسين عليه السلام إلى يزيد بدمشق ، ومثلوا بين

يديه ، أمر برأس الحسين فأبرز في طست ، فجعل ينكت ثناياه بقضيب في يده ، ويقول :

* ليت أشياخي يبدر شهدوا ... * الأبيات .

(٥) حواش : جمع حاسر ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين حاسر . الأفتاب : جمع قتب بالتحريك ،

وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير .

الصعاب . والكشف عن عورة علي بن الحسين عند الشك في بلوغه : على أنهم إن وجدوه وقد أثبت^(١) قتلوه ، وإن لم يكن أثبت حملوه ، كما يصنع أمير جيش المسلمين بذراريّ المشركين ، وكيف تقول في قول عبيد الله بن زياد لإخوته وخاصته : دُعُونِي أَقْتُلْهُ ، فإنه بقية هذا النسل ، فأحسم به هذا القرن ، وأميّت به هذا الداء ، وأقطع به هذه المادة .

خبرونا ! علام تدلّ هذه القسوة ، وهذه الغلظة ، بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم ، ونالوا ما أحبوا فيهم ؟ أتدلّ على نصب^(٢) وسوء رأيٍ وحقد وبغضاء ونفاق ، وعلى يقين مدخول ، وإيمان مخروج ، أم تدلّ على الإخلاص ، وعلى حبّ النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفظ له ، وعلى براءة السّاحة وصحة السريرة ؟ فإن كان ما وصفنا لا يعدّو الفسق والضلال - وذلك أدنى منازل - فالفاسق ملعون ، ومن نهى عن [سب^(٣)] الملعون فلعون .

(١) أثبت الغلام : ثبت عاتيه ، جاء في تاريخ الطبري ٦ : ٢٦٣ .
« أنه لما عرض علي بن الحسين على عبيد الله بن زياد ، قال له : ما اسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين قال : أولم يقتل الله علي بن الحسين ؟ فسكت . فقال له ابن زياد : مالك لا تتكلم ؟ قال : قد كان لي أخ يقال له أيضا علي فقتله الناس ، قال : إن الله قد قتله ، فسكت علي ؟ فقال له : مالك لا تتكلم ؟ قال : « الله يتوفّي الأنفس حين موتها » « ومّا كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله »
قال : أنت والله منهم ويحك ! انظروا هل أدرك ؟ والله إني لأحسبه رجلا ، فكشف عنه مرّتين بن معاذ الأحمريّ ، فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اقتله ، فقال علي بن الحسين : من توكل بهؤلاء النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته ، فقالت : يا ابن زياد . حسبك منا ، أما رويت من دماثنا ؟ وهل أبقيت منا أحدا ؟ فاعتنقته فقالت : أسألك بالله إن كنت مؤمنا إن قتلت لما قتلتني معه ، وناداه على فقال : يا ابن زياد ، إن كانت بينك وبينهم قرابة فابعث معهم رجلا تقيا يصحبهم بصحبة الإسلام ، فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى القوم ، فقال : عجبا للرحم ! والله إني لأظنها ودت لو أتي ثنته أتي قتلها معه ، دعوا الغلام ، اطلق مع نسائك » .

(٢) نصب له : عاداه ، وأهل النصب : المندنيون ببغضة على رضى الله عنه ، لأنهم نصبوا له .

(٣) في الأصل « نهى » محل هذه الكلمة ، والسياق يقتضى ما ذكرته .

وزعمت نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا : أن سبّ وُلَاةِ السُّوءِ فِتْنَةٌ ،
ولَعَنَ الْجَوْرَةَ بِدْعَةٌ ، وإن كانوا يأخذون السَّمِيَّ بالسَّمِيَّ ، والوَلِيَّ بِالوَلِيِّ ^(١)
والقريبَ بالقريب ، وأخافوا الأولياءَ ، وأمَّنوا الأعداءَ ، وحَكَمُوا بالشفاعةِ
والهَوَى ، وإظهارِ الغَدْرَةِ والتهاونِ بالأُمةِ ، والقَمْعِ للرعية ، وأنهم في غير
مداراة ولا تَقِيَّةٍ . وإنَّ عَدَاذَكَ إِلَى الْكُفْرِ ، وجاوز الضلال إلى الجَحْدِ ، فذاك
أَضَلُّ مِمَّنْ كَفَّ عَنْ شَتْمِهِم والبراءَةِ مِنْهُمْ ، على أنه ليس مَنْ استحق اسم
الكفر بالقتل ، كمن استحقه بردُّ السنة وهدم الكعبة ، وليس مَنْ استحق اسم
الكفر بذلك ، كمن شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ ، وليس مَنْ استحق الكفر بالتشبيه كمن
استحقه بالتجوير ^(٢) ، والنابِتَةُ فِي هَذَا الْوَجْهِ أَكْفَرُ مِنْ يَزِيدَ وَأَيُّهُ ، وإِنْ

(١) يمرض يزيد ابن أبيه إذ يقول في خطبته البتراء : « ولاني أقسم بالله لأخذنّ الولي بالمولي ... »
انظر جمهرة خطب العرب ٢ : ٢٥٨ وبالحجاج إذ يقول في كتابه إلى المهلب : « فإني أرى أن آخذ
الولي بالولي ، والسعي بالسعي » انظر الجزء الثاني من ١٦٤ من جمهرة رسائل العرب .

(٢) جوهره : نسبة إلى التجوير ، وفيه تعريض بغير المعتزلة ، وكان المعتزلة يسمون أنفسهم أهل
العدل لقولهم بعدل الله وحكمته ، قال الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ : ص ٥٢ : « واتفق
المعتزلة على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على مايفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة ،
والرب تعالى منزّه أن يضاف إليه شر أو ظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لوخلق الظلم كان ظالما ،
كما لوخلق العدل كان عادلا ، واتفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصالح والخير ، ويجب من حيث
الحكمة رعاية مصالح العباد ، ومموا هذا النمط عدلا » اهـ . وجاء أيضا في مروج الذهب ج ٢ :
ص ١٩٠ في تفسير الأصول الخمسة التي يذهب إليها المعتزلة : « وأما القول بالعدل - وهو الأصل
الثاني - فهو أن الله لايجب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه ،
بالقدرة التي جعلها الله لهم ، وركبها فيهم ... الخ » ومن ذلك ترى أنهم ينزهون الله تعالى عن أن
يقدر على العبد المعصية ثم يعذبه عليها ، بل العبد هو الذي يفعل أفعاله جيما بإرادته وقدرته ، ويستحق
عليها الثواب أو العقاب ، وهذا عدل منه تعالى .

ولا يغيب عنك أن الجاحظ كان من شيوخ المعتزلة وكبرائهم ، وهو تلميذ أبي إسحق إبراهيم
ابن سيار النظام ، المعتزلي المشهور ، وقد نصر الجاحظ مذهب المعتزلة بفصاحته وكتبه البليغة حتى صار
لسان المعتزلة في زمانه ، وكان رئيس فرقة منهم نسبت إليه ، فسميت « الجاحظية » - انظر الملل
والنحل ١ : ٨٠ وسرح العيون ص ١٧٠ ووفيات الأعيان .

زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضاً على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبيري (١) :

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهِيدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ (٢)

لَا سَتَظَارُوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا زَيْدُ لَا تَمُتْ (٣)

قَدْ قَتَلْنَا الْعُرَّ مِنْ سَادَاتِهِمْ وَعَدَلْنَا يَبْدُرُ فَاعْتَدِلْ (٤)

كَانَ تَجْوِيرُ النَّابِئِ لِرَبِّهِ ، وَتَشْبِيهُهُ بِخَدْقِهِ ، أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ وَأَفْظَعَ ، عَلَى أَنَّهُمْ يُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّهُ : مُلْعُونٌ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا ، مَتَمِّدًا أَوْ مَتَأَوِّلًا ، فَإِذَا كَانَ الْقَاتِلُ سُلْطَانًا جَائِرًا ، أَوْ أَمِيرًا حَاصِبًا ، لَمْ يَسْتَحِيلُوا سَبَّهُ وَلَا خَلْعَهُ وَلَا نَفْيَهُ وَلَا عَيْبَهُ ، وَإِنْ أَخَافَ الصُّلَحَاءُ ، وَقَتَلَ الْفُقَهَاءُ ، وَأَجَاعَ الْفُقِيرَ ، وَظَلَمَ الضَّعِيفَ ، وَعَطَّلَ الْحُدُودَ وَالشُّعُورَ : وَشَرِبَ الْخُمُورَ ، وَأَظْهَرَ الْفُجُورَ ، ثُمَّ مَا زَالَ النَّاسُ يَتَسَكَّعُونَ مَرَّةً ، وَيَدَاهِنُونَهُمْ مَرَّةً ، وَيَقَارِبُونَهُمْ مَرَّةً ، وَيُشَارِكُونَهُمْ مَرَّةً ،

(١) هو عبد الله بن الزبيري ، أحد شعراء قريش المعدودين ، وكان يهجو المسلمين ، ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ، ثم أسلم فقبل النبي لإسلامه وأمنه يوم الفتح - انظر ترجمته في الأغاذه ١٤ : ١١ - وفي رواية أن يزيد تمثل بقول ابن الزبيري حينما جرى إليه برأس الحسين وآله كما قدمنا - انظر بلاغات النساء ص ٢٥ - وفي رواية أخرى أنه حين بعث إليه مسلم بن عقبة المري برءوس أهل المدينة (بعد انتصاره عليهم في وقعة الحرة سنة ٦٣) وألقيت بين يديه ، جعل يمثّل بقول ابن الزبيري المذكور ، فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارتددت عن الإسلام يا أُمَيَّةَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : بَلَى نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَا سَمَا كُنْتَكَ أَرْضًا أَبَدًا وَخَرَجَ عَنْهُ - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٥٧ .

(٢) هذا البيت من قصيدة قالها ابن الزبيري يوم أحد (وهو حينئذ مشرك) انظرها في سير ابن هشام ٢ : ١١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣٨٢ - وكانت الغلبة يوم بدر للمسلمين ويوم أحد للمشركين ، والأسل : الرماح والنبل ، والخزرج : قبيلة من الأنصار .
(٣) كل من ربح صوته فقد أهل لإهلالا ، واستهل استهلالا ، وشلت يده تشل : كتعب يتعب وأشلت وشلت مبنيين للمجهول : يبست ، وهي جملة دعائية ، وفي الأصل « لا تسلم » وهو تصحيح - وهذا البيت من قول يزيد .

(٤) في سيرة ابن هشام :

فَقَتَلْنَا الضَّعِيفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَعَدَلْنَا مِيلَ بَدْرٍ فَاعْتَدِلْ
وفي ابن أبي الحديد : فَقَتَلْنَا الضَّعِيفَ ... « وفي بلاغات النساء : « غَزَيْنَاهُمْ بِدْرٍ مِثْلَهَا » .

إِلَّا بَقِيَّةٌ مِّمَّنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، حَتَّى قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَابْنَهُ الْوَلِيدُ ، وَعَامِلُهُمَا الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسُفَ ، وَمَوْلَاهُ يُزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ، فَأَعَادُوا عَلَى الْبَيْتِ بِالْهَدْمِ ^(١) ، وَعَلَى حَرَمِ الْمَدِينَةِ بِالْغَزْوِ ^(٢) ، فَهَدَمُوا الْكَعْبَةَ ، وَاسْتَبَاحُوا الْحُرْمَةَ ، وَحَوَّلُوا قِبْلَةَ وَاسِطٍ ^(٣) ، وَأَخْرَوْا صَلَاةَ الْجُمُعَةِ إِلَى مُغَيَّرِيَانِ ^(٤) الشَّمْسِ ، فَإِنْ قَالَ رَجُلٌ لِأَحَدِهِمْ : اتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ أَخَّرْتَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا ، قَتَلَهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ جِهَارًا غَيْرَ خَتَلٍ ^(٥) ، وَعَلَانِيَةً غَيْرَ سِرٍّ ، وَلَا يُعْلَمُ الْقَتْلُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَقْبَحَ مِنْ إِنْكَارِهِ ، فَكَيْفَ يَكْفُرُ الْعَبْدُ بِشَيْءٍ وَلَا يَكْفُرُ بِأَعْظَمِ مِنْهُ ؟

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ رَجَاءً وَعَظَ الْجَبَابِرَةَ ، وَخَوَّفَهُمُ الْعَوَاقِبَ ، وَأَرَاهُمْ أَنَّ فِي النَّاسِ بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ ، حَتَّى قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ

(١) يَعْنِي مَا كَانَ مِنْ مَقَاتِلَةِ الْحِجَاجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ وَحَصَرَهُ إِيَّاهُ وَرَمَاهُ الْكَعْبَةَ بِالْمَنْجَنِيْقِ فِي عَهْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ سَنَةَ ٧٣ — انْظُرْ تَارِيخَ الطَّبْرِيِّ ٧ : ٢٠٢ (وَالْمَنْجَنِيْقُ بَفَتْحِ الْمِيمِ وَتَكْسُرِ : آلَةٌ تَرْمِي بِهَا الْحِجَارَةُ) .

(٢) بَعَثَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ سَنَةَ ٦٥ حَبِيشَ بْنَ دُلْجَةَ الْفَيْسِيَّ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلَهَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الرَّبَذَةِ (قُرْبَ الْمَدِينَةِ) وَقَدِمَ عَلَيْهِ مَدَدٌ مِنَ الشَّامِ ، وَكَتَبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى عِيَّاشِ بْنِ سَهْلٍ السَّاعِدِيِّ بِالْمَدِينَةِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى حَبِيشَ فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ وَاثَقَهُ مَدَدٌ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَنَشَبَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَقَتَلَ حَبِيشٌ وَمَنْ مَعَهُ — انْظُرِ الْعَقْدَ الْفَرِيدَ ٢ : ٢٦٣ ، وَتَارِيخَ الطَّبْرِيِّ ٧ : ٨٤ .

(٣) انْظُرْ ص ١ مِنَ الْجُزْءِ الثَّالِثِ .

(٤) أَيْ إِلَى غُرُوبِهَا ، ثَقَلُ بْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِهِ م ٣ : ص ٤٧٠ : « كَانَ بَنُو أُمَيَّةٍ يُؤَخِّرُونَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ تَشَاغُلًا عَنْهَا بِالْحُطْبَةِ ، وَيَطِيلُونَ فِيهَا إِلَى أَنْ تَتَجَاوَزَ وَقْتُ الْعَصْرِ ، وَتَكَادُ الشَّمْسُ تَصْفُرُ ، فَعَلَّ ذَلِكَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَيُزِيدُ أَخُوهُ ، وَالْحِجَاجُ عَامِلُهُمْ ، وَوَكَّلَ بِهِمُ الْحِجَاجُ الْمَسَالِحَ مَعَهُ (وَالْمَسَالِحُ جَمْعُ مَسْلُحَةٍ بِالْفَتْحِ : وَهِيَ الْقَوْمُ ذُووُ سِلَاحٍ) وَالسِّيُوفُ عَلَى رءُوسِهِمْ ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الْجُمُعَةِ فِي وَقْتِهَا ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : وَاعْجَبْنَا مِنْ أَخِيْفَشِ أَعْيَشَ ، جَاءَنَا فَفَتَلْنَا عَنْ دِينِنَا ، وَصَعَدَ عَلَى مَنْبَرِنَا ، فَيَخْطُبُ وَالنَّاسُ يَلْتَفِتُونَ إِلَى الشَّمْسِ ، فَيَقُولُ : مَا بَالُكُمْ تَلْتَفِتُونَ إِلَى الشَّمْسِ ! إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَصَلِّيُ لِلشَّمْسِ ، إِنَّمَا نَصَلِّيُ لِرَبِّ الشَّمْسِ ، أَفَلَا تَقُولُونَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، إِنْ لَكَ حَقٌّ بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ ، وَحَقٌّ بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ؟ ثُمَّ يَقُولُ الْحَسَنُ : وَكَيْفَ يَقُولُونَ ذَلِكَ ، وَعَلَى رَأْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عُلُجٌ قَائِمٌ بِالسَّيْفِ » اِقْرَأْ هُنَاكَ فَصْلًا طَوِيلًا فِي مَقَابِعِ بَنِي أُمَيَّةَ .

(٥) الْحَتْلُ : الْخُدَاعُ .

ابن مَرْوَانَ ، والحِجَاجُ بْنُ يَوْسُفَ ، فَزَجَرَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاقِبَا عَلَيْهِ ، وَقَتَلَا فِيهِ ،
فَصَارُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، فَاحْسِبْ تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ كَانَ غُلَاطًا ،
وَهَدَمَ الْبَيْتَ كَانَ تَأْوِيلًا ، وَاحْسِبْ مَا رَوَوْا مِنْ كُلِّ وَجْهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ
أَنْ خَلِيفَةَ الْمَرْءِ فِي أَهْلِهِ أَرْفَعُ عِنْدَهُ مِنْ رَسُولِهِ إِلَيْهِمْ ^(١) ، بَاطِلًا وَمُسْمُوعًا مُؤَلَّدًا ،
وَاحْسِبْ وَسْمَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ^(٢) ، وَنَقْشَ أَيْدِي الْمَسَامَاتِ ، وَرَدَّهُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ
إِلَى قِرَاهِمَ ، وَقَتْلَ الْفُقَهَاءِ ، وَسَبَّ أُمَّةِ الْهَدْيِ . وَالنَّصَبَ لِعِثْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا يَكُونُ كُفْرًا ، كَيْفَ تَقُولُ فِي جَمْعِ ثَلَاثِ صَلَوَاتٍ فِيهِنَّ
الْجُمُعَةُ ، وَلَا يُصَلُّونَ أَوْلَاهُنَّ حَتَّى تَصِيرَ الشَّمْسُ عَلَى أَعَالَى الْجُدْرَانِ كَالْمَلَاءِ
الْمُعْصَفَرِ ^(٣) ، فَإِنْ نَطَقَ مُسْلِمٌ خُبِطَ بِالسَّيْفِ ، وَأَخَذَتْهُ الْعُمْدُ ، وَشُكَّ بِالرَّمَاكِ ،
وَبِنْ قَالَ قَائِلٌ : اتَّقِ اللَّهَ ، أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَ إِلَّا بَنَثْرَ دِمَاغِهِ
عَلَى صَدْرِهِ ، وَبِصَلْبِهِ حَيْثُ تَرَاهُ عِيَالَهُ .

ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرّد على الله عز وجل ،

(١) عقد صاحب العقد الفريد ١٩ في أخبار الحجاج فصلا فيمن زعم أنه كان كافرا (ج ٣ :
ص ١٩) جاء فيه أنه قال في كلام له : « ويحكم ! أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه ، أم رسول
إليهم ؟ » وجاء في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٧٠ « وخطب الحجاج بالكوفة فذكر
الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بالمدينة فقال : تباه لهم ، إنما يطوفون بأعواد
ورمة بالية ، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله ! »
(٢) وجاء في شرح ابن أبي الحديد أيضا : « وكانت بنو أمية تتختم في أعناق المسلمين كما توسم الخيل
علامة لاستعبادهم ، ونقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم ، كما يصنع بالعلاج من الروم والحبيشة »
وجاء في تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٦ « وفي سنة ٧٤ استعمل عبد الملك الحجاج على المدينة ، فكان
يتعبث بأهلها ويتعنتهم ، واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نختم في أعناقهم ، وعن
إسحق بن يزيد أنه رأى أنس بن مالك محتوما في عنقه ، يريد أن يذله بذلك ، ودعا الحجاج سهل بن
سعد ، فقال : مامنك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال : قد فعلت ، قال : كذبت ، ثم
أمر به بنخم في عنقه برصاص . »

(٣) أي المصبوغ بالعصفر كبرقع وهو صبغ أصفر .

والاستخفاف بالدين ، والتهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحق ، أكل
أمرائهم الطعام ، وشربهم الشراب ، على منابرهم أيام جمعهم^(١) وجوعهم ،
فعل ذلك حبيش بن دجلة^(٢) ، وطارق^(٣) مولى عثمان ، والحجاج بن يوسف
وغيرهم ، وذلك إن كان كفرا كله فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا ، وروافض
دهرنا ، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك . كان اختلاف الناس في
القدر على أن طائفة تقول : كل شيء بقضاء وقدر ، وتقول طائفة أخرى :
كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي ، ولم يكن أحد يقول : إن الله يعذب
الآبناء ليغيظ الآباء ، وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان مثل العمى
والبصر ، وكانت طائفة منهم تقول : إن الله يرى ، لا تزيد على ذلك ، فإن
خافت أن يُظنَّ بها التشبيه ، قالت : يرى بلا كيف ، تقزوا من التجسيم
والتصوير ، حتى نبئت هذه النابتة ، وتكلمت هذه الرافضة . فقالت
جسما ، وجعلت له صورةً وحداً ، وأكفرت من قال بالرؤية على غير
التجسيم والتصوير .

ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسنٌ وبيّنٌ وحجة وبرهان ، وأن التوراة
غير الزبور ، والزبور غير الإنجيل ، والإنجيل غير القرآن ، والبقرة غير

(١) وجاء في شرح ابن أبي الحديد أيضاً : « وكانت خطباء بني أمية تأكل وتشرب على المنبر يوم
الجمعة ، لإطاعتهم في الخطبة ، وكان المسلمون تحت منبر الخطبة يأكلون ويشربون » .

(٢) في الأصل « حسن » وهو تحريف ، وقد قدمنا لك أن عبد الملك بعثه في جيش إلى المدينة ،
فلما دخلها جلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بخبز ولحم فأكل ، ثم دعا بماء
فتوضأ على المنبر - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٦٣ .

(٣) هو طارق بن عمرو ، مولى عثمان ، ولاد عبد الملك المدينة سنة ٧٣ هـ ، فوليها خمسة أشهر ،
ثم عزله عنها واستعمل عليها الحجاج سنة ٧٤ هـ - انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

آل عمران ، وأن الله تولى تأليفه ، وجعله بُرْهَانَهُ على صدق رسوله ، وأنه لو شاء أن يزيده فيه زاد ، ولو شاء أن ينقص منه نقص ، ولو شاء أن يبدله بدله ، ولو شاء أن ينسخه كله بغيره لَنَسَخَهُ ، وأنه نزله تنزيلا . وأنه فصله تفصيلا ، وأنه بالله كان دون غيره ، ولا يقدر عليه إلا هو ، غير أن الله مع ذلك كله لم يَخْلُقْهُ ، فَأَعْطَوْا جميع صفات الخلق ، وَمَنَعُوا اسمَ الخلق .

والمعجب أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه ، فلذا قالوا : خلق كذا وكذا ، ولذلك قال : « أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » وقال : « وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً » وقال : « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ » فقالوا : صَنَعَهُ وَجَمَلَهُ وَقَدَّرَهُ ، وأنزله وفصله وأحدثه ، وَمَنَعُوا « خَلَقَهُ » وليس تأويلُ « خَلَقَهُ » أكثر من « قَدَّرَهُ » ولو قالوا بدل قولهم « قَدَّرَهُ ولم يخلقه » : « خَلَقَهُ ولم يُقَدِّرَهُ » ما كانت المسألة عليهم إلا من وجه واحد . والمعجب أن الذي مَنَعَهُ بَرَعِهِ أن يزعم أنه مخلوق ، أنه لم يسمع ذلك من سلفه ، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضا من سلفه أنه ليس بمخلوق ، وليس ذلك يَهُمُّ ، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفَتَيْنِ ، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ، ولَمَّا كُنَّا عندهم على غير هذه الصفة ، وكُنَّا لِكَلَامِنَا غير خالقين ، وَجَبَ أن الله عز وجل لكلامه غير خالق ، إذ كُنَّا لِكَلَامِنَا غير خالقين ، فإِنَّمَا قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وإن لم يُقَرِّوا بذلك بالسنتهم ، فذلك معناه وقصدهم .

وقد كانت هذه الأمة لا تُجاوز معاصيها الإثم والضلال ، إلا ما حكيَتْ لك عن بنى أمية وبنى مروان وعمّالهم ، ومن لم يدين بكفارهم ، حتى نجّمت النوايت ، وتابعتها هذه العوام ، فصار الغالب على هذا القرن الكفر ، وهو التشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى في الأعمال التي هي الفسق ، وصاروا شركاء^(١) من كفر منهم بتوليهم وتركها كفارهم ، قال الله عز وجل من قاتل « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ » .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحققين ، ورحمهم ، وقوّى ضعفهم ، وكثّر قلتهم ، حتى صار ولاة أمرنا في هذا الدهر الصعب ، والزمن الفاسد ، أشدّ استبصارا في التشبيه من علينا ، وأعلم بما يلزم فيه منا ، وأكشف للقناع من رؤسائنا ، وصادفوا^(٢) الناس وقد انتظموا معان^(٣) الفساد أجمع ، وبلغوا فايات البدع ، ثم قرنوا بذلك العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم ، والحمية التي لا تبقى ديننا إلا أفسدته ، ولا دنيا إلا أهلكتها ، وهو ما صارت إليه المعجم من مذهب الشعوذية^(٤) ، وما قد صار إليه الموالى من الفخر على العجم والعرب ، وقد نجّمت من الموالى ناجمة ، ونبتت منهم نابتة ، تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيا ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مَوَلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ » ولقوله : « الْوَلَاءُ لِحُكْمِهِ »^(٥) كلحمة النسب ، لا يباع ولا يوهب » قال : فقد علمنا

(١) في الأصل « وشركاء » .

(٢) في الأصل : « وصادفوا » وهو تحريف .

(٣) المعان : الباءة والمنزل .

(٤) هم محقرو أمم العرب .

(٥) اللحمة : القرابة .

أن المعجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ، ولما حوّل ذلك إلى العرب صارت العرب أشرفَ منهم ، قالوا : فنحن معاشرَ الموالى - بقَدِّعنا في المعجم - أشرفُ من العرب ، - وبالحديث الذي صار لنا في العرب - أشرفُ من المعجم ، وللعرب القديمُ دون الحديث ، ولنا خَصْلَتان جميعا وافرتان فينا ، وصاحبُ الخَصْلَتَيْنِ أَفْضَلُ من صاحبِ الخَصْلَةِ ، وقد جعل الله المولى - بعد أن كان عجميا - عريبا بولائه ، كما جعل حَلِيفَ قريش من العرب قُرَشِيًّا بِحِلْفِهِ ، وجعل إسماعيل - بعد أن كان أعجميا - عريبا ، ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن إسماعيل كان عريبا » ما كان عندنا إلا أعجميا ، لأن الأعجمي لا يصير عريبا ، كما أن العربي لا يصير أعجميا ، فإنما علمنا أن إسماعيل صَيَّرَهُ الله عريبا بعد أن كان أعجميا ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم : فَكَذَلِكَ حُكْمُ قَوْلِهِ « مولى القوم منهم » وقوله « الولاء لِحُمة » قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أبًا لمن لم يلد ، كما جعله أبًا لمن ولد ، وجعل أزواجَ النبي أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) - ولم يَلِدَنَّ مِنْهُمْ أَحَدًا - وجعل الجارَ والدَ مَنْ لَمْ يَلِدْ فِي قَوْلٍ ، وغير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس أدعى إلى الفساد ، ولا أَجْلَبَ للشرِّ من المفاخرة ، وليس على ظهرها إلا نخور - إلا قليل - وأىُّ شَيْءٍ أَغْيِظُ مَنْ أَنْ يَكُونَ عَبْدُكَ يزعم أنه أشرف منك - وهو مُقَرَّرٌ أَنَّهُ صَارَ شَرِيفًا بِعِتْقِكَ إِيَّاهُ - ؟ .

وقد كتبتُ - مَدَّ الله في عُمرِكَ - كتبًا في مفاخرة قَحْطَانَ ، وفي

(١) قال تعالى : « النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » .

تفضيل عَدْنَان . وفي ردِّ الموالى إلى مكانهم من الفضل والنقص ، وإلى قَدْرِ ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عَدْلًا بينهم ، وداعيةً إلى صلاحهم ، وَمَنْبَهَةً عليهم ولهم ، وقد أردتُ أن أُرْسِلَ بالجزء الأول إليك ، ثم رأيتُ ألا يكون إلا بعد استئذانك واستئثارك^(١) ، والانتهاء في ذلك إلى رغبتك ، فرأيك فيه مُوَفَّقٌ إن شاء الله عز وجل وبه الثقة^٢ : « رسالة للاجأظ في بني أُمِيَة (٢) » .

٧٠ - رسالة أبي العاص^(٣) بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن جلوسك إلى الأصمعي^(٤) ، ومُعْجَبِكَ بِسَهْلِ بن هُرُون ، واسترجاحك إسماعيلَ بن غَزْوَانَ ، وطعنك على مُوَيْسِ بن عِمْرَانَ ، وخِاطَتَكَ^(٥) بَابِ مُشَارِكِ ، واختلافك إلى ابن التَّوَّعِم ، وإكشارك مِن ذِكْرِ المال وإصلاحه ، والقيام عليه واصطناعه . وإطنابك في وصف الترويح والتمهير^(٦) ، وحسن التعهد والتوفير ، دليلٌ على خبيءِ سُوءٍ ، وشاهدٌ على عيبٍ وإدبارٍ ، بعد أن كنت تستثقلُ ذكرهم ، وتستشنعُ

(١) الاستئثار : المشاورة .

(٢) رسالة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٨٥٥ أدب .

(٣) ذكره صاحب الأغاني في خلال ترجمة محمد بن منذر - إذ كان أخوه عبد المجيد بن عبد الوهاب

صديقاً حميلاً لابن منذر - انظر ج ١٧ : ص ١٢ .

(٤) هو الراوية المشهور ، وكان بخيلاً ، توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٥) الخلطة بالكسر : العشرة (وبالضم : الشركة) .

(٦) مُر ماله : نماء وكثره .

فَعَلَمَهُمْ ، وَتَتَعَجَّبُ مِنْ مَذْهَبِهِمْ ، وَتُسْرِفُ فِي ذَمِّهِمْ ، وَلَيْسَ يَلْتَمِزُ بِذِكْرِ الْجَمْعِ^(١) إِلَّا مَنْ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْجَمْعِ ، وَلَا يَأْتِي بِالْبَخْلَاءِ إِلَّا الْمُسْتَوْحِشُ مِنَ الْأَسْخِيَاءِ ، وَفِي تَحْفِظِكَ قَوْلَ سَهْلِ بْنِ هُرُوفٍ : فِي الْإِسْتِعْدَادِ فِي حَالِ الْمُهْلَةِ ، وَفِي الْأَخْذِ بِالثِقَةِ^(٢) ، وَأَنْ أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ مَا جَاءَ مَعَ طَوْلِ الْمُدَّةِ ، وَأَنْ الْحَزْمَ كُلَّ الْحَزْمِ ، وَالصَّوَابَ كُلَّ الصَّوَابِ ، أَنْ تَسْتَظْهَرَ عَلَى الْخَدَّائِ^(٣) ، وَأَنْ تَجْمَلَ مَا فَضَلَ عَنْ قِوَامِ الْأَبْدَانِ ، رِدَّةً^(٤) دُونَ صُرُوفِ الزَّمَانِ ، وَأَنَا لَا تُنْسَبُ إِلَى الْحِكْمَةِ ، حَتَّى نَحْوَطَ أَصْلَ النِّعْمَةِ ، بَأَنْ نَجْعَلَ دُونَ فَضُولِهَا جَنَّةً^(٥) ، شَاهِدٌ^(٦) عَلَى عُجْبِكَ بِمَذْهَبِهِ ، وَبِرَهَانٍ عَلَى مِيلِكَ إِلَى سَبِيلِهِ ، وَفِي اسْتِحْسَانِكَ رَوَايَةَ الْأَصْمَى فِي : « أَنْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَالْفُقَرَاءُ ، وَأَنْ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلَهُ وَالْأَغْنِيَاءُ ، وَأَنْ أَرْبَابَ الدُّثُورِ هُمُ الَّذِينَ ذَهَبُوا بِالْأَجُورِ^(٧) » بِرَهَانٍ^(٨) عَلَى صِحَّةِ حُكْمِنَا عَلَيْكَ ، وَدَلِيلٌ عَلَى صَوَابِ رَأْيِنَا فِيكَ ، وَفِي تَفْضِيلِكَ^(٩) كَلَامَ ابْنِ غَزْوَانَ حِينَ قَالَ : تَنْعَمْتُمْ بِالطَّعَامِ الطَّيِّبِ ، وَبِالْثِيَابِ الْفَاخِرَةِ ، وَبِالشَّرَابِ الرَّقِيقِ ، وَبِالْفِنَاءِ الْمُطْرَبِ ، وَتَنْعَمُنَا

(١) أَيْ جَمْعُ الْأَمْوَالِ .

(٢) أَيْ بِادْخَالِ مَا يُمْكِنُ ادْخَالُهُ حَتَّى يَثِقَ الْمَرْءُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى مَكَالِفَةِ الْخَطُوبِ إِنْ نَزَلَتْ بِهِ .

(٣) تَسْتَظْهَرُ : تَسْتَعِينُ ، وَالْخَدَّائِ : حَوَادِثُ الدَّهْرِ وَنَوْبِهِ .

(٤) الرَّدَّةُ : الْعَوْنُ وَالْمَادَّةُ .

(٥) الْجَنَّةُ : الْوَقَايَةُ .

(٦) مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ « فِي تَحْفِظِكَ » .

(٧) جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : « وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ

بِالْأَجُورِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَاحِدُ الدُّثُورِ دُثْرٌ بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ ، يُقَالُ : هُمْ أَهْلُ دُثْرٍ وَدُثُورٍ ، وَمَالٌ دُثْرٌ » .

(٨) مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ : « فِي اسْتِحْسَانِكَ » .

(٩) مَعْطُوفٌ عَلَى الْخَبَرِ السَّابِقِ .

بِعِزِّ الثَّرْوَةِ ، وَبِصَوَابِ النَّظَرِ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَبِكَثْرَةِ الْمَالِ ، وَالْأَمْنِ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَمِنْ ذَلِ الرِّغْبَةِ إِلَى الرِّجَالِ ، وَالْمَجْزِ عَنْ مَصْلَحَةِ الْعِيَالِ ، فَتَلِكْ لَدَّتْكُمْ ، وَهَذِهِ لَدَّتْنَا ، وَهَذَا رَأَيْنَا فِي التَّسَلُّمِ مِنَ الذَّمِّ ، وَذَاكَ رَأَيْكُمْ فِي التَّعَرُّضِ لِلْحَمْدِ ، وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالْحَمْدِ السَّلِيمِ الْفَارِغُ الْبَالِ ، وَيُسَرُّ بِاللذَّاتِ الصَّحِيحِ الصَّادِقِ الْحَسِّ ، فَأَمَّا الْفَقِيرُ فَمَا أَغْنَاهُ عَنِ الْحَمْدِ ، وَأَفْقَرُهُ إِلَى مَا بِهِ يَجِدُ طَعْمَ الْحَمْدِ ، وَالطَّعَامُ الَّذِي آثَرْتُمُوهُ يَعُودُ رَجِيعاً^(١) ، وَالشَّرَابُ يَصِيرُ بَوْلًا ، وَالْبِنَاءُ يَعُودُ نَقْضًا^(٢) ، وَالْغِنَاءُ^(٣) رِيحٌ هَابَةٌ ، وَمُسْتَقِطٌ لِلْمُرُوءَةِ ، وَسَخَافَةٌ تُفْسِدُ ، وَرَنَّةٌ تُسِيرُ^(٤) ، فَلَدَّتْكُمْ فِيْمَا حَوَى لَكُمْ الْفَقْرَ وَتَقْضَى الْمُرُوءَةَ ، وَلَدَّتْنَا فِيْمَا حَوَى لَنَا الْغِنَى وَبَنَى الْمُرُوءَةَ ، فَنَحْنُ فِي بِنَاءٍ ، وَأَنْتُمْ فِي هَدْمٍ ، وَنَحْنُ فِي إِبْرَامٍ ، وَأَنْتُمْ فِي نَقْضٍ ، وَنَحْنُ فِي التَّمَاسِ الْمَزِ الدَّائِمِ مَعَ قُوَّةٍ بَعْضُ اللَّذَّةِ ، وَأَنْتُمْ فِي التَّعَرُّضِ لِلذَّلِّ الدَّائِمِ مَعَ قُوَّةٍ كُلِّ مُرُوءَةٍ ، وَقَدْ فَهَمْنَا مَعْنَى حِكَايَتِكَ ، وَمَا لَهَجْتَ بِهِ مِنْ رَوَايَتِكَ ، وَالْدَّلِيلُ عَلَى انْتِقَاضِ طِبَاعِكَ ، وَإِدْبَارِ أَمْرِكَ ، اسْتِحْسَانُكَ خِدًّا مَا كُنْتَ تَسْتَحْسِنُ ، وَعَشِيقُكَ لِمَا لَمْ تَزَلْ تَقُتُّ ، فَبُعْدًا وَسُحْقًا . وَلَا يَبْعُدُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ، وَالشَّاعِرُ أَبْصَرُ بِكُمْ حَيْثُ يَقُولُ :

فَإِنْ سَمِعْتَ بِهَيْلِكَ لِلْبَخِيلِ فَقُلْ بُعْدًا وَسُحْقًا لَهُ مِنْ هَالِكٍ مُودِي^(٥)
شُرَاؤُهُ جَنَّةٌ لِلْوَارِثِينَ إِذَا أَوْدَى وَجُثْمَانُهُ لِلتُّرْبِ وَالْدُّودِ

(١) الرجيع : الروث .

(٢) النقض : المنفوس ، وهو البناء المهدوم .

(٣) في بعض النسخ « والثناء » .

(٤) أى تذهب في الهواء وتزول .

(٥) أودى : هلك .

وقال آخر :

تَبَلَّى مُحَاسِنُ وَجْهِهِ فِي قَبْرِهِ وَالْمَالُ بَيْنَ عَدُوِّهِ مَقْسُومُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمَتِّنِي حَتَّى أُرَانِيكَ وَكَيْلًا فِي مَالِكَ^(١) ، وَأَجِيرَا
لِوَارِثِكَ ، وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَعَجَّلْتَ الْفَقْرَ قَبْلَ أَوَانِهِ ، وَصَرْتَ كَالْمَجْلُودِ فِي
غَيْرِ لَذَّةٍ ، وَهَلْ تَرِيدُ حَالًا مَنْ أَتَّفَقَ جَمِيعُ مَالِهِ ، وَرَأَى الْمَكْرُوهَ فِي
عِيَالِهِ ، وَظَهَرَ فَقْرُهُ ، وَشِمِتَ بِهِ عَدُوُّهُ ، عَلَى أَكْثَرِ مِمَّنْ انْصَرَفَ الْمُؤْنِسِينَ
عَنْهُ ، وَعَلَى بُغْضِ عِيَالِهِ ، وَعَلَى خُشُونَةِ الْمَلْبَسِ وَخُشُونَةِ الْمَأْكَلِ ،
وَهَذَا كُلُّهُ مُجْتَمِعٌ فِي مَسْكَ^(٢) الْبَخِيلِ ، وَمُصْصَبُ^(٣) عَلَى هَامَةٍ^(٤)
الشَّحِيحِ ، وَمُعْجَلٌ لِلثِّيمِ ، وَمُلَازِمٌ لِلْمَنْوَعِ ، أَلَا إِنَّ الْمُنْفِقَ قَدْ رَجَحَ الْمَحْمُودَةُ ،
وَتَمَتَّعَ بِالنِّعَةِ ، وَلَمْ يَعْطِلْ الْمَقْدُورَةَ^(٥) ، وَوَقَّى كُلَّ خَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ حَقَّهَا ، وَوَقَّى
عَلَيْهَا نَصِيبَهَا ، وَالْمُسْكُ مَعَذَّبٌ بِمَحْضَرِ نَفْسِهِ ، وَبِالْكَدِّ لغيرِهِ ، مَعَ لُزُومِ
الْحُجَّةِ ، وَسَقُوطِ الْهَمَةِ ، وَالتَّعَرُّضِ لِلذَّمِّ وَالْإِهَانَةِ ، وَمَعَ تَحْكِيمِ الْمِرَّةِ^(٦)
السُّودَاءِ فِي نَفْسِهِ ، وَتَسْلِيْطِهَا عَلَى عِرْضِهِ ، وَتَحْكِيمِهَا مِنْ عَيْشِهِ وَسُرُورِ قَلْبِهِ ،
وَلَقَدْ سَرَى إِلَيْكَ عِرْقُ^(٧) ، وَلَقَدْ دَخَلَ أَعْرَاقُكَ جَوْزُ^(٨) ، وَلَقَدْ عَمِلَ فِيهَا قَادِحُ^(٩) ،

(١) أَى وَكَيْلًا فِي مَالِكَ لَوْرَثِكَ ، لَا تَنْتَفِعُ بِهِ انْتِفَاعَ الْمَالِكِ .

(٢) الْمَسْكُ : الْجِلْدُ ، وَالْمُرَادُ النَّفْسُ .

(٣) الْهَامَةُ : الرَّأْسُ ، وَالْجَمْعُ هَامٌ .

(٤) أَى لَمْ يَعْطِلْ الْمَقْدُورَةَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَكَسْبِ الثَّنَاءِ .

(٥) الْمِرَّةُ : الزَّجَاجُ ، وَالزَّجَاجُ الْأَسْوَدُ : هُوَ الْمَزَاجُ الْمُضْطَرِبُ الْكَثِيرُ الْخَوَافِ وَالْوَسَاوِسُ .

(٦) أَى انْدَسَ فِي أَعْرَاقِ نَفْسِكَ عِرْقُ خَسِيسٍ لَيْسَ مِنْهَا .

(٧) الْمُرَادُ بِالْجَوْزِ هُنَا الْإِبْتِعَادُ عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ .

(٨) الْقَادِحُ : أَكَالُ يَقَعُ فِي الشَّجَرِ وَالْأَسْنَانِ ، وَالْقَادِحُ : الْعَفَنُ ، يَقُولُ : أَصِيبَتْ هَذِهِ الْأَعْرَاقُ
وَالصِّفَاتُ بِعَلَاةٍ قَضَتْ عَلَيْهَا .

وَلَقَدْ غَالَهَا غُولٌ، وما هذا المذهبُ من أخلاقِ صَحِيمٍ ثَقِيفٍ، ولا من شَيْمٍ
أَعْرَقَتْ^(١) فيها قريشٌ، ولقد عَرَضَ لَكَ إِقْرَافٌ^(٢)، ولقد أَفْسَدَتْكَ
هَجْنَةٌ^(٣)، ولقد قال معاوية: «من لم يكن من بنى عبد المطلب جَوَادًا فهو
دَخِيلٌ^(٤)»، ومن لم يكن من آل الزبير شجاعا فهو لَزِيقٌ^(٥)، ومن لم يكن
من بنى المُعْبِرَةِ تَيَّاهًا فهو سَفِيدٌ^(٦). وقال سَلَمٌ بن قُتَيْبَةَ: «إِذَا رَأَيْتَ الثَّقَفِيَّ
يَعِزُّ مِنْ غَيْرِ إِطْعَامٍ^(٧)، وَيَكْسِبُ لَغِيرِ إِتْفَاقٍ، فَهَرِّجْهُ^(٨) ثُمَّ هَرِّجْهُ ثُمَّ هَرِّجْهُ»
وقال ابن أبي بُرْدَةَ: «لَوْ لَا شَبَابُ ثَقِيفٍ وَسَفَهَاؤُهُمْ، مَا كَانَ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ
مَالٌ^(٩)» إِنْ اللَّهُ جَوَادٌ لَا يَتَّخِلُ، وَصَدُوقٌ لَا يَكْذِبُ، وَوَفِيٌّ لَا يَغْدِرُ، وَحَلِيمٌ
لَا يَعْجَلُ، وَعَدْلٌ لَا يَظْلِمُ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِالْجُودِ، وَنَهَانَا عَنِ الْبَخْلِ، وَأَمَرْنَا بِالْصَّدَقِ
وَنَهَانَا عَنِ الْكُذْبِ، وَأَمَرْنَا بِالْحِلْمِ، وَنَهَانَا عَنِ الْعَجَلَةِ؛ وَأَمَرْنَا بِالْعَدْلِ، وَنَهَانَا عَنِ
الظُّلْمِ، وَأَمَرْنَا بِالْوَفَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْغَدْرِ، فَلَمْ يَأْمُرْنَا إِلَّا بِمَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ
يَرْجُرْنَا إِلَّا عَمَّا لَمْ يَرْضَهُ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ: إِنْ اللَّهُ أَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ،
وَأَعْجَدُ الْأَعْجَدِينَ، كَمَا قَالُوا: أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، وَقَالُوا
فِي التَّأْدِيبِ لِسَائِلِهِمْ، وَالتَّعْلِيمِ لِأَجْوَادِهِمْ: لَا تَجَاوِزُوا^(١٠) اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ جَلُّ

(١) صارت عريقة في الكرم .

(٢) المقرف : من كانت أمه عريية وأبوه أعجمي ، والمراد بالإقراف هنا ما يشبه الإقراف : أى كأنك لم تكن عريباً صمياً .

(٣) الهجنة : أن تكون الأم غير عربية والأب عربياً .

(٤) الدخيل : من يعيش بين القوم وليس منهم .

(٥) من لزم بلسب قوم وليس منهم .

(٦) السفيد : الدعي ، وهو من يتمى إلى غير أهله .

(٧) المعنى دون أن يعنى بإطعام الفقراء ومساعدة المحتاجين . وفى الأصل « طعام » .

(٨) بهرجه : أهله .

(٩) أى لكثرة ما ينفقون فى البصرة ويبدلون .

(١٠) أى لا تحاولوا أن تصلوا فى الجود إلى مثل جود الله .

ذكره أجود وأمجّد ، وذكر نفسه جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه ، فقال :
« ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »^(١) وقال « ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » وقال : « ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ » وذكروا النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : لم يضع درهما على درهم ،
ولا لبنّة على لبنّة ، ومَلَكَ جزيرة العرب فقَبَضَ الصدقات ، وجُبِيت له
الأموال ما بين عُدْرَانِ العراق إلى شَجَرِ عُثْمَانَ^(٢) ، إلى أقصى خِثْلَيْ^(٣) اليمن ،
ثم تَوَفَّى عليه دينٌ ، ودرّعه رهونَةً ، ولم يُسأل حاجة قطُّ فقال : لا ، وكان
إذا سُئِلَ أعطى ، وإذا وعد أو أطمع كان وعده كالبيان^(٤) ، وإطعامه كالإنجاز ،
ومَدَحَتُهُ الشعراء بالجود ، وذكرته الخطباء بالسّماح ، ولقد كان يَهَبُ للرجل
الواحد الضّاحمة^(٥) من الشّاء ، والعَرَجَ^(٦) من الإبل - وكان أكثر ما يَهَبُ
المَلِكُ من العرب مائة بعير فيقال : وَهَبَ هُنَيْدَةً^(٧) ، وإنما يقال ذلك إذا
أريد بالقول غاية المدح - ولقد وهب^(٨) لرجل ألف بعير فإما رآها تردحم في
الهُوَادِي^(٩) ، قال : أَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ، وما هذا مما تجود به لأنفس ، وفخرت
هاشم على سائر قريش فقالوا : نحن أطعمم للطعام ، وأضرب للهام ، وذكرها

(١) الإفضال والإعظام .

(٢) ساحل البحرين بين عُثْمَانَ وعدن .

(٣) الخلف : الكورة ، بلغة أهل اليمن .

(٤) مصدر عاين الشيء : أبصره . والمعنى : أن وعده في الوثوق بتحقيقه كالشيء المشاهد .

(٥) الضّاحجة : الغنم الكثيرة .

(٦) العرج بالفتح والكسر من الإبل : ما بين السبعين إلى الثمانين ، وقيل : هو ما بين الثمانين

إلى التسعين ، وقيل مائة وخمسون وفوق ذلك ، وقيل من خمائة إلى ألف .

(٧) هند وهنيدة : اسم للمائة من الإبل خاصة .

(٨) أي النبي صلى الله عليه وسلم .

(٩) الهادية والهادى : العنق ، والهادية من كل شيء : أوله وما تقدم منه ، وفي النسخ

« الهوادى » ولا معنى لها .

بعض العلماء فقالوا : أجوادُ أمجادٌ ، ذَوُو ألسنةٍ حِدادٍ ، وأُجمعتِ الأُممُ كُلُّها :
بِخِيلِها وَسَخِيْها وَمَمَزُوجُها^(١) ، على ذم البخل وحمد الجود ، كما أجمعوا على ذم
الكذب وحمد الصدق ، وقالوا : أفضلُ الجُودِ الجُودُ بالمجهود^(٢) ، وحتى قالوا
في جُهدِ المُقلِّ^(٣) ، وفيمن أخرج الجهدَ وأعطى الكلَّ^(٤) ، وحتى جعلوا لمن
جاد بنفسه فضيلةً على من جاد بماله ، فقال الفرزدق :

على ساعةٍ لو كان في القوم حاتمٌ على جُوده ، صَنَّتْ به نفسُ حاتمٍ^(٥)
ولم يكن الفرزدق ليضربَ المثلَ في هذا الموضع بكعب بن مامة ، وقد
جاد بحوِّبائه عند المصافنة^(٦) ، فإِ رأينا عريِّيا سَفَّهَ حِلْمَ حاتمٍ لجوده بجميع ماله ،

(١) أى من امتزج فيه السخاء بالبخل ، فكان وسطا بين الكريم والبخل
(٢) المجهود هنا : الجهد ، أى الجود بقدر الجهد والطاقة ولو كان المعطى مقلا
(٣) أى قالوا فى الثناء على الفقير الذى يجود بما يستطيع ، فى الأثر : « أفضل العطية جهد المقل » . وقالوا : « جهد المقل أفضل من غنى المكثر » .
(٤) أى وقالوا فيمن بذل جهده على إقلاقه ، وفيمن خرج عن كل ماله فى بذل المعروف .
(٥) كان الفرزدق قد صافن رجلا من بني العنبر بن عمرو بن تميم . فطاب منه العنبرى أن يؤثره على نفسه ففعل (والمصافنة فى السفر : أن يقاسم الرفيق رفيقه الماء حتى لا يفن أحدهما الآخر) ويروى البيت :

على ساعة لو أن فى القوم حاتما على جوده ماجاد بالماء حاتم
بكسر ميم حاتم على أنه بدل من الضمير فى جوده .

(٦) الحوواء : النفس . وكان كعب بن مامة الإيادى أحد أجواد العرب الذين ضرب بهم المثل فى الجود ، فقيل : « أجود من كعب بن مامة » . ومن حديثه أنه خرج فى ركب فيهم رجل من النمر ابن قاسط فضلوا فتصافنوا ماءهم ، فقمعدوا للشرب ، فلما دار الشعب فانتبهى إلى كعب أبصر النمرى يعدد النظر إليه فآثره بمائه وقال للساق : اسق أخاك النمرى ، فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر فتصافنوا بقية ما معهم ، فنظر إليه النمرى كمنظرة أمسه ، فقال كعب كقوله أمس ، وارتحل القوم ، وقالوا : يا كعب ارتحل فلم يكن به قوة النهوض ، وكانوا قد قربوا من الماء ، فقيل له : رد - كعب - إنك رواد ، فمجز عن الجواب ومات عطشا ، فقال أبوه مامة يرثيه : أو فى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب إنك وارد فصار وردا

« يجمع الأمثال ١ : ١٢٣ » وقوله « ولم يكن الفرزدق ليضرب المثل » أى ليقشبه بكعب بن مامة - لأنه آثر هو أيضا العنبرى على نفسه - وفى الكلام حذف ، والتقدير : لم يكن ليفعل ذلك إلا لبلوغه الغاية فى كرم النفوس .

ولا رأينا أحدا منهم سَفَهَ حِلْمَ كَعْبٍ على جوده بنفسه ، بل جعلوا ذلك من كَعْبٍ لِإِيَادٍ مَفْخَرًا ، وجعلوا ذلك من حاتم طيٍّ مَأْثُورَةً لَعَدْنَانَ على قَحْطَانٍ ، ثم للعرب على العجم ، ثم لسُكَّانِ جزيرة العرب ولأهل تلك البرِّيَّةِ على سائر الجزائر والتَّربِ ، فمن أراد أن يخالف ما وصف الله جلَّ ذِكْرُهُ به نفسه ، وما مَنَحَ من ذلك نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وما فَطَرَ على تفضيله العرب قاطبةً : والأُمَمَ كافَّةً ، لم يكن عندنا فيه إلا إكفاره واستسقاطه ، ولم نَرَ الأُمَّةَ أَبْغَضَتْ جَوَادًا قَطُّ ولا حَقَرَتْهُ ، بل أَحَبَّتْهُ وأعْظَمَتْهُ ، بل أَحَبَّتْ عَقِبَهُ وأعْظَمَتْ من أَجْلِهِ رَهْطَهُ ، ولا وجدناهم أَبْغَضُوا جَوَادًا لمجاوزته حَدَّ الجودِ إلى السَّرَفِ ولا حَقَرَتْهُ ، بل وجدناهم يتعلمون مناقبه ، ويتدارسون محاسنه ، وحتى أضافوا إليه من نواذر الجميل ^(١) ما لم يفعلهُ ، وتَحَلَّوه ^(٢) من غرائب الكرم ما لم يكن يَبْلُغُهُ ، ولذلك زعموا أن الثناء في الدنيا يُضَاعَفُ كما تُضَاعَفُ الحَسَنَاتُ في الآخرة ، نعم وحتى أضافوا إليه كلَّ مديحٍ شَارِدٍ ، وكلَّ معروفٍ مجهولٍ الصاحب . ثم وجدنا هؤلاء بأعيانهم ^(٣) للبخل على ضِدِّ هذه الصِّفةِ ، وعلى خلافِ هذا المذهب ، وجدناهم يُبْغِضُونَهُ مرةً ، ويَحْقِرُونَهُ مرةً ، وَيُبْغِضُونَ بِفَضْلِ بَغْضِهِ وَلَدَهُ ، ويَحْتَقِرُونَ بِفَضْلِ احْتِقَارِهِمْ لَهُ رَهْطَهُ ، وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ مِنْ نَوَادِرِ اللَّؤْمِ ما لم يَبْلُغُهُ ، ومن غرائب البخل ما لم يفعلهُ ، وحتى ضاعفوا عليه من سوء الثناء بقدر ما ضاعفوا

(١) أى الفعل الجميل .

(٢) تحلوه : نسبوا إليه .

(٣) فى النسخ « بأنعامهم » .

للجواد من حُسْنِ الشَّاءِ ، وعلى أَنَّا لا نجد الجوائح^(١) إلى أموال الأسخياء
أُسْرَعَ منها إلى أموال البخلاء ، ولا رأينا عددَ مَنْ افتقر من البخلاء أَقَلَّ ،
والبخيلُ عند الناس ليس هو الذى يخل على نفسه فقط ، فقد يستحقُّ
عندهم اسمَ البخيل ، ويستوجب الذمَّ ، من لا يدَع^(٢) لنفسه هوى إلا
ركبَه ، ولا حاجةً إلا قضاها ، ولا شهوةً إلا ركبها ، وبلغ فيها غايته ،
وإنما يقع عليه اسمُ البخيل إذا كان زاهداً فى كل ما أوجبَ الشكرَ ، ونوّه
بالذكر ، وادّخر الأجر ، وقد يعلّق البخيلُ على نفسه من المؤن ، ويلزمها
من الكُلْف ، ويتخذ من الجوارى والخدم ، ومن الدوابِّ والحشم^(٣) ،
ومن الآنية العجيبة ، ومن البزّة^(٤) الفاخرة ، والشارّة^(٥) الحسنة ، ما يُرَبِّى^(٦)
على نفقة السخّي المثرى ، ويضعِف^(٧) على جُود الجواد الكريم ، فيذهبُ
ماله وهو مذموم ، ويتغيّر حاله وهو مألوم ، وربما غلبَ عليه حُبُّ
القبائِلِ^(٨) ، واشتهر^(٩) بالخصيان ، وربما أفرط فى حُبِّ الصيد ، واستولى
عليه حُبُّ المراكب^(١٠) ، وربما كان إتلافه فى العُرسِ والخُرسِ^(١١) والوليمة ،

-
- (١) جمع جائحة : وهى الآفة .
(٢) فى بعض النسخ « ولا يدع » .
(٣) الحشم : الخدم .
(٤) الهيئة ، يقال : هو حسن البزة .
(٥) الشارة هنا : الزينة واللباس .
(٦) يقال : أربى الشيء على كذا أى زاد عليه .
(٧) ضعف يضعف من باب كرم : زاد ، وفى الحديث « تضعف صلاة الجماعة على صلاة الفرد خسا وعشرين درجة » أى تزيد عليها .
(٨) جمع قينة : وهى الأمة البيضاء ، مغنية أو غير مغنية .
(٩) أى اشتهر بحيازة الخصيان ، وذلك ضرب من البذخ .
(١٠) جمع مركب : وهو ما يركب من الخيل ونحوها .
(١١) الحرس بالضم والحراس بالكسر : طعام يصنع ابتهاجا بالولادة .

وإسرافه في الإعذار^(١) وفي العقيقة^(٢) والوكيرة^(٣) ، وربما ذهبت أمواله في الوضائع^(٤) والودائع ، وربما كان شديد البخل شديد الحب للذكر ، ويكون بخله أو شج ، ولو لم يه أقبج ، فينفق أمواله ، ويتلف خزائنه ، ولم يخرج كفافا^(٥) ولم ينج سليما ، كأنك لم تربخيلًا مخدوعا^(٦) ، وبخيلًا مضعوفا^(٧) ، وبخيلًا مضياعا ، وبخيلًا نفاجا^(٨) ، وبخيلًا ذهب ماله في البناء ، وبخيلًا ذهب ماله في الكيمياء^(٩) ، وبخيلًا أنفق ماله في طمع كاذب ، وعلى أمل خائب ، وفي طلب الولايات ، والدخول في القبالات^(١٠) ، وكانت فتنته بما يؤمل من الإمرة ، فوق فتنته بما قد حواه من الذهب والفضة ، قد رأيناه ينفق على مائته وفاكهته ألف درهم في كل يوم ، وعنده في كل يوم عرس^(١١) ، ولأن يطمئن طاعن في الإسلام أهون عليه من أن يطمئن طاعن في الرغيف الثاني ، ولشق عصا الدين أهون عليه من شق رغيف ، لا يعد

- (١) الإعذار والعتذار (بالكسر) والعذر والعذرة : ولية الختان ، وطعام البناء .
- (٢) الشاة تدخ في اليوم السابع من ولادة المولود ابتهاجا به . وأصل العقيقة : الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد ، وإنما سميت تلك الشاة التي تدخ في تلك الحال عقيقة ، لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الدخ .
- (٣) الطعام يتخذه الرجل ويدعو إليه عند انتهاء ما كان يبنيه .
- (٤) جمع وضعة : وهي ما يرفعه الدائن عن المدين من الدين .
- (٥) الأصل في معنى الكفاف ما يكف عن سؤاله الناس ويغني ، ومعنى لم يخرج كفافا هنا : لم يخرج خاليا من الذم .
- (٦) يتخيل الكاتب أن المخاطب منكر دعواه لما فيها من الغرابة فهو يتجه إليه قائلا : كأنك لم تربخيلًا مخدوعا الخ .
- (٧) المضعوف : ضعيف الرأي .
- (٨) النفاج : المدعي المتباهي بما ليس فيه .
- (٩) الكيمياء : في زعمهم تحويل المعادن الخسيسة بالصناعة إلى معادن نفيسة .
- (١٠) القبالة : اسم لما يلتزمه الإنسان من عمل ودين ونحوهما ، والقبيل : السكفيل والضامن ، وقد قبل به ككسر وسمع وضرب .
- (١١) العرس : من معانيه الوليمة .

الثَّامَةُ^(١) في عِرْضِهِ ثَلَاثَةٌ ، وَيُسَدُّهَا فِي شَرِيدَتِهِ مِنْ أَعْظَمِ الثَّلَمِ ، وَإِنَّمَا صَارَتْ
الْآفَاتُ إِلَى أَمْوَالِ الْبَخْلَاءِ أَسْرَعَ ، وَالْجَوَائِحُ عَلَيْهِمْ أَكْثَلُ^(٢) ، لِأَنَّهُمْ أَقَلُّ
تَوَكُّلاً ، وَأَسْوَأَ بِاللَّهِ ظَنًّا ، وَالْجَوَادُ إِذَا أُنْ يَكُونُ مَتَوَكِّلاً ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ أَحْسَنَ
بِاللَّهِ ظَنًّا ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ بِالْمَتَوَكِّلِ أَشْبَهُ ، وَإِلَى مَا أَشْبَهَهُ أَنْزَعَ^(٣) ، وَكَيْفَمَا
دَارَ أَمْرُهُ ، وَرَجَعَتِ الْحَالُ^(٤) بِهِ ، فَلَيْسَ مِمَّنْ يَتَّكِلُ عَلَى حَزْمِهِ ، وَيُلْجَأُ إِلَى
كَيْسِهِ ، وَيَرْجِعُ إِلَى جَوْدَةِ احْتِيَاطِهِ ، وَشِدَّةِ احْتِرَاسِهِ ، وَاعْتِلَالِ الْبَخِيلِ
بِالْحَدَثَانِ^(٥) ، وَسُوءِ الظَّنِّ بِتَقَلُّبِ الزَّمَانِ ، إِنَّمَا هُوَ كَنِيَاةٌ عَنْ سُوءِ الظَّنِّ بِخِلَاقِ
الْحَدَثَانِ ، وَبِالَّذِي يُحْدِثُ الْأَزْمَانَ وَأَهْلَ الزَّمَانِ ، وَهَلْ تَجْرِي الْأَحْدَاثُ
إِلَّا عَلَى تَقْدِيرِ الْمُحْدِثِ لَهَا ؟ وَهَلْ تَخْتَلِفُ الْأَزْمَنَةُ إِلَّا عَلَى تَصْرِيفِ مَنْ دَبَّرَهَا ؟
أَوَلَسْنَا وَإِنْ جَهَلْنَا أَسْبَابَهَا فَقَدْ^(٦) أَيقِنَّا بِأَنَّهَا تَجْرِي إِلَى غَايَاتِهَا ؟ وَالِدَلِيلُ
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِهِمْ خَوْفُ الْفَقْرِ ، وَأَنَّ الْجَمْعَ وَالْمَنْعَ إِذَا أَنْ يَكُونُ عَادَةً مِنْهُمْ ،
أَوْ طَبِيعَةً فِيهِمْ ، أَنَّكَ قَدْ تَجَدَّدَ الْمَلَكُ بِخَيْلٍ ، وَمَمْلَكَتُهُ أَوْسَعُ ، وَخَرْجُهُ أَكْثَرُ ،
وَعَدُوُّهُ أَكْثَرُ ، وَتَجَدَّدَ آخِرًا أَكْثَرَ مِنْهُ جُودًا^(٧) ، وَإِنْ كَانَتْ مَمْلَكَتُهُ
أَضْيَقَ ، وَخَرْجُهُ أَكْثَرَ ، وَعَدُوُّهُ أَشَدَّ حَرَكَةً ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الزَّيْجَ أَقْصَرُ
النَّاسِ مَرَّةً^(٨) وَرَوِيَّةً ، وَأَذْهَلَهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ الْعَاقِبَةِ^(٩) ، فَلَوْ كَانَ سَخَاؤُهُمْ إِنَّمَا

(١) الثَّلَاثَةُ : الثَلَاثَةُ .

(٢) أَكْثَرُ . (٣) أَمِيلُ .

(٤) تَشَابَهَتْ الْحَوَادِثُ عَلَيْهِ .

(٥) أَيْ بِالْخَوْفِ مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ .

(٦) الْفَاءُ زَائِدَةٌ .

(٧) فِي بَعْضِ النُّسخِ « وَتَجَدَّدَ أَحْزَمُ مِنْهُ جَوَادًا » .

(٨) الْمَرَّةُ : الْعَمَلُ وَالْأَسَالَةُ وَالْإِحْكَامُ ، وَفِي الْأَصْلِ « مَدَّة » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٩) أَيْ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَسْخِيَاءُ .

هو لِكَلالِ حَدِّهِمْ^(١)، ونقص عقولهم، وقلة معرفتهم، لكان ينبغي لفارس أن تكون أبخل من الروم، وتكون الروم أبخل من الصقالبة^(٢)، وكان ينبغي في الرجال - في الجملة - أن يكونوا أبخل من النساء - في الجملة - وكان ينبغي للصبيان أن يكونوا أسخى من النساء، وكان ينبغي أن يكون أقل البخلاء عقلاً أعقل من أشد الأجواد عقلاً، وكان ينبغي للكلب - وهو المضروب به المثل في اللؤم - أن يكون أعرف بالأمور من الديك المضروب به المثل في الجود^(٣)، وقالوا هو أسخى من لافظة^(٤)، والأم من كلب على جيفة^(٥)، والأم من كلب على عرق^(٦)، وقالوا: أجمع كلبك يتبعك^(٧)،

(١) كلال الحد: أصله في السيف والسكين ونحوهما، والمراد هنا قلة الذكاء.

(٢) الصقالبة: جيل تناخم بلادهم بلاد الخزر (في روسيا الآن) - وبحر الخزر بالتحريك هو بحر قزوين - .

(٣) وصف الديك بالجود لأن من عادته أن يذو الساج ويبر لها الحب .

(٤) من أمثال العرب « أسمح من لافظة » قال الميداني: « قد اختلفوا فيها فقال بعضهم: هي الديك لأنه يأخذ الحبة بمنقاره فلا يأكلها ولكن يلقها إلى الدجاجة - والهاء فيها للمبالغة هاهنا - وقال بعضهم: هي العنز التي تشلى للعلب فتجىء لافظة بجزتها فرحا بالحلب . وقال بعضهم: هي الحمامة ، لأنها تخرج مافي بطنها لفرخها ، وقال بعضهم . هي الرشي ، لأنها تلفظ ما تطحنه أى تقذف به ، وقال بعضهم هي البحر ، لأنه يلفظ بالدرة التي لا قيمة لها (أى لنفاستها) قال الشاعر :

تجود فتجزل قبل السؤال وكفك أسمح من لافظة
- انظر مجمع الأمثال ١ : ٢٣٨ - .

(٥) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١ : ١٥٤ « أحرص » .

(٦) ورد في مجمع الأمثال ٢ : ١٣٨ والعرق العظم أكل لحمه أولم يؤكل .

(٧) ويروى « جوع » مثل يضرب في معاشره اللثام وما ينبغي أن يعاملوا به ، وأول من قال ذلك ملك من ملوك حمير . كان عنيفا على أهل مملكته يعصمهم أموالهم ويسلبهم مافي أيديهم وكانت الكهنة تخبره أنهم سيقتلونه فلا يحفل بذلك . وسمعت امرأته أصوات السؤال فقالت : إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ، ونحن في العيش الرغد ، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سباعا ، وقد كانوا لنا أنبعا ، فرد عليها : جوع كلبك يتبعك ، وأرسلها مثلاً ، فلبث بذلك زمناً ، ثم أغزام فغذوا ولم يقسم فيهم شيئاً ، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه وهو أميرهم : قد ترى مانحن فيه من

وَنَعِمَ كَلْبٌ فِي بُؤْسِ أَهْلِهِ^(١)، وَسَمِنَ كَلْبُكَ يَا كَلْتُكَ^(٢) وَأَحْرَصُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى عَقِي صَبِي^(٣)، وَأَجُوعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ^(٤)، وَلَهُوَ أَبْدَأُ مِنْ كَلْبٍ^(٥)، وَحَشَّ فُلَانٌ مِنْ خُرِّ الْكَلْبِ^(٦)، وَاخْشَأُ، كَمَا يُقَالُ لِلْكَالِبِ^(٧)، وَكَالِ الْكَلْبِ فِي الْآرِي^(٨)، لَا هُوَ يَعْتَلِفُ، وَلَا هُوَ يَتْرُكُ الدَّابَّةَ تَعْتَلِفُ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

سَرَتْ مَا سَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ^(٩)

الجهد ، ونجن نكره خروج الملك منكم أهل البيت إلى غيركم ، فساعدنا على قتل أخيك واجلس مكانه ، وكان قد عرف بغيه واعتداه عليهم فأجابهم إلى ذلك ، فوثبوا عليه فقتلوه ، فرب به عاصر بن جذيمة وهو مقتول وقد سمع بقوله « جوع كلبك يتبعك » فقال : ربما أكل الكلب مؤدبه ، إذا لم ينل شبعة ، فأرسلها مثلاً - مجمع الأمثال ١ : ١١١ .

(١) ويروى « نعيم الكلب في بؤس أهله » و « في بؤس أهله » وذلك أن الجذب والبؤس يكثر الموقى والجيف ، وذلك نعيم الكلب . قيل أصله أن بعض الأعراب كان له بغير يكره فينتفع بما يعود منه ، وله كلب يقصر في إطعامه فهو يتلف جوعاً ، فسأت البعير ، فرجع الرجل إلى سوء حال ، والكلب إلى خصب ، يضرب مثلاً للرجل ينتفع بضرر غيره ، مجمع الأمثال ٢ : ١٩٥ وجمهرة الأمثال ٢ : ٢٣٤ .

(٢) ويروى « أسمن » قالوا : أول من قال ذلك حازم بن المنذر الجاني . وذلك أنه مر بمحلة همدان فإذا هو بفلام ملفوف في ثوب خلق ميتل ، فرحه وحمله على مقدم سرجه حتى أتى به منزله ، وأسر أمة له أن ترضعه فأرضعته حتى قطم ، وأدرك وراحق الحلم فجعله راعياً لئمه ، وكان لحازم ابنة ، فهويت الفلام وهو يها ، وكان ذا منظر وجمال ، فكانت تتبعه إلى موضع السكلاء فيتنازلان ، وليبنا على ذلك أياماً ، ثم إن أباهما افتقدها يوماً وفطن لها فرصدها حتى إذا خرجت تبعها ، فانتحى إليهما وهما على سوءة ، فلما رأتهما قال : سمين كلبك يا كلك ، فأرسلها مثلاً ، وأفلت الزلام ولحق بقومه همدان واختنقت الفتاة فماتت . وقيل : إن رجلاً من طسم ارتبط كلباً ، فكان يسمنه ويطعمه رجاء أن يصيد به ، فاحتبس عليه يطعمه يوماً فدخل عليه صاحبه فوثب عليه فافترسه - مجمع الأمثال ١ : ٢٢٦ .

(٣) مجمع الأمثال ١ : ١٥٤ والعقي : أول حدث الصبي ، وفي النسخ « عقي ظي » وهو تخريف . (٤) حومل : امرأة من العرب كانت تجبيع كلبه لها ، فكانت تربطها بالليل للحراسة ، وتطرد بها بالنهار ، وتقول : التمس لنفسك لاملتمس لك ، فلما طال ذلك عليها أكلت ذنبها من الجوع ، قال الكسيت يذكرك بن أمية ويذكر أن رعايتهم نلأمة كرعاية حومل لكتبها :

كأرضيت جوعاً وسوء رعاية لكتبها في سالف الدهر حومل

(٥) أي أخش ، وبذاءة الكلب هنا : كثرة هريره لسبب وغير سبب .

(٦) حش المال : كثره ، أي كثر فلان ماله من أدنا الوجوه التي تشبه خره الكلب .

(٧) أي وقالوا لمن يطرد أخساً كما يقال للكلب .

(٨) الآري : محبس الدابة . وحبل تشد به الدابة في محبسها .

(٩) الضمير يعود إلى الناقة ، والتعريس : نزول المسافر في آخر الليل للاستراحة ، والعرج : بلدة

وقال الله جل ذكره : « فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ،
أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ » وكان ينبغي في هذا القياس أن يكون المَرَاوِزَةُ^(١) أعقل
البرية ، وأهل خراسان أدري البرية^(٢) ، ونحن لا نجد الجواد يفر من اسم
السرف إلى الجود ، كما نجد البخيل يفر من اسم البخل إلى الاقتصاد ، ونجد
الشجاع يفر من اسم المنهزم ، والمستحي يفر من اسم الخجل . ولو قيل
لخطيب ثابت الجنان « وَقَاحٌ »^(٣) لجزع ، فلولم يكن من فضيلة الجود
إلا أن جميع المتجاوزين لحدود أصناف الخير يكرهون اسم تلك الفضلة^(٤)
إلا الجواد ، لقد كان في ذلك ما يبين قدره ، ويظهر فضله ، المال فاتن ، والنفس

بالين ، وواد بالحجاز ذو نخل ، وموضع بلاد هذيل ، ومنزل بطريق مكة .
(١) المرازقة : أهل مرو الشاهجان : أشهر مدن خراسان وقصبتها ، جمع مروزي ، نسبة
إلى مرو على غير قياس ، كأشاعرة جمع أشعري . انظر معجم البلدان ٨ : ٣٣ .
(٢) أي لأنهم أشد الناس بخلا ، وقد عقد الجاحظ في كتاب البخلاء (ص ١٤) فصلا طويلا في
وصف بخلهم قال فيه : « نبدأ بأهل خراسان ، لا كثر الناس في أهل خراسان ، ونخص بذلك
أهل مرو بقدر ما خصوا به . قال أصحابنا : يقول المروزي للزائر إذا أتاه ، وللبليس إذا طال جلوسه ،
تغديت اليوم ؟ فإن قال نعم ، قال : لولا أنك تغديت لغديتك بغداء طيب ، وإن قال لا ، قال :
لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح ، فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير ، وكنت في منزل
ابن أبي كريمة - وأصله من مرو - فرآني أتوضأ من كوز خرف ، فقال : سبحان الله ، تتوضأ
بالعذب ، والبئر لك معرضة ! قلت : ليس بعذب ، إنما هو من ماء البئر ، قال : فتفسد علينا كوزنا
بالملوحة ! فلم أدر كيف أتخلص منه .

وقال ثمامة : لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لا قط ، يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدام
الدجاجة إلا ديكه مرو ، فإني رأيت ديكه مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب ، قال : فعلت أن
بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء ، فمن ثم عم جميع حيواناتهم ، فحدثت بهذا الحديث أحمد
ابن رشيد فقال : كنت عند شيخ من أهل مرو وصبي له صغير يلعب بين يديه ، فقلت له - إما عابثا
وإما متحنا - : أطمعني من خبزكم ، قال : لا تريده ، هو مر ، فقلت : فاسقني من مائكم ، قال :
لا تريده ، هو مالخ ، قلت : هات من كذا وكذا ، قال : لا تريده هو كذا وكذا ، إلى أن عددت
أسنانا كثيرة ، كل ذلك يمنعه ويغضبه إلى ، فضحك أبوه ، وقال : ما ذنبنا ، هذا من علمه ماتسمع ؟
يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم ... » .

(٣) الرجل الصلب الذي قل حياؤه .

(٤) أي الزيادة في الفضيلة وتجاوز الحد فيها .

راغبة ، والأموالُ ممنوعة ، وهى ^(١) على ما مُنِيتْ حريصةٌ ، وللنفوس
في المكاثرة عِلَّةٌ مهروفة ، لأن من لافكرة له ولا روية ، مُوكَّلٌ ^(٢)
بتعظيم ذى الثروة ، وإن لم تكن منه مَنالة ^(٣) ، وقد قال الأول :

وزادها كلفاً بالحَبِّ أنْ مُنِيتْ وَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا

وفى بعض كتب الفرس : كلُّ عزيز تحت القُدرة فهو ذليل .
وقالت مُعَاذَةُ الْعَدَوِيَّة : كل مقدورٍ عليه فَقْلِيٌّ ^(٤) أو محقور ، ولو كانوا
لأولادهم يجمعون ، ولهم يكُدُّون ، ومن أجْلهم يحْرِصون ، لَجعلوا
لهم كثيراً مما يطلبون ، ولتركوا محاسبتهم فى كثير مما يشتهون ، وهذا
بعض ما بغَضَ بعض المورثين إلى الوارثين ، وزهد الأخلاف ^(٥) فى طول عمر
الأسلاف ، ولو كانوا لأولادهم يُمَهِّدُونَ ، ولهم يجمعون ، لما جمع الخُصيانُ
الأموال ، ولما كنَزَ الرُّهبان الكَنُوزَ ، ولا استراح العاقرُ من ذلِّ الرغبة ،
ولسَلِمَ العقيمُ من كدِّ الحرص ، وكيف ونحن نجده بعد أن يموت ابنه
الذى كان يعتلُّ به ، والذى مِنْ أَجْلِهِ كَانَ يجمع ، على حاله ^(٦) فى الطَلَبِ والحرص ،
وعلى مثل ما كَانَ عليه من الجَمْعِ والمنع ، والعامة لم تقصِّر فى الطلب والحُكْرَة ^(٧) ،

(١) أى النفس .

(٢) أى جاعل تعظيم ذى الثروة من شغله كأنه مولع به مفتون .

(٣) النال والمَنالة والنال مصدر نلت أنال ، ويقال : نلت له بشئ أى جدت .

(٤) فلاه يقلبه قلى وقلاء ، ويقلاه لغة طيء : أبغضه غاية البغض ، قال ابن السكيت ولا يكون فى

البغض إلا قليت ، وفى النسخ « فقلو » .

(٥) أخلاف جمع خلف بالتحريك : وهم أبناء الانسان الذين يخلفونه بعد موته .

(٦) متعلق الجار والمجرور مفعول ثان لتجد .

(٧) اسم من الاحتكار .

والبخلاء لم يحدوا شيئاً من جهدهم^(١) ، ولا عَفَوْا بعد قدرتهم^(٢) ، ولا قَصَّروا في شيء من الحرص والحصر^(٣) ، لأنهم في دار قلعة^(٤) ، وتعرض ثقله^(٥) ، حتى لو كانوا بالخلود موقنين لأغفلوا تلك الفضول ، فالبخيل مجتهد ، والعامي غير مقصر ، فمن لم يستعن على ما وصفنا^(٦) بطبيعة قوية ، وبشهوة شديدة ، وبنظر شاف ، كان إما عامياً ، وإما بخيلاً شقيماً ، فقيم اعتلالهم بأولادهم ، واحتجاجهم بخوف التلوث من أزمئتهم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو افيد كذب عنده كذبة - وكان جواداً - : « لولا خصلة^(٧) ومقك الله عليها ، لشردت بك من وافد قوم » وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : هل لك في بيض النساء وأدم الإبل^(٨) ؟ قال : ومن هم ؟ قال : بنو مُدَلَج ، قال : « يعني من ذاك قراهم الضيف ، وصليتهم الرحم » وقال لهم أيضاً : « إذا نَحَرُوا ثَجُّوا^(٩) ، وإذا لبَّوْا ثَجُّوا^(١٠) » وقال للأنصار : من سيدكم ؟ قالوا : الحر^(١١) بن قيس ، على أنه يُزَنُّ^(١٢) فينا ببخل ، فقال : « وأى داء أدوا من

-
- (١) في النسخ « لم يحدوا » والصواب « لم يحدوا » أي لم يحدوا جهودهم في جمع الأموال .
 (٢) في النسخ « ولا عَفَوْا » بالنصب ، والصواب « ولا عَفَوْا » أي عن الكد والكدر بعد قدرتهم على العيش بما تجمع لديهم من مال .
 (٣) الحصر : البخل .
 (٤) يقال : الدنيا دار قلعة ، أي اقلاع وارتحال .
 (٥) أي إن الدنيا دار يتعرض فيها المرء للانتقال .
 (٦) وهو تمكن البخل والجشع في النفوس . (٧) ومقه : أحبه .
 (٨) الأدم جمع آدم وأدماء ، والأدمة في الإبل بالضم : لون مشرب سواداً أو يابضاً أو هوالبياض الواضح والتقدير : هل لك في قوم بيض النساء ...
 (٩) ثَجُّوا : أسالوا دماء الذبائح في الحج .
 (١٠) التلبية في الحج : قول ليك اللهم ليك ، وعج يعج بالكسر والفتح : صاح ورفع صوته .
 (١١) هكذا في العقد الفريد ، وفي النسخ « جد بن قيس » .
 (١٢) يزَنُّ : يظن ويتهم .

البخل ؟ » ثم جعله من أدور الداء ، وقال للانصار : « أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ إِلَّا لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » وقال : « كَفَى بِالْمَرْءِ حِرْصًا رَكُوبُهُ الْبَحْرَ » وقال : « لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ مِنْ مَالٍ لَا يَتَنَخَّى ثَلَاثًا ، وَلَا يُشْبِعُ ابْنُ آدَمَ إِلَّا التَّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ » وقال : « السَّخَاءُ مِنَ الْحَيَاءِ ، وَالْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ » وقال : « إِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَادَ » وقال : « أَنْفِقْ يَا بِلَالُ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا ^(١) » وقال : « لَا تُؤْكَلِ فِئُوكِي عَلَيْكَ ^(٢) » وقال : « لَا تُحْصِ فَيُحْصَى عَلَيْكَ » وقالوا : لَا يَنْفَعُكَ مِنْ زَادٍ مَا تَبَقَى ^(٣) ، وَلَمْ يُسَمِّ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ بِالْحَجَرَيْنِ إِلَّا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَضَعَ مِنْ أَقْدَارِهِمَا ، وَمِنْ فَتْنَةِ النَّاسِ بِهِمَا ، وَقَالَ لَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ : « إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، وَمَا لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلِلْوَارِثِ » وَقَالَ النَّمِرُ بْنُ تَوَلَبٍ :

وَحَشَّتْ عَلَى جَمْعٍ وَمَنْعٍ ، وَنَفْسُهَا لَهَا فِي صُرُوفِ الدَّهْرِ حَقٌّ كَذُوبٌ ^(٤)
وَكَاثِنٌ رَأَيْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرْزَأٍ أَخِي ثِقَةً طَلَقَ الْيَدَيْنِ وَهُوبٌ ^(٥)
شَهِدْتُ وَفَاتُونِي ، وَكُنْتُ حَسْبِي فَقِيرًا إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا وَتَغْيِي ^(٦)

(١) في القند : « أَنْفَقَ بِلَالًا ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا » .

(٢) أُوْكِيَ السَّخَاءُ : شَدَّ فَمُهْ بِجَلٍ . وَالْمَعْنَى : لَا تَحْبِسِ الْخَيْرَ عَنِ النَّاسِ فَيَحْبِسَ عَنْكَ .

(٣) أَيُّ مَا زَادَ عَلَى حَاجَتِكَ .

(٤) الضَّمِيرُ فِي حَشَّتْ يَعُودُ عَلَى زَوْجَتِهِ ، يَقُولُ حَشَّتْنِي عَلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَمَنْعِ السَّائِلِينَ وَقَدْ كَذَّبَتْهَا نَفْسُهَا حَقًّا عِنْدَ مَا صَوَّرَتْ لَهَا الْخَوْفَ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَأَحْدَاثِهِ .

(٥) الْمُرْزَأُ : الْكَرِيمُ يَصَابُ مِنْ مَالِهِ كَثِيرًا .

(٦) يَقُولُ . قَدْ شَهِدْتَنِي وَغَابَ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكِرْمَاءُ ، وَكُنْتُ أَظُنُّنِي فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَحْضُرُونِي لِأَنَّهُمْ عَلَى شَاكَلَتِي فِي الْكِرْمِ وَالْجُودِ وَتَغْيِي عَنِّي لِأَنَّكَ تَأْمُرِينِي بِمَا لَا يَلِئُكُمْ شَيْعَتِي مِنَ الْجَمْعِ وَالنَّمْعِ .

أَعَاذِلُ إِنْ يُصْبِحُ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ بَعِيداً نَأْنَى صَاحِبِي وَقَرِيبِي^(١)
تَرَى أَنْ مَا أَبْقَيْتُ لَمْ أَكُ رَبِّهِ وَأَنْ الَّذِي أَمْضَيْتُ كَانَ نَصِيبِي^(٢)
وَذَى إِبْلِ يَسْعَى وَيَحْسِبُهَا لَهُ أَخِي نَصَبٍ فِي رَعِيهَا وَكُدُوبٍ^(٣)
غَدَتُ وَغَدَا رَبٌّ سِوَاهُ يَسُوقُهَا وَبُدِّلَ أَحْجَاراً وَجَالَ قَلْبِي^(٤)
وَقَالَ أَيْضاً .

قَامَتْ تَبَاكِي أَنْ سَبَأْتُ لَفْتِيَّةً زِقاً وَخَايِيَّةً بَعُودٍ مُقْطَعٍ^(٥)
وَقَرَيْتُ فِي مَقَرِّي قَلَائِصَ أَرْبَعًا وَقَرَيْتُ بَعْدَ قَرَى قَلَائِصَ أَرْبَعٍ^(٦)

(١) جاء في لسان العرب : « قال أبو العباس المبرد : الصدى على ستة أوجه أحدها : ما يبقى من الميت في قبره ، وهو جثته . قال النمر بن تولب :

أَعَاذِلُ إِنْ يُصْبِحُ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ بَعِيداً نَأْنَى نَاصِرِي وَقَرِيبِي

فصداه : بدنه وجثته ، وقوله : نَأْنَى : أى نأى عني » (ثم قال : والصدى : الذكر من البوم . وكانت العرب تقول : إذا قتل قتيل فلم يدرك به الثأر خرج من رأسه طائر كالبومة ، وهي الهامة والذكر الصدى ، فيصبح على قبره اسقوني اسقوني ، فان قتل قاتله كف عن صياحه) - وقد أورد المبرد معاني الصدى مفصلة في شرحه لهذا البيت في كتابه الكامل ج ١ : ص ١٧٨ - وقال صاحب اللسان أيضاً في مادة نأى : « قال المبرد : نَأْنَى فيه وجهان : أحدهما أنه بمعنى أبعدي كقولك زدته فزاد ونقصته فنقص . والوجه الآخر في نَأْنَى أنه بمعنى نأى عني ، قال أبو منصور : وهذا القول هو المعروف الصحيح » وجاء في الكامل : « تأويل قوله نَأْنَى يكون على ضربين : يكون أبعدي ، وأحسن ذلك أن يقول أنا نأى ، وقد رويت هذه اللغة الأخرى وليست بالحسنة ، وإنما جاءت في حروف ، يقال : غاض الماء وغضته ، ونزحت البئر ونزحتها ، وهبط الشيء وهبطته - وبنو تميم يقولون أهبطته - وأحرف سوى هذه يسيرة ، والوجه في فعل أفعلته نحو دخل وأدخلته ، ومات وأماته الله ، فهذا الباب المطرد ، ويكون نَأْنَى في موضع نأى عني ، كما قال الله عز وجل » وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْزَ وَهُمْ يُخْسِرُونَ » أى كالوا لهم ووزنوا لهم .

(٢) لم أك ربه : أى لم أك صاحبه ، وإنما هو مال الوارث .

(٣) « في رعيها » رواية المبرد ، وفي الأصل « في شقيها » .

(٤) أحجاراً : أى أحجار القبر ، والجال : ناحية القبر وجانبه ، والقلب : البئر ، والمراد هنا القبر

(٥) تباكى : أى أسفا لكثرة ما أبذل للضيوف ، وسبأ الحجر كجعل : شرها . والزق والخاية :

وعاءان ، والعود : السن من الإبل ، والمقطع : البعير قام من الهزال .

(٦) قرى الضيف كرمى قرى بالكسر : أضافه وأحسن إليه (وهو هنا على معنى أطعمت) ،

والقرى بفتح الميم : مكان القرى (وبالكسر : الحفنة) والفلائص جمع قلوص كصبور وهي الناقة الشابة القوية ، والمعنى : أطعمت أضيافي فلائص أربعم قربتهم بعد ذلك .

أَتَبَكِّيًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هَيِّنٍ ؟ سَفَهَةٌ بِكَاءِ الْعَيْنِ مَا لَمْ تَدْمَعْ (١)
فَإِذَا أَتَانِي إِنْخُسُوتِي فَدَعِيهِمْ يَتَعَلَّلُوا فِي الْعَيْشِ أَوْ يَلْهَوْا مَعِيَ (٢)
لَا تَطْرُدِيهِمْ عَنْ فِرَاشِي ، إِنَّهُ لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ سَيَخْلُو مَضْجَعِي (٣)
هَلَّا سَأَلْتَ بِعَادِيَاءِ وَبَيْتِهِ وَالْخَلِيلَ وَالْخَمْرَ الَّتِي لَمْ تُنَمِّعْ (٤)
وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِزَّازَةَ :

يَبْنَا الْفَتَى يَسْمَى وَيُسَمَّى لَهُ تَأَخَّحَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِجٌ (٥)
يَتْرَكَ مَارَقَحَ مِنْ عَيْشِهِ يَبْعِثُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجٌ (٦)
لَا تَكْسَعُ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنْ النَّاتِجُ (٧)
وَقَالَ الْهَذَلِيُّ :

- (١) قصد بالتبكي هنا التباكي وهو تكلف البكاء .
(٢) يتعلَّلوا بالعيش : يتشاغلوا ويلهوا به ، وفي الأصل « في العيش » .
(٣) أى سأموت .
(٤) عادياء : أبو السموءل ، ورواية صاحب اللسان « والحل » بدل « والخليل » .
(٥) تأخَّح له الشيء يتوح ويتيسر : تهيأ ، خالَج : قالع متذرع .
(٦) الترقيح والترقيق : إصلاح المعيشة . والهمج : الرعاع من الناس والهمل الذين لا نظام لهم ، وهامج توكيد له كقولهم يوم أيوم وليل أليل وليل لائل وليلة ليلاء وتودواتد .
(٧) الشائلة من الإبل : ما آتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر نجف لبنها ، جمعها شول على غير قياس ، وأغبار جمع غير بالضم : وهو بقية اللبن في الضرع ، وكسع الناقة بغيرها كنم : ترك في خلفها بقية من اللبن يريد بذلك تفريرها ، وهو أشد لها ، وإذا ولى الإنسان ناقة أو شاة ما انفضا حتى تضع قبل نتجها نتجا من باب ضرب ، فالإنسان كالنابلة لأنه يتلقى الولد ويصلح من شأنه ، فهو ناتج والبهيمة منتوجة والولد نتيجة ، وأورد صاحب اللسان بمد هذا البيت بيتا آخر وهو :

واحلب لأضيافك ألبانها فإن نمر اللين الواج

قال « والواج : أى الذى يابح في ظهورها من اللبن المكسوع » بقول : لا تغزربك إبلتك لعناب بذلك قوة نسلها ، واحلبها لأضيافك فلعل عدوا يغير عليها فيكون نتاجها له دونك » وقاله المبرد في الكامل - ج ١ : ص ١٨٠ - « قوله : لا تكسع الشول بأغبارها » فإن العرب كانت تنسج على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لأولادها التى فى بطونها ، والغبر بقية اللبن في الضرع ، فيقول : لا تبقى ذلك اللبن اسمن الأولاد فإنك لا تدري من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يغار عليها »

إِن الْكَرَامَ مُنَاهِبُ كُ الْمَجْدَ كُلَّهُمْ فَنَاهِبُ^(١)
أَخْلَفَ وَأَتْلَفَ ، كُلُّ شَيْءٍ ذَرَعَتُهُ الرِّيحُ ذَاهِبُ^(٢)

وقالت امرأة :

أَنْتِ وَهَبْتَ الْفِتْيَةَ السَّلَاحِبُ وَإِبْلًا يَحَارُ فِيهَا الْحَالِبُ^(٣)
وَعَنَّا مِثْلَ الْجَرَادِ الْهَارِبِ مَتَاعُ أَيَّامٍ ، وَكُلُّ ذَاهِبُ^(٤)

وقال تميم بن مقبل :

فَأَخْلَفَ ، وَأَتْلَفَ ، إِنَّمَا الْمَالُ عَارَةٌ وَكُلُّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ^(٥)
وقال أبو ذرٍّ : لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَانِ : الْوَارِثُ وَالْحَدَثَانُ « وقال الحُطَيْمَةُ :
مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَمْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ : « إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ »
وفي المثل : « اصْنَعِ الْخَيْرَ وَلَوْ إِلَى كَلْبٍ » وفي الحث^(٦) عَلَى الْقَلِيلِ - فَضْلًا عَنْ
الكثير - قال الله جل ذكروه : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » وقالت عائشة في حَبَّةِ عَنَبٍ : « إِنَّ فِيهَا لِمِثْقَالِ
ذَرَّةٍ وَلِلَّذَلِكَ قَالُوا فِي الْمِثْلِ « مَنْ حَقَرَ حَرَمٌ^(٨) » وقال سلم بن قتيبة : « يَسْتَحْيِ

(١) ناهبه : باراه في العدو ، مناهبوك المجد : أى مسابوك في إحرازه .

(٢) ذرّعه : حركته ، وفي البيان والتبيين : زعزعت الرّيح ، ونسب الشعر إلى السعوى .

(٣) السّلاحب مفعول ثانٍ لوهبت جمع سلهب كجعفر ، وهو من الخيل ماعظم وطال عظامه ، وحيرة الحالب في الإبل : كناية عن كثرتها أو غزارة لبنها .

(٤) أى وهذه متاع أيام قليلة .

(٥) العارة : العارية ، وهى الشيء يستعار ثم يردّ إلى صاحبه .

(٦) في النسخ « وقال في الحث » وفيها « فضلاً على الكثير » .

(٧) المِثْقَالُ هنا : المقدار والزنة .

(٨) أى من حقر القليل الذى لديه فلم يبدله حرم كثيراً من ذوى الحاجة ، وقال الميداني في تفسيره « أى من حقر يسيراً ما يقدر عليه ولم يقدر على الكثير . ضاعت لديه الحقوق » .

أحدهم من تقريب القليل من الطعام ، ويأبى أعظم منه » وقال : « جُهد المرء أكثر من عَفْوهِ ^(١) » وقَدَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جُهدَ الْمُقِلِّ على عَفْوِ الْمُكْثِرِ ، وإن كان مَبْلَغُ جهده قليلا ، ومَبْلَغُ عَفْوِ الْمُكْثِرِ كثيرا ، وقالوا : « لا يَنعَمُكَ من معروف صِغَرُهُ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بِشِقِّ ^(٢) تمر » وقال : « لا تَرُدُّوا السائل ولو بِظِلْفٍ مُحَرَّقٍ ^(٣) » وقال : « لا تَرُدُّوه ولو بِفِرْسَن ^(٤) شاةٍ » وقال : « لا تَحَقَّرُوا اللقمة فإنها تعود كالجبل العظيم ^(٥) » ، لقول الله جل ذكره : « يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ » وقال : « لا تَرُدُّوه ولو بصلّة حَبَلٍ ^(٦) » وقالت العرب : « أتاكم أخوكم يَسْتَتِمْكُمْ ^(٧) فَأَتِمْوْا لَهُ » وقالوا : « مانع الإِتِّمَامِ أَلُومٌ » وقالوا : « البخيل إن سأل أَلَفٌ ^(٨) وَإِنْ سُئِلَ سَوَفٌ » ، وقالوا : « إِنْ سُئِلَ جَعَدٌ ، وَإِنْ أُعْطِيَ حَقَدٌ » وقالوا : « يَرُدُّ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ ، وَيَغْضَبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ » وقالوا : « البخيل إذا سُئِلَ ارْتَزَّ ^(٩) ، وَإِذَا سُئِلَ الْجَوَادُ اهْتَزَّ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يُنَادِي كُلُّ يَوْمٍ مُنَادِيَانِ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمُنْفِقٍ خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ :

(١) أى ما يبذله المرء عن جهد وقلة أكثر ثوابا مما يبذله عن زيادة وسعة .

(٢) الشق : النصف .

(٣) الظلف : ظفر كل ما اجتزّ ، وهو للبقر والشاة والظباء وشبهها بمنزلة القدم للانسان .

(٤) الفرسن : طرف خف البعير ، وقد يستعار للشاة .

(٥) أى يعود ثوابها يوم القيامة فى عظمتها كالجبل العظيم .

(٦) أى ولو بصلّة من حبل .

(٧) يستتم : يطلب تمام ما يحتاج إليه .

(٨) أَلَفٌ : الحف .

(٩) ارتز : أمسك وبخل .

« اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمُسْلِمِكَ تَدْفًا » وقالوا : « شَرُّ الثَّلَاثَةِ الْمَلِيمُ ^(١) ، يَمْنَعُ دَرَّةً ^(٢) وَدَرَّةً غَيْرَهُ » وقال الله جل ذكره : « الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ » وقالوا في المثل : « إِذَا أَلْجَأَكَ الدَّهْرُ إِلَى بَخِيلٍ ، شَرٌّ مَا أَلْجَأَكَ إِلَى مُخَّةٍ عُرْقُوبٍ ^(٣) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قُلِ الْعَدْلَ ، وَأَعْطِ الْفَضْلَ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنَهَا كَمْ عَنْ عَقُوقِ الْأُمَهَاتِ ، وَوَادِ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعِ وَهَاتٍ » وقال الله عز وجل : « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » وقال « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » وقال : « وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » وقالوا في الصبر على النائبة وفي حاقبة الصبر : « عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرِيَّ ^(٤) » وقالوا « الْغَمَرَاتُ تُثَمِّمُ نَجَائِي ^(٥) » وقال الخزيمي :

(١) الثلاثة : هم الآخذ والمعطى ومن يابوم المعطى ، وألام : أتى ما يلام عليه .

(٢) الدر : اللين ، والمراد هنا الخير عامة .

(٣) أَلْجَأَكَ : اضطررك ، ويروى في القاموس « شَرُّ مَا أَلْجَأَكَ إِلَى مُخَّةٍ عُرْقُوبٍ » وفي مجمع الأمثال « شَرُّ مَا يَجِيئُكَ ... » - مضارع أَلْجَأَ - قال الميداني : ويروى « مَا يَشِيئُكَ » والشين بدل من الجيم وهذه لغة تميم ، يقال : أَلْجَأْتَهُ إِلَى كَذَا : أَيْ أَلْجَأْتَهُ ، والمعنى : مَا أَلْجَأَكَ إِلَى مُخَّةٍ عُرْقُوبٍ إِلَّا شَرُّ أَيْ فَقْرٌ وَفَاقَةٌ ! وذلك أَنَّ الْعُرْقُوبَ لَا مَنَعَ لَهُ وَلَا مَعَايِجَ يَجُوجُ إِلَيْهِ مِنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، يَضْرِبُ لِلْمَضْطَرِّ جِدًا يَطْلُبُ مِنَ التَّمِيمِ .

(٤) أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما وهو باليمامة : أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المفازة ، فقال له رافع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خمس للابل الواردة (والخمس بالسكسر من أظماء الإبل ، وهي أن ترى ثلاثة أيام ونزد الرابع) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشتري مائه شارف (والشارف : المسن الهرم من الإبل) فعطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم كتبها (أى ختم حياءها) وكتم أفواهها (أى شدتها) ثم سلك المفازة ، حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيول ، وخشى أن يذهب مائى بطون الإبل ، نحر الإبل واستخرج مائى بطونها من الماء فسقى الناس والخيول ومضى ، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع : انظروا ، هل ترون سديرا عظيما (والسدر بالسكسر : شجر النبق) فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد من أبيات :
عند الصباح يحمَدُ القومُ السريَّ وتنجلي عنهم غيايات السرى

يضرب للرجل يحتمل المشقة وجاء الراحة .

(٥) يروى « الغمرات » وكأنه قال : هي الغمرات ، أو القصة الغمرات تظلم ثم تنجلي . ويروى

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لَهَا مَصْعَدٌ حَزْنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلٌ^(١)
وَوَدَّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ (إِذَا مَا انْقَضَى) لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ^(٢)

وَقَالُوا : « خَيْرُ النَّاسِ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَشَرُّ النَّاسِ شَرُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ » وَقَالُوا :
« خَيْرُ مَا لَكَ مَا نَفَمَكَ » وَقَالُوا : « عَجَبًا لِفَرْطِ الْكِبَرَةِ مَعَ شَبَابِ الرَّغْبَةِ^(٣) »
وَقَالَ الرَّاجِزُ :

كَلْنَا يَا أَمْلُ مَدًّا فِي الْأَجَلِ وَالْمَنَايَا هِيَ آفَاتُ الْأَمَلِ^(٤)

وَقَالَ عبيد الله بن عكراش : « زَمِنْ خَتُونٌ ، وَوَارِثٌ شَفُونٌ^(٥) ، وَكَاسِبٌ
حَزُونٌ^(٦) ، فَلَا تَأْمَنِ الْخَتُونُ ، وَكُنْ وَارِثَ الشَّفُونِ^(٧) » وَقَالَ :
يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَسِيبُ مَعَهُ خَصْمَتَانِ : الْحَرْصُ وَالْأَمَلُ « وَكَانُوا يَعِيبُونَ مَنْ
يَأْكُلُ وَحْدَهُ ، وَقَالُوا : « مَا أَكَلَ ابْنُ عِمْرٍ وَحْدَهُ قَطُّ » ، وَقَالُوا : « مَا أَكَلَ
الْحَسَنُ^(٨) وَحْدَهُ قَطُّ » وَسَمِعَ مُجَاشِعُ الرُّبَيْعِيِّ قَوْلَهُمْ : « الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ
الظَّالِمِ » فَقَالَ : « أَخَذَى اللَّهُ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الشَّحُّ » وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

« غمرات » : أى هذه غمرات وهى الشدائد جمع غمرة لأنها تغمر الواقع فيها بشدتها : أى تفهمه ،
والمثل للأغلب العجلى ، يضرب فى احتمال الأمور العظام والصبر عليها .
(١) الثنية : المكان المرتفع الصعب المطالع ، أى إن الكرم شاق على النفس — لأن الفضيلة شاقة
ولولا مشقتها لساد الناس جميعاً .

(٢) الجزل : العظيم .

(٣) أى عجباً لأمري هرم فإن ورغبته فى الجمع والكسح فتية .

(٤) هكذا فى نسخة الشنقيطى ، وفى غيرها آفات الأجل .

(٥) الشفون فى الأصل : الناظر بمؤخر عينه كراهة أو عجباً . والمعنى هنا السكاره المترقب وفاة مورثه

(٦) أى شديد الحزن .

(٧) أى أفتق بحيث لا تترك شيئاً لو ارتك : فإذا مات استغدت من إرثه ولم يستفد من إرثك .

(٨) يعنى الحسن البصرى .

المُزَنَّى : « لو كان هذا المسجد مُفْعَمًا بالرجال ثم قيل لى : مَنْ خيرهم ؟ لقلت : خيرهم لهم^(١) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِشَرَارِكُمْ ؟ » قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قال : « مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ ، وَمَنَعَ رِفْدَهُ ، وَجَلَدَ عَبْدَهُ » وقالت امرأة عند جَنَازة رجل : « أَمَا وَاللَّهِ مَا كَانَ مَالُكَ لِبَطْنِكَ ، وَلَا أَمْرُكَ لِعِرْسِكَ^(٢) » .

٧٩ - رسالة ابن التوعم إلى الثقفى

فلما بلغت الرسالة ابن التوعم ، كره أن يجيب أبا العاص ، لما فى ذلك من المناقشة والمباينة^(٣) ، وخاف أن يترقى الأمر إلى أكثر من ذلك ، فكتب هذه وبعث بها إلى الثقفى :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أما بعدُ فقد بلغنى ما كان من ذكر أبى العاص لنا ، وتنويهه^(٤) بأسمائنا ، وتشنيعه علينا ، وليس يمنعنا من جوابه إلا أنه إن أجابنا لم يكن جوابنا إتياء على قوله الثانى أحق بالترك من جوابنا له على قوله الأول ، فإن نحن جعلنا لا ابتدائه جوابا ، وجعلنا لجوابه الثانى جوابا ، خرجنا إلى التَّهَارُ^(٥) ، وصرنا إلى التَّخَابُرِ^(٦) ، ومن خرج إلى ذلك فقد

(١) أى خيرهم أكثرهم إسداء خير لهم .

(٢) العرس : الزوجة ، أى كنت كريما مستقلا بتصرف أمورك .

(٣) أى الابتعاد والتهاجر .

(٤) التنويه هنا : الذكر ، أى وذكر أسمائنا ، فقد تقدم قول أبى العاص فى أول رسالته إلى الثقفى « واختلافك إلى ابن التوعم » .

(٥) تهاورا : ادعى كل على صاحبه باطلا .

(٦) تخابر الرجلان : تعالبا فى العلم والمعرفة ، يقال : خابره فى العلم يخبره : أى غلبه فغلبه ، وفى النسخ « التخابر » ولم نجد لها معنى .

رَضِيَ بِاللَّجَاجِ^(١) حَظًّا ، وبالسُّخْفِ^(٢) نصيبًا ، وليس يحترس من أسباب
 اللجاج إلا من عَرَفَ أسباب البُلُوَى^(٣) ، ومن وقاه الله سوء التَكْفِي^(٤)
 وسُخْفَه ، وعَصَمَه من سوء التصميم^(٥) ونَكَدِه ، فقد اعتدلت طبائعُه ،
 وتساوت خواطرُه ، ومن قامت أخلاقُه^(٦) على الاعتدال وتكافأت خواطره
 في الوزن ، لم يعرف من الأعمال إلا الاقتصاد ، ولم يجد أفعاله أبدأ إلا بين
 التقصير والإفراط ، لأن الموزون لا يولّد إلا موزونا ، كما أن المختلف لا يولّد
 إلا مختلفًا^(٧) ، فالمتتابع^(٨) لا يثنّيه زجرُه ، وليست له غايةٌ دون التَّلَفِ ،
 والمتكفي ليس له مائتٌ ولا جهةٌ ، ولا له رُقِيَّةٌ^(٩) ولا فيه حيلةٌ ، وكلُّ متلَوِّنٍ^(١٠)
 في الأرض فُتَحِلُّ العَقْدَ ، مُبَسِّرُ الكُلِّ رِيحَ ، فدع عنك خِلَاطَةَ الإِمْعَةِ^(١١)
 فإنّه حارِصٌ^(١٢) لا خيرَ فيه ، واجتنب رُكُوبَ الجُمُوحِ ذِي النَّزَوَاتِ ؛ فإن

(١) التماذى في الخصومة . (٢) السخف : ضعف العقل .

(٣) أى لأن اللجاج يؤدى حتما إلى شر ومصيبة ، فمن تجنب أسبابه تجنب أسباب المصائب .

(٤) الذى فى لسان العرب : التكفو : التمايل إلى قدام ، يهمز ولا يهمز ، والأصل الهمز ، تكفأ
 تكفؤا كتقدم تقدما ، فاذا خففت الهمزة التحق بالمتل وصار تكفى تكفيا كتسمى تسميا ، ولكن
 المراد بالتكفى هنا : اكتفاء المرء برأى نفسه وتشبهه به واستبداده ، يؤيد ذلك الفقرة التالية .

(٥) التصميم : المضى فى الأمر من غير إصغاء إلى نصيح .

(٦) انظر هامش ص ٥٠ .

(٧) أى لأن الأفعال آثار الأمزجة ، فاذا كانت الأمزجة معتدلة متزنة أنتجت أفعالا متزنة ،
 وإذا كانت مضطربة أنتجت أفعالا كذلك .

(٨) المتتابع : المتهاوت على الشر التماذى فيه السرعة إليه من غير تثبت أو نظر فى الأمور .

(٩) أى لا تجد منفذا لهدياته وإرشاده ، ولا تنفع فيه الوسائل ، وهو أشبه بمن مسته الجن ،

لا تنفع فيه رقية . والرقية : ما يقرأ المحموم والمضروع ليشفى .

(١٠) المتلون المتقلب فى الرأى ، له فى كل ساعة رأى .

(١١) الإمع والإمعة : الرجل يتابع كل إنسان على رأيه لا يثبت على شيء .

(١٢) الحارص : الملتهم لا يكاد يترك شيئا .

غايته القتل الزؤاف^(١)، ولا^(٢) في الحرون ذى التصميم، والمتلون شر من المصمم، إذ كنت لا تعرف له حالا يقصد إليها، ولا جهة يعمل عليها، ولذلك صار العاقل يخدع العاقل ولا يخدع الأحمق؛ لأن أبواب تدبير العاقل وحيلة معروفة، وطرق خوارطه مسلوكة، ومذاهبه محصورة معدودة، وليس لتدبير الأحمق وحيلة جهة واحدة من أخطأها كذب^(٣)، والخبر الصادق عن الشيء الواحد واحد، والخبر الكاذب عن الشيء الواحد لا يخصى له عدد، ولا يوقف منه على حد، والمصمم قتله بالإجهاز^(٤)، والمتلون قتله بالتعذيب^(٥)، فإن قلنا فليس إليه^(٦) تقصيد، وإن احتججنا فلسنا عليه نرد، ولكننا إليك تقصيد بالقول، وإليك نريد بالمشورة، وقد قالوا: «احفظ سرك فإن سرك من دمك» وسواء ذهب نفسك وذهب ما به يكون قوام نفسك^(٧)، قال المنجذب العنبري: «ليس بكبير ما أصلحه المال^(٨)» وفقد الشيء الذي به تصلح الأمور، أعظم من الأمور^(٩)، ولهذا قالوا في الإبل: «لولم يكن فيها إلا أنها رقوء^(١٠) الدم» فالشيء الذي هو ثمن الإبل وغير الإبل أحق بالصون،

(١) عبارة النسخ « واجتنب ركوب الجوح فإن غايته قبل الذواق ذى البدوات » وهي غير مفهومة . والقتل الزؤاف : السريع .
(٢) عطف على المجرور في الأخير فيه ، أى ولاخير في الحرون ، والحرون : الدابة تعصى صاحبها فتقف ولا تمشي .

(٣) أى ليس للأحمق اتجاه واحد في تدبيره ، حتى إذا لم يهتد إليه إنسان قيل إنه أخطأ .

(٤) المراد أن الضرر الذى يصل من المصمم يصل دفعة واحدة ، فهو كالقتل بالإجهاز .

(٥) أى أن المتلون يأتيك منه الضرر في نوبات متقطعة ، فكأنه يقتل بالتعذيب .

(٦) الضمير في إليه يعود إلى المتلون .

(٧) أى مادام السر جزءا من الدم وهو قوام النفس ، فقدده يساوى فقد النفس .

(٨) أى كل ضرر يستطيع المال أن يصلحه ليس بكبير .

(٩) أى فقد المال الذى يصلح اختلال الأمور أعظم من فقد أى أمر .

(١٠) رقأ الدم : جف وسكن ، والرقوء كصبور : ما يوضع على الدم ليرقته : أى أنها تحقن الدماء

وقد قضوا بأن حفظ المال أشدُّ من جمعه ، ولذلك قال الشاعر :

وحِفْظُكَ مَالاً قَدْ عُنِيتَ بِجَمْعِهِ أَشَدُّ مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

ولذلك قال مشترى الأرض لبائعيها حين قال له البائع : دفعْتُها إليك بطيئة

الإِجابة ، عظيمة المَثْوَنَةُ^(١) ، قال^(٢) : دفعْتُها^(٣) إليك بطيئة الاجتماع ، سريعة

التفرق ، والدرهم هو القُطْبُ الذي تدور عليه رَحَى الدنيا . واعلم أن التلخص

من نزوات الدرهم وتقلُّبه من سُكر الفنى وتقلُّته شديد^(٤) ، فلو كان إذا تَلَّتْ

كان حارسُه صحيحَ العقل سليمَ الجوارح كَرَدَه في عقله ، ولَشَدَه بِوِثاقه ،

ولَكِنَّا وجدنا ضعفَه عن ضَبْطه بقدر قلَقه في يده^(٥) ، ولا تغترَّ بقولهم :

« مال صامت^(٦) » فَإِنَّهُ أَنْطَقُ مِنْ كُلِّ خَطِيبٍ ، وَأَنْمُ مِنْ كُلِّ نَمَّامٍ ، فلا

تَكْتَرِثُ بقولهم : « هَذِينَ الْحَجَرِينَ^(٧) » فَتَتَوَهَّمُ جُودَهُمَا وَسُكُونَهُمَا وَقِلَّةَ

ظَفَرِهِمَا وَطُولَ إِقَامَتِهِمَا ، فَإِنَّ عَمَلَهُمَا وَهَمَّ سَاكِنَانِ ، وَنَقْضَهُمَا لِلطَّبَائِعِ وَهَمَّ

ثَابِتَانِ ، أَكْثَرُ مِنْ صَنِيعِ السُّمِّ النَّاقِعِ ، وَالسَّمْعِ الْعَادِي ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَكْتَفِي

لأنها تدفع في الديات فكيف صاحب الثأر عن طلبه فيحقق دم القاتل ، وجواب لو محذوف : أى لكفاها فضلا وهو من قول أكرم بن صيفي - انظر جهرة خطب العرب ١ : ٣٠٤ .

(١) الضمير في دفعها يعود للأرض أى أنها لا تشر إلا بعد مدة وهى تحتاج إلى نفقات كثيرة حتى

تثمر . (٢) الضمير فى قال يعود للمشتري .

(٣) الضمير فى دفعها يعود للدرهم وهى ثمن الأرض .

(٤) ثقل الدرهم : انتقاله من يد إلى يد ، ويكون أكثر ثقل الدرهم بسبب الاغترار بالفنى : أى إن

رياضة الدرهم ومنعه من الثقل والفرار عند ما تدرك صاحبه نشوة النوى والاستهانة بالمال ليست بالأمر الهين .

(٥) أى أننا شاهدنا ضعف مالك الدرهم عن حبسه مساويا لثقل الدرهم ورغبته فى الفرار .

(٦) المال الصامت : الذهب والفضة ونحوهما ، والمال الناطق : الحيوان .

(٧) نصبه على تقدير : اجمع هذين الحجرين مثلا ، وهما الذهب والفضة .

بصنيعة^(١) حتى تُمدّه ، ولا تحتالُ فيه حتى يُحتالَ له ، فالقبرُ خيرُ لك من الفقر ، والسجنُ خيرُ لك من الدُّلّ .

وقولى هذا مرثه يُعقِبُ حلاوةَ الأبد ، نخذ لنفسك بالثقة^(٢) ، فقولك الماضي حلو يُعقِبُ مرارةَ الأبد ، نخذ لنفسك بالثقة ، ولا ترضَ أن يكون الحِرْبَاءُ الرَّاكِبُ العودِ أَحْزَمَ منك ، فإن الشاعر يقول :

أَنْى أُتَيْحَ لَهَا حِرْبَاءُ تَنْضِبَةٌ لَا يُرْسِلُ السَّاقُ إِلَّا مُنْصِكَ سَاقًا^(٣)
واحذر أن تُخرجَ من مالكِ درهمًا حتى ترى مكانه خيراً منه ، ولا تنظرُ إلى كثرتِه ، فإنَّ رملَ عالج^(٤) لو أخذَ منه ولم يُردَّ عليه لذهبَ عن آخره ، إن القومَ قد أكثرُوا في ذكر الجودِ وتفضيله ، وفي ذكر الكرمِ وتشريفه ، وسَمَّوْا الشَّرْفَ جوداً وجعلوه كرمًا ، وكيف يكون كذلك وهو نتاجُ ما بين الضعفِ والنَّفْعِ^(٥) ، وكيف والعطاءُ لا يكونَ سَرَفًا إلا بعد مجاوزة الحق ، وليس وراء الحق إلى الباطلِ كرمٌ ، وإذا كان الباطلُ كرمًا كان الحقُّ لَوْماً ، والسَّرَفُ - حفظك الله - معصيةٌ ، وإذا كانت معصيةُ الله كرمًا ، كانت

(١) الصنير في صنيعه يعود إلى الدرهم ، وحتى تَمُدّه : أى تساعد على التفتت .

(٢) أى حصن نفسك بالثقة بهذا القول .

(٣) الحِرْبَاءُ مذكر والنضبة : شجرة حجازية شائكة ، والحرباء يشتد عليه حر الشمس فيلجأ إلى ساق شجرة يستظل بظلها ، فإذا أدركته الشمس تحول إلى ساق أخرى ، وهو مثل يضرب لمن لا يدع له حاجة إلا سأل أخرى - انظر مجمع الأمثال ٢ : ١١١ ، وجاء في لسان العرب مادة حرب « قال أبو داود الإيادى : أنى أتيسح له قال ابن برى : هكذا أنشده الجوهري وصواب إنشاده « أنى أتيسح لها » لأنه وصف ظمنا ساقها وأزعجها سائق مجد ، فتعجب كيف أتيسح لها هذا السائق الجذ الحازم ، وهذا مثل يضرب للرجل الحازم ، لأن الحرباء لا يفارق النصف الأول حتى يثبت على النصف الآخر » .

(٤) عالج : رمال معروفة بالبادية .

(٥) النفع : التفاخر الكاذب بالمال .

طاعته لئوما ، ولئن جمعهما ^(١) اسم واحد ، وشملهما حكم واحد (ومضادة ^(٢))
الحق الباطل كمضادة الصدق للكذب ، والوفاء للغدر ، والجور للعدل ،
والعلم للجهل (ليجمعن هذه الخصال اسم واحد ، وليشملنها حكم واحد ،
وقد وجدنا الله عاب السرف ، وعاب الحمية ^(٣) ، وعاب المعصية ، ووجدناه
قد خص السرف بما لم يخص به الحمية ^(٤) ، لأنه ليس حُبُّ المرء لرهطه من
المعصية ، ولا أنفته من الضيم من حمية الجاهلية ، وإنما المعصية ما جاوز الحق ،
والحمية المعيبة ما تعدى القصد ، فوجدنا اسم الأنفة قد يقع محموداً ومذموماً ،
وما وجدنا اسم المعصية ولا اسم السرف يقع أبداً إلا مذموماً ، وإنما يسرُّ
باسم السرف جاهل لا علم له ، أو رجل إنما يسرُّ به لأن أحداً لا يسميه
مُسرفاً حتى يكون عنده قد جاوز حد الجود ، وحكم له بالحق ثم أردفه
بالباطل ^(٥) ، فإن سرَّ من غير هذا الوجه ^(٦) ، فقد شارك المادح في الخطأ ،
وشا كله في وضع الشيء في غير موضعه .

وقد أكثروا في ذكر الكرم ، وما الكرم إلا كبحض الخصال
المحمودة التي لم يهدمها بعض الذم ^(٧) ، وليس شيء يخلو من بعض النقص

(١) أي جمع السرف والكرم .

(٢) هذه الجملة حالية معترضة بين القسم (لئن جمعهما) وجوابه (ليجمعن) .

(٣) الحمية : شدة الأنفة ، وهي النضب والإباء للحماية ، قال تعالى : « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ » .

(٤) أي مع أن الله عاب الحمية فإن هناك ضرباً من الحمية محموداً ، أما السرف والمعصية فمذموماً على الإطلاق ، وليس في أحدهما نوع محمود .

(٥) أي أنه يسرُّ بوصفه بالسرف ، لأن هذا الوصف يتضمن معنى الجود ، ثم مجاوزة الحد فيه ، فواصفه في هذه الحال حكم له بالجود ضمناً ، وهذا حق ، ثم أردفه بالبطل وهو مدح السرف .

(٦) أي وظن أن مادحه يصفه بالجود المحمود الذي لم يخرج إلى السرف .

(٧) أي لم يفد منها بعض الذم بتجاوزها القصد أو بالمغالاة فيها .

والوهن ، وقد زعم الأولون أن الكرم يسبب الغبا^(١) ، وأن الغبا يسبب
البله^(٢) ، وأنه ليس وراء البله إلا العته^(٣) ، وقد حكوا عن كسرى أنه قال :
« احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللثيم إذا شبع » وسواء جاع فظلم ،
وأحفظ وعسف ، أم جاع وكذب ، وضرع وأسف^(٤) ، وسواء جاع فظلم
غيره ، أم جاع فظلم نفسه ، والظلم لؤم ، وإن كان الظلم ليس بلؤم ،
فالإنصاف ليس بكرم ، وإن كان الجود على من لا يستحق الجود كرما ،
فالجود لمن وجب له ذلك ليس بكرم ، فالجود إذا كان لله كان شكرا له ،
والشكر كرم ، ولن يكون الجود إذا كان معصية كرما ، وكيف يتكرم
من يتوصل بأياديك إلى معصيتك ، وبنعمك إلى سُخطك ، فليس الكرم
إلا الطاعة ، وليس اللؤم إلا المعصية ، وليس بجود ما جاوز الحق ، وليس
بكرم ما خالف الشكر ، ولئن كان مجاوز الحق كريما ليكون المقصر دونه
كريما^(٥) ، فإن قضيتهم بقول العامة^(٦) فالعامة ليست بقدوة . وكيف يكون
قدوة من لا ينظر ولا يُحصّل ، ولا يفكر ولا يمثل^(٧) ، وإن قضيتهم بأقاويل
الشعراء وما كان عليه أهل الجاهلية الجهلاء ، فما قبّحوه مما لا يشك في
حُسْنِهِ أَكْثَرُ من أن نقف عليه أو نتشاغل باستقصائه .

(١) الغبا : عدم النقطة ، غبي الشيء وعنه كفرح غبا وغباوة ، وعبارة النسخ « أن الكرم يسبب الغنى وأن الغنى ... » .

(٢) البله : ضعف العقل وبابه فرح .

(٣) في النسخ « المعتوه » والعته : نقص العقل أو فقده ، والمراد هنا الثاني .

(٤) أسف : انحط إلى دنياث الأمور .

(٥) أى إذا عد مجاوز الكرم إلى السرف كريما ، جاز أن يعد المقصر دون حد الكرم كريما مادام معنى الكرم لا يدرك إدراكا صحيحا .

(٦) وهو عدم كل سرف كرما .

(٧) لا يمثل : أى لا يصور الحقائق تصويرا صادقا .

على أنه ليس بجودٍ إلا ما أوجب الشكر ، كما أنه ليس ببخلٍ إلا ما أوجب اللؤم ، ولن تكون العطية نعمةً على المعطي حتى تراودَ بها^(١) نفسُ ذلك المعطي ، ولن يجب عليه الشكرُ إلا مع شريطة القصد ، وكلُّ مَنْ كان جوده يرجع إليه - ولولا رجوعه إليه لما جادَ عليك ، ولو تهياً له ذلك المعنى في سواك ، لما قصدَ إليك - فإنما^(٢) جملك معبراً لدرك حاجته ، ومزكياً لبوغ محبته ، ولولا بعضُ القول^(٣) لوجبَ لك عليه حق يجب به الشكر ، فليس يجب لمن كان كذلك شكرٌ ، وإن انتفعتَ بذلك منه ، إذ كانَ لنفسه عملٌ ، لأنه لو تهياً له ذلك النفعُ في غيرك لما تخطأه إليك .

وإنما يوصف بالجود في الحقيقة ، ويُشكر على النفع في حُجَّة العقل ، الذي إن جاد عليك فلك جادٌ ، ونفَعُكَ أرادَ ، من غير أن يرجع إليه جوده بشيء من المنافع على جهةٍ من الجهات ، وهو الله وحده لا شريك له ، فإن شَكَرنا للناس على بعض ما قد جرى لنا على أيديهم ، فإنما هو لأمرين : أحدهما التعبُّد ، وقد نعبد الله بتعظيم الوالدين وإن كانا شيطانين ، وتعظيم مَنْ هو أَسَنُ^(٤) منا ، وإن كنا أفضلَ منه ، والآخرُ لأن النفس مالم تحصلِ الأمورَ وتميزِ المعاني ، فالسابقُ إليها حُبٌّ مَنْ جَرى لها على يده خيرٌ ، وإن كان لم يُردّها ولم يقصدِ إليها .

ووجدنا عطية الرجل لصاحبه لا تخلو أن تكون لله ، أو لغير الله ، فإن

(١) تراود : أى تقصد وتبغى ، أى إلا إذا أريد بها نفس الآخذ لا ما ينتظر منه من فائدة .

(٢) جملة فإنما خبر المبتدأ « وكل من كان جوده » وقرن الخبر بالفاء للدلالة المبتدأ على العموم .

(٣) أى ولولا الخوف من بعض القول وهو أن تهتم بالمغالاة لقلنا بوجوب شكر الجواد للمجود عليه .

(٤) كذا في عيون الأخبار ، وفي النسخ « من هو شر منا وإن كنا أفضل منهم » .

كانت لله فتوابعه على الله ، وكيف يجب على في حُجَّة العقل شكره ، وهو لو صادف ابن سبيلٍ غيري لَمَا حَمَلَنِي ^(١) ولا أعطاني ، وإِما أن يكون إعطاؤه إياي للذكر ، فإذا كان الأمر كذلك فإنما جعلني سُلَّماً إلى تجارتِه ، وسبباً إلى بُعَيْتِه ، أو يكون إعطاؤه إياي من طريق الرحمة والرِّقَّة ، ولَمَا يجد في فؤاده من العُصَّة والألم ، فإن كان لذلك أُعْطِيَ فإنما دَاوَى نفسه من داءه ، وكان كالذي رَفَّه من خِناقِه ، وإن كان إنما أعطاني على طلب المجازاة وحُبِّ المكافأة ، فأمرٌ هذا معروف ، وإن كان إنما أعطاني من خَوف يدي أو اساني ، أو اجترار معونتي ونُصرتي ^(٢) ، فسبيله سبيلُ جميع ما وصفنا وفَصَّلنا .

فَلِاسْمِ الجود موضعان : أحدهما حقيقةٌ ، والآخر مجاز ، فالحقيقة : ما كان من الله ، والمجاز : المشتقُّ من هذا الاسم ^(٣) ، وما كان لله كان ممدوحاً ، وكان لله طاعةً ، فإذا لم تكن العطية من الله ، ولا لله ، فليس يجوز هذا فيما سَمَّوه جوداً ، فما ظنك بما سَمَّوه سرفاً ؟

افهم ما أنا مُورِّدُه عليك ، وواصفُه لك ، إن التبرُّح والتكسب والاستئْكال ^(٤) بالخدِعة والطَّمَم الخبيثة فاشيةٌ غالبيةٌ ، ومستفيضةٌ ظاهرةٌ ، على أن كثيراً ممن يضأن اليوم إلى النزاهة والتكرُّم ، وإلى الصيانة والتوقى ،

(١) حملا : أعطاه ظهرا يركبه .

(٢) كذا في عيون الأخبار ، وفي النسخ « أو صرف معونتي ومضرتي » .

(٣) قسم الجود قسمين : حقيق وهو ما كان من الله مباشرةً ، ومجازي وهو ما كان مشتقاً ومتفرعاً من جود الله وآتياً على يد مخلوق .

(٤) استأكل : أخذ أموال الضعفاء كالنساء واليتامى ونحوهم وعاش عليها .

لِيَأْخُذُ مِنْ ذَلِكَ بِنَصِيبٍ وَافِرٍ ، وَبِعُدِّ وَافٍ ^(١) ، فَمَا ظَنُّكَ بِدَهْمَاءِ النَّاسِ وَجُمْهُورِهِمْ ؟ بَلْ مَا ظَنُّكَ بِالشُّعْرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ الَّذِينَ إِنَّمَا تَعَلَّمُوا الْمُنَاطِقَ لِصِنَاعَةِ التَّكْسِبِ ؟ وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ يُوَدِّهِمْ أَنْ أَرْبَابَ الْأَمْوَالِ قَدْ جَاوَزُوا حَدَّ السَّلَامَةِ إِلَى الْعَفْلَةِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِلْأَمْوَالِ حَارِسٌ ، وَلَا دُونَهَا مَانِعٌ ، فَاخْذَرِهِمْ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى بَرَّةٍ ^(٢) أَحَدِهِمْ ؛ فَإِنَّ الْمَسْكِينِ أَقْنَعُ مِنْهُ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَوْكِبِهِ ، فَإِنَّ السَّائِلَ أَعْفَى مِنْهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ فِي مَسْكٍ ^(٣) مَسْكِينٍ ، وَإِنْ كَانَ فِي ثِيَابِ جَوَادٍ ^(٤) ، وَرُوحِهِ رُوحَ نَذْلٍ ، وَإِنْ كَانَ فِي جِرْمٍ مَلِكٍ ، وَكَلْبِهِمْ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ وَجْهُهُ مُسَائِلَتُهُمْ ، وَاخْتَلَفَتْ أَقْدَارُ مُطَالِبِهِمْ ، فَهُوَ مَسْكِينٌ إِلَّا أَنْ وَاحِدًا يَطْلُبُ الْعَلَقَ ^(٥) ، وَآخِرُ يَطْلُبُ الْخَرِقَ ، وَآخِرُ يَطْلُبُ الدَّوَانِيْقَ ^(٦) ، وَآخِرُ يَطْلُبُ الْأُلُوفَ ، فَجَهَةٌ هَذَا هِيَ جَهَةٌ هَذَا ، وَطُعْمَةٌ ^(٧) هَذَا هِيَ طُعْمَةٌ هَذَا ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَقْدَارِ مَا يَطْلُبُونَ عَلَى قَدْرِ الْحِذْقِ وَالسَّبَبِ ^(٨) ، فَاخْذَرُوا قَاهِمَ ^(٩) وَمَا نَصَبُوا لَكَ مِنَ الشَّرِّكَ ، وَاحْرُسْ نِعْمَتَكَ وَمَا دَسُّوا لَهَا مِنَ الدَّوَاهِي ، وَاعْمَلْ عَلَى أَنْ سِيحَرَهُمْ يَسْتَرِيقُ الذَّهْنَ ، وَيَخْتَطِفُ الْبَصَرَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » وَسَمِعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فِي حَاجَةٍ فَقَالَ : « هَذَا وَاللَّهِ السِّحْرُ الْحَلَالُ » وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا خِلَابَةَ ^(١٠) »

(١) المد : مكيال مقداره رطل وثلاث عند أهل الحجاز ، والمراد به هنا مطلق مقدار .

(٢) البرة : حسن الهيئة . (٣) المسك : الجلد .

(٤) في بعض النسخ « جواد » .

(٥) العلق بالكسر ويفتح : النفيس من كل شيء .

(٦) الدانيق بكسر النون ويفتح والدانيق : سدس الدرهم .

(٧) الطعنة : وجه المكسب . (٨) السبب : الوسيلة .

(٩) الرقي جمع رقية ، وهي كلمات تقرأ للمحكوم والمصروع ليشفي . والمعنى أن لهم كلاما كالسحر .

(١٠) الخلاية : الخداع ، وفي الحديث « إذا بايعت قتل : لا خلاية » .

واَحْذَرِ اَحْتِمَالَ مَدِيحِهِمْ ، فَإِنْ مَحْتَمَلِ الْمَدِيحِ فِي وَجْهِهِ كَدْحَ نَفْسِهِ .
 إِنَّ مَالَكَ لَا يَسْتَعِ مُرِيدِيهِ ، وَلَا يَبْلُغُ رِضَا طَالِبِيهِ ، وَلَوْ أَرْضِيَتْهُمْ بِإِسْخَاطِ
 مِثْلِهِمْ لَكَانَ ذَلِكَ خُسْرَانًا مُبِينًا ، فَكَيْفَ وَمَنْ يَسْخَطُ أَضْعَافُ مَنْ يَرْضَى ؟
 وَهَجَاءُ السَّاخِطِ أَضْرُّ مِنْ فَقْدِ مَدِيحِ الرَّاضِي ، وَعَلَى أَنَّهُمْ إِذَا اعْتَوَرُوا
 بَعَثَاقِصَهُمْ^(١) ، وَتَدَاوَلُوا بِسَهَامِهِمْ ، لَمْ تَرَ مِمَّنْ أَرْضِيَتْهُ بِإِسْخَاطِهِمْ أَحَدًا
 يَنَاضِلُ عَنْكَ . وَلَا يُهَاجِي شَاعِرًا دُونَكَ ، بَلْ يُخَلِّيكَ غَرَضًا اسْمَهُمْ ،
 وَدَرِيَّةً^(٢) لِنَبَاهِهِمْ ، ثُمَّ يَقُولُ : وَمَا كَانَ عَلَيْهِ لَوْ أَرْضَاهُمْ ! فَكَيْفَ يُرْضِيهِمْ ،
 وَرِضَا الْجَمِيعِ شَيْءٌ لَا يُنَالُ ؟ وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ : وَكَيْفَ يَتَّفِقُ لَكَ رِضَا الْمُخْتَلِفِينَ ؟
 وَقَالُوا : مَنَعُ الْجَمِيعِ أَرْضَى لِلْجَمِيعِ ، إِنِّي أَحْذَرُكَ مِصَارِعَ الْمَخْدُوعِينَ ،
 وَأَرْفَعُكَ عَنْ مِصَاجِعِ الْمَغْبُونِينَ ، وَلَسْتُ^(٣) كَمَنْ لَمْ يَزَلْ يُقَاسِي تَعَذُّرَ
 الْأُمُورِ ، وَيَتَجَرَّعُ مَرَارَةَ الْعَيْشِ ، وَيَتَحَمَّلُ ثِقَلَ الْكَدِّ ، وَيَشْرَبُ بِكَأْسِ
 النِّدَالِ ، حَتَّى كَادَ يَمُرُّنَ عَلَى ذَلِكَ جِلْدُهُ ، وَيَسْكُنُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ ، وَفَقْرُ مِثْلِكَ
 مِضَاعِفُ الْأَلَمِ ، وَجَزَعُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْأَلَمَ أَشَدُّ ، وَمَنْ لَمْ يَزَلْ فَقِيرًا فَهُوَ
 لَا يَعْرِفُ الشَّامِتِينَ ، وَلَا يَدْخُلُهُ الْمَكْرُوهُ مِنْ سُرُورِ الْحَاسِدِينَ ، وَلَا يُبْلِغُهُ
 عَلَى فَقْرِهِ ، وَلَا يَصِيرُ مَوْعِظَةً لِنُفْسِهِ ، وَحَدِيثًا يَبْقَى ذِكْرُهُ . وَيَلْمَنُهُ بَعْدَ
 الْمَمَاتِ وَلَدُهُ .

وَدَعْنِي مِنْ حِكَايَاتِ^(٤) الْمُسْتَأْكِلِينَ ، وَرُقَى الْخَادِعِينَ ، فَمَا زَالَ النَّاسُ

(١) الشاقص : جمع مشقص كبير ، وهو النصل العريض .

(٢) ما يستربه .

(٣) في النسخ إنك كمن الخ وهو غير مناسب لسياق المعنى ، لأنه يريد أن يقول : إنك لم تعتد الفقر حتى يكون ألمه خفيفاً ، وفقر مثلك بعد الغنى يكون مضاعف الآلام شديد الوقع .

(٤) أى ما اخترعونه من حكايات مكدوبة في السكرم الذى تجاوز الحد لخداع ضعفاء العقول .

يحفظون أموالهم من مواقع السَّرَف ، ويحنبونها وجوه التبذير ، ودعنى مما لا نراه إلا فى الأشعار المتكافئة ، والأخبار المولدة ، والكتب الموضوعة ، فقد قال بعض أهل زماننا : ذهبت المكارم إلا من الكتب .

نفذ فيما تعلم ، ودع نفسك مما لا تعلم ، هل رأيت أحدا قط أنفق ماله على قوم كان غناهم سبب فقره أنه سلم^(١) عليهم حين افتقر فردوا عليه ، فضلا على غير ذلك^(٢) ؟ أو لست قد رأيتهم بين محقق ومحتجب عنه ، وبين من يقول : فهلا أنزل حاجته بفلان الذى كان يفضلته ويقدمه ويؤثره ويخصه ؟ ثم لعل بعضهم أن يتجنى عليه ذنوبا ليجعلها عذرا فى منعه ، وسببا إلى حرمانه ، قال الله جل ذكره « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ . خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ^(٣) » فأننا القائم عليك بالوعظة والزجر والأمر والنهى ، وأنت سالم العقل والعرض ، وافر المال ، حسن الحال ، فاتق أن أقوم غدا على رأسك بالتقريع والتعيير ، وبالتوبيخ والتأنيب ، وأنت عليل القلب ، محتل العرض ، عديم من المال ، سيئ الحال ، ليس جُهدُ البلاء^(٤) مدد الأعناق ، وانتظار وقع السيوف ، لأن الوقت قصير ، والحس مغمر ، ولكن جُهد البلاء أن تظهر الخلة^(٥) ، وتطول المدّة ، وتمجز الحيلة ، ثم لا تعدم صديقا

(١) المصدر المؤول بدل من أحدا .

(٢) أى فضلا على الإيذاء والتنشيع وعدم الوفاء له .

(٣) سياق الآية الكريمة أن من استطاع أن يعمل شيئا ولم يعمل ، أسف عند فوات الفرصة على

عجزه عن عمله .

(٤) جهد البلاء : غاية ما اتصل إليه المصيبة .

(٥) الخلة : الفاقة والحاجة .

مؤنِّبًا ، وابنَ عمِّ شامتًا ، وجارا حاسِرًا^(١) ، ووليًّا قد تحوَّل عدوا ، وزوجةً
مختلعةً^(٢) ، وجاريةً مستتبعةً^(٣) ، وعبدًا يحقِّرك ، وولدا ينتهرك ، فانظر أين موقعُ
فَوْتِ الشَّاءِ مِنْ مَوْقِعِ مَا عَدَدْنَا عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ ؟ عَلَى أَنْ الشَّاءَ طُعْمَ^(٤) ،
وَلَمَّا لَكَ إِلَّا تَطْعَمَهُ^(٥) ، وَالْحَمْدَ أَرْزَاقُهُ وَلَمَّا لَكَ إِلَّا تُحْرَمَهُ ، وَمَا يَضِيعُ مِنْ إِحْسَانِ
النَّاسِ أَكْثَرُ^(٦) .

وعلى أن الحفظ^(٧) قد ذهب بموت أهله ، ألا ترى أن الشعر لما كَسَدَ
أُخِمْ أهله ، ولما دخل النقصُ على كل شيء أخذ الشعر منه بنصيبه ؟ ولما تحولت
الدولة في العجم - والعجم لا تحوُّط الأنساب - ولا تحفظ المقامات ، لأن من
كان في الرِّيف^(٨) والكفاية ، وكان مغمورا بسُكْرِ الغنى ، كثر نسيانه ،
وقلَّتْ خواطره ، ومن احتاج تحركت همته ، وكثر تنقيده^(٩) ، وعيبُ الغنى
أنه يورث البلادة ، وفضيلةُ الفقر أنه يبعثُ الفكر ، وإن أنت صَحِبْتَ الغنى
بإِهْمَالِ النَّفْسِ أَسْكُرَكَ الغنى ، وَسُكْرُ الغنى سُبَّةُ الْمُسْتَأْكِلِينَ ، وَنُهْزَةُ
الْخُدَّاءِ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى بِحِظِّ النَّاسِ ، وَبِعِيشِ الْبَهَائِمِ ، وَأَحْبَبْتَ أَنْ

(١) الحاسر : المتخفف الحزين .

(٢) المختلعة : من دفعت إلى زوجها مالا فطلقها .

(٣) استباعه الشيء : سأله أن يبيعه إياه . والجارية المستبعة : هي التي سألت سيدها أن يبيعه .
والسبب هنا فقره وضيق الحياة عنده .

(٤) جمع طعمة : وهي المأكلة .

(٥) أى إن جدت وأسرفت ، وقوله « ألا تحرمه » أى إن بخلت وأمسكت ، وربما كان الأصل
« أن تطعمه » على تقدير « إن بخلت » كما هو التقدير فى الثانى .

(٦) أى أن الضائع من أخبار الإحسان أكثر مما يبقى منها ، فلا تغتر بأن الإحسان يبقى لك حسن
الذكر فإنه عرضة للنسيان .

(٧) أى حفظ الجليل والمعروف أو حفظ أخبار الكرماء .

(٨) الريف : الأرض فيها زرع وخصب .

(٩) أى بئس عن الأنساب ومنازل الرجال وأخبار الناس وأيامهم ليتخذ من ذلك بضاعة للمديح .

تَجْمَعُ مَعَ تَمَامِ نَفْسِ الْمُتَرَى ، وَمَعَ عِزِّ الْغَنَى وَسُرُورِ الْقُدْرَةِ ، فِطْنَةُ الْخُفِّ ،
وَحَوَاطِرِ الْمُقِلِّ ، وَمَعْرِفَةُ الطَّارِبِ ، وَاسْتِدْلَالُ الطَّالِبِ ، اقْتَصَدَتْ فِي
الْإِنْفَاقِ ، وَكَانَتْ مُعِدَّةً لِلْحَدَثَانِ ، وَمَحْتَرِسًا مِنْ كُلِّ خَدَاعٍ .

لَسْتُ تَبْلُغُ حَيْلَ لُصُوصِ النَّهَارِ ، وَحَيْلَ سُرَّاقِ اللَّيْلِ ، وَحَيْلَ طُرَّاقِ
الْبُيُوتِ ، وَحَيْلَ أَصْحَابِ الْكِيمِيَاءِ ، وَحَيْلَ التَّجَّارِ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَالصُّنَّاعِ فِي
جَمِيعِ الصَّنَاعَاتِ ، وَحَيْلَ أَصْحَابِ الْحُرُوبِ ، وَحَيْلَ الْمُسْتَأْكِلِينَ وَالْمُتَكَسِّبِينَ ،
وَلَوْ جَمَعْتَ الْخُبْرَ ^(١) وَالسَّحْرَ وَالْتِمَاشَ ^(٢) وَالسَّمَّ ، لَكَانَتْ حِيلُهُمْ فِي النَّاسِ أَشَدَّ
تَغْلُفًا ، وَأَعْرَضَ وَأَسْرَى فِي عُمُقِ الْبَدَنِ ، وَأَدْخَلَ إِلَى سُودَاءِ الْقَلْبِ وَإِلَى
أَمِّ الدِّمَاغِ ، وَإِلَى صَمِيمِ الْكَبِدِ ، وَلَهَى أَدَقُّ مَسَلَكًا ، وَأَبْعَدُ غَايَةً مِنْ
الْعَرِيقِ ^(٣) السَّارِي ، وَالشَّبَّهِ النَّازِعِ ^(٤) ، وَلَوْ اتَّخَذْتَ الْحَيْطَانَ الرَّفِيعَةَ الشَّخِينَةَ ،
وَالْأَقْفَالَ الْمُحْكَمَةَ الْوَثِيقَةَ ، وَلَوْ اتَّخَذْتَ الْمَمَارِقَ ^(٥) وَالْجَوَاسِقَ ^(٦) وَالْأَبْوَابَ
الشَّدَادِ ، وَالْحَرَسَ الْمُنَاوِينَ بِأَغْلَظِ الْمُؤَنِّ ، وَأَشَدِّ الْكَلَامِ ، وَتَرَكْتَ التَّقَدَّمَ
فِيمَا هُوَ أَحْضَرُ ضَرَرًا ^(٧) ، وَأَدْوَمُ شَرًّا ، وَلَا غَرْمَ عَلَيْكَ فِي الْحِرَاسَةِ فِيهِ ، وَلَا
مَشَقَّةَ عَلَيْكَ فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ ^(٨) ، إِيَّاكَ إِنْ فَتَحْتَ لَهُمْ عَلَى نَفْسِكَ مِثْلَ سَمٍّ

(١) الخبر : تمام المعرفة .

(٢) التماس : جمع تمية ، وهي خرزة أو نوحا يعلقها الأعراب على أولادهم لدفع الشر .

(٣) العرق : جذر النبات .

(٤) أى شبه الأبناء بأبائهم وأجدادهم ، فإن الشبه قد يسرى إلى غاية بعيدة في النسب .

(٥) الممارق : جمع مرق بالفتح ، وهو هنا المكان الخفي للفرار .

(٦) جمع جوسق بالفتح ، وهو القصر .

(٧) هو حيل المستأكلين وتماق المجتدين .

(٨) جواب لو اتخذت الممارق محذوف يدل عليه ما قبله : أى لكانت حيلهم أشد .

الْحَيَاطِ جَعَلُوا فِيهِ طَرِيقًا نَهْجًا، وَلَقِيَ^(١) رَحْبًا، فَأَحْكِمِ بَابَكَ، ثُمَّ أَدِمِ^(٢) إِصْفَاقَهُ، بَلْ أَدِمِ إِغْلَاقَهُ، فَهُوَ أَوْلَى بِكَ، وَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى مُصْنَمَتٍ^(٣) لَاحِيَلَةٍ فِيهِ فَذَلِكَ أَشْبَهَ بِحَزْمِكَ، وَلَوْ جَمِلْتَ الْبَابَ مُبْنً، وَالْقُفْلَ مُصْنَمًا، لَتَسَوَّرُوا عَلَيْكَ مِنْ فَوْقِكَ، وَلَوْ رَفَعْتَ سَمَكَهُ إِلَى الْعِثْرِ^(٤) لَنَقَبُوا عَلَيْكَ مِنْ تَحْتِكَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «نِعْمَ صَوْمَعَةُ الْمُؤْمِنِ بَيْتُهُ» وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: «الْعَزَلَةُ عِبَادَةٌ».

وَحَلَاوَةُ حَدِيثِهِمْ^(٥) تَدْعُو إِلَى الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهُمْ، وَتَدْعُو إِلَى إِحْضَارِ^(٦) غَرَائِبِ شَهْوَاتِهِمْ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: «كُلْ رِخْلَةً^(٧) وَاشْرَبْ مِشْعَلًا^(٨)»، ثُمَّ تَجَشَّأَ وَاحِدَةً لَوْ أَنَّ عَلَيْهَا رَحِيَّ لَطَحَنَتْ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ حِينَ دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ يَشْرَبُونَ، وَعِنْدَهُمْ قِيَانٌ، فَقَالُوا: أَقْتَرِحْ أَيْ صَوْتِ شَدَّتْ، قَالَ: «أَقْتَرِحْ نَشِيشَ^(٩) مِقْلَى» وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْمَدِينِيِّ^(١٠): «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ مَوْزَاتٍ، وَبَقْدَحٍ مِنْ لَبَنٍ^(١١) الْأَوَارِكِ، تَجَشَّأَ بِخُورٍ^(١٢) الْكَهْبَةِ».

(١) اللَّقَى فِي الْأَصْلِ: الْفَقَاءُ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا مَكَانُ الْفَقَاءِ.

(٢) إِصْفَاقُ الْبَابِ: رَدُّهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَفْتُوحًا.

(٣) الْمُصْنَمَتُ وَالْمُبْنَمُ: الْبَابُ أَوْ الْقُفْلُ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقَةٍ فَتَحَهُ إِلَّا صَاحِبُهُ.

(٤) الْعِثْرُ: نَجْمٌ أَحْمَرٌ مَضَى فِي طَرَفِ الْحَجَرَةِ الْأَيْمَنِ يَتَلَوُّ الثَّرِيَّا.

(٥) أَيْ حَدِيثُ السُّنَّاكِينِ وَالتَّكْبِينِ.

(٦) أَحْضَرَ الْفَرَسَ: عَدَا، وَإِحْضَارُ غَرَائِبِ الشَّهْوَاتِ: تَسَابُقُهَا فِي الظُّهُورِ.

(٧) الرِّخْلَةُ: الْأَثْنَى مِنْ أَوْلَادِ الضَّأْنِ.

(٨) الْمِشْعَلُ: شَيْءٌ يَتَّخِذُهُ أَهْلُ الْبَادِيَةِ مِنْ جُلُودِ يَخْرُزُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يَشُدُّ إِلَى أَرْبَعِ قَوَائِمٍ مِنْ خَشَبٍ فَيَصِيرُ كَالْخُلُوصِ يَنْبِذُ فِيهِ، يَقُولُ: اشْرَبْ قَدْرَ مَا فِي مِشْعَلٍ مِنْ نَبِيذٍ.

(٩) النَّشِيشُ: صَوْتُ غُلْيَانِ الْقَدَرِ وَالْقُلَى وَنَحْوِهَا.

(١٠) قَالَ فِي الْقَامُوسِ: «وَالْفَسْبَةُ إِلَى مَدِينَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدَنِيٌّ، وَإِلَى مَدِينَةِ الْمُنْتَهَوْرِ وَأَصْفَهَانٍ وَغَيْرِهَا مَدِينِيٌّ».

(١١) الْإِبِلُ الْأَوَارِكُ: الَّتِي اعْتَادَتْ أَكْلَ الْأَرَاكِ، وَفِي النُّسخِ «مِنْ ابْنِ الْأَوْدَاكِ».

(١٢) فِي النُّسخِ «بِخُورٍ» وَهِيَ غَيْرُ مَقْهُومَةٍ.

ومن ذلك قولهم لبعض هؤلاء - وقدّامهم خبيص^(١) - : « أئما
أطيب : أهذا أم الفالوذج^(٢) ، أم اللوزينج^(٣) ؟ » قال : « لا أقضي على
غائب » ومن ذلك كلام الجارود بن أبي سبرة لبلال بن أبي بُردة حين قال
له : صف لي عبد الأعلى^(٤) وطعامه ، قال : « يأتيه الخباز فيمثل بين يديه ،
فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندي جدى كذا ، وعناق^(٥) كذا ، وبطة
كذا ، حتى يأتي على جميع ما عنده » قال : وما يدعوه إلى هذا ؟ قال :
« ليقصد^(٦) كل أمرئ في الأكل ، حتى إذا أتى بالذى يشتهي بلغ منه
حاجته » قال : ثم ماذا ؟ قال : « ثم يؤتى بالمائدة فيتضايقون^(٧) حتى يخوى
تخوية الظليم^(٨) ، فيجدون ويهزل ، حتى إذا قترُوا أكل أكل الجائع
المقرور^(٩) » وقال آخر : « أشتهي ثريدة دكناء^(١٠) من الفلفل ،

(١) الخبيص : نوع من الحلواء ، قال صاحب القاموس : يعمل من التمر والسمن .
(٢) الفالوذ والفالوذج والفالوذق : حلواء ، قال صاحب اللسان : تسوى من لب الخنطة ، فارسي
معرب ، وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذج فقال : لباب البر بلماب النحل بخالص السمن ، ماعاب هذا
مسلم (العقد الفريد ٣ : ٣١٢ وعيون الأخبار ٩ : ٢٠٣) وقال الجاحظ في البخلاء ص ١٩٣ :
ومدحه أمة بن أبي الصلت فقال :

الى رده من الشيزى عليها لباب البريليك بالشهاد

(٣) اللوزينج : حلواء شبه القطائف تؤدم بدهن اللوز ، فارسي معرب .
(٤) يعنى عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر .
(٥) العناق : الأنتى من ولد المعز .
(٦) فى الأصل « ليقصر » وهو تحريف .
(٧) أى أخذ كل واحد يضيق مكانه حول المائدة حتى تنسع لهم جميعا .
(٨) الضمير فى يخوى يعود إلى عبد الأعلى ، وخوى : فرج ما بين عضديه وجنبه ، والظليم :
ذكر النعام .
(٩) المقرور : الذى أصابه الفر وهو البرد - اقرأ خبر هذا الحديث أيضا فى العقد الفريد ٣ : ٣١٢
وعيون الأخبار ٩ : ٢١٥ .
(١٠) دكناء : يضرب لونها إلى السواد .

ورَقْطَاءٌ ^(١) من الحِمَص ، ذاتَ حِفَافَيْنِ ^(٢) من اللحم ، لها جَنَاحَانِ من العِرَاقِ ^(٣) ، أَضْرِبُ فيها ضَرْبَ الْيَتِيمِ عندَ وصيِّ الشَّوْءِ ^(٤) .

وسُئِلَ بعضهم عن حِفْظِ الْبُلْدَانِ فِي الطَّعَامِ ، وَمَا قُسِمَ لِكُلِّ قَوْمٍ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : « ذَهَبَتِ الرُّومُ بِالْجُشَمِ ^(٥) وَالْحَشْرِ ، وَذَهَبَتْ فَارِسُ بِالْبَارِدِ وَالْحُلُوِّ » وَقَالَ عُمَرُ : « لِفَارِسِ الشُّفَارِجُ ^(٦) وَالْحُمُوضُ ^(٧) » فَقَالَ دَوْسَرُ الْمَدِينِيِّ : « لَنَا الْهَرَائِسُ ^(٨) وَالْقَلَايَا ، وَلِأَهْلِ الْبَدْوِ اللَّبَاءُ ^(٩) وَالسَّلَاءُ ^(١٠) وَالْجُرَادُ وَالْكُمَاةُ ^(١١) وَالْخُبْزَةُ فِي الرَّائِبِ وَالشَّمْرُ بِالزُّبْدِ ، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

أَلَا لَيْتَ خَبْرًا قَدْ تَسَرَّبَلَ رَائِيًا وَخَيْلًا مِنَ الْبَرْئِيِّ فُرْسَانُهَا الزُّبْدُ ^(١٢)

(١) رَقْطَاء . أى سوداء يشوبها نقط بيضاء ، أو بيضاء يشوبها نقط سوداء .

(٢) الحِفَاف : الجانب .

(٣) قَالَ فِي اللِّسَانِ « الْعِرَاقُ بِالْفَتْحِ : الْعَظْمُ أَخَذَ عَنْهُ مَعْظَمُ اللَّحْمِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ لَحُومٌ رَفِيقَةٌ طَيِّبَةٌ فَتَكْسَرُ وَتَطْبَخُ وَتُؤْخَذُ لِإِهَالَتِهَا مِنْ طِفَاحَتِهَا وَيُؤْكَلُ مَا عَلَى الْعِظَامِ مِنْ لَحْمٍ دَقِيقٍ وَتَتَمَشَّشُ الْعِظَامُ ، وَلَحْمُهَا مِنْ أَطْيَبِ اللَّحْمَانِ عِنْدَهُمْ ، وَجَمْعُهُ عِرَاقٌ بِالضَّمِّ ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : وَهُوَ جَمْعٌ نَادِرٌ .

(٤) انْظُرْ هَذَا الْحَدِيثَ أَيْضًا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ٣ : ٣١٣ - ٣١٤ ، وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ ٩ : ١٩٨ .

وَفِيهِمَا « كَمَا يُضْرَبُ وَلِي السَّوْءِ فِي مَالِ الْيَتِيمِ » وَهُوَ أَوَّلِي .

(٥) الْجُشَمُ : الْجُوفُ أَوْ الصَّدْرُ بَضْلُوعُهُ ، وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٩ : ٣٠٤ « أَمَّا الرُّومِيُّ فَذَهَبَ بِالْحَشْرِ وَالْأَحْشَاءِ ، وَأَمَّا الْفَارِسِيُّ فَذَهَبَ بِالْبَارِدِ وَالْحُلُوِّ » .

(٦) فِي النَّسِخِ « الشُّفَارِجُ » وَقَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ وَاللِّسَانِ . « الشُّفَارِجُ : الطَّبَقُ فِيهِ الْفِيخَاتُ وَالسُّكَّرُجَاتُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ » - وَالْفِيخَةُ : (بِالْفَتْحِ) السُّكَّرُجَةُ ، (بِضَمِّهَا وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ) فَهُوَ عَطْفٌ مُرَادِفٌ - قَالَ صَاحِبُ اللِّسَانِ : « السُّكَّرُجَةُ : لِإِنَاءِ صَفِيرٍ يُؤْكَلُ فِيهِ الشَّمْعُ الْقَلِيلُ مِنَ الْأَدَمِ ، وَهِيَ فَارِسِيَّةٌ ، وَأَكْثَرُ مَا يَوْضَعُ فِيهَا الْكُومَانُخُ وَنَحْوُهَا » - وَقَالَ صَاحِبُ التَّاجِ فِي السُّكَّرُجَةِ : « إِنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمَلُهَا فِي الْكُومَانُخِ وَأَشْبَاهِهَا مِنَ الْجُرَارِشِ عَلَى الْوَأْدِ حَوْلَ الْأَطْعَمَةِ لِلتَّشْهِيهِ وَالْهَضْمِ » .

(٧) الْحُمُوضُ : جَمْعٌ حَمَضٌ بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ كُلُّ نَبْتٍ فِي طَعْمِهِ حَمُوضَةٌ - وَالْمُلَوَّحَةُ تَسْمَى الْحُمُوضَةُ .

(٨) الْهَرَائِسُ : جَمْعُ هَرِيْسَةٍ ، وَهِيَ طَعَامٌ يَعْمَلُ مِنَ الْخُبْزِ الْمَدْقُوقِ وَاللَّحْمِ ، وَالْقَلَايَا : جَمْعُ قَلْبِيَّةٍ كَرَزِيَّةٍ وَهِيَ مَرَقَةٌ تَتَخَذُ مِنَ لَحْمِ الْجُزُورِ وَأَكْبَادِهَا .

(٩) اللَّبَاءُ : أَوَّلُ اللَّبَنِ فِي النَّتَاجِ .

(١٠) سَلَاءُ السَّمْنِ كَمَنْعٍ : طَبْخُهُ وَعَالِجُهُ ، وَالْأَسْمُ السَّلَاءُ : كِتَابٌ .

(١١) نَبَاتٌ بِالْبَادِيَةِ يُقَالُ لَهُ شَجَمُ الْأَرْضِ .

(١٢) الْبَرْئِيُّ : نَوْعٌ مِنَ التَّمْرِ ، مُعَرَّبٌ .

ولهم البرمة^(١) والخلاصة^(٢) والحيس^(٣) والوطيئة^(٤) .

وقال أعرابي : « أتينا بئر كأفواه البعران^(٥) نخبزنا منه خُبزة

زيت^(٦) في النار ، فجعل الجمر يتحذر عنها تحذر الحشور^(٧) عن البطان^(٨) ، ثم

تردناها فجعل الثريد يحول في الإهالة^(٩) جَوْلَان الضبعان في الضفيرة^(١٠) ، ثم

أتينا بتمر كأعيان الورلان^(١١) يوحل فيه الضرس^(١٢) .

ونعت السويق^(١٣) بأنه من عدد المسافر ، وطعام العجلان ، وغذاء

المبكر^(١٤) ، وبلغة المريض ، يشد فؤاد الحزين ، ويرد من نفس المحدود^(١٥) ،

وحيد في السمين^(١٦) ، ومنعوت في الطيب ، قفاره يجلو البلغم ، ومسمونه^(١٧)

يصفى الدم ، إن شئت كان ثريدا ، وإن شئت كان خبيصا ، وإن شئت كان

طعاما ، وإن شئت كان شرابا .

(١) قدر من حجارة ، ولعلها تطلق على اسم طعام يطبخ فيها .

(٢) خلاصة السمن : ماخلص منه .

(٣) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط [والأقط مثله ويحرك وكثف ورجل ولابل : شيء يتخذ من الخيض الغني] فيعجن شديدا ثم ينذر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .

(٤) الوطيئة : تمر يخرج نواه ويعجن بلبن ، والأقط بالسكر .

(٥) يشبه البرق يباضة بأفواه البعران (جمع بعير) لما يعلوها من الرغوة والزبد .

(٦) أى خُبزة عجنت بزيت .

(٧) البطان : حزام قتب البعير . (٨) الإهالة : الشحم المذاب .

(٩) الضبع بضم الباء وسكونها مؤنثة ، والذكر ضبعان بالسكر والأثني ضبعانة أيضا . والضفيرة من الرمل : ما عظم وتجمع .

(١٠) الورلان جمع ورل كسبب : وهو زاحف كالضب .

(١١) السويق : ما يعمل من الخنطة والشعير .

(١٢) من يقوم في بكرة النهار ، وفي النسخ « التنكره » .

(١٣) المحدود : المحروم .

(١٤) أى خير أنواع الطعام السمين ، وفي عيون الأخبار « وهو جيد في التسمين » اقرأ هنا الوصف فيه ج ٩ : ص ٢٠٦ .

(١٥) سمن الطعام : لثته بالسمن فهو مسمون .

وقيل لبعض هؤلاء العامظة^(١) والمستأكلين والسفافين^(٢) المقففين -
ورثي سمينا - ما أسمىك ؟ قال : « أكل الحار ، وشرب القار ، والاتكاء على
شمالي ، وأكل من غير مالي^(٣) » وقد قال الشاعر :

وإن امتلاء البطن في حسب الفتى قليل الغناء وهو في الجسم صالح^(٤)
وقيل لآخر : ما أسمىك ؟ قال : « قلة الفكرة ، وطول الدعة ، والنوم على
الكظة^(٥) » وقال الحجاج للفضبان^(٦) بن القبعتري : ما أسمىك ؟ قال : القيء
والرئمة^(٧) ، ومن كان في ضيافة الأمير سمين^(٨) وقيل لآخر : إنك لحسن
السحنة^(٩) ، قال : « آكل لباب البر ، وصغار المعز ، وأدهن بخام^(١٠)
البنفسج ، وألبس الكتان » والله لو كان من يسأل يعطى لما قام كرم
العطية بلوؤم المسألة .

(١) العامظة : جمع لمعظ بكسر ، وهو الخريس الشهبان النهم كالعموظ (كصفور) .

(٢) في النسخ « السفافين » والمقفف : المنكس الرأس أبدا .

(٣) اقرأ في عيون الأخبار ٩ : ٢١٤ .

(٤) أي أن كثرة الأكل لا تفيد في إعلاء شرف الفتى ، ولكنها تفيد الجسم ، وفي النسخ
« الفنى » بدل « الفتى » .

(٥) وهذا أيضا في عيون الأخبار ، والكظة : شيء يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام .

(٦) من خبره أنه لما هلك بشر بن مروان وولى الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الغنسان
خطيبا بالكوفة يؤلبهم على الحجاج ، فكان فيما قال لهم « فاعترضوا هذا الحيث في الطريق فاقتلوه »
« فأطيعوني وتغدوا به قبل أن يتعشى بكم » فلما قدم الحجاج الكوفة بلغته مقالته ، فأمر به فأقام
في حبسه ثلاث سنين - اقرأ خطبته في جمهرة خطب العرب ٢ : ٣٢٠ .

(٧) الرئمة : الانتعاس في الخصب ، وهو مثل . وأول من قاله عمرو بن الصعق بن خويلد بن ثعلب
ابن عمرو بن كلاب ، وكانت شاكر من همدان أسروه فأحسنوا إليه وروحوها عنه ، وقد كان يوم
فارق قومه نحيفا ، فهرب من شاكر فلما وصل إلى قومه قالوا : أي عمرو ، خرجت من عندنا نحيفا
وأنت اليوم بادن ، فقال : القيء والرئمة ، فأرسلها مثلا ، وهذا كقولهم : العز والنعمة ، والنجاة
والأمنة ، وفي عيون الأخبار (٩ : ٢٢٥) القيء والدعة .

(٨) السحنة بالفتح وتحرك : الهيئة واللون ولين البشرة ، وفي عيون الأخبار « الشحمة » .

(٩) الخام : الريح الطيبة تبقى بالثوب .

ومدار الصواب على طيب المكسبة والاقتصاد في النفقة ، وقد قال بعض العرب « اللهم إني أعوذ بك من بعض الرزق » حين رأى نافية^(١) من ماله من صدق أمه .

وأى سائل كان ألحف مسألة من الحطيئة والألم ؟ ومن الأم من جري ابن الخطي وأبخل ؟ ومن أمتع من كثير ، وأشح من ابن هرمة^(٢) ؟ ومن كان يشق غبار ابن أبي حفصة^(٣) ؟ ومن كان يصطي بنار أبي العتاهية ؟ ومن كأبي نواس في بخله ؟ أو كأبي يعقوب الخزيمي في دقة نظره وكثرة كسبه ؟ ومن كان أكثر نحرًا لجزرة^(٤) لم تُخلق من ابن هرمة ؟ وأطعن برُمح لم ينبت ، وأطعم إطعام لم يُزرع ، من الخزيمي^(٥) ؟ فأين أنت عن ابن يسير ؟ وأين تذهب عن ابن أبي كريمة ؟ ولم تقصر في ذكر الرقاشي ، ولم تذكر شره ؟

إن الأعرابي شرٌّ من الحاضر^(٦) ، سائل جبار ، وثابة ملاق ، إن مدح كذب ، وإن هجأ كذب ، وإن أيس كذب ، وإن طمع كذب ، لا يعرفه

(١) يقال : الذبل التي يرشها الرجل فتكثر بها إبله « نافية » .

(٢) هو إبراهيم بن هرمة شاعر عباسي ، وكان مولعا بالشراب ، ولما ولي النصور شغف إليه فامتدحه فاستحسن شعره ووصله ، وسأله ابن هرمة أن يبيح له الشراب لأنه مغرم به فقال : ويحك هذا حد من حدود الله وما كنت لأعطيه ، قال : فاحتل لي فيه يأمر المؤمنين ، فكتب إلى عامله بالمدينة : من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين فجعل الجلواز إذا مرَّ بابن هرمة سكران قال : من يشتري ثمانين بمائة ؟ - انظر ترجمته في الأغاني ٤ : ١٠١ ، والشعراء ص ٢٨٩ .

(٣) يعني مروان بن أبي حفصة ، وهو شاعر عباسي مشهور .

(٤) الجزرة : الداة السينة ، وجمعها جزر .

(٥) يقول : إن الشعراء يتخيّلون وينسبون إلى أنفسهم كثيرا من أعمال الكرم والشجاعة .

(٦) الحاضر : ساكن الحضر .

إِلَّا نَطِفُ^(١) أَوْ أَحَقْ ، وَلَا يُعْطِيهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّهُ ، وَلَا يُحِبُّهُ إِلَّا مَنْ هُوَ فِي طَبَاعِهِ .

مَا أَبْطَأَ كَمْ عَنِ الْبَذْلِ فِي الْحَقِّ ، وَأَسْرَعَ كَمْ إِلَى الْبَذْلِ فِي الْبَاطِلِ ! فَإِنْ كُتِمَ الشُّعْرَاءُ تَفَضُّلُونَ ، وَإِلَى قَوْلِهِمْ تَرْجِعُونَ ، فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَى وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْفُسَادِ
وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ بْنُ ضَرَّارٍ :

لَمَّا لُ الْمَرْءُ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَهُ ، أَعْفُثُ مِنَ الْقُنُوعِ^(٢)
وَقَالَ أَحْيَعَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ :

اسْتَغْنَى أَوْمَتْ وَلَا يَغْرُرُكَ ذُو نَشَبٍ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالٍ
إِنِّي أَكْبُثُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا إِنْ الْكَرِيمُ عَلَى الْأَقْوَامِ ذُو الْمَالِ^(٣)
وَقَالَ أَيْضًا :

اسْتَغْنَى عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنْ الْغَنَى مَنِ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ
وَالْبَسَ عِدْوَلَهُ فِي رِفْقٍ وَفِي دَعَا لِبَاسَ ذِي إِزْبَةِ ، لِلدَّهْرِ لِبَاسٍ^(٤)
وَلَا يَغْرُرُكَ أَضْغَانٌ مُزْمَلَةٌ قَدْ يَضْرِبُ الدَّبِيرُ الدَّامِيَ بِأَحْلَاسٍ^(٥)
وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هُرُونٍ :

(١) النطف : المتهم بريئة .

(٢) المفانر : قبل جمع فقر على غير قياس ، وقيل جمع لا واحد له ، والفروع : السؤال والتذلل .

(٣) الزوراء : أرض كانت لأحبة بن الجلاح ، سميت يثر كانت فيها (والزوراء : البئر البعيدة القمر) - انظر معجم البلدان ٤ : ١٢ - والبيت فيه :

إِنِّي أَقِيمُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا . إِنْ الْحَبِيبُ إِلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ

(٤) الإزبة : الدهاء .

(٥) مزملة : دفة خفية ، من التزميل وهو الإخفاء والالف في الثوب ، والدبر : البعير أصيب بقرحه من الرحل ، والأحلاس : جمع حلس كفرد ، وهو ما يوضع على ظهر البعير تحت الرحل .

إذا امرؤ ضاق عني لم يضيق خلقي
من أن يراني غنياً عنه بالياسِ
فلا يراني إذا لم يرعَ آصرتي
مُسْتَمِرّاً دَرَرًا منه بإيساس^(١)
لا أطلبُ المالَ كي أغنيَ بفضلته
ما كان مطلبُه فقرًا إلى الناسِ^(٢)
وقال أبو العتاهية :

أنت ما استغنيتَ عن صا
حبك الدهرَ أخوه
فإذا احتجتَ إليه
ساعةً مجَّك فوه
وقال أحيحة بن الجلاح :

فلو أني أشاء نَعِمْتُ بالا
وباكرني صَبُوحٌ أو نَشِيلٌ^(٣)
ولا عَنِّي على الأنماط لعُسُ
على أنيابهنَّ الزَنْجِيلُ^(٤)
ولكني خُلِقْتُ إزاءَ مالٍ
فأبخلُ بعد ذلك أو أنيلُ
وقال آخر :

أيا مُصْلِحَ أَصْلِحْ ولا تَكْ مُفْسِدا
فإن صلاح المال خير من الفقر
ألم تَرَ أن المرءَ يزدد عِزَّةً
على قومه أن يعلموا أنه مُثْرَى ؟
وقال عروة بن الورد :

ذَرِينِي لِلْعَنَى أَسْمَى فَإِنِّي
رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

(١) الأصرة : صلة المودة أو القرابة ، والمستمرى : الحالب ، والدرر : اللبن ، والإيساس : التلطف بالناقة عند الحلب بأن يقال لها بس بس تسكيناً لها .

(٢) ما في « ما كان » مصدرية ظرفية أي مدة كون طلبه بعد فقره إلى الناس .

(٣) باكرني : جئتني في بكرة النهار ، والصباح : ما حلب من اللبن بالغداة ، والنشيل : اللحم المطبوخ بغير تابل ، أو اللبن ساعة يحلب .

(٤) الأنماط : جمع نط كسب ، وهو ثوب سوف ذو لون يفرش ، لعس : أي نساء لعس جمع لعساء . وصف من اللعس بالتحريك ، وهو سواد مستحسن في الشفة .

وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أُمْسَى لَهُ نَسَبٌ وَخَيْرٌ^(١)
وَيُقْصَى فِي النَّدَى وَتَرْدِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالُ يَكَادُ فَوْادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلُ ذَنْبُهُ ، وَالذَّنْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ

وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطِقَانِ عَلَى عَمْدٍ لِي الْيَوْمَ قَوْلَ زُورٍ وَهَتَرٍ^(٢)
سَأَلَتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَا مَا لِي قَلِيلًا ، قَدْ جِئْتَانِي بِنُكْرٍ^(٣) !
فَلَعَلِّي أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِي وَيُعَرِّيَ مِنَ الْمَفَارِمِ ظَهْرِي
وَيُرَى أَعْبُدُ لَنَا وَأَوَاقٍ وَمَنَاصِيفُ مِنْ خَوَادِمَ عَشْرِ^(٤)
وَتَجَرُّ الْأُذْيَالُ فِي نِعْمَةٍ زَوْ لِي ، تَقُولَانِ ضَعُ عَصَاكَ لِدهِرٍ^(٥)
وَيَ كَانَ مِنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحْسِبُ ، وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَبْشُرُ عَيْشَ ضُرٍ^(٦)
وَيُجَنَّبُ سِرَّ النَّجَى وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحْضَرُّ كُلِّ سِرٍّ^(٧)

وقال الآخر :

-
- (١) الخبر : الكرم والشرف ،
(٢) العرس : الزوجة ، والهتر : تمزيق العرض ، هتره كضرب وهتره : مزقه .
(٣) سال من باب خاف لغة في سأل الهموز .
(٤) الأواقي : جمع واقية ، وهي الحافظة الصائنة ، ويريد بها الحادمة . ومناصيف : جمع منصف كبير ومقدم ، وهي الخادم ، وجمعها مناصف ومناصيف .
(٥) الزول : الحسنة العجيبة ، ومعنى الشطر الثاني ، تقولان : ألق عصاك لدهرك فلا تكدح فيه ، ولا تنتقل في طلب الرزق فقد تمت عليك النعمة .
(٦) وي بمعنى أتعجب ، وكان مخففة من الثقيلة ، وهي هنا بمعنى حقا ، والنسب : المال الأصيل .
(٧) في النسخ « شر النجى » و « محضر كل شر » وفيها أيضا « أخوا الفقر » والنجى : من نساؤه .

وللمال منى جانبٌ لا أُضِيعه وللهو منى والبطالة جانبٌ^(١)
وقال الأخنسُ بن شهاب :

وقد عشتُ دهرًا والغواةَ صحابي أولئك إخواني الذين أصحابُ
فأديتُ عني، ما استعرتُ من الصبا وللمال منى اليومَ راعٍ وكاسبُ
وقال ابن أذينة الثقفى :

أطعتُ النفسَ في الشهواتِ حتى أعادتني عسيفًا عبدَ عبدٍ^(٢)
إذا ماجئتها قد بعْتُ عتقًا تمنقُ أو تُقبلُ أو تفدى^(٣)
فمن وجدَ الغنى فليصطنعه ذخيرته ويجهّد كلَّ جهْدٍ
وقال :

مَنْ يجمع المالَ ولا يثبّه^(٤) ويترك العامَ لِعَامٍ جَدْبِهِ^(٥)

* يَهْنُ عَلَى النَّاسِ هَوَانٌ كَلْبِهِ *

وقد قيل في المثل : « السكدُ قبل المدِّ^(٦) » وقال لقيط : « ألقمُ وأذر
للّقاح ، وأحدّ السلاح^(٧) » وقال أبو المعافى .

إن التواني أنكح العجزَ بنته وساقَ إليها حين زوّجها مهرًا^(٨)

(١) الرواية المشهورة « ولله منى » .

(٢) العسيف : الأجير ، والعبد المستهان به .

(٣) العتق : الشرف والحرية ، أى إذا ماجئت النفس وقد بعث شرفى وحريتى تمرّبنى .

(٤) تبي المال : جمعه وكثره .

(٥) أى أنه إذا كان فى عام خصب ترك الادخار حتى يحل به عام قد يكون جدبا .

(٦) السكد : التعب ، والمد : البسط والسعة .

(٧) أى ألقم إبلك بيدك إذا أبت أن تأكل بنفسها ، وأذر : أى ألقى الغذاء - من ذرت الريح

الشيء تدوره وأذرته وذرتّه إذا أطارته - للّقاح : وهى النوق التى لفتت أى حملت ، وأحدّ السلاح :
أى سنّه ، والغرض من ذلك : العناية بالمال وأخذ العدة لحوادث الدهر .

(٨) أى أن التواني زوج ابنته للعجز ولم يكلفه مهرا ، بل بعث إليه بابنته وساق معها مهرها .

فِرَاشًا وَطِيبًا ثُمَّ قَالَ لَهَا اتَّبِكِي فَقَصَّرُ كَمَا لَا بُدَّ أَنْ تَلِدَا الْفَقْرَ^(١)

وقال عثمان بن أبي العاص : « ساعةٌ لدنياك وساعةٌ لآخرتك » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . « أنها كم عن قيلٍ وقالٍ ، وكثرةِ السؤال ، وإضاعةِ المال » وقال . « خيرُ الصَّدقةِ ما أبقى غِنًى ، واليدُ العُلْيَا خيرُ من اليدِ السُّفْلَى^(٢) ، وأبدًا بَعَنُ تَعُولٍ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم . « الثالثُ ، والثالثُ كثيرٌ ، إنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَلَدَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ » وقال ابن عباس ، « وَدِدْتُ أَنْ النَّاسَ غَضُّوا مِنْ الثَّلَاثِ شَيْئًا ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم . « الثالثُ ، والثالثُ كثيرٌ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضِيعَ مَنْ يَقُوتُ » .

وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ الْمَجْدَ وَالْكَرَّمَ أَنْ أَفْقَرَ نَفْسِي بِإِغْنَاءِ غَيْرِي ، وَأَنْ أَحُوطَ عِيَالَ غَيْرِي بِإِضَاعَةِ عِيَالِي ، وقال في ذلك ابن هرمة :

كَتَارَكَةٍ يَبْضُحُهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلبِسةٍ يَبْضُحُهَا أُخْرَى جَنَاحًا^(٣)

وقال آخر :

كُفْسِدِ أَدْنَاهُ وَمُصْلِحِ غَيْرِهِ وَلَمْ يَأْتِمْ فِي ذَاكَ أَمْرَ صَلَاحٍ

(١) فراشا بدل من مهرًا : أي ثم قال لها اتكئي على هذا الفراش الوثير واستريحى ولا تعملى شيئا ، وقصرك أن تفعل كذا ، وقصارك بالفتح ويضم وقصيرك وقصارك بضمهما : أي جهدك وغايتك ، أي غاية أمركما التي لا مناص منها أن تلدا مولودا اسمه الفقر .

(٢) اليد العليا : المعطية . والسفلى : المعطاة .

(٣) يعني النعامة ، وقد ضربوا بها المثل في الحق فقالوا « أحق من نعامة » قال أنيداني في شرحه « وذلك أنها تنتشر للطعم فرمما رأت بيض نعامة أخرى قد انتشرت لمثل ما انتشرت هي له فتحضن بيضها وتنسى بيض نفسها ، ثم تجيء الأخرى فترى غيرها على بيض نفسها ، فتملطيتها (أي لوجهها) وإياها عن ابن هرمة بقوله : كتاركة بيضها ... » ثم قال « وزعم أبو عبيدة أن ابن هرمة عن بقوله كتاركة بيضها الحمامة التي تحضن بيض غيرها وتضيع بيض نفسها » .

وقال آخر :

كَمْ رُضِعَةٍ أَوْلَادَهُ أُخْرَى وَضِيعَتْ بِنِيهَا وَلَمْ تَرْفَعْ بِذَلِكَ مَرْقَمًا
وقال الله تبارك وتعالى : « وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » وقال : « وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ^(١) » فَأُذِنَ فِي الْعَفْوِ
ولم يأذن في الجَهْدِ ، وَأُذِنَ فِي الْفُضُولِ ولم يأذن في الْأُصُولِ ^(٢) ، وأراد كعبُ
ابن مالك أن يتصدق بماله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ
مَالَكَ » فالنبي صلى الله عليه وسلم يمنعه من إخراج ماله في الصدقة ، وأنتم
تأمرونه بإخراجه في السَّرَفِ والتبذير ! . وخرج غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ من جميع
ماله ، فَأَكْرَهَهُ عمر على الرجوع فيه ، وقال : « لَوْ مِتَّ لَرَجِمْتُ قَبْرَكَ كَمَا
يُرْجَمُ قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ ^(٣) » وقال الله جل وعز . « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ
وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) العفو : ما يفضل عن الحاجة .

(٢) الفضول جمع فضل : وهو الزيادة ، والمراد بالأصول : المال المحتاج إليه في حياة الرجل ، أو صناعته أو تجارته .

(٣) قال صاحب التماموس : « وأبو رغال ككتاب ، في سنن أبي داود ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه إلى الطائف فررنا بقبر فقال : هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو ثقيف وكان من ثمود . وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النجمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه » وقال صاحب اللسان : « أبو رغال : اسمه زيد بن مخلف ، عبد كان لصالح النبي صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، بعثه مصدقا ، وأنه أتى قوما ليس لهم لبن إلا شاة واحدة ولهم صبي قد ماتت أمه فهم يعاجونه بلبن تلك الشاة - يعني يفتدونه ، والعجى كعجى : الذي يفتدى بغير لبن أمه - فأبى أن يأخذ غيرها ، فقالوا : دعها نحاي بها هذا الصبي ، فأبى . فيقال : إنه نزلت به قارعة من السماء ، ويقال : بل قتله رب الشاة ، فلما فقده صالح قام في الموسم فيشدد الناس فأخبر بصنيعه فلعنه ، فقبره بين مكة والطائف يرجوه الناس » - وقد قدمنا عنه كلمة في نسب ثقيف في الجزء الثاني ص ١٦٦ .

يكفيك ما بَلَغَكَ المَحَلَّ^(١)» وقال . « ما قَلَّ وكفى خير مما كَثُرَ وألهى » وقال
الله تبارك وتعالى « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ
قَوَامًا » وقال النبي صلى الله عليه وسلم . « إِنْ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا
أَبْقَى^(٢) » وقال الله جل ذكروه . « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا » ولذلك قالوا . « خير مَالِكَ
مَا نَفَعَكَ ، وخير الأمور أوساطها ، وشرُّ السَّيْرِ الحَقِيقَةُ^(٣) ، والحسنة بين
السيئتين » وقالوا : « دين الله بين المقصِّر والغالى^(٤) » وقالوا فى المثل . « بينهما
يرمى الرامى^(٥) » وقالوا . « عليك بالسَّداد والاقتصاد ، لا وكس ولا شَطَطَ^(٦) »
وقالوا : « بين المُنْحَةِ والمَجْفَاءِ^(٧) » وقالوا . « لا تكن حُلُومًا فَتُبْتَلَعَ ، ولا مُرًّا

(١) يروى فى خطبة أكرم بن صفي أمام كسرى « يكفيك من الزاد ما بَلَغَكَ المَحَلَّ » - انظر
جهرية خطب العرب ١ : ٢٢ .

(٢) المنبت : المنقطع عن أصحابه فى السفر ، والظهر الدابة ، قاله صلى الله عليه وسلم لرجل اجتهد
فى العبادة حتى هجمت عيناه : أى غارتا ، فلما رآه قال له : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن
المنبت : أى الذى يجحد فى سيره حتى ينبت أخيرا - سماه بما تقول إليه عاقبه كقوله تعالى
« إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » مثل يضرب لمن يبالغ فى طلب الشئ ويفرط حتى ربما يفوته
على نفسه .

(٣) الحقيقَةُ : أشد السير وأتعبه للظهر ، أو أن يالج فى السير حتى تعطب راحلته أو تنقطع ، قال
صاحب اللسان : « وتعب عبد الله بن مطرف بن الشخير فلم يقتصد ، فقال له أبوه : « يا عبد الله العلم
أفضل من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، وخير الأمور أو ساطها ، وشر السير الحقيقَةُ » هو إشارة
إلى الرفق فى العبادة ، يعنى : عليك بالقصد فى العبادة ، ولا تحمل على نفسك فتسأم ، وخير العمل
مادام وإن قل ، وإذا حملت على نفسك من العبادة ما لا تطيقه انقطعت به عن الدوام على العبادة وبقيت
حسيرا ، فتكف من العبادة ما تطيقه ولا يحسرك » .

(٤) أى أن الدين هو الطريقة المثلى بين التقصير والمبالاة .

(٥) أى بين التقصير والمبالاة الاعتدال الذى يجب أن يقصد إليه القاصد .

(٦) الوكس : النقص ، والشطط : الجور .

(٧) أُنْحَت الشاة : سمت ، والمجفاء : الهزيلة ، وهو مثل يضرب فى التوسط

فَتُفْلِظُ « وقالوا في المثل . « ليس الرئيُّ عن التَّشَافِ »^(١) وقالوا : « يا حَاقِدُ
اذكر حَلًّا »^(٢) وقالوا . « الرَّشَفُ »^(٣) أَتَقَعُ لِلظَّمَانِ « وقالوا . « القليل الدائم
أكثر من الكثير المنقطع » وقال أبو الدرداء « إني لَأَسْتَجِمُ نفسي ببعض
الباطل ، كراهة أن أحمل عليها من الحق ما يعللها » وقال الشاعر :
وإني لَحَلْوٌ تعتريني مرارةٌ وإني لصَعْبُ الرأسِ غير جموح^(٤)
وقالوا في عَذْلِ الْمُصْلِحِ وَلَائِمَةِ الْمُقْتَصِدِ : « الشَّحِيحُ أَعَذَرُ مِنَ الظَّالِمِ »^(٥)
وقالوا : « ليس من العَدْلِ سُرْعَةُ الْعَدْلِ » وقالوا : « لعلَّ له عذرا وأنت تلوم »^(٦)
وقالوا : « رَبِّ لَأَتُمِّ مُلِيمٌ »^(٧) وقال الأحنف : « رَبِّ مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ »^(٨)
وقال : « إعطاء السائلِ تَضْرِيَةٌ »^(٩) ، وإعطاء المُلْحِفِ مُشَارَكَةٌ »^(١٠) وقال

(١) الاشتفاف والنشاف : أن تمسح بجميع ما في الإناء مأخوذ من الشفافة بالضم ، وهي بقية الماء
في الإناء ، يقول : ليس من لا يششف لا يروى ، فقد يكون الرئي دون ذلك . وهو مثل يضرب في
قناعة الرجل ببعض ما ينال من حاجته : أي ليس قضاؤك الحاجة أن لاتدع قليلا ولا كثيرا إلا نلته ،
فإذا نلت معظمها فاقنع به .

(٢) ويروى « يا حامل » فإذا قلت يا عافد فتعولك حلا بكون تقيض العفد ، وإذا رويت يا حامل
فالحل بمعنى الحلول ، يقال حل بالمكان يحل حلا وحلولا ومحلا . وأصل المثل في الرجل يشد حملا
فيسرف في الاستيثاق حتى يضرب ذلك به وبراحته عند الحلول ، يضرب مثلا للنظر في العواقب .

(٣) الرشف : التأنى في الشرب ، أتقع : أذهب وأقطع للعطش ، مثل يضرب في ترك العجلة .

(٤) ويروى لسان بن ثابت :

وإني لحلو تعتريني مرارة وإني لترك لما لم أعود

(٥) يقول : إنهم حين تجنوا على المقتصد ولأموه ووصفوه بالشح كذبا ، جعلوا له في شحه عذرا
أقوى من عذر الظالم .

(٦) مثل يضرب لمن يلوم من له عذر لا يعلمه اللائم ، وهو عجز بيت ، وصدره :

« تأن ولا تعجل بلومك صاحباً » .

(٧) ألأم : أتى بما يلام عليه ، والمثل لأ كثم بن صيفي .

(٨) قال الميداني « هذا من قول أ كثم بن صيفي ، يقول : قد ظهر للناس منه أمر أنكره عليه
وهم لا يعرفون حجته وعذره فهو يلام عليه . وذكروا أن رجلا في مجلس الأحنف بن قيس قال :
ليس شيء أبغض إلي من التمر والزبد فقال الأحنف : « رب ملوم لا ذنب له » .

(٩) التضرية : التوبيد والإغراء . وأصله من ضرى الكلب بالصيد كفرح : تسود ، وأضراره
صاحبه به وضراؤه : عودته وأغراه .

(١٠) أي مشاركة له في الإلحاف لأنك باعطائه عاوتته وجراته .

النبى صلى الله عليه وسلم : « لَا تَصْلُحُ الْمَسْأَلَةُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : فَقَرٌّ مُدْقِعٌ ^(١) ،
وَعُزٌّ مُفْطِيعٌ ، وَدَمٌّ مُوجِعٌ ^(٢) » . وقال الشاعر :

الْحَرْثُ يُلْحَى وَالْمَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ غَيْرُ الرَّدِّ ^(٣)

وقالوا : « إِذَا جَدَّ السُّؤَالُ جَدَّ ^(٤) الْمَنْعُ » وقالوا : « احْذَرِ إعْطَاءَ
الْمُخْدُوعِينَ ^(٥) ، وَبَذَلِ الْمَغْبُونِينَ ، فَإِنَّ الْمَغْبُونَ لَا مَحْمُودَ وَلَا مَأْجُورَ » ولذلك
قالوا : « لَا تَكُنْ أَدْنَى الْعَبْرَيْنِ ^(٦) إِلَى السَّهْمِ » يقول : إِذَا أُعْطِيَتِ السَّائِلِينَ
مَالَكَ صَارَتْ مَقَاتِلُكَ أَظْهَرَ لَأَعْدَائِكَ مِنْ مَقَاتِلِهِمْ ، وقالوا : « الْفِرَارُ بِقِرَابِ
أَكَيْسٍ ^(٧) » وقال أبو الأسود : « لَيْسَ مِنَ الْعِزِّ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلذِّلِّ ، وَلَا مِنَ
الْكِرَمِ أَنْ تَسْتَدْعِيَ اللُّؤْمَ » ومن أخرج ماله من يده افتقر ، ومن افتقر
فلا بد له من أَنْ يَضْرَعَ ^(٨) ، وَالضَّرْعُ لُؤْمٌ ، وَإِنْ كَانَ الْجُودُ شَقِيقَ الْكِرَمِ ،
فَالْأَنْفَةُ أَوْلَى بِالْكِرَمِ ^(٩) ، وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ : « اللَّهُمَّ لَا تُنْزِلْنِي ^(١٠) مَاءَ سَوْءٍ ،
فَأَكُونَ أَمْرًا سَوْءًا » وقد قال الشاعر :

(١) أى شديد ملصق بالدعاء ، وهى الأرض .

(٢) أى فى حال جمع المسال لدية القليل .

(٣) يلحى : يلزم ، لحاه يلحاه : لاهه . (٤) أى قوى واشتد .

(٥) المصدر مضاف لفاعله : أى احذر أن تعطى وأنت مخدوع .

(٦) العبر : الحمار ، والعبران هنا السائل والمسئول ، فإذا أعطى المسئول كل ماله للسائل تعرض
لسهام أعدائه ولم يقو على نزاههم .

(٧) القرباب : الغمد ، والمثل لجابر بن عمرو المازنى . وذلك أنه كان يسير يوما فى طريق إذ رأى
أثر رجلين ، وكان عائقا قائما (والعائق : المتكهن بالطير أو غيرها ، والقائف : من يعرف الآثار)
فقال : أرى أثر رجلين شديدا كلبيهما عزيزا سلبيهما والفرار بقرباب أكيس . أراد ذو الفرار أى
الذى يفر ومعه قرباب سيفه إذا فاته السيف أكيس ممن يفتت القرباب أيضا .

(٨) أى يذل .

(٩) يقول : إذا كان الجود شقيق كرم النفس ، وجب على الجواد ألا يسمى فى إذلال نفسه ، وأن
يحافظ على أنفته وإياها ، وإعسا يكون ذلك بالحفاظة على ماله .

(١٠) هكذا فى الحيوان للمجاذب ، وفى النسخ « لا تنزل » .

واخْطُ مع الدهر إذا ما خَطَا واجرِ مع الدهر كما يجري
وقد قال الآخر :

يأليت لي نعلين من جلد الضَّبْعِ وشُرْكا من ثَغْرِها^(١) لا تَنْقَطِعَ
كلَّ الحِذاءِ يَحْتَذِي الحَافِي الوَقْعَ^(٢)

وقد صدق قول القائل : « من احتاج اغتفر ، ومن اقتضى^(٣) تجوَّز » وقيل
لِدَيْسِيمُوس^(٤) : تأكل في السوق ! قال : « إن جاعَ [دَيْسِيمُوسُ^(٥)] في
السوق ، أكلَ في السوق » وقال^(٦) : « من أجسَدَبَ انتجع ، ومن جاع
جشيع » وقال : « احذروا نفار النعمة فانها نوار^(٧) » ، وليس كل شارِدٍ بمردود ،
ولا كل نادٍ^(٨) بمصروف » وقال علي بن أبي طالب : « قلما أدبرَ شيء
فأقبل » وقالوا : « رُبَّ أكلة تمنع أكلات^(٩) » ، ورُبَّ عجلة تهب ريثا^(١٠) »

(١) هكذا في مجمع الأمثال ، وفي النسخ « من استها » والمشارك جمع : شراك ككتاب ، وهو
سير النعل .

(٢) وقع الرجل كفرح : إذا حفي من مره على المجارة ، وهو مثل يضرب عند الحاجة تحمل على
التعلق بما يقدر عليه .

(٣) اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى .

(٤) جاء في كتاب الحيوان للجاحظ : « حدثني العتي قال : كان في اليونانيين مرور (وهو الذي
غلبت عليه المرة بالكسر : أى معنوه) له نوادر عجيبة وكان يسمى ديسيموس ، قال : والحكماء
يروون له أكثر من ثمانين نادرة » .

(٥) الريادة بين القوسين من الحيوان للجاحظ .

(٦) القائل صمصمة بن صوحان ، تغدى عند معاوية فتناول من بين يديه شيئا ، فقال معاوية : يا بن
صوحان انتجعت من بعد ، فقال : من أجذب انتجع .

(٧) النوار كسحاب : المرأة النفور من الرية .

(٨) ند البعير كضرب : نقر وذهب على وجهه شاردا .

(٩) أول من قاله عامر بن الظرب العدواني ، وهو مثل يضرب في ذم الحرص على الطعام .

(١٠) أول من قاله مالك بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم الشيباني ، وكان سنان بن مالك
ابن أبي عمرو بن عوف بن محلم شام غيا فأراد أن يرجل بامرأته - وهى أخت مالك بن عوف - فقال
له مالك : أين تظن يا أخى ؟ قال : أطلب موقع هذه السحابة ، قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت وليس
فيها قطر ، وأنا أخاف عليك بعض مقاب العرب (جمع مقنب كنب : وهو جماعة الخيل والفرسان)

وعابوا من قال : « أَكَلَتْ وَمَوْتَةٌ ^(١) » وقالوا : « لَا تَطْلُبْ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ ^(٢) »
وقالوا : « لَا تَكُنْ كَمَنْ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ »
فانظر كيف تُخْرِجُ الدَّرْهَمَ ؟ وَلِمَ تُخْرِجُهُ ؟ وقالوا : « شَرُّ مِنَ الْمَرْزُوءَةِ سُوءُ
الْخَلْفِ ^(٣) » وقال الشاعر :

إِنْ يَكُنْ مَابَهُ أَصِيبَتْ جَلِيلًا فَذَهَابُ الْعَزَاءِ فِيهِ أَجَلٌ
وَلَا أَنْ تَفْتَقِرَ بِجَاهِجَةٍ نَازِلَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَفْتَقِرَ بِجُنَايَةٍ مَكْتَسَبَةٍ ، وَمَنْ
كَانَ سَبَبًا لَذَهَابِ وَفَرِهِ ، لَمْ تَعْدَمْهُ الْحُسْرَةُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاللَّائِمَةُ مِنْ غَيْرِهِ ،
وَقَلَّةُ الرَّحْمَةِ ، وَكَثْرَةُ الشَّمَانَةِ ، مَعَ الْإِثْمِ الْمُرِيقِ وَالْهَوَانِ عَلَى الصَّاحِبِ ،
وَذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَتِيَانَ قُرَيْشٍ وَسَرَفَهُمْ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَمَسَابِقَتَهُمْ

قال : لكنني لست أخاف ذلك فضي ، وعرض له مروان الفرط بن زبناع العبسي ، فأعجله عنها وانطلق
بها وجعلها بين بناته وأخواته ولم يكشف لها سترها ، فقال مالك بن عوف لسان . ما فعلت أختي ؟
قال : نقتل عنها الرماح ، فقال مالك : رب عجلة تهب ريثا ، ورب فروقة يدعى ليشا (والفروقة بالفتح:
الجبان الشديد الفرع) ورب غيث لم يكن غيثا ، فأرسلها مثالا . يضرب للرجل يشدد حرصه على حاجة
ويحرق فيها حتى تذهب كلها .

(١) أى آكل وأملا بطنى ولو كان فى ذلك الموت .

(٢) من أمثالهم « تطلب أثرا بعد عين » و « لا أطلب أثرا بعد عين » يضرب لمن ترك شيئا يراه
ثم تبع أثره بعد فوت عينه ، وأول من قاله مالك بن عمرو العاملى ، وذلك أن بعض ملوك غسان كان
يطلب فى عاملة ذحلا (أى ثأرا) فأخذ منهم رجلين يقال لهما مالك وسماك ابنا عمرو ، فأحتبسهما عنده
زمانا ثم دعاها فقال لهما : إني قاتل أحدهما فأيكما أقتل ؟ فجعل كل واحد منهما يقول : أقتلنى مكان
أخى ، فلما رأى ذلك قتل سماكا وخنى سميل مالك ، فقال سماك حين ظن أنه مقتول أحيانا منها :
وأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصده

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زمانا ، ثم إن ركبا مروا وأحدهم يتغنى بهذا البيت فسمعت
بذلك أم سماك ، فقالت : يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك ، أخرج فى الطلب بأخيك ، فخرج فى الطلب
فقاتل أخيه يسير فى ناس من قومه ، فقال : من أحسن لى الجمل الأحمر ؟ فقالوا له - وعرفوه - :
يا مالك له مائة من الإبل فكفت ، فقال لا أطلب أثرا بعد عين ، فذهبت مثالا ، ثم حمل على قاتل
أخيه . فقتله ، والمعنى : لا آخذ الدية وهى أثر الدم وتبعته ، وأترك العين يعنى القاتل .

(٣) المرزئة : المصيبة ، وسوء الخلف ما تخلفه من الجزع ، أى إنا فقدت مالك كان جزعك على
ضياعه أشد من ضياعه .

في التبذير ، فقال : « خُرْقَةٌ ^(١) أحدهم أشدُّ على من عَيْلته » يقول : إن إغناء
الفقير أهون على من إصلاح الفاسد :

ولا تكن على نفسك أشامَ من خَوْتَمَةٍ ^(٢) ، وعلى أهلك أشامَ من
البَسُوسِ ^(٣) ، وعلى قومك أشامَ من عِطَرٍ مَنْشِمٍ ^(٤) ، ومن سلَّطَ الشهواتِ
على نفسه ، وحكَّمِ الهوى في ذات يده ، فبقي حسيرا ، فلا يلوَمَنَّ إلا نفسه ،
وطُوبَى لك يوم تقدِّر على قديمٍ ^(٥) تنتفع به ، وقال بعض الشعراء :

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَمْنَعُونَ حَرِيمَهُمْ وليس لأصحاب النبذ حَرِيمٌ

- (١) الخُرْقَة : الحق ، وسوء التصرف في الأمور . والعيلة : الفقر .
(٢) هو رجل من بني غفيلة كجھينة دل كفيف (كزير) بن عمرو التغلبي وأصحابه على بن الزبان
(بالفتح) الذهلي ، لثرة كانت له عند عمرو بن الزبان ، فأتوهم وهم قد جلسوا على الغداء ، فقال عمرو
لا تشب الحرب بيننا وبينك ، قال : كلا ، بل أقتلك وأقتل إخوتك ، قال : فإن كنت فاعلا فأطلق
هؤلاء الفتية الذين لم يتلبسوا بالحروب ، فإن وراءهم طالبا أطلب مني ، يعني أباهم ، فقتلهم وجعل
رءوسهم في مخلدة ، وعلقها في عنق ناقة لهم يقال لها الدهيم (كزير) فجاءت الناقة والزبان جالس
أمام بيته ، فبركت ، فقال : يا جارية هذه ناقة عمرو وقد أبطأ هو وإخوته ، فقامت الجارية فجست
المخلدة فقالت : قد أصاب بنوك بيض نعام ، وأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو أول ما أخرجت ،
ثم رءوس إخوته ، ففسلها الزبان ووضعها على ترس وقال : آخر البز على القلوص ، فأرسلها مثلا
— والبز : القلوص — أي هذا آخر عهدي بهم لا أراهم بعده . وخبر أن خوتمة هو الذي دل على ولده ،
فأئخن في بني غفيلة حتى أبادهم — اقرأ المثل مطولا في مجمع الأمثال ١ : ٢٥٥ .
(٣) هي البسوس بنت منقذ التيمية خالة جساس بن مرة قاتل كليب ، والتي من أجلها نشبت حرب
البسوس المشهورة بين بكر وتغلب — اقرأ المثل مفصلا في مجمع الأمثال ١ : ٢٥٤ .
(٤) ويقال : « أشام من منشم » وكانت منشم امرأة عطارة تبيع الطيب ، فكانوا إذا قصدوا
الحرب غمسوا أيديهم في طيبها وتحالفوا عليه أن يستميتوا في تلك الحرب ولا يولوا أو يقتلوا ، فكانوا
إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول الناس : قد دقوا بينهم عطر منشم ، فلما كثر منهم هذا
القول سار مثلا ، فمن تمثل به زهير بن أبي سلمى حيث يقول :

تداركنا عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقيل إن منشم كانت امرأة تبيع الخنوط ، وإنما سموا خنوطها عطرا في قولهم : قد دقوا بينهم عطر
منشم ، لأنهم أرادوا طيب الموتى .

(٥) يراد بالقديم : المال المدخر ، وفي النسخ « على قدم » .

أخوهم إذا مادارت الكأس بينهم وكأهم رث الوصال سئوم
فهذا بياني لم أقل بجمالة ولكني بالفاسقين عليم
وقد كان هذا المعنى في أصحاب النبذ أوجد^(١) ، فأما اليوم فقد استوى
الناس ، قال الأضبط بن قريع لما انتقل في القبائل فأساء وجواره بعد أن
تأذى ببني سعد : « بكل واد بنو سعد » .

خذ بقولي ودع قول أبي العاص ، وخذ بقول من قال : « عش ولا
تغتر^(٢) » وبقول من قال : « لا تطلب أثرا بعد عين » وبقول من قال :
« املأ حبك^(٣) من أول مطرة ، ودع ما يرييك إلى ما لا يرييك ، أخوك من
صدقك ، ومن أذاك من جهة عقلك ، ولم يأتك من جهة شهوتك ، وأخوك
من احتمال ثقل نصيحتك في حظك^(٤) ، ولم تأمن لأئمته إياك في غدك »
وقال الآخر :

إن أخاك الصديق من لم يخدعك^(٥) ومن يضر نفسه لينفعك^(٥)

-
- (١) أى أكثر وجودا فيهم .
(٢) مثل يضرب في الحث على الحيلة . وأصله أن رجلا أراد أن يفوز بابل ليلة وانسل على عشب
يحده في الطريق ، فقيل له : عش ولا تغتر « وفوز بابل : ركب بها المفازة » .
(٣) الحب : وعاء كبير للماء .
(٤) أى في سبيل سعادتك .
(٥) يقال : هذا الرجل الصديق بالفتح ، فإذا أضفت إليه كسرت الصاد ، وقوله لم يخدعك ينصب
الفعل بعد لم ، قال صاحب الغنى : « وزعم اللحياني أن بعض العرب ينصب بها كقراءة بعضهم
« ألم نشرح » وقوله :

في أى يومى من الموت أفرأ أيوم لم يقدر أم يوم قدر
وخرجا على أن الأصل نشرحن ويقدرن ثم حذف نون التوكيد الخفيفة وبقيت الفتحة دليلا عليها ،
وفي هذا شذوذاً : توكيد المنى بلم ، وحذف النون لغیر وقف ولا ساكنين ، اه . وربما كان
الأصل « من لن يخدعك » ويضير نفسه : يضرها ، والمثل في جمع الأمثال « إن أخا الهيجاء من يسعى
معك ، ومن يضر نفسه لينفعك » يضرب في المساعدة .

وقد قال عبيد بن الأبرص :

واعلمن^(١) علماً يقيناً أنه ليس يُرجى لك من ليس معك
ولا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وعين من عقلك على
طبائعك ، أو ما كان لك أخ نصيح ، ووزير شفيق ، والزوجة الصالحة عون
صدق ، والسعيد من وعظ بغيره ، فإن أنت لم تُرزق من هذه الخصال^(٢)
خَصْلَةً واحدة ، فلا بُدَّ لك من نكبة مُوجِعة ، يَبْقَى أثرها ، ويُلَوِّح لك
ذكرها ؛ ولذلك قالوا : « خير مالك ما نفعتك » ولذلك قالوا : « لم يذهب^(٣)
من مالك ما وعظك » .

إن المال محروص عليه ، ومطلوب في قعر البحار ، وفي رعوس الجبال ،
وفي دغل الغياض^(٤) ، ومطلوب في الوُعُورَةِ كما يُطَلَّب في الشهولة ، وسواء
فيها^(٥) بطون الأودية ، وظهور الطرق ، ومَشَارِقُ الأرض ومغاربها ،
فُطِّلِبَت بالعز ، وطلبت بالذل ، وطلبت بالوفاء ، وطلبت بالغدر ، وطلبت
بالنُسك كما طلبت بالفتك ، وطلبت بالصدق كما طلبت بالكذب ، وطلبت
بالبداء ، وطلبت بالملق ، فلم تُترك فيها حيلة ولا رُقِيَّة حتى طُلبت بالكفر
بالله ، كما طلبت بالإيمان ، وطلبت بالسُّخف كما طلبت بالنبل ، فقد نصبوا
الفخاخ بكل موضع ، ونصبوا الشُّرك^(٥) بكل رُبْع ، وقد طلبك من لا يقصِّر
دون الظفر ، وحسدك من لا ينام دون الشِّفاء .

(١) أى الخصال التى ذكرت آنفاً ، وهى أن يكون له واعظ من نفسه الخ .
(٢) ويروى « لم يضع » وهو مثل لأكرم بن صيفى قال المبرد : أى إذا ذهب من مالك شيء
فذكر أن يحل بك مثله ، فتأديه إياك عوض من ذهابه .
(٣) الدغل : الشجر الكثير المتلف . والغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهى الأجمة ومجتمع الشجر .
(٤) فيها أى فى الأموال ، والمراد فى طلبها ، فهى مطلوبة فى بطون الأودية الخ .
(٥) الشرك : حباثل الصائد ، واحده شركة كقصبة ، ويجمع على شرك كعتق نادرا .

وقد يهدأ الطالب الطَّوَائِلِ^(١) والمطلوب بذات نفسه، ولا يهدأ الحريص،
يقال : إنه ليس في الأرض بلدة واسطة^(٢)، ولا بادية شاسعة، ولا طَرَف
من الأطراف، إلا وأنت واجدٌ بها المدينيَّ والبصريَّ والحيريَّ، وقد ترى
شَنَفَ^(٣) الفقراء للأغنياء، وتسرع الرغبة إلى الملوك، وبُغْضَ الماشي
للراكب، وعموم الحسد في المتفاوتين، وإن لم تستعمل الحذر، وتأخذ
بنصيبتك من الإدارة، وتعلم الحزم، وتجالس أصحاب الاقتصاد، وتعرف
الدهورَ ودهركَ خاصَّةً، وتمثلُ لنفسك الغيرَ^(٤) حتى تتوهم نفسك فقيرا
ضائعا، وحتى تتهم شمالك على يمينك، وسمعك على بصرك، ولا يكون أحد
أُتِهمَّ^(٥) عند نفسك من نفسك، ولا أولى بأخذ الحذر منه من أمينك،
أَخْطِطْتَ اختطافا^(٦)، واستلبت استلابا، وذوَّبوا مالكَ وتحيفوه^(٧)،
وألزموه السِّلَّ ولم يُداووه، وقد قالوا : « يَلِي المالَ ربُّه وإن كان أحقَّ » فلا
تكوننَّ دون ذلك الأحمق، وقالوا : « لا تعدم صناعُ^(٨) الله » فلا تكوننَّ
دون تلك الصنائع، وقد قال الأول في المال المضيع المسلط عليه شهواتُ
العِيَالِ : « ليس لها راع، ولكن حَلَبَةٌ^(٩) » .

(١) الطوائِل : جمع طائفة، وهي الثَّار.

(٢) أى متوسطة .

(٣) شنف له شفا كفرح : أبغضه وتكره .

(٤) حوادث الدهر المغيرة .

(٥) أى أكثر إتهاما، من أنهم كأكرمه إذا اتهمه.

(٦) فى بعض النسخ « واحتفظت احتفاظا » .

(٧) أى تنقصوه من حيفه . والحيف كغيب جمع حيفة بالسكسر : وهي الناحية.

(٨) امرأة صناع اليدين : حاذقة ماهرة بعمل اليدين . والثلة : الصوف تغزله المرأة، مثل يضرب

لن إذا عدم عملا أخذ في آخر لحذقه وبصيرته .

(٩) الحلبة : جمع حالب، مثل يضرب للرجل يؤكل وليس له من يبق عليه، وفي النسخ « خلية » .

وليس مالك المال المغني من الأضراس فيقال فيه : مَرَعَى ولا أْكُولَةَ^(١) ،
وَعُشْبٌ ولا بعير ، فَقُصَّارَاكَ مع الإصلاح أن يقوم ببطنك وبحوائجك
وبما ينوبك ، ولا بقاء للمال على قلة الرععى وكثرة الحلب ، فكِسَ^(٢) في
أمرك ، وتقدم في حفظ مالك ، فإن من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين ،
والأكرمان : الدين ، والعرض ، وقد قيل : « للرمي يرأس السهم^(٣) » و« عند
النطاح تغلب القرنة^(٤) » .

وإذا رأت العرب مستأكلًا وافق غمراً^(٥) قالت : « ليس عليك نسجه
فاسحب وخرق^(٦) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس كلهم
سواء كآسنان المشط^(٧) والمرء كثير بأخيه ، ولا خير لك في صحبة من لا يرى
لك مثل ما يرى لنفسه ، فتعرف شأن أصحابك ومعنى^(٨) جلسائك ، فإن
كانوا في هذه الصفة فاستعمل الحزم ، وإن كانوا في خلاف ذلك عملت
على حسب ذلك .

إني لست أمرك إلا بما أمرك به القرآن ، ولست أوصيك إلا بما
أوصاك به الرسول ، ولا أعظك إلا بما وعظ به الصالحون بعضهم بعضاً ،

(١) الأكلة : الشاة التي تعزل للأكل وتسمن ، مثل يضرب للمتبول لا آكل لماله .

(٢) أمر من السكيس بالفتح ، وهو العقل والفتنة .

(٣) راش السهم يرشه : ألزق عليه الريش ، ورواه الميداني في جمع الأمثال « قبل الرمي يرأس السهم » مثل يضرب في تهينة الآلة قبل الحاجة إليها ، وهو مثل قولهم « قبل الرماء تملأ الكنان » أي تؤخذ الأهبة للأمر قبل وقوعه .

(٤) أي ذات القرن ، ومن أمثالهم « عند النطاح يغلب السكيس الأجم » ويغلب بالبناء للجهول والتيس الأجم : الذي لا قرن له ، يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعده له .

(٥) القمر بالفتح والضم وكسب وكثف : من لم يجرب الأمور .

(٦) رواه الميداني « ليس عليك نسجه فاسحب وجر » أي أنك لم تنصب فيه فلذلك تقسده .

(٧) معنى : مقصد .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعقلها وتوكل » وقال مُطَرِّف بن الشَّخِير : « من نام تحت صَدَفٍ ^(١) مائل وهو ينوي التوكل ، فليزِمِ بنفسه من طَمَارٍ ^(٢) وهو ينوي التوكل » فأين التوقي الذي أمر الله به ، وأين التغيرير الذي نهى عنه ؟ ومن طَمِع في السلامة من غير تسلمٍ ^(٣) ، فقد وضع الطمع في موضع الأمانى ، وإنما يُنجِزُ الله الطمع إذا كان فيما أمر به ، وإنما يحقق من الأمل ما كان هو المسبب له ، وفرَّ عمر من الطاعون فقال له أبو عبيدة : « أَتَفِرُّ من قَدَرِ الله ؟ » قال : « نعم إلى قدر الله » وقيل له : « هل ينفع الحذر من القَدَر ؟ » فقال « لو كان الحذر لا ينفع لكان الأمر به لغوا » فأبلاء العذر ^(٤) هو التوكل ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال في خُصُومة : حسبي الله : « أبلِ اللهَ عذرا ، فإذا أعجزك أمرٌ فقل : حسبي الله » وقال الشاعر :

ومن يك مثلى ذا عيالٍ ومُقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليُبلى عذرا أو ليبلغ حاجة ومُبلغ نفس عذرها مثل مُنجح
وقال الآخر :

فإن يكن القاضى قضى غير عادِلٍ فبعدَ أمورٍ لا ألوم لها نفسى
وقال زهير البابى ^(٥) : « إن كان التوكل أن أكون متى أخرجتُ مالى

(١) الصدف : كل شيء مرفع من حائط ونحوه .

(٢) طمار : اسم للسكان العالى ، قال الشاعر :

« وآخر يهوى من طمار قتيل »

ينشد من طمار بفتح الراء ومن طمار بكسرهما منونا وغير منون ، وقيل هو اسم جبل .

(٣) المراد بالتسلم هنا : الأخذ بأسباب السلامة والعمل لها .

(٤) إبلاء العذر : تقديمه ، وكل من لم يقصر في عمل شيء ولم ينجح فيه فقد أبلى عذرا .

(٥) قال ياقوت في معجم البلدان ٢ : ١٣ وينسب إلى باب الأبواب جماعة منهم زهير بن نعيم البابى

وفى بعض النسخ « الثانى » وهو تصحيف .

أيقنتُ بالخلف ، وجعلتُ الخلفَ مالا يرجع في كَيْسِي ، ومتى ما لم أحفظْهُ
أيقنتُ بأنه محفوظ ، فإني أشهدكم أنني لم أتوكل قط ، إنما التوكل أن تعلم
أنك متى أخذت بأدب الله تتقلب في الخير فتُجزَى بذلك إما عاجلا وإما
آجلا » ثم قال : فلم تجر أبو بكر ؟ ولم تجر عمر ؟ ولم تجر عثمان ؟ ولم تجر
الزبير ؟ ولم تجر عبد الرحمن ^(١) ؟ ولم علم عمرُ الناسَ يتجرون ، وكيف
يشترون ويبيعون ؟ ، ولم قال عمر : « إذا اشتريت جملا فاجعله ضحما ، فإن
لم يبعه الخُبْر ^(٢) باعه المنظر ^(٣) » ؟ ، ولم قال عمر : « فرّقوا بين المنايا ، واجعلوا
الرأس رأسين ^(٤) » ؟ ولم قال عثمان حين سئل عن كثرة أرباحه : « لم أرو من
ربح قط » ؟ ، ولم قيل : « لا تشتري عيبا ولا شيئا ^(٥) » ؟ ، وهل حجّر على بن
أبي طالب على ابن أخيه عبد الله بن جعفر إلا في إخراج المال في غير حقه ،
وإعطائه في هواه ؟ ، وهل كان ذلك إلا في طلب الذكر ، والتماس الشكر ؟
وهل قال أحد : إن إنفاقه ^(٦) كان في الخمر والقمار ، وفي الفسولة ^(٧) والفجور ؟
وهل كان إلا فيما تسمونه جودا ، وتعدّونه كرما ؟ ومن رأى أن يحجّر على
الكرام لكرمهم رأى أن يحجّر على العلماء لحلمهم ^(٨) ! وأيّ إمام بعد
أبي بكر تريدون ؟ وبأيّ سلفٍ بعد عليّ تقتدون ؟ .

(١) أي عبد الرحمن بن عوف .

(٢) الخبر : العلم والعرفة .

(٣) انظر ص ٤٦٨ من الجزء الثالث .

(٤) الشيب معروف ، والمراد هنا لازمه . وهو الضعف ، وكبر السن ، أي لا تشتري ذا عيب

ولا ذا ضعف .

(٥) الضمير فيه يعود إلى عبد الله بن جعفر .

(٦) الفسولة : الدناءة .

(٧) أي لو كان حجر عليّ رضي الله عنه على عبد الله بن جعفر لكرمه لساغ الحجر على الحليم ،

وساغ الحجر على كل ذي فضيلة ، يريد أن يقول : إن إنفاق ابن جعفر لم يكن كرما .

وكيف نرجو الوفاء والقيام بالحق والصبر على النائية من عند لعمرو^(١)
مستأكل، وملاقى مخادع، ومنهموم بالطعام شره لا يبالي بأى شيء أخذ
الدرهم، ومن أى وجه أصاب الدينار؟ ولا يكثر للمنة، ولا يبالي أن
يكون أبداً منهموماً ممنوعاً عليه، وليس يبالي إذا أكل كيف كان ذلك
الطعام؟ وكيف كان سببه؟ وما حكمه؟

فإن كان مالك قليلاً فأنما هو قوام عيالك، وإن كان كثيراً فاجعل
الفاضل لعدة نوائبك، ولا يأمن الأيأم إلا المضلل، ولا يغتر بالسلامة إلا
المغفل، فاحذر طوارق البلاء، وخدع رجال الدهاء، ستمك في أديك^(٢)،
وغثك خير من سمين غيرك^(٣) لو وجدتته، فكيف ودونه أسل^(٤) حديد،
وأبواب شداد؟ قالت امرأة لبعض العرب: «إن تزوجتني كفتيتك»
فأنشأ يقول:

(١) الحريص الصهوان .

(٢) من أمثالهم « ستمك هريق في أديك » وكثيراً ما يقولون « ستمهم في أديهم » يضرب للذى
لا يتجاوز خيره، قال أبو عبيدة : الأديم : الأديم من الطعام ، أى جعلوا ستمهم فيه ولم يفصلوا به .
وقال الأصمى : أصله في قوم سافروا ومعهم نحى سمن ، فانصب على أديم لهم ، فكروا ذلك ، فقل
لهم : ما قص من ستمك زاد في أديك .

(٣) أول من قال هذا المثل معن بن عطية اللنجي . وذلك أنه كانت بينهم وبين حى من أحياء
العرب حرب شديدة ، فر معن في حملة حملها برجل من حربه صريعاً فاستفاته وقال : امن على كفتيت
البلاء ، فأرسلها مثلاً ، فأقامه معن وسار به حتى بلغه مأمنه ، ثم عطف أولئك القوم على مذبح فهزمهم
وأسروا معن ، وأخاله يقال له روق - وكان يضعف ويحمق - فلما انصرفوا إذا صاحب معن الذى
نجاه أخو رئيس القوم فناداه معن ، وقال : يا خير جازيد أو ليتها ج منجيك
فعرفه صاحبه فقال لأخيه : هذا المان على ومتقدى بعد ما أشرفت على الموت . فهبه لى ، فوهبه له
ثغلى سبيله ، وقال : إني أحب أن أضاعف لك الجزاء ، فاختر أسيراً آخر ، فاختر معن أخاه روقاً ،
ولم يلتفت إلى سيد مذبح وهو فى الأسارى ، ثم انطلق معن وأخوه راجعين ، فر بأسارى قومهما
فسألوا عن حاله فأخبرهم الخبر ، فقالوا لمن : قبلك الله ! تدع سيد قومك وشاعرهم لاتفكه وتفك
أخاك هذا الأنوك الغسل الرذل ، فوالله ما نكأ جرحاً ، ولا أعمل رجماً ، ولا ذعر سرحاً ، وإنه لتبيح المنظر ،
سبي الخبر ، لئيم ، فقال معن : « غثك خير من سمين غيرك » فأرسلها مثلاً .
(٤) الأسل : الرماح ، واحدة أسلة .

إذا لم يكن لي غيرُ مالِكٍ مَسْنَى خَصَّاصٌ توبان الحمدُ مِنِّي والأجرُ (١)
وما خيرُ مالٍ ليس نافعَ أهله وليس لشيخ الحَيِّ في أمره أمرٌ؟
وقال المعلِّطُ القرَيعيُّ :

أبا هانيءٍ لا تسألِ الناسَ والتَمِسْ بكفِّيك سَتَرَ اللهُ فاللهُ واسع
فلو تسألُ الناسَ الترابَ لأوشكوا إذا قيل هاتُوا أن يَمَلُّوا فيمَنُّوا (٢)
(كتاب البخل ص ١٢٩)

٧٢ - كتاب عمرو بن عثمان القيني

إلى محمد بن عبيد الله العتيبي

وكان محمد (٣) بن عُبَيْدِ اللهِ العُتَيْبِيُّ صديقاً لعمرو بن عثمان القيني ،
فكتب إليه العتيبي كتاباً فزاده في الدعاء ، فكتب إليه عمرو :
يا بنَ الذَّوائبِ من قریشٍ والذَّرى وسَلِيلَ سَادَةٍ ساكِني البَطْحَاءِ (٤)
حاشاكِ لِمِثْلِكَ أن يراني قائلاً بكَرامَةٍ تُزْرى لَدِيهِ بِرائي
لم تَرْضَ إِذْ كُنَيْتَنِي وَبَدَأْتَ بِي حَتَّى دَعَاكَ اللهُ لِي يَبْقَائِي

(١) الخصاص : الفقر كالخصاصة .

(٢) اطلعت في خلال اشتغالي بهذا المؤلف على تحقيق وشرح لكتاب البخل لأستاذي الجليلين
على بك الجارم ، وأحمد بك العوامري ، وقد استعنت بمجهودهما الموفق في هذه الرسالة فلهما مني ومن
قراء العربية جزيل الشكر .

(٣) هو محمد بن عبيد الله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ،
وكان أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً ، والعتبي : نسبة إلى جده عتبة بن أبي سفيان . قال ابن خلكان :
ويجوز أن تكون نسبته إلى عتبة التي كان يقول الشعر فيها ، وتوفي سنة ٢٢٨ - انظر ترجمته في
وفيات الأعيان ١ : ٥٢٢ .

(٤) الذوائب : جمع ذؤابة بالضم ، وذؤابة كل شيء : أعلاه . والبطحاء : بطحاء مكة ، أي مسيل
واديها .

ولو اقتصرت على التي هي قيمتي فيما تَبَتُّ قَضِيَّةُ الْحُكَمَاءِ
لَكُنْتُ لِي: «عمر بن عثمان» ولم تُتَّبِعْهُ فِي الْعُنْوَانِ حَرْفَ دُعَاءِ
فَاتْرُكْ - جُعِلَتْ فِدَاكَ - إِكْرَامِي بِمَا أَخْشَى بِهِ عِنْدَ الْوَرَى اسْتِغْبَائِي (١)
فَالْعَيْنُ تُصَغِّرُ أَنْ تُقَدِّمَهَا عَلَى أَوْلَادِ «حَرْبِ» السَّادَةِ الْكَرَمَاءِ
حَلُّوا مِنَ الْعِزِّ الْمُنِيعِ نِيَّافَةً يَحْمُونَ غَيْرَهُمْ ذُرَى الْعِلْيَاءِ (٢)
(أدب الكتاب ص ١٥٩)

٧٣ - كتاب المتوكل في الاعلان ببلقبه

ولما مات هرون الواثق بن المعتصم سنة ٢٣٢ هـ ببيع بالخلافة أخوه
جعفر، ولُقِّبَ المتوكل على الله، فأحضر محمد بن عبد الملك الزيات وأمر بالكتاب
بذلك إلى الناس، فتفدَّتْ إِلَيْهِمُ الْكُتُبُ، نسخة ذلك :
« بسم الله الرحمن الرحيم : أَمْرٌ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ
اللَّهُ بَقَاءَهُ - أَنْ يَكُونَ الرَّسْمُ الَّذِي يَجْرِي بِهِ ذِكْرُهُ عَلَى أَعْوَادِ مَنَابِرِهِ ، وَفِي
كُتُبِهِ إِلَى قُضَاتِهِ وَكُتَّابِهِ وَعَمَلِهِ وَأَصْحَابِ دَوَائِينِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ مَنْ
تَجْرِي الْمَكَاتِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ : « مِنْ عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ الْإِمَامِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ » فَرَأَيْتُكَ فِي الْعَمَلِ بِذَلِكَ وَإِعْلَامِي بِوُصُولِ كِتَابِي إِلَيْكَ مُوَفَّقًا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ . تاريخ الطبري ١١ : ٢٦

(١) أَيْ عَدَى مِنَ الْأَغْيَاءِ .

(٢) النِيفُ : الْجَبَلُ الْعَالِي الطَّوِيلُ ، وَالْمُرَادُ هُنَا : الْقِمَّةُ وَالنُّوَّةُ ، وَيُقَالُ أَيْضًا جَلْ نِيفٌ : أَيْ
طَوِيلٌ فِي ارْتِفَاعٍ ، وَتُصَرِّفُ نِيفٌ : أَيْ مُرْتَفِعٌ ، قَالَ فِي اللِّسَانِ : « وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نِيفٌ مُصَدَّرًا
وَيُوصَفُ بِهِ كَمَا يُوصَفُ بِالْمُبَادِرِ » .

٧٤ - كتاب المتوكل إلى عماله في النصارى وأهل الذمة

وفي سنة ٢٣٥ هـ كتب المتوكل إلى عماله في الآفاق ، بشأن النصارى وأهل الذمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فإن الله تبارك وتعالى بعزته التي لا تحاؤل ، وقدرته على ما يريد ، اصطفى الإسلام فرضيه لنفسه ، وأكرم به ملائكته وبعث به رسوله ، وأيد به أوليائه ، وكفنه بالبر ، وحاطه بالنصر ، وحرسه من العاهة ، وأظهره على الأديان ، مُبرِّأً من الشُّبهات ، معصوماً من الآفات ، محبوباً بمناب الخير ، مخصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها ، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها ، ومن الأحكام بأعَدَلِّها وأقنعها ، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدها ، وأكرم أهله بما أحلَّ لهم من حلاله ، وحرَّم عليهم من حرامه ، وبيَّن لهم من شرائعه وأحكامه ، وحدَّ لهم من حدوده ومناهجه ، وأعدَّ لهم من سعة جزائه وثوابه ، فقال في كتابه فيما أمر به ونهى عنه ، وفيما حَضَّ عليه فيه ووعظ : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » وقال فيما حرَّم على أهله مما عمَّط^(١) فيه من ردىء المطعم والمشرب والمنكح ، لينزَّههم عنه ، وليطهرَّ به دينهم ليفضلهم عليهم تفضيلاً : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ^(٢) وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ

(١) أى عابه ونلَّبه .

(٢) أى مرفع الصوت لغير الله به فذبح على اسم غيره ، كقوله : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والمنخنقة : التي ماتت بالخنق . والموقوذة : المقتولة ضرباً بخشبة أو حجر . والمتردية : التي تردت

وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيجَةُ ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِرْتُ بِهِ عَلَى النُّصْبِ
وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُوتٌ » ثم ختم ما حرم عليهم من ذلك
في هذه الآية بحراسة دينه ممن عند^(١) عنه ، وبإتمام نعمته على أهله الذين
اصطفاهم ، فقال عز وجل : « الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْنَهُمْ وَاعْشَوْنَ ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » وقال عز وجل « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ
وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي
دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ
أَبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، إِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا » وقال « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ
رِجْسٌ^(٢) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ

وسقطت من علو فسات . والنطيجة : التي نطحتها أخرى فسات . وما أكل السبع : أى وما أكل
منه السبع فسات ، إلا ما ذكركم : التذكية : الذبح ، أى إلا ما أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء
فدبحتموه ، وما ذبح على النصب : وهى أحجار كانت منصوبة حول الكعبة يذبحون عليها ويعبدون
ذلك قربة ، وقيل هى الأصنام ، أى وما ذبح على اسم النصب ، وأن تستقسموا : أى تطلبوا مسرفة
ما قسم لكم ، والأزلام : جمع زلم بفتح الزاى وضمها مع فتح اللام ، وهو قلع (كقرد) صغير لا ريش
له ولا نصل ، وكانوا إذا قصدوا فعلا ، أجالوا ثلاثة قداح ، مكتوب على أحدها أمرنى ربى ، وعلى
الثانى نهانى ربى ، والثالث غفل . فإن خرج الأول مضوا فى الأمر ، وإن خرج الثانى تجنبوه ، وإن
خرج الثالث أجالوها ثانية .

(١) أى مال عنه .

(٢) الرجس : القذر .

الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْيَسْرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ .

فَحَرَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَا كِلَا أَهْلِ الْأديَانِ أَرْجَسَهَا وَأَنْجَسَهَا ، وَمِنْ شَرَابِهِمْ أَذْعَاهُ إِلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، وَأَصَدَّهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، وَمِنْ مَنَاجِحِهِمْ أَعْظَمَهَا عِنْدَهُ وَزَرًا ، وَأَوَّلَاهَا عِنْدَ ذَوِي الْحِجَابِ وَالْأَلْبَابِ تَحْرِيمًا ، ثُمَّ حَبَّاهُمْ مُحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ ، وَفَضَائِلَ الْكِرَامَاتِ ، فَجَعَلَهُمْ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْفَضْلِ وَالتَّرَاحُمِ ، وَالْيَقِينِ وَالصَّدْقِ ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِي دِينِهِمُ التَّقَاطُعَ وَالتَّدَابُرَ ، وَلَا الْحَمِيَّةَ وَلَا التَّكَبُّرَ ، وَلَا الْخِيَانَةَ وَلَا الْغَدَرَ ، وَلَا التَّبَاغِيَّ وَلَا التَّظَالُمَ ، بَلْ أَمَرَ بِالْأَوَّلَى ، وَنَهَى عَنِ الْآخَرَى ، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ عَلَيْهَا جَنَّتَهُ وَنَارَهُ ، وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ ، فَالْمُسْلِمُونَ بِمَا اخْتَصَّصَهُمُ اللَّهُ مِنْ كِرَامَتِهِ ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْفَضِيلَةِ بِدِينِهِمُ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُمْ ، بِإِثْنُونٍ عَلَى الْأَدْيَانِ بِشَرَائِعِهِمُ الزَّاكِيَةِ ، وَأَحْكَامِهِمُ الْمَرْضِيَّةِ الطَّاهِرَةِ ، وَبِرَاهِينِهِمُ الْمُنِيرَةِ ، وَبِتَطْهِيرِ اللَّهِ دِينَهُمْ بِمَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ فِيهِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، قَضَاءً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِعْزَازِ دِينِهِ حَتْمًا ، وَمَشِيئَةً مِنْهُ فِي إِظْهَارِ حَقِّهِ مَاضِيَةً ، وَإِرَادَةً مِنْهُ فِي إِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ نَافِذَةً « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ » وَلِيَجْعَلَ اللَّهُ الْفُوزَ وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ، وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ .

وَقَدْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقَهُ وَإِرْشَادَهُ - أَنْ يَحْمِلَ أَهْلَ الذِّمَّةِ جَمِيعًا بِحَضْرَتِهِ وَفِي نَوَاحِي أَعْمَالِهِ أَقْرَبِيهَا وَأَبْعَدِيهَا ، وَأَخْصَصَهُمْ وَأَخْسَنَهُمْ ، عَلَى

تصيير طيالسهم^(١) التي يلبسونها ، من لبسها من تجارهم وكتّابهم وكبيرهم وصغيرهم ، على ألوان الثياب العسليّة ، لا يتجاوز ذلك منهم متجاوز إلى غيره ، ومن قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم وأرذالهم ومن يقعد به حاله عن لبس الطيالسّة منهم ، أخذ بتركيب خرقتين ، صبغهما ذلك الصبغ ، يكون استدارة كل واحدة منهما شبرا تامّا في مثله ، على موضع إمام توبه الذي يلبسه تلقاء صدره ومن وراء ظهره ، وأن يؤخذ الجميع منهم في قلانسهم^(٢) بتركيب أزرة عليها ، يخالف ألوانها ألوان القلانس ، ترتفع في أماكنها التي تقع بها ، لثلاثا تلمصق فتستتر ، ولا مايركب منها على حبال^(٣) فيخفى ، وكذلك في سروجهم باتخاذ ركب^(٤) خشب لها ، ونصب أكر على قرايسها^(٥) تكون ناتئة عنها ومؤففة عليها ، لا يرخص لهم في إزالتها عن قرايسهم وتأخيرها إلى جواربها ، بل تتفقد ذلك منهم ليقع ماوقع من الذي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليه ظاهراً يبيّنه الناظر من غير تأمل ، وتأخذه الأعين من غير طلب ، وأن تؤخذ عبيدهم وإماؤهم ومن يلبس المناطق من تلك الطبقة بشدّ الزنانير والكساتييج^(٦) مكان المناطق التي كانت في

(١) الطيالسّة جمع طيلسان بفتح الطاء وثلاث اللام : ضرب من الأكسية أسود ، فارسي معرب .

(٢) القلانس : جمع قلنسوة بفتحين فسكون فضم ففتح ، وهي لباس الرأس .

(٣) الحبال : حبل يشد به على الوسط .

(٤) الركب ، جمع ركاب بالكسر ، والركاب للسرج كالفرز للرحل .

(٥) القرايس : جمع قربوس بفتح أوله وثانيه ، وهو خنجر السرج (بكسر الخاء) ، وله قربوسان والكرة : معروفة ، وأصلها كرة غنفت الواو ، وتجمع على كرات وكرين ، وتجمع أيضاً على أكر وأصله وكر مقلوب اللام إلى موضع الفاء ، ثم أبدلت الواو همزة لانضمامها ، وناتئة : مرتفعة .

(٦) المناطق : جمع منطقة ككسنة ، وهي مايشد على الوسط ، والزنانير : جمع زنار ككتفاح ، وهو مايشد على وسط النصارى والمجوس ، والكساتييج جمع كستييج بالضم : وهو خيط غليظ يشده الدبي . فوق ثيابه دون الزنار .

أوساطهم ، وأن تُوعزَ إلى عمّالك فيما أمرَ به أمير المؤمنين في ذلك إيعازاً
تُحذوهم^(١) به إلى استقصاء ما تقدّم إليهم فيه ، وتُحذّرهم إدهاناً^(٢) وميلاً ،
وتتقدّم إليهم في إنزال العقوبة بمن خالف ذلك من جميع أهل الذمة عن
سبيل عنادٍ وتهوينٍ إلى غيره ، ليقصرَ الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم ،
على السبيل التي أمرَ أمير المؤمنين بحملهم عليها ، وأخذهم بها إن شاء الله .
فاعلمَ ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وأنفذَ إلى عمّالك في نواحي
عَمَلِك ما وردَ عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعملُ به إن شاء الله ، وأمير
المؤمنين يسأل الله ربّه ووليّه أن يصليَ على محمد عبده ورسوله ، صلى الله
عليه وملائكته ، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ، ويتولّى
ما ولّاه مما لا يبلغُ حقّه فيه إلا بعونه ، حفظاً يحملُ به ما حمّله ، وولايةً
يقضى بها حقّه منه ، ويوجب بها له أكملَ ثوابه ، وأفضلَ مزيده ، إنه
كريم رحيم .

وكتب إبراهيم بن العباس في شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين .
(تاريخ الطبرى ١١ : ٣٦)

٧٥ - كتاب المتوكل بولاية العهد لبنيه

وفي سنة ٢٣٥ هـ أيضاً عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة - المنتصر والمعتز
والمؤيد - بولاية العهد ، وضم إلى المنتصر إفريقية والمغرب وما يضاف

(١) أى تسوقهم .
(٢) الإدهان : الغش .

إليها ، وإلى المعتز كورخراسان وما يضاف إليها ، وإلى المؤيد الشام ، وكتب
بينهم كتابا نسخته :

« هذا كتاب كتبه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ،
وأشهد أنه على نفسه بجميع ما فيه ، ومن حضر من أهل بيته وشيعته وقواده
وقضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين ، لمحمد المنتصر بالله
ولأبي عبد الله المعتز بالله ، وإبراهيم المؤيد بالله بنى أمير المؤمنين ، فى أصالة
من رأيه ، وعموم من عافيه بدنه ، واجتماع من فهمه ، مختاراً لما شهد به ،
متوخياً بذلك طاعة ربه ، وسلامة رعيته واستقامتها ، وانقياد طاعتها ،
والتساع كلتها ، وصالح ذات بينها ، وذلك فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين
ومائتين ، إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين
ولاية عهد المسلمين فى حياته ، والخلافة عليهم من بعده ، وأمره بتقوى الله
التي هى عصمة من اعتصم بها ، ونجاة من لجأ إليها ، وعز من اقتصر عليها ،
فإن بطاعة الله تتم النعمة ، وتجب من الله الرحمة ، والله غفور رحيم ، وجعل
عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين الخلافة من بعد محمد
المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، إلى أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ،
ثم من بعد أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين الخلافة إلى إبراهيم
المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد
المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، على أبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله

أَبْنَى أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالنَّصِيحَةَ وَالْمُسَايَعَةَ وَالْمُؤَالَاةَ لِأَوْلِيَائِهِ ،
وَالْمَعَادَاةَ لِأَعْدَائِهِ ، فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ ، وَالغَضَبَ وَالرِّضَا ، وَالْمَنْعَ وَالْإِعْطَاءَ ،
وَالْتِمَسْكَ بِبَيْعَتِهِ ، وَالْوَفَاءَ بِعَهْدِهِ ، لَا يَبْغِيَانِهِ غَائِلَةً^(١) ، وَلَا يَحَاوِلَانِهِ مُخَاتَلَةً ،
وَلَا يُمَالِئَانِ^(٢) عَلَيْهِ عَدُوًّا ، وَلَا يَسْتَبِدَّانِ دُونَهُ بِأَمْرٍ يَكُونُ فِيهِ نَقْصٌ لِمَا
جَعَلَ إِلَيْهِ أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ فِي حَيَاتِهِ وَخِلَافَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ ،
وَجَعَلَ اللَّهُ جَعْفَرَ الْإِمَامَ الْمُتَوَكِّلَ عَلَى اللَّهِ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مُحَمَّدٍ
الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ ابْنِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ
أَبْنَى أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : الْوَفَاءَ بِمَا عَقَدَهُ لِهَمَا ، وَعَهْدَ بِهِ إِلَيْهِمَا ، مِنْ الْخِلَافَةِ
بَعْدَ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ ابْنِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ
ابْنَ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ ابْنِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -
وَالِإِتِمَامَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا يَخْلَعُهُمَا ، وَلَا وَاحِدًا مِنْهُمَا ، وَلَا يَعْقِدُ دُونَهُمَا وَلَا
دُونَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَيْعَةً لَوْلَا وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَلَا يُؤَخِّرُ مِنْهُمَا
مَقَدَّمًا ، وَلَا يَقَدِّمُ مِنْهُمَا مُؤَخَّرًا ، وَلَا يَنْقُصُهُمَا ، وَلَا وَاحِدًا مِنْهُمَا شَيْئًا مِنْ
أَعْمَالِهِمَا الَّتِي وَلَّاهُمَا عَبْدُ اللَّهِ جَعْفَرُ الْإِمَامِ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، مِنَ الصَّلَاةِ وَالْمَعَاوِنِ وَالْقَضَاءِ وَالْمَظَالِمِ وَالْخَرَاجِ وَالضِّيَاعِ
وَالْغَنِيمَةِ وَالصَّدَقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حَقُوقِ أَعْمَالِهِمَا ، وَمَا فِي عَمَلٍ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا مِنَ الْبَرِيدِ وَالطَّرَازِ^(٣) وَخَزَنِ بَيُوتِ الْأَمْوَالِ وَالْمَعَاوِنِ وَدُورِ الضَّرْبِ ،

(١) الْغَائِلَةُ : الدَاهِيَةُ . وَالْمُخَاتَلَةُ : الْخُدَاعَةُ .

(٢) مَالَأَهُ عَلَى الْأَمْرِ : سَاعَدَهُ وَشَايَعَهُ .

(٣) انْظُرْ ص ٢٢٥ مِنَ الْجُزْءِ الثَّالِثِ .

وجميع الأعمال التي جعلها أمير المؤمنين ويجعلها إلى كل واحد منهما ، ولا ينقل عن واحد منهما أحدا من ناحيته من القواد والجند والشاكرية^(١) والموالي والغلمان وغيرهم ، ولا يمتريض عليه في شيء من ضياعه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما في يده وما حواه وملكت يده ، من تاليد وطارف ، وقديم ومستأنف ، وجميع ما يستفيد ويستفاد له ، بنقص ، ولا بخزيم ، ولا بجنف^(٢) ، ولا يعرض لأحد من عماله وكتابه وقضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه وجميع أسبابه ، بمناظرة ولا محاسبة ، ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها ، ولا يفسخ فيما وكده أمير المؤمنين لهما في هذا العقد والعهد بما يُزيل ذلك عن جهته ، أو يؤخره عن وقته ، أو يكون ناقضا لشيء منه .

وجعل عبد الله جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، إن أفضت إليه الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين ، مثل الشرائط التي اشترطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، بجميع ما سمي فيه ووصف في هذا الكتاب ، وعلى ما بين وفسر ، مع الوفاء من أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، بما جعله أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك رضىاً مضمياً له مقدماً ما فيه حق الله عليه وما أمره به أمير المؤمنين ، غير ناكث ولا ناكب^(٣) بذلك ولا مُبدل ، فان الله تعالى

(١) الشاكرى : الأجير والمستخدم .

(٢) أصل الحرم : فسم الحُرزة . ومعناه هنا : النقص . والجنف : الميل والجور ، وفي الأصل

« ولا يحرم ولا يجنف » وأراه مصحفاً . (٣) نكب عنه كنصر وفرح : عدل .

جَدُّهُ ، وَعَزَّ ذِكْرُهُ ، يَتَوَعَّدُ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ ، وَعِنْدَ^(١) عَنْ سَبِيلِهِ فِي مُحْكَمِ
كِتَابِهِ : « فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

على أن لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، ولإبراهيم المؤيد بالله
ابن أمير المؤمنين ، على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين [إذا أفضت
الخلافة إليه^(٢)] وهما مقيمان بحضرته ، أو أحدهما ، أو كانا غائبين عنه ،
مجتمعين كانا أو متفرقين ، وليس أبو عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في
ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، وليس إبراهيم المؤيد بالله
ابن أمير المؤمنين في ولايته بالشام وأجنادها ، فعلى محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين
أن يُنْضِيَ أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إلى خراسان وأعمالها المتصلة
بها والمضمومة إليها ، وأن يسلم له ولايتها وأعمالها كلها وأجنادها ،
والكُورَ الداخلة فيما ولى جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أبا
عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، فلا يُعَوِّقُهُ عنها ، ولا يجبسه قبله ، ولا
في شيء من البلدان دون خراسان والكُورِ والأعمالِ المضمومة إليها ، وأن
يُعَجِّلَ إشخاصه إليها ، وإلياً عليها وعلى جميع أعمالها ، مُفْرَداً بها ، مفوضاً
إليه أعمالها كلها ، لينزل حيث أحب من كُورِ عمله ، ولا ينقله عنها ، وأن
يُشَخِّصَ معه جميع مَنْ ضَمَّ إليه أمير المؤمنين ، ويضم من مواليه وقواده
وشاكريته وأصحابه وكتّابه وعمّاله وخدمه ، ومن اتبعه من صنوف الناس

(١) عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم : مال .

(٢) ما بين الفوسين ساقط من الأصل ، والسياق يقتضيه ، وسيرد نظيره في الرسالة نفسها بعد .

بأهاليهم وأولادهم وعيالهم وأموالهم ، ولا يجبسُ عنه أحدا ، ولا يُشرك في شيء من أعماله أحدا ، ولا يوجه عليه أمينا ولا كاتباً ولا بريداً ، ولا يضرب^(١) على يده في قليل ولا كثير ، وأن يُطلق محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخروج إلى الشام وأجنادها ، فيمن ضمَّ أمير المؤمنين ويضمُّه إليه ، من مواليه وقواده وخدّامه وجنوده وشاكريته وصحابته وعَمَّاله وخُدّامه ، ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وأموالهم ولا يجبسُ منهم أحدا ، ويسلمُ إليه ولايتها وأعمالها وجنودها كلّها ، لا يعوّقه عنها ولا يجبسه قبله ، ولا في شيء من البلدان دونها ، وأن يعجّل لإشخاصه إلى الشام وأجنادها ، وإلياً عليها ، ولا ينقله عنها ، وأن عليه له فيمن ضمَّ إليه من القواد والموالي والغلمان والجنود والشاكرية وأصناف الناس ، وفي جميع الأسباب والوجوه مثل الذي اشترط على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في خراسان وأعمالها ، على ما رسم من ذلك وميّن وتلخص وشرح في هذا الكتاب .

ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إذا أفضت الخلافةُ إليه وإبراهيم المؤيد بالله مقيم بالشام أن يُقرّه بها ، أو كان بحضرته ، أو كان غائبا عنه ، أن يُمنّضيه إلى عمله من الشام ، ويسلمُ إليه أجنادها وولايتها وأعمالها كلّها ، ولا يعوّقه عنها ، ولا يجبسه قبله ولا في شيء من البلدان دونها ، وأن يعجّل لإشخاصه إليها ، وإلياً عليها

(١) ضرب على يده : منعه من أمر أخذ فيه ، كجبر عليه .

وعلى جميع أعمالها ، على مثل الشرط الذي أخذ لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، في خراسان وأعمالها ، على مارُسم ووصف وشرط في هذا الكتاب لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه وله هذه الشروط ، من محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بن أمير المؤمنين ، أن يُزيل شيئاً مما اشترطنا في هذا الكتاب ووَكَّدنا ، وعليهم جميعا الوفاء به ، لا يقبلُ الله منهم إلا ذلك ولا التمسك إلا بعهد الله فيه ، وكان عهدُ الله مَسْئُولاً .

أشهد الله رب العالمين جعفر بن الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ومن حضر من المسلمين بجميع ما في هذا الكتاب ، على إمضائه إياه ، على محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بن أمير المؤمنين ، بجميع ما سَمِيَ ووصف فيه ، وكفى بالله شهيدا ومُعِينا لمن أطاعه راجيا ، ووفى بعهدِه خائفا ، وحَسِيداً ومُعاقِبا مَنْ خالفه مُعَانِداً ، أو صَدَفَ^(١) عن أمره مجاهداً .

وقد كُتِبَ هذا الكتاب أربع نُسَخ ، وُقِّعت شهادة الشهود بِحَضْرَةِ أمير المؤمنين في كل نسخةٍ منها ، في خزانة أمير المؤمنين نسخة ، وعند محمد المنتصر ابن أمير المؤمنين نسخة ، وعند أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين نسخة ، ونسخة عند إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

وقد ولى جعفر بن الإمام المتوكل على الله أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين أعمال فارس وأرمينية وأذربيجان إلى ما يلي أعمال خراسان

وكُورِها والأعمال المتصلة بها والمضمومة إليها ، على أن يجعل له على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين في ذلك ، الذي جعل له في الحياطة في نفسه ، والوثاق في أعماله والمضمومين إليه وسائر من يستعين به من الناس جميعا ، في خراسان والكُور المضمومة إليها والمتصلة بها ، على ما سُمي ووصف في هذا الكتاب . (تاريخ الطبري ١١ : ٣٩)

٧٦ - كتاب عميد الله بن يحيى بن خاقان إلى الحسن بن عثمان

وفي سنة ٢٤٩ هـ ضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن حاصم ، صاحب خان حاصم ببغداد ألف سوط فيما قيل .

وكان السبب في ذلك أنه شهد عليه عند أبي حسان الزياتي قاضي الشرفية ، أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة^(١) ، سبعة عشر رجلا ، شهاداتهم فيما ذكر مختلفة من هذا النحو ، فكتب بذلك صاحب بريد بغداد إلى عميد الله^(٢) بن يحيى بن خاقان ، فأنهى عميد الله ذلك إلى التوكل^(٣) ،

(١) هي حفصة بنت عمر بن الخطاب .

(٢) وزير التوكل - انظر الفخري ص ٢١٦ ، وذكر الطبري أنه استكتبه سنة ٢٣٦ هـ - تاريخ الطبري ١١ : ٤٤ .

(٣) وكان مقر الخلافة يومئذ مدينة سر من رأى (سامرا) بفتح الميم ، وهي مدينة بين بغداد وتكريت على شرف دجلة ، وذلك أن جيوش المعتصم كانوا قد كثروا حتى بلغ عدد مماليكه من الأتراك سبعين ألفا ، فدوا أيديهم إلى حرم الناس ، وسعوا فيها بالفساد ، وضائق عنهم بغداد ، وكان إذا ركب مات جاعة من الصبيان والعميان والضعفاء لازدحام الخيل وضغطهم ، فاجتمع أهل الخير على باب المعتصم وقالوا له : إما أن تخرج من بغداد فإن الناس قد تأذوا بعسكرك ، وإما أن تماربك ، فقال : كيف تماربونني ؟ قالوا : تماربك بسهام السحر ، قال : وما سهام السحر ؟ قالوا : ندعو عليك ، فقال : لا طاقة لي بذلك ، وخرج من بغداد وبني سر من رأى سنة ٢٣١ هـ ونزل بها ، وأقام بها ابنه الواثق ثم المتوكل ، وبني بها قصورا كثيرة - ولم يبن بها أحد من الخلفاء من الأتنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل ، ولم تزل في صلاح وزيادة وعمارة إلى آخر أيام المنتصر بن المتوكل ، ثم

فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ^(١) يَأْمُرُهُ بِضَرْبِ عَيْسَى هَذَا بِالسَّيَاطِ ، فَإِذَا مَاتَ رُمِيَ بِهِ فِي دَجَلَةٍ ، وَلَمْ تَدْفَعْ جِيفَتَهُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَكُتِبَ عبيد الله إلى الحسن بن عثمان^(٢) جواب كتابه إليه في عيسى :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أَبْقَاكَ اللَّهُ وَحَفِظَكَ ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَصَلَ كِتَابُكَ فِي الرَّجُلِ الْمُسَمَّى عَيْسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ صَاحِبِ الْخَنَازَاتِ ، وَمَا شَهِدَ بِهِ الشُّهُودُ عَلَيْهِ مِنْ شَتَمِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَقْنِهِمْ وَإِكْفَارِهِمْ وَرَمْيِهِمْ بِالْكِبَائِرِ ، وَنَسْبَتِهِمْ إِلَى النِّفَاقِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا خَرَجَ بِهِ إِلَى الْمَعَانِدَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَثْبِثِكَ فِي أَمْرِ أَوْلَاكَ الشُّهُودَ وَمَا شَهِدُوا بِهِ ، وَمَا صَحَّ عَنْكَ مِنْ عَدَالَةٍ مِنْ عَدَلٍ مِنْهُمْ ، وَوَضَحَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ فِيمَا شَهِدُوا بِهِ ، وَشَرَحَكَ ذَلِكَ فِي رُقْعَةٍ دَرَجَ^(٣) كِتَابُكَ ، فَعَرَضْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - ذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِالْكِتَابِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَبْقَاهُ اللَّهُ - بِمَا قَدْ نَفَذَ إِلَيْهِ مِمَّا يُشَبِّهُ مَا عِنْدَهُ - أَبْقَاهُ اللَّهُ - مِنْ نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ ، وَالْإِنْتِقَامِ مِمَّنْ أَلْحَدَ فِيهِ ، وَأَنْ يُضْرَبَ الرَّجُلُ حَدًّا فِي جَمْعِ النَّاسِ حَدَّ الشَّتَمِ ، وَخَسْمَائَةِ سَوْطٍ بَعْدَ الْحَدِّ لِلْأُمُورِ الْعِظَامِ الَّتِي اجْتَرَأَ عَلَيْهَا ، فَإِنْ مَاتَ أُلْقِيَ فِي الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ صَلَاةٍ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ نَاهِيًا لِكُلِّ مُلْحِدٍ فِي الدِّينِ ، خَارِجٍ مِنْ جَمَاعَةِ

أُخِذَتْ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُ مَنْ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَأَقَامَ بِهَا وَتَرَكَ سِرَّ مَنْ رَأَى الْمُتَعَصِّدَ بِاللَّهِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٨٩ هـ - انظر معجم ياقوت ٥ : ١٢ والفخرى ص ٢١١ .

(١) قال الطبري (١١ : ٤٥) « وَفِي سَنَةِ ٢٣٧ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مِنْ خُرَاسَانَ ، فَوَلَّى الشَّرِطَةَ وَالْجُزْيَةَ وَأَعْمَالَ السَّوَادِ وَخِلَافَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى بَغْدَادِ » .

(٢) صَاحِبُ بَرِيدِ بَغْدَادِ .

(٣) الدَّرَجُ : الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ .

المسلمين ، وأعلمتُك ذلك لتعرفَه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وذكر أن عيسى هذا لما ضرب ترك في الشمس حتى مات ، ثم رمى به في دجلة .
(تاريخ الطبري ١١ : ٥١)

٧٧ - كتاب أبي العيْناء إلى عميد الله بن يحيى بن خاقان

وسمى محمد بن عميد الله بن يحيى بن خاقان أبا العيْناء^(١) على دابة زعم أنه غير فارسي^(٢) ، فكتب إلى أبيه عميد الله :

« أُعْلِمُ الوزير - أعزّه الله - أن أبا علي محمداً أراد أن يبرّني فعقني ، وأن يُركبني فأرجلني ، أمر لي بدابة تقف للنّبرة^(٣) ، وتمثّر بالبعرة ، كالقضيبي اليابس عجفاً^(٤) ، وكالعاشق المهجور دنفاً^(٥) ، قد أذكرت الرّواة عروّة^(٦) »

(١) هو محمد بن القاسم بن خلاد ، وكان فصيحاً بليغاً شاعراً ، وكان من ظرفاء العالم ، وفيه من اللسان وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله مع المتوكل مجالس ، ولد سنة ١٩١ هـ وعمره أربعون سنة وتوفي سنة ٢٨٢ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٥٠٤ ، وزهر الآداب ١ : ٢٨٩ - ٢٩٦ ، والفهرست لابن النديم ص ١٨١ .

(٢) الدابة : مادب من الحيوان ، وغلب على ما يركب ، ويقع على المذكر ، والفار من الدواب : الجيد السير ، قالوا : ويقال للبلبل والحمار والبرذون : فار ، ولا يقال للفارس فار ، ولكن رائع وجواد .

(٣) يقال : نبر الرجل نبرة : إذا تكلم بكلمة فيها علو ، والنبرة : صبيحة الفزع ، ونبرة المغني : رفع صوته عن خفض .

(٤) العجف : الهزال .

(٥) الدنف : المرض الملازم .

(٦) في الأصل « عذرة » وهو تحريف وصوابه « عروّة » وهو عروّة بن حزام بن مهاصر العذري صاحب عفرأ بنت عقال بن مهاصر - بنت عمه - وهو شاعر إسلامي ، وأحد الثيبين الذين قتلهم المهوي ، مات من حب ابنة عمه عفرأ - انظر ترجمته في الأغاني ٢٠ : ١٥٢ ، والشعر والشعراء ص ٢٣٧ ، وقرأ قصيدته النونية في الأغاني ، وفي كتاب النوادر لأبي علي الفاي عقب ذيل الأمل ، =

العُذْرِيَّ ، والمجنونَ العامريَّ^(١) ، مساعدُ أعلاه لأسفله ، حُبَّاقُه^(٢) مقرون
بِسُعاله ، فلو أَمَسَكَ لَتَرَجَّيْتُ ، ولو أَفَرَدَ لَتَعَزَّيْتُ ، ولكنه يجمعهما في
الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيبٌ مُرَشِّد ، أو شاعرٌ مُنْشِد ،
تَضَحَّك من فعله الذُّسْوَانُ ، وتَتَنَاقَى^(٣) من أَجله الصَّبَّيَانُ ، فَمِنْ صَائِحٍ يَصِيح
دَاوِهَ بالطَّبَّاشِيرِ^(٤) ، ومن قَاتِلٍ يَقُول : نَوَّله^(٥) الشَّمِيرَ ، قد حفظ الأشعارَ ،
وَرَوَى الأخبارَ ، وَلَحِقَ العلماءَ في الأُمصارَ ، فلو أَدِينَ بِنطق ، لَرَوَى بِحَقِّ
وَصِدْقٍ ، عن جابر الجعْفِيِّ ، وعاصمِ الشَّعْبِيِّ^(٦) .

وإنما أَتَيْتُ مِنْ كَاتِبِهِ الأَعُورَ ، الذي إِذَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَطَابَ وَأَكْثَرَ ،
وإن اخْتَارَ لغيره أَخْبَثَ وَأَنْزَرَ^(٧) ، فَإِنْ رَأَى الوَظِيرَ أَنْ يُدْلِنِي بِهِ ، وَيُرِيحَنِي
مِنْهُ بِمَرْكُوبٍ يُضْحِكُنِي كَمَا أَضْحَكَتُ مِنْهُ ، وَيَمْحُو بِحُسْنِهِ وَفِرَاحَتِهِ ، مَاسِطَرَّهُ

== والعذري نسبة إلى عذرة: قبيلة من النين ، وهم مشهورون بالعشق والعفة ، ومنهم جميل بن عبد الله
ابن معمر العذري صاحب بئينة ، وخبره مشهور - انظر ترجمته في الأغاني ٧: ٧٢ ، ووفيات الأعيان
١ : ١١٥ .

(١) هو قيس بن الملوح مجنون بن عامر ، صاحب لبلى ، وخبره مشهور أيضا - انظر خبره في
الأغاني ١ : ١٦١ ، ٢ : ٢ .

(٢) الحَبَّاق : الضراط .

(٣) نَاعَتِ الْمَرْأَةَ الصَّبِي : كلمته بما يعجبه ويسره .

(٤) الطَّبَّاشِير : دواء يكون في جوف القنا الهندي .

(٥) نَوَّله : أعطاه .

(٦) الجعفي : نسبة إلى جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج ، أبو حنيفة ، وأخيه جعفي من ولديه
مران (كerman) وصرم (كزبير) ومن ولد مران جابر بن يزيد النخعي - انظر شرح القاموس
٦ : ٥٧ ، وعاصم الشعبي : هو عاصم بن سراحيل (بفتح الشين) كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم ،
قال الزهري : « العلماء أربعة : سعيد بن السيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري
بالبصرة ، ومكحول بالشام » والشعبي نسبة إلى شعب ، وهو بطن من همدان ، وكانت أمه من سبي
جلولاء ، وتوفي سنة ١٠٥ هـ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٢٤٤ .

(٧) أَنْزَرَهُ : قلله .

الْمُعِيبُ بِقُبْحِهِ وَدَمَامَتِهِ^(١) ، وَلَسْتُ أَذْكَرُ أَمْرَ سَرَجِهِ وَجَلَامِهِ ، فَإِنَّ الْوَزِيرَ أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يَسْلُبَ مَا يُهْدِيهِ ، أَوْ يَنْقُضَ مَا يُعْطِيهِ » .

فَوَجَّهَ عبيد الله إليه بِرَدِّ زَيْنَا^(٢) مِنْ بَرَادِيْنِهِ بِسَرَجِهِ وَجَلَامِهِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عبيد الله عِنْدَ أَبِيهِ ، فَقَالَ عبيد الله : شَكُوْتَ دَابَّةَ مُحَمَّدٍ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْآنَ أَنَّهُ يَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَمَا^(٣) هَذَا ثَمَنُهُ لَا يُشْتَكَى فَقَالَ : أَعَزَّ اللَّهُ الْوَزِيرَ ، لَوْ لَمْ أَكْذِبْ مُسْتَزِيدًا^(٤) ، لَمْ أَنْصَرِفْ مُسْتَفِيدًا ، وَإِنِّي وَإِيَّاهُ لَكَا « قَالَتْ أُمُّ رَأَةَ الْعَزِيزِ : الْآنَ حَصَّحَصَ^(٥) الْحَقُّ ، أَنَا رَأَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِمَنْ الصَّادِقِينَ » فَضَحَكَ عبيد الله وَقَالَ : حُجَّتْكَ الدَّاحِضَةُ^(٦) ، بِمَلَا حَتَّكَ وَظَرَ فَاكَ ، أَبْلَغُ مِنْ حُجَّةِ غَيْرِكَ الْبَالِغَةِ .

(زهر الآداب ٢ : ١٦٥)

٧٨ — كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَاقَانَ إِلَى أَبِي الْجَهْمِ

وَلَعَبْدُ اللَّهِ^(٧) بْنُ خَاقَانَ إِلَى أَبِي الْجَهْمِ .

« أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي إِنِ بَدَأْتُ بِصِفَةِ فَضْلِكَ ، وَمَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، فَأَنْتَ أَفْضَلُ مِمَّا أَصِفُكَ ، وَإِنْ قَدَّمْتُ الصِّفَةَ لِنَفْسِي فِي الْإِخْبَارِ عَنْهَا بِمَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْمَوْدَةِ

(١) الدَّمَامَةُ : الْقُبْحُ .

(٢) الْبَرَادِيْنُ مِنَ الْخَيْلِ : مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ نِتَاجِ الْعَرَابِ .

(٣) مَا هُنَا مَوْصُولَةٌ .

(٤) اسْتَزَادَ فَلَانُ فَلَانًا : إِذَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي أَمْرٍ لَمْ يَرْضَهُ .

(٥) حَصَّحَصَ : تَبَيَّنَ وَظَهَرَ .

(٦) دَاحِضَةٌ : بَاطِلَةٌ .

(٧) رُبَّمَا كَانَ « عَبِيدُ اللَّهِ » .

والهوى ، رأيتك قد ابتدأت متطوِّلاً بما لا يؤمِّلُ أكثرُ منه ،
ولا يُلْتَمَسُ على الاستحقاق في حدِّ الجزاء .

(اختيار المنظوم والشعر ١٣ : ٣٩٤)

٧٩ - كتاب أبي العيناء إلى أبي نوح

وكتب أبو العيناء إلى أبي نوح يهنئه بإسلامه :

«لقد عظمتُ نعمةُ الله عليك ، في منابذة^(١) أهل الذلَّة والصَّغار ، والكفر
والإصرار ، الذين أحلُّوا قوَمَهُمْ دارَ البوارِ ، جهنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ،
والذين جعلوا لله أنداداً ، ودَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ
يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ،
وإِهْنِثْكَ نعمةُ الله عليك في أخوَّة المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ،
فقد أصبحتَ لهم أخا ، وأصبح الدعاء لهم عليك من الله فرضا ، قال الله عز
وجل : « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

ولله أبوك ! لقد قدَحْتَ فأورِيتَ ، واستضأتَ فاهتديتَ ، ومخضتَ
الأمرَ ثم اقتنيتَ ، لا كمن فكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، فالحمد لله الذي
أفاز^(٢) قِدْحَكَ ، وأعلى كعبَكَ ، وأنقذ من النارِ شلوك^(٣) ، وخلَّصك من لبس

(١) أى مخالفة .

(٢) أى جعل الفوز من نصيبه ، يقال : أفازه الله بكذا : أى أظفره .

(٣) الشلو : الجسد .

الحَيَّة ، وَجَرَّة الشَّرِّك ، إِنْ الشَّرِّكَ لَظَلَمَ عَظِيمٌ . وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ^(١) ، فَأَصْبَحَتْ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - وَقَدْ اسْتَبَدَلَتْ بِالْبَيْعِ الْمَسَاجِدَ ، وَبِالْآحَادِ الْجُمُعَ ، وَبِقِبْلَةِ الشَّامِ الْبَيْتَ الْحَرَامَ . وَتَحْرِيفِ الْإِنْجِيلِ صَحَّةَ التَّنْزِيلِ ، وَبَارْتِيَابِ الْمُشْرِكِينَ يَقِينِ الْمُوَحِّدِينَ ، وَبِحُكْمِ الْأَسْقُفِّ رَأْسِ الْمُلْحَدِينَ ، حُكْمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، فَهَنَّاكَ اللَّهُ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ، وَأَوْزَعَكَ ^(٢) شُكْرَهُ ، وَزَادَكَ بِشُكْرِهِ مِنْ فَضْلِهِ .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٠٥)

٨٠ - كتاب أبي علي البصير إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وكتب أبو علي البصير ^(٣) إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان :
« وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا اسْتَخْلَصَكَ لِنَفْسِهِ ، وَأَتَمَّكَ عَلَى رِعِيَّتِهِ ، فَنَطَقَ بِلِسَانِكَ ، وَأَخَذَ وَأَعْطَى بِيَدِكَ ، وَأُورِدَ وَأُصْدِرَ عَنْ رَأْيِكَ ، وَكَانَ تَفْوِيضُهُ إِلَيْكَ بَعْدَ امْتِحَانِهِ إِيَّاكَ ، وَتَسْلِيطِهِ الْحَقَّ عَلَى الْهَوَى فَيْكَ ، وَبِمَدَّ أَنْ مِثْلُ ^(٤) يَدِكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ سَمَوْا لِمَرْتَبَتِكَ ، وَجَرَوْا إِلَى غَايَتِكَ ، فَأَسْقَطَهُمْ مِضْمَارُكَ ^(٥) ، وَخَفُّوا فِي مِيزَانِكَ ، وَلَمْ يَزِدْكَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - رَفْعَةً

(١) أى بعيد .

(٢) أى أهلك .

(٣) هو أبو علي الضرير الفضل بن جعفر ، شاعر بليغ مترسل . وهو أحد من جمع له حظ البلاغة في الموزون والنثور ، وكان بينه وبين أبي العلاء مباحاة ومكاتبات طيبة - النظر الفهرست لابن النديم ص ١٧٨ ، ووفيات الأعيان ١ : ٥٠٤ ، وزهر الآداب ١ : ٣٤٠ .

(٤) التمثيل بين الشيئين كالترجيح بينهما ، وفي الأصل « مثل » .

(٥) المضار : غاية الفرس في السباق

وتشريفها ، إلا ازدادت له هيبةً وتعظيماً ، ولا تسليطاً وتمكيناً ، إلا زدت نفسك عن الدنيا عزوفاً^(١) وتنزيهاً ، ولا تقربياً واختصاصاً ، إلا ازدادت بالعمامة رافةً ، وعليها حداباً^(٢) ، لا يُخْرِجُكَ فَرْطُ النُّصْحِ له عن النظر لرعيته ، ولا إشارُ حَقِّه ، عن الأخذ بحَقِّها عنده ، ولا القيامُ بما هو له عن تضمُّن ما هو عليه ، ولا يَشْغَلُكَ مُعَانَاةُ كِبَارِ الْأُمُورِ عن تَفْقُدِ صِغَارِهَا ، ولا الْجِدُّ في إِصْلَاحِ مَا يُصْلَحُ مِنْهَا عن النَظَرِ في عَوَاقِبِهَا ، تُتَمَضَّى مَا كَانَ الرِّشْدُ في إِمْضَائِهِ ، وَتُرْجَى^(٣) مَا كَانَ الْحَزْمُ في إِرْجَائِهِ ، وَتَبْذُلُ مَا كَانَ الْفَضْلُ في بَذْلِهِ ، وَتَمْنَعُ مَا كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ فِي مَنَعِهِ ، وَتَلِينُ فِي غَيْرِ تَكَبُّرٍ ، وَتُخْصِ فِي غَيْرِ مَيْلٍ ، وَتَعُمُّ فِي غَيْرِ تَصْنُوعٍ ، لَا يَشْقَى بِكَ الْمُحِقُّ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا ، وَلَا يَسْعَدُ بِكَ الْمُبْطِلُ وَإِنْ كَانَ وَلِيًّا ، فَالْسلْطَانُ يَعْتَدُّ لَكَ مِنَ الْغَنَاءِ^(٤) وَالْكَفَايَةِ ، وَالذَّبُّ وَالْحَيَاةُ ، وَالنَّصْحُ وَالْأَمَانَةُ ، وَالْعِفَّةُ وَالنَّزَاهَةُ ، وَالنَّجَسُ فِي مَا أَدَّى إِلَى الرَّاحَةِ ، بِمَا يَرَاكَ مَعَهُ ، حَيْثُ انْتَهَى إِحْسَانُهُ إِلَيْكَ ، مُسْتَوْجِبًا لِلزِّيَادَةِ ، وَكَافَّةً الرَّعِيَةِ - إِلَّا مِنْ غَمَطٍ^(٥) مِنْهُمْ النِّعْمَةُ - مُشْتُونَ عَلَيْكَ بِحَسَنِ السَّيْرِ ، وَيُمْنِ النَّقِيَّةِ^(٦) ، وَيَعْدُونَ مِنْ مَا تَرِكَ أَنَّكَ لَمْ تُدْحِضْ^(٧) لِأَحَدٍ حُجَّةً ، وَلَمْ تَدْفَعْ حَقًّا لَشُبْهَةٍ ، وَهَذَا يَسِيرٌ مِنْ كَثِيرٍ ، لَوْ قَصَدْنَا لِتَفْصِيلِهِ ، لَا نَقْدَنَا الزَّمَانَ قَبْلَ تَحْصِيلِهِ ، ثُمَّ كَانَ قَصْدُنَا الْوُقُوفَ دُونَ الْغَايَةِ مِنْهُ . (زهر الآداب ١ : ٢٤١)

(١) عزفت نفسه عنه كضرب عزوفاً : زهدت فيه وانصرفت عنه .

(٢) حدب عليه كفرح : عطف .

(٣) أرجأه : أخره . (٤) الغناء : الكفاية .

(٥) غمط النعمة كضرب وسم : بطرها .

(٦) النقية : النفس والطبيعة .

(٧) أدحض الحجة . أبطلها .

٨١ - كتابه إلى عبید الله بن یحیی بن خاقان

وكتب إليه أيضاً .

« بسم الله الرحمن الرحيم : أوجبُ المعروفِ شكراً ، وأحسنُهُ عند
الأحرارِ مَوْقِعاً ، معروفُكَ عندي ، وذلك أنك تطوَّعتَ به مُبتدئاً ،
وَشَفَعْتَ ما تقدَّم منه متفضلاً ، عن غيرِ كدٍّ لي أَلْزَمَكَ دِيناً . أو أوجبُ عليك
حقاً ، ثم يَقْطَعُنِي عن الأخذِ بِحَظِّي من لقائِكَ ، وتعريفِكَ ما أُنَاعِيهِ من شكر
إنعامِكَ ، والانتسابِ إلى نعمتِكَ ، وإفرادي إياكَ بالتأميلِ دونِ غيرِكَ ،
تَخْلُفُنِي عن منزلةِ الخاصَّةِ ، ورغبتِي عن مشاركةِ العامَّةِ ^(١) ، وأنى لست معتاداً
للخدمةِ ، ولا للملازمةِ ، ولا قوياً على المُغَاداةِ والمُراوِحةِ ، فلا يَمْنَعُكَ ارتفاعُ
قدركَ ، وعلوُ منزلتكَ ، وما تُعَانِي من جلائلِ الأمورِ التي تَشْغَلُ عَمَّنْ
قَدُمْتَ حُرْمَتُهُ ، ووجبَ حقُّهُ ، ونَسِيَ أن يذكُرَ بنفسه ، من أن تتطوَّلَ ^(٢)
بِجَدِيدِ ذِكْرِي وخبري ، والإصغاءِ إلى مَنْ يَحْشُكُ عَلَيَّ وَصْلِي وبرِّي ، ويرغِبُكَ
في الصنيعةِ عندي ، وأنا أسألُ الذي وهبَ ذلكَ منك بغيرِ سَعْيٍ مِنِّي له ، ولا
نَصَبٍ كابدتهُ فيه ، أن يُنْسِيَ ^(٣) لك ولكافةِ الأحرارِ في أجلكَ ، وأن يَمُنَّ
عليك بِحِياطةِ نعمتِكَ ، وَكَتَبَ ^(٤) عدوكَ ، والزيادةَ في القدرةِ لك ، ولا يُخْلِي

(١) وفي زهر الآداب : « ورغبتِي عن الحلول محل العامة » .

(٢) أي تمنّ وتفضل .

(٣) أي يطيل ويمد .

(٤) كتب العدو كضرب : أخزاه وأذله وردّه بغيظه .

مكانك منك ، والله يعلم أنى لا أحب أن أتحمّل مِنَّةً إلا لك ، ولا أعتدّ عارفةً مذكورةً إلا منك .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٨٤ ، وزهر الآداب ١ : ٣٤١)



وله إليه آخر فصل من كتاب :

« وأنا أسأل الذى رَحِمَ العبادَ بك ، على حين افتقارٍ منهم إليك ، أن يُعيدهم مِن فَقْدِكَ ، ولا يُعيدهم إلى المسكارِهِ التى استنقذهم منها بيدك »
(زهر الآداب ١ : ٣٤١)

٨٢ - كتاب أبى على البصير إلى أبى العيناء

وكتب أبو على البصير إلى أبى العيناء :

« من أبى على البصير ، ذى البرهان المنير ، المبلغ فى التحذير ، المُنذِر فى النكير ، إلى أبى العيناء الضّير ، ذى الرأى القصير ، واخطَل الكثير ، والإقدام بالتمييز . »

سلامٌ على المخصوصين بالسلام ، من أَجْلِ حَقِيقَةِ الإسلام ، المؤمنين بالحلّال والحرام ، والفرائض والأحكام ، فإنّى أحمّدُ الله إلى نفسه وأوليائه من خلقه ، على ما هدانى له من دينه ، وعرفنى من حقّه ، وامنّ علىّ به من تصديق رُسُلِهِ ، والأخذ بسُنَنِهِ واتِّباع سُبُلِهِ ، وصلى الله على محمد نبي الرحمة ، الداعى إلى ربّه بالحكمة .

أما بعد ، فإنك الرجل الدقيق^(١) حسبه ، الرديء مذهبُه ، الدنيء مكسبه ، الخسيس مطلبه ، البذيئ لسانه ، المقليل^(٢) مكانه ، المبلوؤ به إخوانه ، أخصهم بذلك من عظمته [عنده] نعمه وتظاهر إحسانه ، قد صيرت القحة^(٣) جنة ، وشتم الأعراض سنة ، والاقتصاد في ذلك منة ، عدوك بمنزل عنك ، وصديقك على وجل منك ، إن شاهدته عافك ، وإن غبت عنه خافك ، تسأله فوق الطاقة ، وتُرهِقه عند الفاقة ، فإن اعتذر إليك لم تُعذره ، وإن استنظرَكَ لم تُنظره^(٤) ، وإن أنعم عليك لم تشكره ، لا تزيدك السن إلا نقصاً ، ولا يفيدك الغنى إلا حرصاً ، تسمو إلى الكبير ، بقدر صغير ، وتسيف إلى الطفيف ، لالتخفيف ، وتعرض للناس بالسؤال ، غير محتشم من الإملال ، ولا كاره أن يُنظرَ إليك بالاستقلال ، حتى لقد أخرجت الأضغان ، وقبّحت الإحسان ، وزهدت في اصطناع المعروف ، وإغاثة الملهوف ، وعذرت الناس في خلف المِدات ، ودفع ممكن الحاجات ، وأغرتهم بغيض العميان دون أهل العاهات ، من أطاعك في ماله حربته^(٥) ، ومن منعك بعذر واضح سببته ، إذا عن لك طمع كنت عبده ، بتذل وتخضع لمن هو عنده ، وتنوى قبل إحرازه جعده ، من أكرمك أهنته وتناولت عليه ، ومن أهانك استكنت^(٦) له ولنت في يديه ، ومن سالك لم تسال له ، ومن ناجزك

(١) وربما كان « الرقيق » .

(٢) قلاه كرماء ورضيه قلى : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٣) القحة : الوقاحة . والجنة : الوقاية .

(٤) أنظره : أخره .

(٥) حربه حرياً كطلبه طلباً : سلب ماله .

(٦) في الأصل « اسكنت » .

لم تقاومته ، الناس منك بين أسرار تُفْشَى ، وبواطنٍ ^(١) تُخْشَى ، وشناعاتٍ
واردة ، وفوائد باردة ، تُدرِّج ^(٢) كلامك خوف التحصيل ، وتورّي عن
عيّك بالقال والقال ، معاشرتك متجنّبة ، وأحاديثك متكذّبة ، لا يُستجنى بها
فهم ، ولا يستفاد منها علم ، تُهَامِس بسقوطها فلا يحشمك ، وتُتَلَقّى بالردّ
لها فلا يؤلمك ، تسمع كلام خيار السلف فتدّعيه ، إفساداً وإلحاداً فيه ،
والتماساً لإبطال حجج الدين ، وتشكيكاً لأهل البصيرة واليقين ، فإن امتحنت
بدون ما ادّعت ، أحجمت وتعاذيت ^(٣) ، وإن كُفّفت مضاهاته هذيت
وعوّيت ، ظاهرُ إسلامك تقيّة ، وسريرته مدخولة رديّة ، تضغّت ^(٤) في الخبر
عن الرسول ، وتدفع المعروف منه بالجهول ، ودك تخلق ، وشكرك تملق ،
ولطفك متعسّف ، وظرفك متكلف ، أعظم المصائب عندك نيل حرمة ،
لا تحفل مع إدراكه بشيء عدته ، إزّثك عن أيك السعاية ، وتقل
الأخبار والوشاية ، لا يُعرف له غيرها طعمة ^(٥) ، ولم يكن له إلا بها نعمة ،
مشهورٌ بذلك في مضمره ، غير مرتاب من أمره ، ثم أنت تبسط لسانك في
الأحرار ، وتنطاول على ذوى المروءات والأقدار ، فلا أصل راسخ ، ولا
فرع شامخ ، ولا نسب معروف ، ولا أدب موصوف ، أغراك حلمنا

(١) جمع بائقة : وهي الداهية .

(٢) أى تطرى .

(٣) تعادى : تباعد .

(٤) ضغّت الحديث كمنع : خلطه ، وفي الأصل « تصغت » وهو تصحيف .

(٥) الطعمة : وجه المكسب .

[عليك بالتطاول] ^(١) علينا ، وإبطاؤنا عنك بالتسرّع إلينا ، فتأنيذاك ^(٢) وراقبتك ، واحتججنا عليك ، فلم تُنكر معذرا ، ولم تُقصر مَزْدَجرا ، بل ^(٣) لم تُجِبني عن واحد منها ، تعايبا ^(٤) بها وعجزا عنها ، ثم أوهمت أخلاطا من الناس ، أهل جهل بالتمييز والقياس - لا ينظرون بفهم . ولا يحكمون بعلم ، ولا يُنزلون الأمور منازلها ، ولا يعرفون حقها وباطلها ، يظنون البلاغة في الهذر ^(٥) ، ويكتفون بالمنظر من الخبر - أنك مترفع ^(٦) عن جوابي ، وغير محتفل بعتابي ، وممتك نفسك - وقديما ما أغرتك ، فجنت عليك وضرتك - أني أعذرك فيما تركت ، وأمسك عنك ما أمسكت ، وأقف عند أول هذا الأمر دون آخره ، وأكتفي بباطنه من ظاهره ، وهيهات لظنك الكاذب ، وتبأ لرأيك العازب ^(٧) ، كلا والله دون أن أغصك بالريق ، وأضطرّك إلى المضيّق ، وأهدم ما أسست ، وأكشِف ما لبست ^(٨) ، وأظهر ما ججمت ، وأبطل ما أوهمت ، وأبين ^(٩) الشريف منك ،

(١) ما بين الفوسين بياض بالأصل ، وقد أتممت الجملته بما يناسب المقام .

(٢) تأنيته : انتظرته وتأخرت في أمره ولم أتعجل ، وفي الأصل هكذا « فاسداك » .

(٣) في الأصل : « ولم تقصر مَزْدَجرا بتا لم تجبني عن واحد منها ... » ويظهر أنه قد سقط من النسخ هنا كلام ، بدليل أن الضمير في « منها » لم يقدم له مرجع ، وأن كلمة « بتا » إن صححت فليس لها موقع في معنى العبارة .

(٤) عي بالأمر وعي كرضى وتعايا واستعيا وتعيا : لم يهتد لوجه مراده ، أو عجز عنه ولم يطق إحكامه .

(٥) الهذر : سقط الكلام .

(٦) في الأصل « متوقع » وهو تحريف .

(٧) تباله : أي ألزمه الله هلاكا وخسرانا ، العازب : أي الغائب البعيد عن الصواب .

(٨) التلبيس : التخليط والتدليس ، وفي الأصل « مالبث » وهو تحريف . والجمجمة : إخفاء الشيء في الصدر .

(٩) أي أقطعه عنك ، وفي الأصل « وأبين للشريف منك » وهو معنى صحيح أيضا : أي أظهر له مساوئك فيتجنب مخالطتك .

وَأَخَذَلُ^(١) اللَّفِيفَ عَنْكَ ، حَتَّى تَعُودَ إِلَى وَتَنْزِعَ عَنْ غِيكَ ، وَتُقِيمَ جَوْرَكَ ،
وَلَا تَعْدُو طَوْرَكَ ، وَحَتَّى تَسْتَعِظَ النَّاسَ فِي حَوَائِجِكَ إِلَيْهِمْ ، وَتَدَعَ
الْعُنْفَ بِهِمْ وَالتَّسْحُبَ^(٢) عَلَيْهِمْ .

وسيقراً كتابي هذا الكاتبُ الأديبُ ، والفقيه اللبيبُ ، والشاعرُ
الأريبُ ، والمصنِّعُ^(٣) الخطيبُ ، والظريفُ المُمْتِعُ ، والحصيفُ المُقْنِعُ ، وكلُّ
هؤلاء وكيلى عليك فى طلب الجواب ، مِنْ طريق التطوُّع والاحتساب ،
محمودين مأجورين ، مسئولين غير مأمورين .

وقد نفذتُ لى إِيْلِكَ رسالةُ العِتَابِ ، على مَخْرَجِ أَلْفَاظِ الْكُتَّابِ ،
ظلمتُكَ فى المطالبة بالإِجابة عنها ، وبَهْظتُكَ^(٤) بما حملتُكَ منها ، وتناولتُكَ
بالشعرِ وَأَنْتَ مُفْجَحَمٌ^(٥) ، وَأَنَا لَكَ فى ذَلِكَ أَظْلَمُ ، وَقَدْ مِلْتُ إِلَى السَّجْعِ عَلَى
عَلَمِي بِمُخَسَّاسَةِ حَظِّهِ ، وَرَكَ كَاكَةً مَعَانِيهِ وَلَفْظِهِ ، إِذْ كُنْتُ تَلَوِي بِهِ لِسَانَكَ ،
وَتَنَنِي إِلَيْهِ عِنَانَكَ ، قَطْعاً لِحُجَّتِكَ ، وَإِزَاحَةً لَعَلَّتِكَ ، فَإِنْ أَجَبْتَ فَقَدْ كَشَفْتَ
لَنَا مَا لَدَيْكَ ، وَإِنْ اعْتَرَفْتَ بِالْعِجْزِ عَطَفْنَا ذَلِكَ عَلَيْكَ ، وَالسَّلَامُ .

(اختيار المنظوم والنثر ١٣ : ٤١٧)

(١) فى الأصل « واحدل » وهو تصحيف .

(٢) تسحب عليه : تدال .

(٣) المصنِّع : البليغ ، أو العالى الصوت ، أو من لا يرتج عليه فى كلامه ولا يتشتم ، وحصف
ككرم : استحكم عقله ، فهو حصيف .

(٤) بهظه الأمر : كنع : غلبه وثقل عليه وبلغ به مشقة .

(٥) المفحم : العي ، ومن لا يقدر أن يقول شعرا .

٨٣ - كتاب لآبى على البصير فى الاعذار

وكتب أبو على البصير يعتذر عن هفوة :

«ذكرت - أعزك الله - فى كتابك ما يعلم الله اعتمالى به ، واستكانتى له ،
وقلقت عند ما ورد على منى ، وإكبارى قدر البلية به والمصيبة فيه ، والعالم
بالسرائر ، المطلع على الضمائر ، يشهد - وكفى به شهيداً - أنى ما أقف على
ما ذكرت ولا أتوهمه ، ولا يؤمى لى ظن إلية ، وإنى لأفكر منذ ورد كتابك
بما ورد به ، فما أجد ذكرى^(١) يحيط بشيء منه ، وإن أقصى حفظى
مما كان فى ذلك المجلس لغلبة الشكر على ، ثم خافى فهمى ، فما كان بعد
ذلك فبغير على ، ولا قصدي منى .

ومما زاد فى غمى ، وضاعف المكروة على ، تحقُّقك للأمر وهو خبر
معترض الشك فيه ، والبطلان أولى به ، حتى ألزمتى إياه ، وقرعتى^(٢) به
كأنه قرع سمعك ، فإن ذلك أراى صورة المقت منك لى ، والغلظة على ،
والإسراع إلى قبول القبيح المضاف إلى ، والله لو واجهتك على تلك الحال
بما أنهى إليك - وبالله أعوذ من ذلك فيما بينى وبين من هو دونك
عندى من إخوانى - لكان فيما أطلعتك عليه العشرة الطويلة ، والخبرة
القديمة ، من إجلالى إياك ، وخالص محبتى لك ، مع ما يضطررنى إليه متقدِّم

(١) الذكر بانضم ويكسر : التذكر .

(٢) قرعته : لأمه وعنفه .

برُّك وإحسانك ، ومَرْضِيَّاتُ أخلاقك ، من البُعد بقاى ولسانى من كل ما ساءك ، ما يَدُلُّكَ على أن ما كان من ذلك كان آفةً نالتنى فى عقلى ، ومِزاجاً فاسداً رديئاً استولى علىَّ . والله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، ما كتبتُ إلا بالحقيقة عندى ، ولا تحرَّيتُ زيادة ولا نقصاً ، فإن تقبلتُ تتخذُ بذلك عندى يداً ، وتوجب علىَّ شكرًا مُجدداً ، وإن تُقيم على مَوْجِدتك ^(١) أقيم على تنصيفك واستعطافك والتذلل لك ، والتضرع إليك ، والتحمل عليك ، حتى يَعْدِلَ حُكْمُكَ ، ويُنْفِىَ به كَرْمُكَ .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٨٧)

٨٤ - كتاب آخر

وكتب أيضاً :

« قد كنتُ أرجو أن أكون قد أبرأتُ صدرك ، وأنَّ ما كتبتُ به قد أتى من وراء ما فى نفسك ، فامتحنْتُ ذلك بلزوم منزلى ، وحَبَسى كُتُبى ورسلى ، لأفْرِقَ بين رَغبتِكَ فى قربى وبين زُهدِكَ ، ولأرى صورةَ حالى عندك ، فإذا تَمَنَّيْتُ واعتذارى لم يَبْلُغَا بى استِيجابَ رضاك - أطال الله بقاءك - وإذا أَيْمَانى غيرُ البريَّةِ ^(٢) المصدِّقة فى حديثى إياك ، على طول مدة صُحْبَتى لك ، دون ما اتَّحَرَّيْتُ الصدقَ فيه ، وأُجْتَهِدُ حَلِفاً عليه ، إلا أن يكون عن علة عَرَضَتْ لك منعتُك مما كنتُ تتطوَّلُ به مِنَ الأمرِ بتعرُّفِ خَبَرى عند انقطاعى عنك ، فقدمَ الإِشفاقَ على مَكَانى منك سوءَ الظنِّ بصحة عذرِكَ ،

(١) الموجدة : الغضب . وتنصفه : سألته أن ينصفه .

(٢) مسهل عن البريئة .

وسلامةِ صدرك ، وبالله العظيم قسماً ثالثاً ، لا كاذباً ولا حائثاً ، إني للخالصُ
لك كله ، سرّه وجهّه ، وغيبه ومشهده ، البعيد بقلبه ولسانه مما نُفِثَ في
سممك ، ووَقَرَ في قلبك ، وعلمك بحاجتي إلى حسن رأيك ، ودوام الحال
عندك : شاهدٌ عدلٌ على صدقي إياك ، إن استخبرته شفاك ، وإن اقتصرت عليه
كفاك ، هذا إذا كنتُ لنفسى دون صديقي ، ولم أكن أعمل إلا على سوق
يومي ، ولا أصالح إلا لمن صالح به معاشي ، وكيف وقد علمت مجانبتي لهذه
الصفة^(١) ، ودوام عهدي للصديق على الحرمان والجفوة ، وأنت لا تُعلم من
جهل بك ، ولا تُنبّه من غفلة فيك ، وليس مثلك من جرح يقينه الظنُّ ،
ولا أفسد الحرّ عنده العبدُ ، ولو صح مني الذنب إليك لكان الصفح عني
أولى بك ، فإن رأيت أن تعود كعهدي كان بك ، قبل التكلّف عليّ عندك ،
وأن تمنّ بذلك علي من يُقدّم إخاءك في مودتك ، وعندك^(٢) في إجلالك
وتعظيمك والمسارة إليك والطاعة لك ، فعلت ، ذامنة عظيمة إلى منن
لك قديمة إن شاء الله ، ووهب الله لي عطفك ورضاك .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٨٦)

٨٥ - كتاب آخر

وله أيضاً جواب اعتذار إليه :

« بلغني اعتذارك ، ووافي مني تطلّعا شديداً إليه ، ومكانا قد قدّمتُ

(١) في الأصل « الطبقة » وأراه محرّفاً .

(٢) العند مثالة : الناحية ، وبالتحريك : الجانب .

المواطنة^(١) له عندي فسكن النفرة ، وأذهب الوحشة ، وجدد عهد المودة ، وأوجبت لك به التطوُّل ، والمنّة واليد المشكورة ، ولم أكن كالمتمنّيت المتسحب^(٢) الذي يطلب العلة ، ويغتنم الزّلة ، ويصدف^(٣) عن الحجة ، وتضيّق عنه المَعذرة ، وما نظرت لك إلا على نفسي ، ولا بدأت إلا بحظي فيما استثبت من رأيك ، وحاميت عليه من إخائك ، والله أسألُ حسنَ المدافعة عنك ، وامتناعي بما وهبَ لي منك ، والسلام .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٨٨)

٨٦ - كتابه إلى علي بن يحيى

وكتب إلى علي^(٤) بن يحيى يشكر ويعتذر :

« النعمة شفيعٌ صدقٍ عند وليّها ، تقتضيه ربّابتهّا^(٥) ، والزيادة فيها ، والمحافظة عليها ، وإرغام أعدائها وحسادها المتمسين لإفسادها وإزالتها ، والإغضاء على ما يُغضّي الحُرُّ على مثله في استتمامها ، سيّما إذا كانت عند أهلها ، وفي موضعها ومحلّها ، وكان المقلّد لها من يقوم بشكرها ونشرها ، ويُشيد بذكرها ، ويستفرغُ المجهود من نفسه في شكرها ، ويُعطيها ما يجب لها من الاعتراف بها ، والانتساب إليها ، والحمامة عليها ، وأنا أحد من أسكنته

(١) واطنه على الأمر : وافقه .

(٢) تسحب عليه : تدلّل .

(٣) أي يعرض .

(٤) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور النجم ، وكان من خاصة ندماء المتوكل ، وخص به وعن بعده من الخلفاء إلى أيام المتمد ، وكان مقدما عندهم ، يفضون إليه بأسرارهم ، ويأمنونه على أخبارهم ، وكان راوية للأشعار والأخبار شاعرا محسنا ، وتوفي سنة ٢٧٥ - انظر الفهرست ص ٢٠٥
(٥) ربّ النعمة كنصر ربا بالفتح وربا وربا بكسر الراء فيها وربها : نماها وزادها وأتمها وأصاحها وحفظها وراعاها .

خَلِّمْكَ ، وَأَعِزَّتَهُ (١) حَبَائِلُكَ ، وَحَبَوْتَهُ بِالْطِيفِ بِرِّكَ وَخَاصَّ عَنَائِتِكَ ، فَاتْتَصَفْتُ
بِكَ مِنَ الزَّمَانِ ، وَاسْتَفْنَيْتُ بِكَ عَنِ الْإِخْوَانِ ، فَأَنَا لَا أَرْغَبُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا
أَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا أَسْتَنْجِجُ (٢) طَلَبًا إِلَّا بِكَ ، وَاللَّهُ أَسْأَلُ الْبَقَاءَ لَكَ ،
وَدَوَامَ عَزِّكَ وَعِزَّنَا بِكَ ، وَحِرَاسَةَ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَعِنْدَنَا فِيكَ .

وَكَانَ فَرَطٌ مِنِّي قَوْلُ إِنْ تَأَوَّلْتَهُ (٣) لِي أَرَاكَ وَجْهَ عَذْرَى ، وَقَامَ عِنْدَكَ
بِحُجَّتِي ، وَأَغْنَانِي عَنِ تَوْكِيدِ الْإِيمَانِ عَلَى حَسَنِ نِيَّتِي ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَيَّ - وَبِاللَّهِ
أَعُوذُ مِنْ ذَلِكَ - الْحَقُّ بِي لَا تُعْنِكَ (٤) ، وَجَنَى عَلَى حَالِي وَمَنْزِلَتِي عِنْدَكَ ، وَقَدْ
أَتَيْتُكَ مُعْتَرِفًا بِالزَّلَّةِ ، مُسْتَكِينًا لِلْمَوْجِدَةِ (٥) ، عَائِذَا بِالصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ ، فَإِنْ
رَأَيْتَ أَلَّا تُقَرِّرَ عَيْنَا قَدَيْتَ (٦) بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي ، وَلَا تَسْلُبْنِي مِنْهَا مَا أَلْبَسْتَنِي ،
وَأَنْ تَقْتَصِرَ مِنْ عَقُوبَتِي عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي نَابَنِي بِسَبَبِ عَثْبِكَ ، وَتَأْمُرَ
بِتَعْرِيفِي مِنْ رَأْيِكَ مَا يَطْمَئِنُّ (٧) حَشَايَ ، وَتَسْكُنَ إِلَيْهِ نَفْسِي ، وَيَأْمَنَ
بِهِ رُوعِي (٨) ... » (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٨)

٨٧ - كِتَابُ آخِر

وله في الصَّفْحِ :

« إِنْ الَّذِي فَرَطَ مِنْكَ وَإِنْ تَجَاوَزَ مِنِّي مَا أَرْضَى لَكَ ، لَمْ يَبْلُغْ مَا يُغْضِبُنِي

- (١) أَيْ وَصَلْتَهُ بِحَبَالٍ وَدَكَ وَعَظَفَكَ . وَحَبَوْتَهُ : مَنْحَتَهُ .
- (٢) أَيْ أَطْلُبُ نَجْجَهُ .
- (٣) أَوَّلُ الْكَلَامِ وَتَأَوَّلَهُ : فَسَّرَهُ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِنْ تَأَمَّلْتَهُ » وَقَدْ أَصْلَحْتَهُ كَمَا تَرَى ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَقَابَلَتُهُ بِمَا بَعْدَهُ .
- (٤) الْأَلَمَةُ : اللَّوْمُ .
- (٥) اسْتَكْنَانٌ : خُضُوعٌ . وَالْمَوْجِدَةُ : الْغَضَبُ .
- (٦) أَيْ تَأَذَّتْ ، وَالتَّأَذَّى : مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ ، وَفَدَيْتَ عَيْنَهُ كَرَضَى : وَقَعَ فِيهَا الْقَذَى .
- (٧) أَيْ يَسْكُنُ .
- (٨) الرُّوعُ بِالْفَتْحِ : الْفَزَعُ ، وَبِالضَّمِّ : الْقَلْبُ وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ لَلْعِلْمِ بِهِ أَيْ فَعَلَتْ .

عليك ، وحيث انتهى ما يخالفني من قولك وفعلك ، فإن وراءه تغمداً^(١) مني
لإساءتك ، وصفحاً عن زلتك ، فإن تأمناً لانحنك ، وإن يسوء ظنك فإنما
نحتاج إلى إصلاحه منك . (اختيار المنظوم والمثور ١٢ : ٢٦٠)

٨٨ - فصول لابي علي البصير

فصل له :

« قد أكد الله بيننا من المودة ما تأمن الدهر على حل عقده ، ونقض
مره^(٢) ، وما يستوى منه ثقتنا بأنفسنا لك ، ولأنفسنا بما عندك . »



وفصل له :

« الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأنس والثقة وبسط اللسان
بالاستزادة ، وأنا أمت إليك بالحرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، حتى
تحل صاحبها محل خاصة أهل القرابة . » (العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

٨٩ - كتاب لغسان بن عمرو الباهلي في الذم

« إنه انتهى إلى ما بلغك فلان ، وقد كفاني سقوطه مؤونة إسقاطه . »

(١) أى ستر .

(٢) فى الأصل « مزاره » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه « مره » والمر بالفتح : الحبل ، أو
« مراره » بالكسر ، جاء فى اللسان : « والمر بضم ففتح : الحبل الذى أجيد فتله ، ويقال المرار
بالكسر والمر بالفتح ، وفى الحديث أن رجلاً أصابه فى سيره المرار : أى الحبل ، قال ابن الأثير :
هكذا فسر ، وإنما الحبل المر ولعله جمعه » اه أو صوابه « مرره » بكسر ففتح جمع مرة
بالكسر : وهى طاقة الحبل ، أو « مرثره » جمع مريرة أو مريز : وهو الحبل الشديد القتل .

وشدة تعديه لِقَدْرِهِ الوصفَ لإفراطه ، فمَرَقْتُكَ بحاله عُذْرُ لِي عِنْدَكَ يُدْحِضُ^(١) حجته ، ويكذبُ قوله ، وعقوبةٌ مثله الصَفْحُ عن ذنبه إذا قَصُرَ عن المجازاة قدره ، ولم يحتمل المعاتبة عقله ، فصَفَحْتُ عن سبيله رغبةً بنفسى عن ذكره ، ولولا ذلك لَنَضَحْتُه^(٢) بِسَهَامٍ نَافِذَةٍ ، وَأَكْذَبْتُ مَقَالَته بِمُحَجَّجٍ واضحةٍ ، والسلام . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٤٢١)

٤٠ - كتاب آخر له في الذم

« فلان ممن شَرَّفَتْ أَمْرَهُ ، وأَعْلَيْتَ ذِكْرَهُ ، وولَّيْتَهُ نَشْرَ مَكَارِمِك فطَوَّأَهَا ، وإِظْهَارَ مَحَاسِنِكَ فَأَخْفَاها ، وَعَمَدَ إِلَى أُمُورِكَ فَتَعَدَّأَهَا ، اسْتَخْفَاها بِالْحَرَمِ ، وَقَلَّةَ شُكْرِكَ لِلنِّعَمِ ، صَرْتُ إِلَيْهِ فَوَجَدْتُه ظَاهِرَ الْغَدْرِ ، عَظِيمَ الْكِبَرِ ، أَسْوَدَ الْقَلْبِ ، لَمْ يُشْرِقْ نُورُ الْحِكْمَةِ فِي قَلْبِهِ ، وَلَمْ يَجْرِ مَاءُ الْحَيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ ، فِيهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ : الْفَسَادُ وَالْحُبُّ^(٣) وَالْكَذِبُ ، (قَدْ أَخْرَجَ النَّاسَ^(٤)) مِنْ فُسْحَةِ الْمَدَلِ إِلَى ضَيْقِ الْجَوْرِ ، حَتَّى بَاعُوا الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ، وَهَمُّوا بِبَيْعِ النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ ، إِذْعَانًا لِلْقَهْرِ ، وَاسْتِبْسَالًا لِلجَهْدِ ، وَخَالَفَةً لِلذَّلِّ ، ثُمَّ لَمْ يَقْنَعِهِ ذَلِكَ حَتَّى أَخَذَ مِنْهُمْ مَا كَانَ اللَّهُ قَدْ وَضَعَ ثِقْلَهُ عَنْهُمْ ، وَلَمْ تَعْمَلْ بِهِ الْوَلَاةُ قَبْلَهُ ، تَضْعِيفًا لِلْبَلَاءِ ، وَاسْتِعْمَالًا لِلْأَوَاءِ^(٥) .

(١) أدحض حجته : أبطلها .

(٢) نضحه بالنبل : رماه .

(٣) الحب : الحداق والحب والغش .

(٤) في الأصل « الفساد والحب والكذب من فسحة العدل إلى ضيق الجور » وقد زدت ما بين

القوسين ليستقيم المعنى .

(٥) اللأواء : الشدة .

وَجَعَلَكَ عُرْضَةً لِدَعَاءِ الْمَظْلُومِينَ ، وَنُصْنَمَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَيُّسَ
 الْمَلْهُوفِ مِنْ رَوْحٍ ^(١) عَدْلِكَ ، وَالْمَكْرُوبِ مِنْ رَجَاءِ فَضْلِكَ ، وَقَعَلَ « كَذَا »
 تَكْرِيراً لِلشُّنْعِ ^(٢) ، وَأَخْذاً بِالْبِدْعِ ، وَإِمَامَةً لِلسُّنَنِ ، وَجَعَلَ مَنْزِلَهُ مَغِيضاً ^(٣)
 لِمَا جَبَى ، وَسِيرَةً لِمَا حَوَى ، لِيَخْتَرْنَ الْفُضُولَ ^(٤) ، وَيَسْتَرِ ذَٰلِكَ عَنِ الْعَيُونِ ،
 حَتَّى إِذَا حَمَلَهُمُ الْجَهْدَ فَنفَذَتِ الطَّاقَةُ ، وَمَاتَتِ الْحِيلَةُ ، وَتَرَحَّتِ النُّفُوسُ ،
 كَشَفَ لَهُمْ عَنْ خُطَّةِ الْجَوْرِ ، نَائِيَةَ الْأَطْرَافِ ، مَتْرَاحِيَةَ الشُّقَّةِ ^(٥) ، يَعِجَزُ عَنْ
 تَجَشُّمِهَا ذُو الْقُدْرَةِ الْغَنِيُّ ، وَذُو الْمُنَّةِ ^(٦) الْقَوِيُّ ، وَأَبْرَزَ لَهُمْ غُرَّةَ السَّيْفِ ذِي
 الشُّطْبِ ^(٧) ، وَهَامَةَ الْجُرُزِ ^(٨) ذِي الشُّعْبِ ، نَجَبَرُوهُ بِجَهْدِهِمْ ، وَكَشَفُوا لَهُ عَنْ
 عُذْرِهِمْ ، فَفَعَلَ بِهِمْ « كَذَا » ، حَتَّى أَعْطَوْا الْمَقَادَةَ كَارِهِينَ ، وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ
 خَائِفِينَ ، لِمَا عَايَنُوا مِنَ الْقَوْلِ الشَّنِيعِ ، وَالْأَمْرِ الْفُظِيحِ ، فَأَرْمَضَ ^(٩) بِذَٰلِكَ
 قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَرِهَ جَوَارِهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْدِينِ ، إِذْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا لِمَا صَنَعَ
 تَغْيِيرًا ، وَلَمْ يَجِدُوا إِلَى أَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ سَبِيلًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُنْصِفَ كَرَمِي
 مِنْ لَوْمَةٍ ، وَتَعَبِي مِنْ دَعْتِهِ ، وَعُسْرِي مِنْ سَعَتِهِ ، فَقَدْ خَالَفَ طَاعَتَكَ وَأَمْرَكَ ،
 وَتَحَامَلَ عَلَى أَهْلِ مَوَدَّتِكَ وَشُكْرِكَ ، فَعَلْتَ .

(اخْتِيار النُّظُومِ وَالنُّشُورِ ١٣ : ٤٢١)

(١) الرُّوحُ : الرِّجَّةُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « لِلشُّبْعِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ صَحِيحٌ ، وَرَبِّمَا كَانَ « مَقْبِضًا » وَكِلَاهُمَا اسْمُ مَكَانٍ .

(٤) الْفُضُولُ : جَمْعُ فَضْلٍ ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ . وَفِي الْأَصْلِ « لِحَدَرٍ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَصَوَابُهُ « لِيَخْتَرْنَ »

(٥) تَرَحَّجَ : ضِدُّ فَرَحَ . وَالشُّقَّةُ : الْمَسَاقَةُ .

(٦) الْمُنَّةُ : الْقُوَّةُ .

(٧) شَطُوبُ السَّيْفِ وَشَطْبُهُ (بِضْمَتَيْنِ) وَشَطْبُهُ (بِضْمٍ فَفَتْحٌ) : طَرَائِقُهُ الَّتِي فِي مَتْنِهِ ، وَاحِدَتُهُ

شَطْبَةٌ بِضْمٍ ، وَبِضْمٍ فَفَتْحٌ ، وَبِكَسْرٍ .

(٨) الْجُرُزُ كَقِفْلٍ وَعَقَى : الْعَمُودُ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَفِي الْأَصْلِ « الْحَزَرُ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٩) أَرْمَضَهُ : أَوْجَعَهُ وَأَحْرَقَهُ .

٩١ - كتاب آخر له

وله أيضاً :

«إنك صرفت حاجتي إلى فلان ، فوجدته ظاهراً الغدر ، عظيم الكبر ،
فاشياً النوك^(١) ، لا تقوى له وجوه الأحرار ، فرأيتك في عزله عن أياديك
وصرف حاجتنا إلى وجه قريب ، موفقاً ، إن شاء الله .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٤٢٢)

٩٢ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل

وكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل يعزيه بآبائه له :
« إني أعزيك ، لا أتي على ثقة من الحياة ، ولكن سنة الدين
ليس المعزى بياقٍ بعد ميته ولا المعزى ، وإن عاشا إلى حين »

(العقد الفريد ٢ : ٣٦)

٩٣ - تحميد لأبرهيم بن العباس صدر رسالة الخميس

وكتب إبراهيم بن العباس للمتوكل رسالة للخميس صدرها :
« أما بعد ، فالحمد لله الذي جلت نعمه ، وتظاهرت مننه ، وتتابع
أياديهِ ، وعم إحسانه ، إله كل شيء وخالقه ، وبارئته ومصوره ، والكائن
قبله ، والباقي بعده ، كما قال في كتابه : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ

(١) النوك بالضم والفتح : الخلق .

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » العَالِي فِي شَيْئِهِ ، وَالْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، الْمُتَعَالِي عَنْ شَيْءٍ خَلَقَهُ « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » خَلَقَ الْعِبَادَ بِقُدْرَتِهِ ، وَهَدَاهُمْ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَوْضَحَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، بِمَا نَصَّبَ لَهُمْ مِنْ دَلَالِهِ ، وَأَرَاهُمْ مِنْ عِبَرِهِ ، وَصَرَّفَ لَهُمْ فِيهِ مِنْ صُنْعِهِ كَمَا قَالَ جَل جَلالِهِ : « الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » .

وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُمْ بِتَمَثِيلِهِ مَا مَثَّلَ لَهُمْ مِنَ الدَّلَائِلِ الَّتِي نَصَبَهَا لَهُمْ ، وَالْأَعْلَامِ الَّتِي جَعَلَهَا إِزَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، وَيَسَّرَ لَهُمْ خَوَاطِرَهُمْ وَفِكَرَهُمْ ، وَالْهَيْئَةَ الَّتِي هَيَّأَهُمْ لَهَا ، لِيَقَعَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ عَلَيْهِمْ ، فَلَا يَكْفُهُمْ فَوْقَ طَائِقِهِمْ ، وَلَا يُجَشِّمُهُمْ مَا يَقْضُرُ عَنْهُ وَتُسْعُهُمْ ، نَظَرًا مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِمْ ، وَرَحْمَةً بِهِمْ ، لِيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَعْبُدُوهُ ، فَيَسْتَحِقُّوا بِهِ رَحْمَتَهُ وَرِضْوَانَهُ ، وَالْخُلُودَ فِي النِّعَمِ الْمَقِيمِ ، وَالظِّلَّ الْمُدِيدِ ، وَالْعَيْشَ الدَّائِمَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ذِكْرَهُ : « إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ » . وَكَانَ مِنْ نَظَرِهِ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ أَنْ بَعَثَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءَهُ وَرَسُولَهُ ، يَدْعُونَهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ هُدَاهُ ، وَيُوضِّحُونَ لَهُمْ سَبِيلَهُ ، وَيَهْدُونَهُمْ إِلَى رَحْمَتِهِ ، وَيَعِدُّونَهُمْ ثَوَابَهُ ، وَيُنْذِرُونَهُمْ عِقَابَهُ ، وَيَسْتَطُونَ لَهُمْ تَوْبَتَهُ ، وَيَحْذَرُونَهُمْ سُخْطَهُ ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ سُنَنَهُ وَشَرَائِعَهُ ، وَيَكْشِفُونَ لَهُمْ مَوَاطِظَهُ ، وَيُعَلِّمُونَهُمْ كِتَابَهُ وَحِكْمَتَهُ ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ

عليهم» وكان من رأفته بهم ونظره لهم أن بعثهم إليهم بالحجج الظاهرة ،
والأعلام البيّنة ، والشواهد الناطقة ، التي أظهر بها صدقهم ، وأقام بها برهانهم ،
وأوضح بها دليّهم ، وأثابتهم عمل سواهم ليكون أدعى لهم إلى تصديقهم
والقبول عنهم ، وأوكّد للحجّة على من أبى ذلك منهم .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٧٢)

٩٤ — تحميد لا برهيم بن العباس

في فتح إسحاق بن إسماعيل

« الحمد لله مُعِزُّ الْحَقِّ ومُذِيلُهُ ^(١) ، وقَامِعُ الْبَاطِلِ ومُزِيلُهُ ، الطَّالِبِ فَلَا
يَقُوُّهُ مَنْ طَلَبَ ، وَالْغَالِبِ فَلَا يُعْجِزُهُ مَنْ غَلَبَ ، مُؤَيِّدُ خَلِيفَتِهِ وَعَبْدِهِ ،
وَنَاصِرِ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ ، الَّذِينَ أَقَامَ بِهِمْ دَعْوَتَهُ ، وَأَعْلَى بِهِمْ كَلِمَتَهُ ، وَأَظْهَرَ بِهِمْ
دِينَهُ ، وَأَدَالَ بِهِمْ حَقَّهُ ، وَجَاهَدَ بِهِمْ أَعْدَاءَهُ ، وَأَنَارَ بِهِمْ سَبِيلَهُ ، حَمْدًا يَتَقَبَّلُهُ
وَيَرْضَاهُ ، وَيُوجِبُ أَفْضَلَ عَوَاقِبِ نَصْرِهِ ، وَسَوَابِغِ ^(٢) نِعْمَائِهِ » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٦٩)

٩٥ — ومن رسالة له في قتل إسحاق بن إسماعيل ^(٣)

« وَقَسَمَ اللَّهُ عَدُوَّهُ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً : رُوحًا مُعْجَلَةً إِلَى عَذَابِ اللَّهِ ، وَجُثَّةً
مَنْصُوبَةً لِأَوْلِيَائِ اللَّهِ ، وَرَأْسًا مَنْقُولًا إِلَى دَارِ خِلَافَةِ اللَّهِ ، اسْتَخْلَفُوهُ مِنْ مَعْقِلِ

(١) أداله الله عليه : نصره .

(٢) نعمة سابقة : أي تامة .

(٣) الظاهر أن التحميد السابق صدر لتلك الرسالة .

إلى عِقَال^(١)، وبدّلوه آجالاً من آمال، وقديماً غَذَّتِ المعصية^(٢) أبناءها، فحَلَبَتْ عليهم من دَرِّها^(٣) مُرَضِعَةً، وبَسَطَتْ لهم من أمانيتها مُطْمَعَةً، وَرَكِبَتْ بهم نَخَاطِرَها مُوَضِعَةً^(٤)، حتى إِذَا وَثِقُوا^(٥) فَأَمِنُوا، وَرَكِبُوا فَاطمأنُّوا، وانقضى رِضَاعُهم وَآنَ فِطَامِهم، سَقَتَهُمُ سُمًّا، فَفَجَّرَتْ مجارى ألبانها منها دماً، وأَعَقَبَتْهم من حُلُوِ غِذائِها مُرًّا، ونقلتهم من عز إلى ذل، ومن فَرَحَةٍ إلى تَرْحَةٍ، ومن مَسَرَّةٍ إلى حَسْرَةٍ، قَتَلًا وأَسْرًا، وَغَلَبَةً^(٦) وَقَسْرًا، وَقَلَّ مَنْ أَوْضَعَ فى الفِتْنَةِ مُرْهَبًا^(٧)، واقتحم لَهَبَها مُوَجِّجًا، إِلَّا اسْتَلْحَمَتْهُ آخِذَةٌ بِمُخَنَّقَةٍ^(٨)، وَمُوَهِنَةٌ^(٩) بِالْحَقِّ كِيدَهُ، حتى جَعَلَتْهُ لِعَاجِلِهِ جَزْرًا^(١٠)، وَلَآجِلِهِ حَطْبًا، وَلِلْحَقِّ مَوْعِظَةً، وَعَنِ الْبَاطِلِ مَزْجَرَةً^(١١)، أُولَئِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فى الدُّنْيَا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» .

(تاريخ الطبرى ١٢ : ٧٩ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٨٢) .

(١) المعقل : الملاجئ ، والعقال : الحبل الذى يعقل به البعير ، والمراد الذل والإسار .

(٢) وفى الطبرى « العصبية » .

(٣) الدر : اللبن .

(٤) أَوْضَعَتْ ائْتِاقَةً وَوَضَعَتْ : أَسْرَعَتْ فى سِيرِها .

(٥) وفى مروج الذهب « رَتَعُوا » .

(٦) وَفِيهِ « وَابَاةٌ » . وَقَسَرَهُ عَلَى الْأَمْرِ كَضْرَبَ : أَكْرَهَهُ عَلَيْهِ وَقَهَرَهُ .

(٧) الرهيج كشمس وسبب : الغبار ، وأرهج : أثار الغبار . وأجج النار : ألهبها .

(٨) استلحم الطريادة : تبعها ، والمخنق : الحلق .

(٩) أَوْهِنَةٌ : أَوْضَعَفَةٌ .

(١٠) يقال : تركوهم جزر السباع : أى قطعاً من اللحم تأكلها السباع .

(١١) وفى مروج الذهب « وللباطل حجة » .

٩٦ - تحميد له

« الحمد لله الغالب ذى القدرة ، والقاهر ذى العِزَّة ، الذى لم يقابل بالحق باطلاً فى مَوْطِنٍ من مَوَاطِنِ التحاكم بين عباده ، إِلَّا جَعَلَ أولياءَ الحق منهم حِزْبَهُ وَجُنْدَهُ ، وجعل الباطل بهم فَلَاً^(١) منكوباً ، ودَحِيضاً^(٢) زَهُوقاً ، إن نهض به أولياؤه كانت مراصدُ عواقبه مفرقةً ما جُمِع ، ومُبتَرَّةً^(٣) ما اُعِدَّ ، وقائدةً بأشياعه إلى مَضْرَعِ الظالمين ، حتى يكون الحقُّ الطالبُ الأعز ، والباطلُ المطلوبُ الأذلَّ ، وأولياءُ الحقِ الأغْلِيانَ يَدًا وأَيْدًا^(٤) ، وأشياعُ الضلال الأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا وَكَيْدًا ، قضاءُ الله وسُنَّتُهُ ، وعادةُ الله وإِرَادَتُهُ ، فى الفِئَةِ المنصورة ، أَنْ تَعِزَّ فَلَا تُرَام ، وَأَنْ يَمَكِّنَ لَهَا فى الأَرْضِ كما مَكَّنَ للَّذِينَ من قبلها ، وفى الفِئَةِ الناكِبين عنه ، أَنْ تَذِلَّ ، فتكون كلمتها السُّفْلَى ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٦٩)

٩٧ - تحميد له فى فتح

« أما بعد ، فالحمد لله الذى تَحَمَّدَ نَفْسَهُ ، وفَرَضَ حَمْدَهُ على خَلْقِهِ ، وَأَعَزَّ دِينَهُ ، وَأَكْرَمَ بطاعته أوليائه ، وَأَكْرَمَ طَاعَتَهُ بأوليائه فجعل جُنْدَهُ منهم المنصورين ، وحِزْبَهُ منهم الغالبين ، نَهَجَ^(٥) بهم سبيله ، وأقام بهم حُجَّتَهُ .

(١) قوم فل : منهزمون .

(٢) دحیضا : أى مدحوضا باطلا ، من دحضت الحجة إذا بطلت ، وزهوقا : أى مضمحلا .

(٣) من بتره : أى قطعه واستأصله .

(٤) الأيد : القوة .

(٥) نهج : أوضح .

وجَاهِدَ بِهِمُ أَعْدَاءَهُ ، وَأَظْهَرَ بِهِمُ حَقَّهَ ، وَقَعَ بِهِمُ الْبَاطِلَ وَأَهْلَهُ ، وَأَعْلَى كَلِمَتَهُمْ ، وَأَيَّدَ نَصْرَهُمْ ، وَأَلَّفَ لَهُمْ وَبِهِمْ ، وَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، جَعَلَهُمْ أُمَّةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُعِزِّ لِدِينِهِ ، الْمُظْهِرِ لِحَقِّهِ ، النَّاصِرِ خُلَفَائِهِ ، الْمُمَكِّنِ لِحِزْبِهِ ، الْمُنتَقِمِ بِهِمْ مِمَّنْ صَدَفَ عَنْهُ ، مُؤَيِّدِ دِينِهِ بِالنَّصْرِ ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ ، وَحَقَّهُ بِالْعِزِّ ، فَلَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَجُنُودَهُ بِالْفَلَاحِ ^(١) فَهُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ اسْتَنْصَرَ بِهِمْ ، وَالْأَعَزُّونَ إِنْ كَادَ بِهِمْ ، وَالْأَقْرَبُونَ مِنْهُ إِخْلَاصًا وَعَمَلًا ، تَحْمِيدًا يُوَازِي نِعَمَهُ ، وَيُمْتَرَى ^(٢) بِمِثْلِهِ فَوَاضِلُهُ وَمَزِيدُهُ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٧١)

٩٨ — تحميدا آخر له

وله في فتح ابن البَيْهَقِ لَمَّا ظَفَرَ بِهِ :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ نَاصِرِ أَنْبِيَائِهِ وَخُلَفَائِهِ ، وَهَادِي أَوْلِيَائِهِ ، أَوْلِيَاءِ الْحَقِّ وَحِزْبِ الْهُدَى ، الَّذِينَ أَقَامَ بِهِمْ سُبُلَ الرِّشَادِ ، وَنَصَبَ بِهِمْ مَنَاهِجَ الدِّينِ ، فَأَظْهَرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » .

(اخبار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٧٢)

(١) الفلاح : الظفر والفوز .

(٢) يمتري : أى يطلب ، من امتري الشيء إذا استخرجه ، والريح تمتري السحاب : أى تستخرجه وتستلذه .

٩٩ — تحميد له

« الحمد لله الذى أنجز وَعْدَهُ ، ونصر عبده ، وأيدَّ جُنْدَهُ ، وجعل فتوح
أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق ، وإدالة^(١) باطل ، وإزالة
عائِدٍ ، وإبادةِ عائِدٍ ، وإقالةِ مُستَقِيلٍ ، ويسأل الله أمير المؤمنين مسألة العبدِ
سَيِّدِهِ ومولاه ، رغبةً إليه ، متذللاً له ، أن يصلى أفضلَ صلواته عنده على
أكرم أنبيائه » . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٩٦)

١٠٠ — تحميد له فى فتح

« والحمد لله بجميع محامده التى حُمد بها ، على جميع آلائه وجميع بلائه ،
فما وَلَّى به خليفته ، ونصر به دينه ، وأقام به حَقَّه ، وأعزَّ به وليه ، وقمع به
من أَلَحَدَ عن سبيله ، حمداً يؤدَّى حقَّ نَعْتِهِ ، ويوجب به أفضل مزيده ،
بِمَنَّةٍ وطَوْلِهِ » . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ١٩٥)

١٠١ — تحميد له فى آخر كتاب فتح

« فالحمد لله المزيل لما يهْدِمُ المَبْطُلونَ ، ويعكُرُ به الما كرون ، ويكيد به
المُلْحِدونَ ، تمكيناً لعبده وخليفته ، وذَبَّاً عن دينه وحقه ، وإظهاراً لأوليائه
وحزبه ، وإمضاءً لَمَزائمه وقدرته ، مُنْعِماً قادراً ، ومُمْلِياً^(٢) مُمَهِّلاً ، عَدَلاً إذا

(١) الإدالة : الغلبة . والعائد : المائل ، وفى الأصل « مشفوعة بين حق وإدالة باطل ، وإزالة
عائد وإبادة ومستقتل وإقالة » .

(٢) أملى له : أمهله

استدرج ، متفضلاً إذا أنعم ، حمداً يُستنزَل به نصره ، ويُبلغ به رضوانه ،
وَيُمْتَرَى بمثله فواضِلٌ مزيده . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٩٥)

١٠٢ — كتابه إلى بعض إخوانه في شفاعته

وكتب شفاعته لرجل إلى بعض إخوانه :
« فلان ممن يَزْكُو^(١) شكره ، ويَحْسُنُ ذِكْرَهُ ، وَيَسْنِي أَمْرَهُ ،
والصنِيعَةُ عنده واقعةٌ موقعها ، وسالِكةٌ طريقها .
وأفضلُ ما يَأْتِيهِ ذُو الدِّينِ والحِجْبَى إصابَةُ شكرٍ لم يَضِعْ معه أَجْرُ »
(الأغاني ٩ : ٢٥ ، ومعجم الأدباء ١ : ١٧٨)

١٠٣ — كتابه عن المتوكل إلى أهل حمص

ولما قرأ إبراهيم بن العباس على المتوكل رسالته إلى أهل حمص ،
الخارجين عليه ، والداعين إلى العصبيّة ، وهى :
« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يَرى من حق الله عليه ، مما قَوِّمَ به
من أَوْدٍ^(٢) ، وعدلٌ به من زَيْغٍ ، ولمَّ به من مُنْتَشِرٍ ، استعمالَ ثلاث ،
يَقْدِّمُ بعضهن على بعض ، أولاهن مايتقدّم به من تنبيه وتوقيف ، ثم
مايستظهر^(٣) به من تحذير وتخويف ، ثم التى لا يقع بحسب الداء
غيرها^(٤) .

(١) زكا يزكو : نما .

(٢) الأود : الاعوجاج . (٣) أى يستعين .

(٤) كذا فى الأصل ، وهو على تضمين يقع معنى يقوم ، وربما كان « لا يقع حسب الداء غيرها »

أَنَاةٌ ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا وَعِيدًا ، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَعْنَتُ عَزَائَهُ»
عجب المتوكل من حسن ذلك ، وأومأ إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان :
أَمَّا تَسْمَعُ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ فَضِيلَةَ خَبَأَهَا اللَّهُ لَكَ ،
وَذَخِيرَةَ ذَخَّرَهَا عَلَى دَوْلَتِكَ » ،

(معجم الأدباء ١ : ١٨٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٠)

١٠٤ - كتابه عن المنتصر إلى طاهر بن عبد الله

وكتب عن المنتصر بالله بن المتوكل إلى طاهر بن عبد الله يعزیه عن
محمد بن إسحق :

« أَمَا بَعْدَ ، تَوَلَّى اللَّهُ تَوْفِيقَكَ وَحَيَاطَتَكَ ، وَمَا يَرْضِيهِ مِنْكَ وَيَرْضَاهُ
عَنْكَ ، إِنْ أَفْضَلَ النِّعَمِ نِعْمَةٌ تُلْقِيَتْ بِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الشُّكْرِ ، وَأَوْفَرَ
حَادِثَةٍ ثَوَابًا حَادِثَةً أُدِّيَ حَقُّ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ ، وَمِثْلُكَ
مَنْ قَدَّمَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِي نِعْمَةٍ فَشَكَرَهَا ، وَفِي مَصِيبَةٍ فَأَطَاعَهَا فِيهَا ،
وَقَدْ قَضَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ ^(١) مَوْلى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - قِضَاءَهُ السَّابِقَ وَالْمَتَوَقَّعَ ، وَفِي ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -
أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ - وَتَقْدِيمَ مَا يَقْدُمُ مِثْلَهُ أَهْلُ الْحِجَابِ وَالْفَهْمِ ، مَا عِثَاظُهُ
مَعْتَاظٌ ، وَقَدَّمَهُ مَوْفَّقٌ ، فَلْيَكُنِ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ ، وَمَا أَطْعَمَتْهُ بِهِ ، وَقَدَّمْتَ
حَقَّهُ فِيهِ ، أَوْلَى بِكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ فِي الْمَكْرُوهِ
بِطَاعَتِهِ ، يُحَسِّنْ وَلَا يَتَكَ فِي تَوْفِيقِكَ لِشُكْرِ نِعَمِهِ عِنْدَكَ » .

(اختيار المنظوم ، والمنثور ١٣ : ٣٠٧)

(١) هو ابن عم طاهر بن عبد الله ، وذلك أن طاهرا هو ابن عبد الله بن طاهر بن الحسين
ابن مصعب بن رزيق بن ماهان ، ومحمدا هو محمد بن إسحق بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق بن ماهان .

١٠٥ — كتابه عن المعتز ولى العهد إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إبراهيم بن العباس عن المعتز ولى العهد إلى طاهر بن عبد الله
يعزيه عن محمد بن اسحق :

« فَإِنْ أُولَى حَقِّ خَصَصْتُ وَقَدَّمْتُ ، حَقُّكَ ، بِحَمْلِكَ الَّذِي أُحِلَّكَ بِهِ ،
وَمَكَانِكَ الَّذِي لَكَ عِنْدِي ، وَلِلَّهِ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ أَنْتَ حَقِيقٌ بِشُكْرِهَا ، وَامْتِرَاءٌ^(١)
مَزِيدٌ بِهَا ، وَلِلَّهِ فِي خَلَلِ نِعْمِهِ مُلِمَاتٌ ، مِثْلُكَ قَدَّمْ طَاعَتَهُ فِيهَا فَرَضِي مُسْتَدْعِيَا
بِالرِّضَا ثَوَابَهُ ، وَسَلِّمْ مُسْتَدْعِيَا بِالتَّسْلِيمِ مَا يَقْرُبُهُ مِنْهُ ، وَقَدْ قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
فِي مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ قَضَاءَهُ الْآتِيَّ عَلَى مَنْ مَضَى ، وَالْمَكْتُوبَ عَلَى مَنْ بَقِيَ ، حَتَّى
يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، فَارْضَ بِثَوَابِ اللَّهِ عَوَضًا
مَنْ مَصِيبَتِكَ ، وَارْجِعْ إِلَى مَا وَهَبَ لَكَ مِنْ خَلِيفَتِهِ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - مَنْ
إِشَارَهُ وَاخْتِصَاصَهُ ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ أُولَى مَا عَزَّاكَ عَنْ مَصَائِبِكَ ، وَقَدَّمْتَ بِهِ
الشُّكْرَ فِي حَقِّ اللَّهِ عَنْكَ ، وَاسْتَصْحَبْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا نِيَّةَ الشَّاكِرِ عِنْدَ
النِّعْمَةِ ، وَالرَّاضِي عِنْدَ الْمَحْنَةِ ، تَرَدُّدُ وَتُكْفَافُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٠٧)

١٠٦ — كتابه عن المؤيد وهو ولى عهد

إلى طاهر بن عبد الله

« فَإِنْ مَنْ حَقُّ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ النِّعْمِ تَقْدِيمَ طَاعَتِهِ عِنْدَ مَصَائِبِهِمْ ،

(١) مَرَى الشَّيْءُ وَامْتَرَأَهُ : اسْتَخْرَجَهُ .

والتقربَ إليه فيما يَعْرِوهم منها بالرضا والتسليم ، وقد قضى الله عز وجل في محمد بن إسحق - عفا الله عنه - قضاءه في جميع خلقه حتى يبقَ ويرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، فتلق - أمتع الله بحسن توفيقك - قضاء ربك بالتسليم له ، وتمزَّ عن مُصائبك بطاعته ، فإن مثلك من اكتفى بما فهم ، من أن يعزَّى ، واستغنى بما علم ، عن أن يُوعَظَ إن شاء الله والسلام .
(اختيار النظم والنثر ١٣ : ٣٠٧)

١٠٧ كتابه إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إبراهيم بن العباس إلى طاهر بن عبد الله يعزّيه :
« أما بعد ، فإن أحقَّ من أَرْضَى الله في نعمته بِشُكْرِهِ ، وفي مصائبه بالتسليم له ، مَنْ فَهَمَ ما في شكر النعم من استدعاء تمامها ، وما في التذلل للمقادير من استحقاق رضوانه ، وقد جعل الله محلاك من الحالتين جميعا محلَّ المتقدم بنيتّه ومعرفته ، والله يمتّع أمير المؤمنين فيك بصالح قسّمه فيمن مضى ، والجارى على من بقى ويبقى ، حتى يؤدّى الفناء الذى لا بقاء معه ، إلى البقاء الذى لا فناء بعده .

وأمير المؤمنين يعظك بالله ، وهو أحقُّ من وعَظَ به ، ويُرشدك من إشار الله لما ندبكَ له منه ، وسهّل لعظيم نعمته عليك ، في هذه النازلة ، بما صَحِبَ به على بن طاهر مولى أمير المؤمنين أيامه ، ومضى عليه من بصيرته وطاعته ، فقدّم حقَّ الله عليك بطاعتك له فيما أمرك به ، واتّق الله في مواقع أقداره بك ، تقتض بذلك من ثواب الله أفضل عِوضِ الصالحين ، وبارك

الله لعلِّي فيما أصاره إليه ، وأحسن الله لما قرَّبَكَ منه توفيقَكَ ، وعلى أرضاهُ
عنكَ عَوْنَكَ^(١) ، والسلام . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٢٧)

١٠٨ - كتابه إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إلى طاهر بن عبد الله في وفاة إسحاق بن إبراهيم .
« أما بعد ، فإن الله عز وتعالى توحَّد بتقدير عبادِه ، وإمضاء إرادتهِ
فيهم ، وجعل لكل منهم نهاية إليها يجري بهم مُنْقَلَبُهُمْ ومتَصَرِّفُهُمْ ، فإذا
جاء أمرُ الله ، وانقضت مدَّةُ البقاء ، سَعِدَ أهلُ الحقِّ بحَقُّهم ، وكانت العاقبة
للتقوى ، وخسر الملحدون .

وإن إسحاق بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين - أبقاه الله ، وأحسن سعيه
وعمله - كان عبدا من عباد الله أيدَّ الله به خلفاءه ، وخليفته كَنَف^(٢) ، فصحبَ
عُمَرَه ذابَّا عن دين الله ، محافظا عليه ، مُطِيعا لله في حقه ، ناصرا له ، متقربا
إلى الله في خلفائه ، بما يرضاه منهم ، ويُرضيهم به عنه ، إلى أن قبضَهُ الله على
أحسن حالاته التي تُسرُّه أيامَ لقائه ، من طاعةٍ ومناصحةٍ وإخلاصٍ عمل ،
فكانت المصيبةُ به - عفا الله عنه - مصيبةً خصَّ أمير المؤمنين موقعها ،
ثم وصَلَتْ من بعد أمير المؤمنين إلى مَنْ وصَلَتْ إليه فيك من ولده وأهله .
وأمير المؤمنين يعزِّي نفسه عن إسحاق ، بما سبقَ من اختيار الله له

(١) توفيقك مفعول أحسن ، وعونك معطوف عليه ، وأرضى : أتمل تفضيل .

(٢) كنفه : صانه وحفظه وحاطه وأعانه ، أى أيد به خلفاءه الماضين ، وكنف به خليفته

الحاضر ، وفي الأصل « وخليفته وكيف » .

في مثله من أوليائه و (ذوي) إخوانه ، ثم يعزّيكَ عنه إذ كانت مصيبتك به
أوّلَى مصائبك بأن تُرمضَكَ^(١) جلالَةً وموقعا ، وأوّلَى مصائبك بأن يعزّيكَ
(فيها) ، إذ كنتَ منها بين ثواب الله ورضا خليفته ، ولو استغنى ذو نازلةٍ
ومصيبةٍ عند أمير المؤمنين عن تعزّيته بفضل ما جعله الله عنده ، كنتَ
بما مَنَحَكَ الله عن ذلك غنيا ، ولولا أن أمير المؤمنين أوجَبَ لك حقَّ
التعزية ، لكان في علمه ما أغناه عن تناولك بها .

مَتَّعَ الله أمير المؤمنين بك ، ووفَّقَكَ لرشدك بهذه النازلة الواقعة بحقِّ
الله فيها عليك ، وارضَ ثَوَابَ الله منها عَوْضا ، وما جعل الله لك عند أمير
المؤمنين خلفاً كريماً ، وقَعَتْ به مقاديرُ الله من ذلك ، بحيثُ اختيَارُ المطيع
لربه ، والمقدّمُ لغيره ، والراضى ما رَضِيَ اللهُ له ، واكتبَ إلى أمير المؤمنين بما
يسرُّك الله له عند انتهاء الخبر إليك ، مؤيِّدَكَ^(٢) ومسدِّدَكَ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٢٨)

١٠٩ — كتابه إلى طاهر

وكتب إلى طاهر أيضاً :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يُوجبُ لك من كل فائدةٍ نعمةٍ ،
وحادثٍ (رَزِيَّةٍ) تهنئُكَ بتجدّد مواهب الله عز وجل ، وتعزّيَتِكَ عن
مُلِمَّاتِ أقداره ، وقد قضى الله في محمد بن إبراهيم مؤلّى أمير المؤمنين ،

(١) أرمضه : أوجه وأحرقه .

(٢) حال من لفظ الجلالة .

ماهو قضاؤه في عبادته ، حتى يكون الفناء لهم والبقاء (له) ، وأمير المؤمنين يعزيك عن محمد بما أوجب الله لمن أمره (بالصبر)^(١) في مصائبه ، من جزيل ثوابه وأجره ، فليكن الله وما قربك منه ، أولى بك في أحوالك كلها ، فإن مع شكر الله مزيدَه ، ومع التسليم لأمر الله رضاه ، وبالله توفيقُ أمير المؤمنين ، والسلام . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٢٨)

١١٠ - كتابه إلى طاهر

وكتب إلى طاهر يعزيه :

« أما بعد ، فإن أحقَّ من أطاع الله في مصائبه ، من حسنَ بلاء الله عنده في نعمته ، وعلى حسب مواهب المعرفة تؤكّد الحجة ، وقد انتهى إلى أمير المؤمنين قضاء الله في محمد بن الحسن بن مُصعب ، وفرّ الله لك ثواب رزئه ، فقدّم حقّ الله فيما أصابك منه مُسلماً ، وفيما جدّد لك شاكراً ، وارضَ بالله مُنجزاً لك ، واعلم أنك لم تُرْزَأَ من أهلك من هو أمضى^(٢) لسبيل مُنقلبَه على سبيل سيرة واستقامة منه ، والله يُحسن توفيقك وعونك ، والسلام . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٢٩)

(١) ما بين الأقواس الثلاثة ساقط في الأصل .

(٢) في الأصل « من مضى » .

١١١ - كتابه إلى عبد الرحمن بن خاقان

وكتب إلى عبد الرحمن بن خاقان يعزيه عن أبي زكريا يحيى ابن خاقان :

« أما بعد ، فقد جرى من قضاء الله في وفاة يحيى بن خاقان - على أحسن ما يُتَوَفَّى عليه ذو طاعة ونصيحة وقيام بحق إمامه وسلطانته ورعيته - ما جرى على الأولين ، وهو جارٍ على الآخرين ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وأمر المؤمنين يأمرك بالرجوع إلى أمر الله ، والرضا بقضائه ، وتلقى النعمة برضا الله عن يحيى ، وما تبعه من الدعاء ، وخلفه في عقبه بما يستدعيها به من الصبر والتسليم ، وبالشخص إلى باب أمير المؤمنين إذا ورد عليك كتابه هذا ، بعد أن تخلف في عملك من يقوم فيه مقامك ، مُنْبَسِطَ الأمل ، منفسح الرجاء ، واثقاً بما يرعى أمير المؤمنين منك بنفسك في طاعته وموالاته ، وأسبابك ، والسلام . »



ونسخة التوقيع بخط أمير المؤمنين في هذه التعمية :

« يا عبد الرحمن ، ثق بالله وبالذي لك عند أمير المؤمنين ، وطب نفسك ، ولا تحمل على نفسك من الغم ما لا ينفعك ، لا بل يضرك ، ويغتم به أمير المؤمنين ، وهذا خط أمير المؤمنين إليك والسلام . »

١١٢ — كتابه إلى الحسن بن رجاء

« أنت والله يا أبا علي (١) عَيْنٌ مَصْدَرُهَا عَنْ مُحْتَاطٍ لِنَفْسِهِ فِيهَا)
الْمُتَقَدِّمُ بِنَيْتِهِ وَأَثَرِهِ وَجَمِيلٌ مَا أُبْلِيَ (٢) اللَّهُ بِهِ وَعَرَفَ مِنْهُ ، فَأَحْسَنَ اللَّهُ
جَزَاءَكَ عَنْ خَلِيفَتِكَ وَلِيًّا مُجْتَهِدًا ، وَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ عَنَّا أَخًا مُتَفَضِّلًا ،
وَبَلَّغَنَا مَحَبَّتَنَا فِيْمَا قُلَّدْتَ ، وَبِاللَّهِ لَئِنْ كُنْتَ عَلَى أَفْضَلِ حَدٍّ (٣) (إِنِّي (٤)) لَعَلَى
نَهَايَةِ مِمَّا عَلَيْهِ الْمُعْتَمِدُ بِنِعْمَتِكَ ، الْمُسْرُورُ بِمَا أَجْرَى اللَّهُ لَكَ بِهِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو
أَلَّا أَكُونَ مُقَصِّرًا فِي حَقِّكَ عَنْ حَقِّكَ . »

(اختيار المنظوم والنثور ١٣: ٣٦١)

١١٣ — كتابه إلى محمد بن الحسن بن الفياض

وَوَقَعَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْفَيَّاضِ وَقَدْ حَمَلَ مَالًا :
« إِذَا جَزَى اللَّهُ وَلِيًّا ، بِأَدَاءِ الْفَرَضِ عَلَيْهِ ، وَتَأْدِيَةِ حَقِّ الشُّكْرِ عَنْ نَفْسِهِ
خَيْرًا ، فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ ، فَبِاللَّهِ لَئِنْ كُنَّا قَدَّمْنَا حَسَنَ الظَّنِّ بِكَ ، لَقَدْ وَصَلْتَ
ذَلِكَ بِكَفَايَةِ حَسَنَةٍ ، وَأَثَرٍ صَالِحٍ ، وَأُمُورٍ أَقْلُ مِنْهَا يَزِيدُ فِي الثِّقَةِ بِكَ ، وَإِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ يُسْرَكَ اللَّهُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَوَافَتْ الْأَمْوَالُ حَاجَةً مِّنَا إِلَيْهَا ،

(١) أى وتلك عين ... والجملة اعتراضية .

(٢) الإِبْلَاءُ : الإِنْعَامُ .

(٣) الحد : منتهى الشيء ، وربما كان « على أفضل جد » والجد بفتح الجيم : الحظ والحظوة

والعظ . الأول أولى لقوله بعد « لعل نهاية » .

(٤) الفوسين بياض بالأصل .

وَمُؤَنَّا تَرَجَعْتَ ، أَطَانِ اللَّهُ عَلَى أَكْثَرِهَا بَعْنَايَتِكَ وَتَسْدِيدِكَ ، وَالسَّلَامُ .
(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٦١)

١١٤ - كتابه إلى عامل له

ووقع إبراهيم بن العباس في كتاب عامل له يعتدُّ بحُسن أثرٍ ، ويُمِيتُ
بِغَمَامٍ مَحْمُودٍ :

« يَا هَذَا ، لَسْتُ أَشْكُ أَنْ لَكَ أَثَرًا فِي التَّوْفِيرِ ، كَانَ مَنْ تَقَدَّمَكَ مَقْصَرًا
عَنْهُ ، وَأَنْتَ مَعْنِيٍّ وَمَحْتَاظٍ ، غَيْرَ أَذْكَ عَفِيتَ^(١) عَلَى مَا أَحَدْتُ مِنْكَ ، بَمَا
يَتَنَاهَى إِلَيَّ عَنْكَ ، عَلَى أَلْسِنِ الْمُتَظَلِّمِينَ وَأَصْحَابِ الْأَخْبَارِ .
وَذَكَرَ لِي فُلَانٌ مَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيهِ مِمَّا كَثُرَ وَصْفُهُ لهُ ، وَقَامَ
مِنْهُ وَقَعْدٌ ، وَتَالَهُ لَا كَوْنَنَّ الْبَاحِثَ عَلَيْكَ ، وَالْمَطَالِبَ لَكَ دُونَهُ ، لِإِقْدَامِكَ
عَلَى شَيْخِ ابْنِ سِتِينَ سَنَةً ، بَمَا أَقْدَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ ، وَأُفٍّ لِدُنْيَا اضْطَرَّتْ إِلَيْكَ ،
فَكَتَمْتَ خِيَارَ مَنْ يَعْمَلُ فِيهَا ! وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي رَجَعْتُمْ بِهَا إِلَى
أَنْفُسِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ » . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٦٣)

١١٥ - كتاب له في السلامة

« أَمَا بَعْدَ ، فَإِنْ أَوْلَى نِعْمَةٍ تُشْكِرُ ، سَلَامَةٌ تُشِمِلَتْ ، عَزَّ فِيهَا الْحَقُّ فَوْقَ
مَوَاقِعِهِ ، وَذَلَّ فِيهَا الْبَاطِلُ فَفُصِّحَ أَشْيَاؤُهُ ، وَتَقَلَّبَ فِي سِتْرِهَا وَأَمْنُهَا خَاصَّةٌ
وَعَامَّةٌ ، فَانْبَسَطَ فِي تَأْمِيلِ فَضْلِهَا وَعَائِدَتِهَا رَعِيَّةٌ حَاضِرَةٌ وَقَاصِيَةٌ .

(١) أي محوته وأزله .

وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ كَتَبْتُ إِلَيْكَ ، فِي أَعْمِ السَّلَامَةِ أَمْنًا وَعِزًّا ،
وَأَدُومَ نِعْمَةٍ مَوْقِعًا وَخَطَرًا ، وَفِي أَجَلِ بَلَاءِ^(١) اللَّهِ ، يَتَعَرَّفُهُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ
وَأَوْلِيائِهِ وَعَوَامِّهِ ، وَبِاللَّهِ عَوْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى شُكْرِ نِعَمِهِ ، وَتَأْذِينِ حَقِّهِ .
أَعْلَمَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ لِتَعَرَّفَهُ وَلِتَعْتَدَّ النِّعْمَةَ بِهِ ، وَلِتَكْتُبَ إِلَى
عَمَلِكَ فِي نَوَاحِي أَعْمَالِكَ ، فَيَشْكُرُوا اللَّهَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ بَلَاءِ اللَّهِ فِي خَلِيفَتِهِمْ ، مِمَّا
وَهَبَ لَهُمْ مِنْهُ ، وَأَجْزَى لَهُمْ بِهِ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعْنَى بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ أَخْبَارِكَ وَأَعْمَالِكَ وَأُمُورِكَ : خَاصَّهَا
وَعَامَّهَا ، وَلَطِيفَهَا وَجَلِيلَهَا ، وَفِي أَوْلِيائِهِ وَرَعِيَّتِهِ قَبْلَكَ ، فَاهْتَبِ إِلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا هُوَ مُتَطَّلِعٌ إِلَيْهِ ، مُتَابِعًا كِتَابَكَ إِلَيْهِ عَلَى شَرْحِ
خَبْرِكَ وَتَلْخِيصِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (اخْتِيار المَطُوم والنُّشُور ١٣ : ٣٦٦)

١١٦ — كِتَابُ لَهُ فِي السَّلَامَةِ

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ فِرْعٍ أَصْلًا ، عَنْهُ مُوَدَّاهُ^(٢) وَمُسْتَنْبِطُهُ ، وَإِلَيْهِ
مَرْجِعُهُ وَمَوْثِقُهُ ، وَمَتَى رُجِعَ مِنْ أَصُولِ الْأُمُورِ إِلَى تَأَثُّلِهَا^(٣) وَتَمَكُّنِهَا ،
رُجِعَ مِنْ فُرُوعِهَا إِلَى اسْتِثْبَابِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا ، وَأَفْضَلُ مَا تُدَبِّرُهُ : أُمُورُ دِينِ
اللَّهِ وَخِلَافَتِهِ ، وَحُقُوقُ اللَّهِ وَعِبَادِهِ ، فَكَانَ الْأَصْلُ وَزَكَوُّهُ^(٤) مَا جَمَعَ بِإِذْنِ
اللَّهِ سَكُونَ الدِّهْمَاءِ^(٥) ، وَصَلَاحَ الْبَيْضَةِ^(٦) ، وَأَمْنِ السَّرْبِ^(٧) ، وَتَظَاهَرِ

(١) أَى نِعْمَتِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « مُوَادَّة » وَأَرَاهُ مُحَرَّفًا عَنْ « مُوَدَّاه » وَرَبِّمَا كَانَ الْأَصْلُ « مُورَدَّة » .

(٣) تَأَثُّلٌ : تَأَصَّلٌ .

(٤) الزَّكَاةُ : الصَّلَاحُ وَالنَّمَاءُ ، وَفِي الْأَصْلِ « وَرَكَوْهَا » وَأَرَاهُ مُحَرَّفًا .

(٥) الدِّهْمَاءُ : جَمَاعَةُ النَّاسِ . (٦) الْبَيْضَةُ : حُوزَةُ كُلِّ شَيْءٍ . (٧) السَّرْبُ : النَّفْسُ .

النعم فيما قُرُبَ وبعُد ، ودنا ونأى ، وبلاء الله حميداً هو عند أمير المؤمنين ، مع كتابه هذا إليك في نفسه وولده ، وفي أحبائه وخاصته وقاصيته ، وفي أنصاره ، من عموم الأمن وشموله ، وصالح الحال واستقامتها ، (بلاء يربو ^(١)) عن الإحاطة بذكره دون شكره ، وعن إحصاء مواهب الله فيه دون إحصائه .

أعلمك أمير المؤمنين ذلك معتدداً بنعمة الله فيه ، ومُشيداً بذكره ، ومنبهاً على جميل آلاء الله ، ومستديماً حمده به ، لتأمر بإنفاذ كُتُبِكَ إلى عمالك في نواحي أعمالك بما يُنسخ من كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، لتقرأه على مَنْ بحضرتهم وأطرافهم من قواد أمير المؤمنين وجنوده وأوليائه ورعيته وخاصته وعامةً ، فيحمدوا الله على ما أبلى ^(٢) أمير المؤمنين في نفسه وفيهم ، ليجدوا من شكر الله على ذلك ما يحلله استدعيته النعمة ، وامتري ^(٣) صالح المَزِيد ، فافعل ذلك مُعَانَاً على أمرك ، متحرّياً لأداء حق الله عليك ، والسلام . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٦٧)

١١٧ — كتاب آخر

وكتب في سلامة الأضي:

« فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ أَشَادَ بِنِعْمِ اللَّهِ نَاطِقًا بِأَسَانِ شُكْرَهَا ، وَقَائِلًا بِأَحْسَنِ

(١) في الأصل « بد ... » وقد أتممت العبارة كما ترى .

(٢) أى أنعم عليه .

(٣) امتري الشيء : استخرجه .

نشرها ، ومقدماً حقَّ الله بذلك فيها ، مَنْ أَلْبَسَ مِنْ نِعَمِ الله أَعَزَّ مَلَابِسُهَا ،
وَحُسْبَىٰ نَهَا بِأَفْضَلِ مَوَاهِبِهَا ، وَمَنْ لَمْ تَزَلْ عَادَةُ الله عِنْدَهُ فِي مُتَجَدِّدِ نِعَمِهِ عَلَيْهِ ،
بِتَبْصِيرِهِ لِأَدَاءِ حَقِّهِ فِيهَا ، ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يَعْتَدُّ بِهِ مِنْ جَلِيلِ آلاءِ الله
لَدَيْهِ فِيمَا يُخْصِّصُهُ ، وَجَلِيلِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ فِيمَا وَقَّعَ لَهُ ، وَبِاللهِ عَوْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِتَبْلِيغِهِ شُكْرَهُ ، وَاسْتِحْقَاقِهِ مَزِيدَهُ ، وَإِحْرَازِ مَا هُوَ أَرْضَىٰ وَأَزَىٰ لَهُ عِنْدَهُ
وَكِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ يَوْمَ النَّحْرِ ، انْصِرَافُهُ مِنَ الْمَصَلَّى ، وَقَدْ عَرَفَهُ
اللهُ فِي عِيدِهِ وَمَخْرَجِهِ ، مِنَ السَّلَامَةِ وَعَمُومِهَا ، وَالنَّعْمِ وَتَظَاهُرِهَا فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ
وَقَوَّادِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَفِي خَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، أَفْضَلَ مَا لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُهُ إِيَّاهُ ، أَمْنًا ^(١) كَنَفَ
بِهِ ، وَعِزًّا أَلْبَسَهُ ، وَشُكْرًا وَفَّقَ لَهُ ، وَنِعْمًا أَيْدِيَهَا وَقَعَ ، وَأَعْلَىٰ بِهَا وَوَضَعَ ، فَجَعَلَ
لِأَوْلِيَائِهِ دِينَ وَحَقَّهُ مِنَ الْعُلُوِّ وَالْكَرَامَةِ ، وَعَلَىٰ أَعْدَائِهِ مِنَ الذُّلَّةِ وَالْحَسْرَةِ ،
مَاقِدِيمًا تَفْضُلَ بَمَثَلِهِ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِ وَاسْتَحْفَظَهُ فِيهِ ، تَفْضُلًا
مِنْهُ وَإِحْسَانًا ، وَحَيَاةً وَإِنْعَامًا ، وَللهُ بِذَلِكَ أَرْضَىٰ شُكْرًا ، وَلَهُ أَفْضَلُ مَاقَرَّبَ
مِنْهُ وَأَزَلَفَ ^(٢) عِنْدَهُ .

أَحَبُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْكِتَابَ بِذَلِكَ إِلَيْكَ ، لِتَعْرِفَهُ وَتَحْمَدَ الله عَلَيْهِ ،
وَتَنْشُرَهُ فِيمَنْ قَبْلَكَ ، فَيَحْمَدُوا الله وَيَعْتَدُوا نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَإِنْ مَعَ مَعْرِفَةِ
النِّعْمَةِ شُكْرُهَا ، وَمَعَ التَّوْفِيقِ لَشُكْرِهَا حِرَاسَتُهَا وَوَجُوبَ مَزِيدِهَا ،
وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِ بِمُخْبَرِكَ وَخَبَرٍ مِنْ قَبْلِكَ بِمَا هُوَ مُتَطَّلِعٌ
إِلَيْهِ وَإِلَى مَعْرِفَتِهِ ، بِهَيْجٍ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَتَابِعْ - أَصْلَحَ اللهُ بِكَ - إِلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابَكَ إِنْ شَاءَ اللهُ . (اختيار النظم والنثر ١٣ : ٣٦٧)

١١٨ - ومن فصوله

«المودةُ تجمَعُنا محبتُها ، والصنْاعةُ تُؤَلِّفُنا أسبابُها ، وما بين ذلك من تراخٍ في لقاء ، أو تخلفٍ في مكاتبة ، موضوعٌ بيننا ، يُوجبُ العذرُ فيه »
(العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

١١٩ - ومن كلامه

« ووجدَ أعداءُ الله زُخْرُفَ باطلهم ، وقمويةَ كذبِهم ، سرابًا بقيعةً^(١) يحسبُهُ الظَّمانُ ماءً حتَّى إذا جاءَهُ لم يجدْهُ شَيْئًا » وكومِيضَ بَرْقٍ عَرَضَ فأسرعَ ، ولمعَ فأطمعَ ، حتَّى إذا انحسرت^(٢) مغارِبُهُ ، وتشعبتْ موليةٌ مَذهِبُهُ ، وأيقنَ راجِيهَ وطالبُهُ ، أنْ لَمَّا ذَولا وَزَرَ ، وَلَما مَوَّرِدَ ولا صَدَرَ ، ولا من الحربِ مفرٌّ ، هنالكَ ظهرتْ عواقِبُ الحقِ مُنْجِيَةً ، وخواتِمُ الباطلِ مُرَدِّيَةً ، سُنَّةُ الله فيما أزاله وأدالَهُ ، وَلَمَّا تَجَدَّدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا ، ولا عن قضاائه تحويلًا »
(معجم الأدباء ١ : ١٩٠)

١٢٠ - كتاب الفضل بن حباب

إلى إبراهيم بن العباس

قال إبراهيم بن العباس الصُّولي : كاتبت القاضي أبا خليفة الفضل بن حباب الجمحي

(١) القيعه جمع قاع : وهو ما انبسط من الأرض وفيه يكون السراب نصف النهار ، قال في اللسان : « ولا نظير له إلا جار وجيرة ، وذهب أبو عبيد إلى أن القيعه تكون للواحد » .
(٢) أي انكشفت .

في أمور أرادها ، فأغفلت التاريخ منها في كتابين ، فكتب إلى بعد الثاني :
 « وصل كتابك - أعزك الله - مبهم الأوان ، مُظلم المكان ، فأدنى
 خبراً ما القرب فيه بأولى من البعد ، فإذا كتبت - أكرمك الله تعالى -
 فلتكن كتبك موسومة بتاريخ ، لأعرف أدنى آثارك ، وأقرب أخبارك ،
 إن شاء الله تعالى . » (زهر الآداب ٣ : ١٤٣)

١٢١ - كتاب رجل إلى المتوكل

وكتب رجل إلى المتوكل على الله ، وقد أهدى إليه قارورة من
 دهن الأترج :

« إن الهدية يا أمير المؤمنين ، إذا كانت من الصغير إلى الكبير ،
 كلما لطفت^(١) ودقت كانت أبهى وأحسن ، وإذا كانت من الكبير إلى
 الصغير ، كلما عظمت وجلت كانت أنفع وأوقع ، وأرجو ألا تكون
 قصرت بي همة أصارتني إليك ، ولا أخرني^(٢) إرشاد دلتني عليك ، وأقول :

ما قصرت همة بلغت بها بابك يا ذا النداء والكرم^(٣)
 حسبي بودك إن ظفرت به ذخراً وعزاً يا واحد الأمم

(العقد الفريد ٣ : ٣٠٩)

(١) لطف الشيء ككرم : أصغر ودق .

(٢) في الأصل « ولا أخرى » وهو تحريف .

(٣) الندى بالقصر : الكرم والجود ، ومده للشعر .

١٢٢ — كتاب رجل إلى مالك بن طوق

وكتب رجل إلى مالك بن طوق^(١) لما عُزل عن عمله .
« أصبحت والله فاضحاً مُتَعَباً : أَمَّا فَاضِحاً فَلِكُلِّ وَالٍ قَبْلَكَ بِحُسْنِ
سِيرَتِكَ ، وَأَمَّا مُتَعَباً فَلِكُلِّ وَالٍ بَعْدَكَ أَنْ يُلْحَقَكَ » .

(اختيار المظوم والمنثور ٣ : ٣٠٠)

١٢٣ — كتاب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص :
« كتابي إليك كتاب خَطَطْتُهُ يميني ، وفرغت له ذهني ، فما ظنك
بحاجة : هذا موقعها مني ؟ أتراني أقبلُ العذرَ فيها ؟ أو أقصر في الشكر عليها ،
وابن أبي الشيص قد عرَفَت حاله ونسبته وصفاته^(٢) ، ولو كانت أيدينا تنبسط
بيده ما عدنا إلى غيرنا ، فاكتف بهذا منا » .

(العقد الفريد ٢ : ١٩٣ ، واختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٤)

١٢٤ — كتاب أحد الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر

وكتب بعض الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر^(٣) وقد نالتهما
محنة ، ثم ردفتها نعمة :

(١) كان أميرا على الأهواز في خلافة المتوكل — انظر الأغاني ١٣ : ٢٢ .

(٢) وفي المنظوم والمنثور « وكفائته » .

(٣) قال ابن النديم في الفهرست ص ١٧٨ . « بنو المدبر : أحمد ومجد وإبراهيم ، وجميعهم شاعر
مترسل بليغ » ، وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني — في ترجمة إبراهيم بن المدبر ج ١٩ ص ١١٤ —

« بسم الله الرحمن الرحيم : لو قُبِلْتُ فيكما ، ودانيتُ قدرَيْكما ، لقلتُ :
جعلني الله فداكما ، ولكن أُخِّرْتُ عنكما ، فلا أُقْبِلُ فيكما ^(١) ، وقد بلغتني
المحنة التي لو مات إنسان غمًّا بها لَكُتُّه ، ثم اتصلتُ بي النعمة التي لو طار ^(٢)
إنسان فرحًا بها لَكُتُّه » . وكتب تحته :

وليس بتزويق اللسان وصَوْغِهِ ولكنه قد خالط اللحم والدِّمَا
(زهر الآداب ٣ : ١٦ ، وأدب الكتاب ص ١٥٣)

١٢٥ - كتاب عمر بن أيوب إلى أحمد بن المدبر

وكتب أبو حفص عمر بن أيوب إلى أبي الحسين أحمد بن محمد
ابن المدبر ، يعاتبه في أن دماله « مَدَّ الله في عُمرِكَ » :

« يَا جَوَادًا بِاللَّيْلِ وَبِجَيْلًا بِالْعَمَلِ

إِنَّ : « مَدَّ اللَّهُ فِي عُمرِكَ » مِنْ كُتُبِ الْجَفَا

لَيْسَ يُسْتَعْمَلُ هَذَا الصَّدْرُ بَيْنَ الْأَصْفِيَا

فَفَضَّلْ يَا فَتَى النَّاسِ بِتَفْخِيمِ الدُّعَا

(أدب الكتاب ص ١٦٠)

« إبراهيم بن المدبر شاعر كاتب متقدم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوى الجاه
والتصرفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله » وقال :
« كان أحمد بن المدبر ولي لعبيد الله بن يحيى بن خاقان عملاً ، فلم يحمد أثره فيه ، وعمل على أن
ينكبه ، وبلغ أحمد ذلك فهرب ، وكان عبيد الله منحرفاً عن إبراهيم شديد النفاسة عليه لرأى المتوكل
فيه ، فأغراه به وعرفه خبر أخيه ، وادعى عليه مالا جليلاً ، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه ، وأوغر
صدره عليه حتى أذن له في حبسه - ولا إبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حسان مختارة أورد صاحب
الأغانى بعضها - وطال حبسه ، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة ، حتى خلاصه محمد بن عبد الله
ابن طاهر ، وبذل أن يحتمل في ماله كل ما يطالب به ، فأعفاه المتوكل من ذلك ووجهه له » .

وقال ياقوت في معجم الأدباء ج ١ : ص ٢٢٦ : « هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ،
نولى الولايات الجليلة ، ثم وزر للمعتد ، ومات سنة ٢٧٩ وهو يتقلد للمعتد ديوان الضياع ببغداد »
أقول : وأكبر ظني أنه « المدبر » بفتح الباء .

(١) وفي أدب الكتاب : « ولكنى لا أجزي عنكما ، ولا أقتل بكما » .

(٢) في الأصل « أدب الكتاب » طال وهو تحريف .

١٣٦ - كتاب أبي العباس المبرد إلى إبراهيم بن المدبر

وقال أبو الحسن الأخفش^(١) علي بن سليمان : استهدى إبراهيم بن المدبر أبا العباس^(٢) محمد بن يزيد جليسا يجمع إلى تأديب ولده الإمتاع بإيناسه^(٣) ، فندبني لذلك وكتب إليهِ معي :

« قد أنفذت إليك - أعزك الله - فلانا وَجْهًا أمره أنه كما قال الشاعر :

إذا زرتُ الملوك فإن حسبي شفيعاً عندهم أن يخبروني »

(زهر الآداب ١ : ١٤٤)

١٣٧ - كتاب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون

قال صاحب الأغاني :

وكتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون في أيام نكبته يسأله إذ كارت المتوكل والفتح بن خاقان بأمره :

(١) هو الأخفش الأصغر النحوي المعروف ، توفي سنة ٣١٥ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٣٣٢ ، والفهرست لابن التميمي ص ١٢٣ ، ونزهة الألبا في طبقات الأدبا ص ٣١٢ .

(٢) هو أبو العباس المبرد النحوي المشهور صاحب كتاب الكامل ، كان إماما في النحو واللغة ، روى عنه الأخفش المذكور ، وتوفي سنة ٢٨٥ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٤٩٥ والفهرست لابن التميمي ص ٨٧ ، ونزهة الألبا - ص ٢٧٩ .

جاء في وفيات الأعيان ١ : ٤٩٧ « والمبرد بضم الميم وفتح الباء والراء المشددة لقب عرف به ، واختاف العلماء في سبب تلقيه بذلك ، فالذي ذكره ابن الجوزي في كتاب الألقاب أنه قال : سئل المبرد لم لقب بهذا اللقب فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة فكرهت الذهاب إليه ، فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني ، فناء رسول الوالي بطلبني ، فقال لي أبو حاتم : ادخل في هذا ، يعني غلاف مزمنة (وهي البرادة التي يبرد فيها الماء) فارغا ، فدخلت فيه وغطى رأسه ، ثم خرج إلي الرسول ، وقال : ليس هو عندي ، فقال : أخبرته أنه دخل إليك ، فقال : ادخل الدار وفتشها ، فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يفتن لغلاف المزمنة ، ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزمنة المبرد المبرد ، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به ، وقيل إن الذي لقبه به شيخه أبو عثمان المازني ، وقيل غير ذلك » وجاء في الزهر للسيوطي ٢ : ٢٦٧ في « فصل في معرفة الألقاب وأسبابها » : « قال السيرافي : لما صنف المازني كتابه الألف واللام سأل المبرد عن دقيقة وعويصة فأجابته بأحسن جواب : فقال له : قم فأنت المبرد بكسر الراء أي المثلث للحق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء » .

(٣) ذكر صاحب الأغاني في ترجمة ابن المدبر أنه كان يتولى البصرة (ج ١٩ : ص ١٢٤) فالظاهر أن ذلك الاستهداء كان إيان توليه إياها ، وقد كان المبرد من أئمة النحويين البصريين .

كم ترى يَنْقَى عَلَى ذَا بَدَنِي ؟
 أَنَا فِي أَسْرِ وَأَسْبَابِ رَدِّي
 يَابْنَ حَمْدُونَ فَتَى الْجُودِ الَّذِي
 مَا الَّذِي تَرْقُبُهُ ، أَمْ مَا تَرَى
 وَأَبُو عِمْرَانَ مُوسَى حَتِيقُ
 وَعَبِيدُ اللَّهِ أَيْضًا مِثْلَهُ
 لَيْسَ يَشْفِيهِ سِوَى سَفْكَ دَمِي
 وَالْأَمِيرُ الْفَتْحُ إِنِ أَذْكَرَتَهُ
 قَالَ : صِدْقٌ حِينَ أَدْعُو بِاسْمِهِ
 قُلْ لَهُ : يَا حُسَيْنَ مَا أَوْلَيْتَنِي
 زَادَ إِحْسَانَكَ عِنْدِي عِظَمًا
 لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ أَجْزِيكَ بِهِ
 مَا رَأَى الْقَوْمُ كَذَنِّي عِنْدَهُمْ
 ذَاكَ فَعَلِي وَتُرَاثِي عَنْ أَبِي
 سُنَّةٌ صَالِحَةٌ مَعْرُوفَةٌ
 ظَفَرَ الْأَعْدَاءِ بِي عَنْ حِيلَةٍ
 لَيْتَ أَنِّي وَهُمْ فِي مَجْلَسٍ
 قَدْ بَلَى مِنْ طُولِ هَمٍّ وَصَنِي
 وَحَدِيدِ فَادِحٍ يَكْلِسُنِي ^(١)
 أَنَا مِنْهُ فِي جَنَى وَرَدٍ جَنِي ^(٢)
 فِي أَخٍ مَضْطَهَّدٍ مَرْتَهَنٍ
 حَاقِدٌ يَطْلُبُنِي بِالْإِخْنِ ^(٣)
 وَنَجَاحٍ بِي مُجِدِّ مَا يَنِي ^(٤)
 أَوْ يَرَانِي مُدْرَجًا فِي كَفَنِي
 حُرْمَتِي قَامَ بِأَمْرِي وَعُصْنِي
 وَسُرُورٌ حِينَ يَمُرُّو حَزَنِي
 مَا لِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ ثَمَنِ
 أَنَّهُ بَادٍ لِي يَعْزِفُنِي
 غَيْرَ أَنِّي مُثْقَلٌ بِالْمَنَنِ
 عَظُمَ ذَنْبِي أَنِّي لَمْ أَخْبِرْ
 وَاقْتَدَائِي بِأَخِي فِي السُّنَنِ
 هِيَ مِنَّا فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ
 وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُظْفِرَنِي
 يَظْهَرُ الْحَقُّ بِهِ لِلْفَطَنِ

(١) فدحه كمنعه : ألقاه . وكاه كضربه : جرحه .

(٢) الجنى كفتى : كل ما يجنى ، وتمر جنى كفتى : جنى من ساعته .

(٣) في الأصل « حاقن » وأراه محرفا ، والإخن : جمع إحنة بالكسر : وهي الحقد .

(٤) أي ما يفتقر . وفي الأصل « ونجاح في ... » وهو تحريف .

فَـتَرَى لِي وَلَهُمْ مَلْحَمَةً يَهْلِكُ الْخَائِنُ فِيهِمَا وَالِدَنِي^(١)
والذي أَسْأَلُ أَنْ يُنْصِرَـفَنِي حَاكِمٌ يَقْضِي بِمَا يَلْزُمُنِي
قُلْ لِحَمْدُونَ خَلِيلِي وَابْنِهِ وَلَعِيسَى حَرْكُوه يَا بَنِي^(٢)
فَلَمْ يَزَالُوا فِي أَمْرِهِ حَتَّى خَلَّصُوهُ . (الأغانى ١٩ : ١١٩)

١٢٨ — كتابه إلى عريب

وكان بين إبراهيم بن المدبر وبين عريب^(٣) المغنية حال مشهورة ، كان
يهواها وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة .
وقد كتبت إليه مِنْ سُرٍّ مَنْ رَأَى كتابا تتشوقه فيه ، وتخبره
باستيحاشها له ، واهتمامها بأمره ، وأنها قد سألت الخليفة في أمره ، فوعدها
بما تحب .

فأجابها عن كتابها ، وكتب في آخر الكتاب :

لَعَمْرُكَ مَا صَوْتُ بَدِيعِ لِعَبْدٍ^(٤) بِأَحْسَنَ عِنْدِي مِنْ كِتَابِ عَرِيبٍ
تَأَمَّلْتُ فِي أَثْنَائِهِ خَطَّ كَاتِبٍ وَرِقَّةَ مُشْتَاكِ ، وَلَفْظَ خَطِيبٍ
وَرَاجَعَنِي مِنْ وَصْلِهَا مَا اسْتَرْقَنِي وَزَهَّدَنِي فِي وَصْلِ كُلِّ حَبِيبٍ
فَصَرْتُ لَهَا عَبْدًا مُقَرَّرًا بِلَدِّهَا وَمُسْتَمْسِكًا مِنْ وَدِّهَا بِمَنْصِبٍ^(٥)
(الأغانى ١٩ : ١١٦)

(١) الملحمة : الواقعة العظيمة القتل .

(٢) قال صاحب الأغانى : يعنى يا بنى الزانية .

(٣) انظر أخبارها في الأغانى ١٨ : ١٧٥ .

(٤) هو معبد بن وهب المغنى المشهور ، كان في عهد الدولة الأموية ، ومات في أيام الوليد بن يزيد
بدمشق — انظر ترجمته في الأغانى ١ : ١٨ .

(٥) وقد أورد صاحب الأغانى مكاتبات شعيرة بين إبراهيم بن المدبر وبين عريب وغيرها فارجع إليها فيه

١٢٩ - كتاب لابن المدبر

ولابن المدبر :

« وصل كتابك المفتتح بالكتاب الجميل ، والتقرير اللطيف ، فلولاً ماغلب على من السرور بسلامتك ، لتقطع غمّاً بعتابك ، الذي لطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والفطنة ، وغلط حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ، فلا أعدمى الله رضاك مجازياً به على ما استحقته عتبتك ، فأنت ظالم فيه ، وعتابك ولي المخرج منه » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٤)

١٣٠ - الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر

وهي رسالة في موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها أبو اليسر إبراهيم بن محمد بن المدبر :

« بسم الله الرحمن الرحيم : فتق الله بالحكمة ذهنك ، وشرح بها صدرك ، وأنطق بالحق لسانك ، وشرف به بيانك . وصل إلى كتابك العجيب الذي استفهمتى فيه - بجوامع كلامك - جوامع أسباب البلاغة ، واستكشفتني عن غوامض آداب أدوات الكتابة : سألتني أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته ، وحدود نخامة المعنى وجزأته ، ورشاقة نظم الكتاب ، ومشاكلة سرده ، وحسن افتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله ، واعتدال فصوله ، وسلامتهما من الزلل ، وبُعدهما من الخطأ^(١) ، ومتى يكون

الكاتب مستحقاً اسم الكتابة ، والبلغ مُسَمَّاه معاني البلاغة ، في إشارته واستعارته ، وإلى أى أدواته هو أحوج ، وبأى آلاته هو أعمل ، إذا حصَّص^(١) الحق ، ودُعِيَ إلى السَّبْقِ ، وفهمته .

وأنا راسم لك - أيدك الله - من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك ، ويسبر عن جملة سؤالك ، وإن طوَّلت في الكتاب وعرضت ، وأطنبت في الوصف وأسهببت ، ومُستقص على نفسى في الجواب ، على قدر استقصائك في السؤال ، وإن أخلَّ به التَّيَاتُ^(٢) الحال ، وسكون الحركة ، وفُتُورُ النشاط ، وانتشار الروية ، وتقشُّمُ الفكر ، واشتراك القلب ، والله المستعان .

اعلم - أيدك الله - أن أدوات ديوان جميع المحاسن ، وآلات المكارم ، طائفة منقادة لهذه الصناعة التي خطبتها ، وتالية تابعة لها ، وغير خارجة إلى جحد أحكامها ، ولا دافعة لما يلزمها الإقرار به لها ، إضراراً منها إليها ، وعجزاً عنها ، فإن تقاضت نفسك علمها ، ونازعتك هممتك إلى طلبها ، فاتخذ البرهان دليلاً شاهداً ، والحق إماماً قائداً ، يقرب مسافة ارتيادك ، ويسهل عليك سبل مطالبتها ، واستوهب الله توفيقاً تستنجح به مطالبتك ، واستمنحه رشداً يقبل إليك بوجه مذهبك ، فاقصد في ارتيادك ، وتأمل الصواب في قولك وفعلك ، ولا تسكن إلى جحود قصد السابق باللجاج ، ولا تخرج إلى إهمال حق المصيب بالمعاندة والإنكار ، ولا تستخف

(١) حصص : وضع واستبان .

(٢) التيات . الاختلاط والالتفاف .

بالحكمة ، ولا تُصَغِّرُهَا حيث وجدتْها ، فَتَرْحَلْ نَافِرَةً عَنْ مَوَاطِنِهَا مِنْ قَلْبِكَ ، وَتَظْعَنْ شَارِدَةً عَنْ مَكَانِهَا مِنْ بَالِكَ ، وَتَتَعَفَّى ^(١) بَعْدَ الْعِمَارَةِ مِنْ قَلْبِكَ آثَارُهَا ، وَتَنْظُمِسَ بَعْدَ الْوُضُوحِ أَعْلَامُهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَكْتِسَابَ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّكَلُّفِ ، وَطَوِيلِ الْاِخْتِلَافِ إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَمَدَارِسَةِ كُتُبِ الْحِكْمَاءِ ، فَإِنْ أَرَدْتَ خَوْضَ بَحَارِ الْبَلَاغَةِ ، وَطَلَبْتَ أَدَوَاتِ الْفَصَاحَةِ ، فَتَصَفَّحْ مِنْ رِسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، وَمِنْ رِسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ ، فِي تَلْقِيحِ ذَهْنِكَ ، وَاسْتِنْجَاحِ بِلَاغَتِكَ ، وَمِنْ نَوَادِرِ كَلَامِ النَّاسِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ ، وَمِنْ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ وَالْأَنْبِيَاءِ ^(٢) مَا يَتَسَّعُ بِهِ مَنْطِقُكَ ، وَيَعْذُبُ بِهِ لِسَانُكَ ، وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ ، وَانْظُرْ فِي كُتُبِ الْمَقَامَاتِ وَالْخُطَبِ ، وَمَحَاوِرَاتِ الْعَرَبِ ، وَمَعَانِي الْعَجَمِ ، وَحُدُودِ الْمَنْطِقِ ، وَأَمْثَالِ الْفَرَسِ وَرِسَائِلِهِمْ وَعَهْودِهِمْ ، وَسِيَرِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ ، وَمَكَايِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ تَتَوَسَّطَ فِي عِلْمِ النُّحُوِّ وَالتَّصْرِيفِ وَاللُّغَةِ وَالْوَثَائِقِ وَالسُّورِ وَالشُّرُوطِ كَكُتُبِ السَّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ ، وَتَمَهَّرَ ^(٣) فِي نَزْعِ آيِ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهَا ، وَاجْتِلَابِ الْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِنِهَا ، وَاخْتِرَاعِ الْأَلْفَاظِ الْجَزَلَةِ ، وَقَرَضِ الشُّعْرِ الْجَيِّدِ وَعِلْمِ الْعُرُوضِ ، فَإِنْ تَضَمَّنَ الْمَثَلَ السَّائِرَ ، وَالْبَيْتَ الْغَابِرَ الْبَارِعَ ، مِمَّا يَزِينُ كِتَابَتَكَ ، مَا لَمْ تَخَاطِبْ خَلِيفَةً أَوْ مَلِكًا جَلِيلَ الْقَدْرِ ، فَإِنْ اجْتَلَابَ الشُّعْرَ فِي كُتُبِ الْخُلَفَاءِ

(١) تعفَى الأثر : درس واتسجى .

(٢) في الأصل « والأنبياء » وهو تحريف .

(٣) وفي العقد « لتكون ماهرا » .

وَالْجِلَّةُ الرُّؤْسَاءُ ، عَيْبٌ وَاسْتَهْجَانٌ لِلْكِتَابِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْقَارِضُ
لِلشَّعْرِ وَالصَّانِعِ لَهُ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي أُبْهَتِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى بَرَاعَتِهِ ، وَإِنْ
شَدَّوتَ^(١) مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ مَا لَا يَشْغُلُكَ مَحَلُّهُ ، وَتَنْقِيتَ مِنْ هَذِهِ الْفُنُونِ
مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِطَالَةِ قَلَمِكَ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِ^(٢) بَيَانِكَ .

بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ صَحِيحَ الْقَرِيحَةِ ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ ، عَذْبَ الْأَلْفَاظِ ،
دَقِيقَ الْفَهْمِ ، حَسَنَ الْقَامَةِ ، بَعِيداً مِنَ الْقَدَامَةِ^(٣) ، خَفِيفَ الرُّوحِ ، حَازِقَ
الْحِسِّ ، مُخَنِّكاً بِالتَّجَرُّبَةِ ، عَالِماً بِحُلَالِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَحَرَامِهِمَا ، وَبِالْمُلُوكِ
وَسَيَرِهَا وَأَيَامِهَا ، وَبِالْدَّهْوَرِ فِي تَقْلُبِهَا وَتَدَاوُلِهَا ، مَعَ بَرَاعَةِ الْأَدَبِ ، وَتَأْلِيفِ
الْأَوْصَافِ ، وَمَشَاكِلَةِ الْإِسْتِعَارَةِ ، وَحُسْنِ الْإِشَارَةِ ، وَشَرْحِ الْمَعْنَى بِمَثَلِهِ مِنَ
الْقَوْلِ ، حَتَّى تَنْصَبَ صُوراً مَنْطِيقِيَّةً تُعَرِّبُ عَنْ أَنْفُسِهَا ، وَتَدُلُّ عَلَى أَعْيَانِهَا ،
لَأَنَّ الْحُكَمَاءَ قَدْ شَرَطُوا فِي صِفَاتِ الْكِتَابِ : اعْتِدَالَ^(٤) الْقَامَةِ ، وَصِغَرَ الْهَامَةِ^(٥) ،
وَخِفَةَ اللَّهَازِمِ^(٦) ، وَكَثَافَةَ اللَّحِيَةِ ، وَصِدْقَ الْحِسِّ ، وَلُطْفَ الْمَذْهَبِ ، وَحِلَاوَةَ
الشَّمَائِلِ ، وَخِفَةَ الْإِشَارَةِ ، وَمِلَاحَةَ الزَّرِيِّ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْمَهَابِلَةِ^(٧) لَوْلَدِهِ :
« تَزَيَّوْا بِزِيِّ الْكِتَابِ ، فَإِنْ فِيهِمْ أَدَبَ الْمُلُوكِ ، وَتَوَاضَعَ الشُّوْقَةُ » .

وَمِنْ كَمَالِ آلَةِ الْكِتَابَةِ : أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ بِهِيَّ الْمَلْبَسِ ، نَظِيفِ

(١) شَدَا : أَخَذَ طَرَفًا مِنَ الْأَدَبِ .

(٢) الْأَوْدُ : الْأَعْوَجَاجُ .

(٣) الْقَدَامَةُ : الْمَيِّتُ عَنِ الْكَلَامِ فِي ثَقُلٍ وَرَخَاوَةٍ وَقِلَّةِ فَهْمٍ ، فَدَمٌ كَكَرْمٍ فَهُوَ فَدَمٌ كَصَعْبٍ .

(٤) فِي رِسَائِلِ الْبَلْغَاءِ « طَوْلُ الْقَامَةِ » .

(٥) الْهَامَةُ : الرَّأْسُ .

(٦) اللَّهْزِمَتَانِ : نَاتَانِ تَحْتَ الْأُذُنَيْنِ مِنَ أَعْلَى اللَّحْيَيْنِ وَالْحَدِيدَيْنِ .

(٧) الْمَهَابِلَةُ : بَنُو الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ .

المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك . مُستفْرَه^(١) المرْكَب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية . عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة .

وإذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم ، نخاطب كلاً على قدر أبنته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وتفطنه وانتباهه ، واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام ، فأربعة منها للطبقة العلوية ، وأربعة دونها ، ولكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمة حظ لا يتسع للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ، ويقلب معناها إلى غيرها . فالطبقة العليا : الخلافة التي أجل الله قدرها ، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير والمخاطبة والترسل . والطبقة الثانية الوزراء والكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، ويرتقون الفتوق بآرائهم ، ويتجملون بآدابهم . والطبقة الثالثة : أمراء تغورهم وقواد جيوشهم ، فإنه يجب مخاطبة كل امرئ منهم على قدره وموضعه وحظه وغنائه^(٢) وجزائه واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم ، وجلال أعمالهم . والطبقة الرابعة : القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فمعهم أبهة السلطنة ، وهيبة الأمراء .

(١) الفاره من الدواب : الجيد السير ، واستفْرَهها : استكرمها : أي انتقاها كريمة فارمة .

(٢) أي كفايته .

أما الطبقات الأربع الأخرى ، فهم الملوك الذين أوجبت نعمتهم تعظيمهم في الكتب إليهم ، وأفضأهم تفضيلهم فيها . والثانية : وزراؤهم وكتائبهم وأتباعهم الذين بهم تُقرَع أبوابهم ، وبضائيتهم تستباح^(١) أموالهم . والثالثة : هم العلماء الذين يجب توقيروهم في الكتب ، لشرف العلم وعلو درجته أهله . والرابعة : أهل القدر والجلالة والظرف والحلاوة والطلاوة^(٢) والعلم والأدب ، فإنهم يضطرونك بحدة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم .

واستغنيانا عن الترتيب للتجار والسوقة والعوام رتبة ، لاستغنائهم بتجاريتهم عن هذه الآلات ، واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الأدوات .

ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهبٌ يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك إياهم في كتبك ، فتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتُعطيَه قِسْمَه ، وتوفيه نصيبه ، فإنك متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم في غير مسلكهم ، وتجرى شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه .

فلا تُعتد^(٣) بالمعنى الجزل ما لم تُلبسه لفظاً جزلاً لا تقا بمن كاتبتَه ، ومشاها لمن راسلته ، فإن البأساك المعنى - وإن شرف وصلح - لفظاً مختلفاً عن قدر المکتوب إليه ، لم تجر به عادتهم ، تهجين^(٤) المعنى ، وإخلال بقدره ،

(١) استباحه : سأله العطاء ، وفي العقد « تستباح » وهو تحريف .

(٢) الطلاوة مثله : الحسن والبهجة .

(٣) في رسائل البلغاء « فلا يفيد المعنى الجزل » .

(٤) التهجين : التقييح .

وظلم لحق المكتوب إليه ، ونقص مما يجب له ، كما أن في اتباع^(١) تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم ، قطعاً المذرم ، وخر وجامن حقوقهم ، وبلوغاً إلى غير غاية مرادهم ، وإسقاطاً للحجة أدبهم ، فمن^(٢) الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها ، في كتب السادات والأمراء والملوك - على اتفاق المعاني - مثل : « أبقاك الله طويلاً » و « عمرك ملياً^(٣) » وإن كنا نعلم أنه لا فرقان بين قولهم : « أطال الله بقاءك » وبين قولهم : « أبقاك الله طويلاً » ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنبه قدراً ، في مخاطبة الملوك ، كما أنهم جعلوا : « أكرمك الله وأبقاك » أحسن منزلةً في كتب الفضلاء والأدباء ، من « جعلتُ فداك » على اشتراك معناه ، واحتماله أن يكون فداءً من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداءً له من الشر ، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : « ازم ، فداك أبي وأمي » لكرهتُ أن يكتب بها أحد ، على أن كتاب العسكر وعوامهم قد أولعوا بهذه اللفظة ، حتى استعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعلوها هجيراًهم^(٤) في مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير ، ولذلك قال محمود الوراق :

كُلُّ مَنْ حَلَّ « سُرَّ مَنْ رَا » مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يُصَاحِبِ الْأَمْلَكَ
لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مِثْلًا فِي طَرِيقٍ قَالَ لِلْكَلْبِ : يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ
وَكَذَلِكَ لَمْ يُجِزُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِمِثْلِ « أبقاك الله وأمتع بك » إِلَّا إِلَى الْحُرْمَةِ

(١) في رسائل البغاء « كما أن في امتناع تعارفهم . . وضعاً لقدمهم » وهو تحريف .

(٢) في المقدم « ضمن » وهو تحريف .

(٣) عمره الله وعمره : أبواه ، واما : أي دهرًا طويلاً ، والفرق والفرقان واحد .

(٤) يقال : هذا هجيره : أي دأبه وشأنه .

والأهل والتابع المنقطع إليك ، وأما في كتب الإخوان فقيرٌ جائزٌ ، بل مذمومٌ مرغوبٌ عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَحُلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتَ مُكَافَأَتِي فِي كُتُبِكَ؟^(١)
 أَمْ هَلْ تَرَى أَنَّ فِي التَّوَاضُعِ لِلْإِخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ؟
 أَتَعَبْتُ كَفِّيكَ فِي مَكَاتِبِي حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعَبِكَ
 إِنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي أَدَبٍ يَكْتُبُ فِي صَدْرِهِ : « وَأَمْتَعْ بِكَ »^(٢)
 فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلَهُ فَلَنْ تَرَاهُ يُخْطُ فِي كُتُبِكَ
 فَاعْفُ - فَدَتِكَ النُّفُوسُ - عَنْ رَجُلٍ يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ
 كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ
 إِنْ يَكُ جَهْلًا أَتَاكَ مِنْ قَبْلِي فَعُدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
 وَأَمَّا صَدُورُ السَّلَفِ فَإِنَّمَا كَانَتْ مِنْ فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ إِلَى فَلَانٍ ، كَذَلِكَ جَرَتْ
 كُتُبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ ، وَإِلَى أَقْيَالِ
 الْبَيْنِ ، وَإِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرٍ ، وَكُتِبَ أَصْحَابُهُ وَالتَّابِعِينَ كَذَلِكَ ، حَتَّى
 اسْتَخْلَصَ الْكُتُبَ هَذِهِ الْمُحَدَّثَاتِ مِنْ بَدَائِعِ الصُّدُورِ ، وَاسْتَنْبَطُوا لَطِيفَ
 الْكَلَامِ ، وَرَتَّبُوا لِكُلِّ رَتْبَةٍ ، وَجَرَّوْا عَلَى تِلْكَ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ إِلَى عَصْرِنَا

(١) حال يحول : تحول وتغير ، والنيه بالكسر : الكبر والصلف .

(٢) وفي رواية العقد الفريد :

أَكَانَتْ حَقًّا كِتَابُ ذِي مَقَّةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : « وَأَمْتَعْ بِكَ » ؟

هذا في كتب الخلفاء والأمراء ، وثبتوا على ذلك المنهاج في كتب الفتوحات والأمانات والسجلات .

ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزنٌ ينبغي للكاتب أن لا يتجاوز به عنه ، ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحوص^(١) حين خاطب الملوك بمخاطبة العوام في قوله :

وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الحديث ، يقول ما لا يفعل^(٢) فهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجَّلُوا أقدار الملوك أن يُمدِّحوا بما يمدح به العوام ، لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان مدحا ، فهو واجب على كلٍّ ، والملوك لا يُمدِّحون بالفروض الواجبة ، وإنما يحسن مدحهم بالنوافل^(٣) ، لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لاتزني بحليلة^(٤) جارك ، وإنك لاتخون ما استودعت ، وإنك تصدق في وعدك ، وتفي بعهدك ، كان قد أثنى بما يجب ، ولكنه لم يصل بثنائه إلى مقصد ، وقال مالا يستحسن مثله في الملوك .

ونحن نعلم أن كل أميرٍ تولى من أمور المؤمنين شيئا فهو أمير المؤمنين ، غير أنهم لم يُطلقوا هذه اللفظة إلا للخلفاء خاصة ، ونعلم أن الكيس هو العقل إذا عَنَّا به ضدَّ الحمق^(٥) ، ولكنك لو وصفت رجلا فقلت : « إن

(١) شاعر أموى من أهل المدينة توفى سنة ١٠٥ - انظر ترجمته في الأغاني ٤ : ٤٠ ، والشعر والشعراء ص ٢٠٤ .

(٢) مَذِقُ اللبن كنصر مذاقا فهو ممدوق ومذيق ومذق كفرح : خلطه بالماء ، ومنه قيل : فلان يمدق الود : إذا لم يخلصه .

(٣) النوافل : جمع نافلة ، وهى ما نفعه مما لم يجب .

(٤) الحليلة : الزوجة .

(٥) وله معان أخر ، وهى : الجود والطيب والجماع والغلبة بالكياسة .

فلاناً لما قلَّ « كنت قد مدحته عند الناس ، ولو قلت : « إنه كَيْسٌ » كنت قد قصرت به عن وصفه ، وصغرت من قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ، لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة إلا إلى حيث جرت منها العادة في استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة مع الحداثة والغربة وخساسة النفس وصغر السن ، وقد روينا عن علي رضي الله عنه أنه تَبَجَّح^(١) بالكَيْس حين بنى سجن الكوفة فقال في ذلك :

أَمَا تَرَانِي كَيْسًا مُكَيِّسًا بنيتُ بعد نافعٍ مُخَيِّسًا^(٢)

* حِصْنًا حَصِينًا وَأَمِينًا كَيْسًا^(٣) *

وقال الشاعر : « ما يصنع الأحمق الرزوقُ بالكَيْسِ ؟ ونَعْلَمُ أن الصلاة رحمة ، غير أنهم قد حرّموها^(٤) إلا على الأنبياء ، كذلك رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنه ، وسمع سعد بن أبي وقاص أخا له يُبَلِّغِي ويقول في تلميته : « لَبَيْكَ يَا ذَا الْمَعَارِجِ^(٥) » فقال : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس كذلك كنا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنا نقول :

(١) تبجج بالشيء : إذا فخر به ، وفي العقد « أنه تسمى بالكَيْسِ » .
(٢) الكَيْسُ المَكَيْسُ : الظريف والمعروف بالكَيْس ، والمُخَيِّسُ بكسر الياء المشددة وفتحها : السجن ، لأنه يُخَيِّسُ المحبوسين أي يذلهم ، أو هو موضع التخيس ، واسم سجن بناه علي رضي الله عنه بالكوفة ، وكان أولاً بنى سجنًا بها سماه نافعاً ، وكان غير مستوثق البناء - وكان من قصب - فكان المحبوسون يهربون منه ، وقيل إنه نقب وأقلت منه المحبسون ، فهدمه علي وبني لهم المُخَيِّس من مدر ، وجاء في شفاء الغليل ص ١٠٩ : « ولم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم سجن ، وكان يحبس في المسجد أو في الدهليز حيث أمكن ، فلما كان زمن سيدنا علي رضي الله عنه أحدث السجن ، وكان أول من أحدثه في الاسلام ، وسماه نافعاً ولم يكن حصيناً ، فانقلت الناس منه ، فبنى آخر وسماه مخيساً وقال فيه . . . » .

(٣) في الأصل « وأميراً » وفي اللسان والقاموس والشفاء « وأمينا » .

(٤) في العقد « كرهوا الصلاة » .

(٥) المعارج بكسر الميم والمعرج بكسرها وفتحها : السلم . والمرقاة (بالكسر والفتح أيضاً) .

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ » وكان أبو إبراهيم المُرَازِيّ قال في بعض ما خاطب به داود ابن خَافِ الأَصْبَهَانِي : « وإن قال كذا فقد خرج عن المِلَّةِ ، والحمد لله » فنَقَضَ ذلك عليه داود ، وقال فيما رد عليه : تَحْمَدُ اللهَ على أن تُخْرِجَ امرأ مسلماً من الإسلام ! هذا موضع استرجاع ، وللحمد مكانٌ يليق به ، وإنما يقال في المصيبة : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ »

فامتثل هذه الرسوم والمذاهب ، وأجر على آدابهم ، فاسكّر رسومَ امتثلوها ، وتحفظ في صدور كتبك وفصولها ، وافتتاحها وخاتمها ، وضع كل معنى في موضع يليق به ، وتخيّر لكل لفظة معنى يُشَاكِلُها ، وليكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر الشكوى بمثل : « والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » وفي موضع ذكر البُلُوْى : « نسأل الله دفع المحذور ، ونسأل الله صرف السوء » وفي موضع ذكر المصيبة بمثل « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » وفي موضع ذكر النعم بمثل : « والحمد لله خالصاً ، والشكر لله واجباً » فإنها مواضع ينبغي للكاتب تفقدها ، فإنما يكون كاتباً إذا وضع كل معنى في موضعه ، وعلّق كل لفظة على طبقها من المعنى ، فلا يجعل أول ما ينبغي له أن يكتب في آخر كتابه في أوله ، ولا أوله في آخره ، فإنى سمعت جعفر بن محمد الكاتب يقول : « لا ينبغي للكاتب أن يكون كاتباً ، حتى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ، ولا يقدم آخره » .

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتى في آى القرآن ، من الاختصار والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام ، والعام بالخاص ، لأن الله سبحانه

وتعالى إنما خاطب بالقرآن قوما فصحاء ، فهموا عنه جل ثناؤه أمره ونهيته ومُراده ، والرسائل إنما يخاطب بها قوم دُخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب ، وكذلك ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس ، فإنه إن ذهب الكاتب على مثل قوله تعالى : « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ^(١) » وقوله : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » أحتاج أن يبين معناه : بل مكركم بالليل والنهار ، ومثل هذا في القرآن كثير لا يتسع الكتاب لذكره .

وكذلك لا يجوز أيضا في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الأشعار الموزونة ، لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور ^(٢) مقيد بالوزن والقوافي ؛ فلذلك أجازوا لهم صرَفَ ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها ، واغتفروا فيه الإغراب وسوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ، وذلك كله غير مُسَاغ ^(٣) في الرسائل ولا جائز في البلاغات ، فما في الشعر من الحذف :

قول الشاعر : « قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي ^(٤) » يبنى الحمام
وقول الآخر : « صِفْرُ الْوِشَاحَيْنِ صَمُوتُ الْخَلْخَلِ ^(٥) » يريد الخلخال

(١) تأويله : واسأل أهل القرية .

(٢) أي مقيد ، من القصر وهو الحبس .

(٣) من أساغ فلان الصراب : إذا ابتلعه بسهولة ، وفي القيد « منساغ » أي جائز ، بناء من انساغ وجعله مطاوعا لساغ ، يقال : ساغ له ذلك ، أي جاز فهو سائغ أي جائز ، ولا داعي إلى استعمال المطاوع هنا مادام الفعل يؤدي المعنى .

(٤) قاله العجاج ، ويروى في شواهد كتب النحو (باب إعمال اسم الفاعل) « أوألفا » ، وورق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة التي يضرب يياضها إلى سواد ، والحمي : أصله الحمام حذفت الميم الأخيرة وقلبت الألف ياء ، وقلبت الفتحة كسرة للروى .

(٥) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر ، تشبه المرأة بين عاتقها وكشحيها ، والصفر : الخالي ،

وكقول الآخر: « دَارٌ لِسَمَى إِذِهِ مِنْ هَوَاكَ^(١) » يريد إذهي
وكقول الحطيئة:

فيه الرماح وفيه كل سابغة جدلاً مسرودة من صنم سلام^(٢)

وصفر الوشاحين: أي ضامرة الخصرين، وقال صاحب اللسان: « والخلخل تجعفر ويرقع من الخلى: معروف، قال الشاعر: « برأقة الجيد صموت الخلل » ثم قال: « والخلخال كالخلخل، والخلخل لغة في الخلخال أو مقصور منه، واحد خلاخيل النساء ».

(١) جاء في شرح التصريح (١: ١٠٣): « وفي هو وهي، الجميع ضمير، وهو مذهب البصريين، وذهب السكوفيون إلى أن الضمير هو الهاء فقط، والواو والياء لإشباع » وفي حاشية الصبان (١: ٨٩): « وقد تحذف الواو والياء منهما اضطراراً، وتسكنهما قيس وأسد، وتشدهما همدان ».

أقول: ومما جاء بالتشديد قول الشاعر:

وإن لسانى شهدة يشقى بها وهو على من صبه الله علقم
وهاك كلمة لصاحب اللسان في هذا الصدد قال: « قال السكائي: هو، أصله أن يكون على ثلاثة أحرف مثل أنت، فيقال: هو فعل ذلك، ومن العرب من يخففه فيقول: هو فعل ذلك، وحكي السكائي عن بني أسد وتميم وقيس: هو فعل ذلك، باسكان الواو، وأنشد لعبيد:
وركضك لولا هو لقيت الذي لقوا فأصبحت قد جاوزت قوماً أعاديا
وقال السكائي: بعضهم يلق الواو من هو إذا كان قبلها ألف ساكنة فيقول: حناه فعل ذلك وإعناه فعل ذلك، قال: وأنشد أبو خالد الأسدي:

* إذاه لم يؤذن له لم يتيس *

قال: وأنشدني خشاف:

إذاه سام الحسف آلى بقسم بالله لا يأخذ إلا ما احكم

قال: وأنشدنا أبو مجالد للعجير السلولي:

فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن جل رث المتاع نجيب

وقال ابن جني: إنما ذلك لضرورة في الشعر، وللتشبيه للضمير بالتفصيل بالضمير المتصل في عصاه وقناه، ولم يقيد الجوهرى حذف الواو من هو بقوله إذا كان قبلها ألف ساكنة، بل قال: وربما حذفت من هو الواو في ضرورة الشعر، وأورد قول الشاعر: فبيناه يشرى رحله... وكذلك الياء من هي، وأنشد: « دار لسعدى إذه من هواك » اه - لسان العرب ج ٢٠: ص ٣٦٦.

(٢) الهاء في فيه تعود على قوله في بيت قبله:

وجحفل كبهم الليل منتجع أرض العدو بيؤس بعد إلعام

ودرع سابغة: تامة طويلة، ودرع جدلاء: محكمة، والسرد: نسج الدرع، وسلام: يعني سليمان بن داود عليهما السلام - وإنما أراد داود - وكان يصنع الدروع، قال تسالي فيه: « وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ » وقال: « وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ

لِبُيُوسٍ لَكُمْ لَتُحْصِنَنَّكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ » واللبوس: الدرع، والبيت من قصيدة للحطيئة في

مدح أبي موسى الأشعري - انظر ديوان الحطيئة ص ٣٦.

يريد سليمان بن داود ، وكقول النابغة : « وَنَسِجُ سُلَيْمٍ كُلَّ قَضَاءِ ذَائِلٍ ^(١) »

وقول الآخر : « مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ ^(٢) »

وقول الآخر : « وَالشَّيْخَ عَثْمَانَ أَبِي عَفَّانٍ »

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر

وسائلة بطلبة بن سبيير وقد عاقت بطلبة العلوق ^(٣)

أراد ثعلبة بن سيار ، وقول الآخر :

وَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ ^(٤)

أراد ولكن :

وكذلك ينبغي في الرسائل ألا يصغر الاسم في موضع التعظيم ، وإن

كان ذلك جائزا ، مثل قولهم : دَوِيْهِية تصغير داهية ، وجذيل تصغير جذل ،

وعذيق تصغير عذق ، قال ليبد :

(١) هو شطر بيت من قصيدة للنابغة الذبياني ، قالها في وقعة غزو عمرو بن الحارث الأصغر
الغساني لبي مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان - انظر ديوان النابغة ص ٩١ - والبيت :

وكل صموت ثلثة تبعة ونسج سليم كل قضاء ذائل

والصموت كصبور : الدرع الثقيلة ، والثلثة بالفتح : الدرع الواسعة ، وتبعة نسبة إلى تبّع ،
وسليم : أي سليمان ، يريد داود كما تقدم ، والقضاء : الدرع المحكمة ، ودرع ذائل وذائلة ومذالة
يضم الميم : طويلة .

(٢) هو شطر بيت للأسود بن يعفر - انظر لسان العرب ١٥ : ١٩٣ - والبيت :

ودعا بمحكمة أمين سكها من نسج داود أبي سلام

(والسك بالفتح : الدرع الضيقة الحلق) قال صاحب اللسان : وقالوا في سليمان اسم النبي صلى الله
عليه وسلم : سليم وسلام فغيروه ضرورة ، قال : ومثل ذلك في أشعارهم كثير ، واستشهد بالأبيات
الثلاثة المذكورة ، وشاهد آخر وهو :

مضاعفة تضيها سليم كأن قتيها حديق الجراد

(والقتير بالفتح : رءوس مسامير حلق الدرع) .

(٣) العلوق : النية ، وجاء في اللسان (٦ : ٥٨) « جعله سيرا للضرورة ، لأنه لم يمكنه سيار

لأجل الوزن ، قال ابن بري : البيت للمفضل الزكري يدكر أن ثعلبة بن سيار كان في أسرهِ » .

(٤) البيت للنجاشي من أبيات قالها في ذئب لقيه على ماء فدعاه أن يؤاخيهِ - انظر الأبيات في

حاشية الأمير على المغني ج ١ : ص ٢٠٨ - .

وكلُّ أناسٍ سوف تدخل بينهم دُويهيَّةٌ تصفرُّ منها الأناملُ ^(١)
وقال الحباب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة : « أنا مُذيقُها الرُجَبُ ،
وجُذيلُها المُحَكِّكُ ^(٢) »

ومما لا يجوز في الرسائل ، وكرهوه في الكلام أيضاً ، مثل قولهم :
كملتُ إياك وأعني إياك ، وهو جائز في الشعر ، قال الشاعر :
وأحسِن وأجمل في أسيرك إنه ضميقةٌ ، ولم يأسِرْ كإياك أسِرْ
وقال الراجز : « إياك حتى بلغتُ إياك »
وإساءةُ النظم في التأليف في الشعر كثير .

وتكون الكلمة بشمة حتى إذا وُضعت موضعها ، وقُرئت مع أخواتها ،
حسُن حالها وراقت ، كقول الحسن بن هاني ^(٣) : « ذو خَصِرٍ أَفَلَّتْ مِنْ
كَدِّ الْقُبُلِ ^(٤) » والكُدُّ كلمة قليقة لا سيما في الرقيق والغزل والتشبيب ،
غير أنها لما وقعت في موضعها حسُنت ، كما أن اللفظة العذبة إذا لم توضع
موضعها فقرت ، قال الشاعر :

رَأَتْ عَارِضًا جَوَّهًا فَقَامَتْ غَرِيرَةً عِشْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّلَامِ تَبَادِيرُهُ ^(٥)

(١) المراد بالدويهيّة : الموت .

(٢) قال الحباب ذلك وقد قام يطالب بحق الأنصار في الخلافة - انظر جمهرة خطب العرب ١ : ٦٥ -
والجذيل تصغير الجذل (بالكسر) : وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجري لثحك به
وتسرس ، والمُحَكِّك : الذي تتحكك به ، والعذيق تصغير العذق (بالفتح) : وهو النخلة ، والمرجب
الذي جعل له رجة (كركبة) وهي دعامة تبني حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة
وظالت تخوفوا عليها أن تقع من الرياح العواصف ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستشفي برأيه وعقله
(٣) هو أبو نواس الشاعر العباسي المشهور .

(٤) ذو خصر : أي ذو ثغر خصر أي بارد ، وفي الأصل « خصر » وهو تصحيف .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق ، والجون : الأسود (والأبيض أيضاً ، ضد) والمسعاة
ماسحى به الطين ، أي قشر وجرف ، والغريرة : الثابتة لا تحجرة لها :

فَأَوْقَعَ الْجِلْفُ^(١) الْجَانِي هَذِهِ اللَّفْظَةَ غَيْرَ مَوْقِعِهَا ، وَظَاهَرَهَا إِذْ جَطَبَهَا فِي غَيْرِ
مَكَانِهَا ، لِأَنَّ الْمَسَاحِي لَا تَكُونُ وَلَا تُصْلِحُ لِلغَرَائِرِ ، وَأَيْنَ كَانَ عَنْ قَوْلِ
الشَّاعِرِ ؟

غَرَائِرُ ، مَا حَدَّثَنِي يَهُدِينَ أَنْسَهُ فَمَا فَوْقَهُ مِنْهُمْ غَيْرُ غَرَائِرِ
حَدِيثُ لَوْ أَنَّ الْعَصَمَ تُدْعَى بِهِ أَتَتْ وَدُونَ يَدِ الْفَحْشَاءِ حَدُّ الْبَوَاتِرِ^(٢)
فَتَخَيَّرَ مِنَ الْأَلْفَافِ أَرْجَحَهَا رِزْنًا ، وَأَجْزَلَهَا مَعْنَى ، وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا ، وَأَكْرَمَهَا
حَسَبًا ، وَأَلْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا ، وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا ، وَلِيَكُنْ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ
دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى مُرَادِكَ ، وَافْتِتَاحُ كَلَامِكَ بُرْهَانٌ شَاهِدٌ عَلَى مَقْصِدِكَ ، حَيْثَمَا
جَرَيْتَ فِيهِ مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ ، وَتَرَعْتَ نَحْوَهُ مِنْ مَذَاهِبِ الْخُطْبِ وَالْبَلَاغَاتِ^(٣) ،
فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْزَلُ لِمَعْنَاكَ ، وَأَحْسَنُ لِاتِّسَاقِ كَلَامِكَ ، وَلَا تُطِيلَنَّ صَدْرَ
كَلَامِكَ إِطَالَةً تُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّهِ ، وَلَا تَقْصُرْ بِهِ عَنْ حَقِّهِ ، وَلَوْ صُوِّرَ اللَّفْظُ
وَكَانَ لَهُ حَدٌّ ، لَوْ قَفْتُكَ عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ - فِي الْجُمْلَةِ - كَرِهُوا أَنْ يَزِيدُوا
صَدُورَ كُتُبِ الْمُلُوكِ عَلَى سَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ لَا تَعْبُرُ إِلَّا عَنِ الْجُمْلَةِ
مِنَ الْمَقْصُودِ إِلَيْهِ ، لِأَنَّ الْأَسْطَرَّ غَيْرَ مَحْدُودَةٍ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي لَكَ ، أَنْ تُصْلِحَ آتَتَكَ الَّتِي لَا بَدَلَكَ مِنْهَا ،
وَأَدْوَاتَكَ الَّتِي لَا تَتِمُّ^(٤) صِنَاعَتُكَ إِلَّا بِهَا ، وَهِيَ دَوَاتُكَ ، فَابْدَأْ بِعِمَارَتِهَا

(١) الجلف : الجاني .

(٢) أنسه : أى أنس الحديث ، والعصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذى فى ذراعيه بياض وسائر
أسود أو أحمر ، والبائر : السيف القاطع .

(٣) فى العقد « وأفضل السكيب ما كان فى أول كتابه دليل على حاجته ، كما أن أفضل الآيات ما دل
أول البيت على قافيته .

(٤) فى العقد « لا تشر »

وإصلاحها^(١) ، وتخير لها لينة^(٢) نقية من الشعر والودح ، لئلا يخرج على حرف قلمك ما يفسد كتابك ، ويشغلك بتنقيته ، وخذ من المداد الفارسي خمسة دراهم ، ومن الصمغ العربي درهما ، وعفصا^(٣) مسحوقا نصف درهم ، ورماد القرطاس المحرق درهمين ، ثم تسحقها وتغربلها ، وتجمعها ببياض البيض ، ثم بندقها^(٤) واجملها في الظل ، فإذا احتجت إليها أخذت منها مقدار حاجتك فكسرتة وحشوت به دواتك ، وإذا نعتته في ماء السلق حتى ينحل ويذوب ويختمر ، ثم أمددت من مائه دواتك ، كان أجود وأنتى .

ثم اختر بعد ذلك من أنابيب القصب الذي يصلح لكتابة القراطيس ، أقله عتدا ، وأكثفه لحما ، وأصلبه قشرا ، وأعدله استواء ، وتجنب الأقلام الفارسية ما استطعت ، فإنها ما تصلح إلا للكواغيد والرقوق^(٥) .

واجعل اقلامك برية حادة ، فإن تعثر يد الكاتب وقت قطع القرطاس ، ناقص مروءته ، ومحل بظرفه ، وإن قدرت ألا تقطع القرطاس إذا فرغت من كتابك إلا بخراطوم قلمك ، فافعل ، فإن ذلك أكمل لمروءتك ، وأبدع لظرفك وقطعك .

واستعمل لبري القلم سكينًا طواويسيًا^(٦) ، مذلّق الحد ، وميض

(١) وفي العقد « فلينع ربها لإصلاحها » أى فليجد .

(٢) اللينة : الصوفة التى توضع فى الدواة ، والودح : ماعلق بأصواف الغنم من البعر والبول .

وفى الأصل « الودح » وهو تصحيف .

(٣) العفص : الذى يتخذ منه الحبر ، مولد ، وليس من كلام أهل البادية .

(٤) أى اجعلها بنادق ، والبنديق : الذى يرمى به واحدة بندقة .

(٥) الرقوق : جمع رق بالفتح وبكسر : وهو جلد رقيق يكتب فيه .

(٦) نسبة إلى طواويس ، وهى اسم ناحية من أعمال بخارى بينها وبين سمرقند ، وذلق السكين وذلقه وأذلقه : حدده .

الطرف، فيكون ذلك عوناً لك على تزي أعلامك، فإن محل القلم من الكاتب محل الرُمح من الفارس، ولئن قيل كأنه الرمح الرُذيني^(١)، لقد قال الكاتب كأنه القلم البَحْرِيّ، وتفقد الأنوبة قبل بَرِيكها لثلاث جعلها منكوسة، وابرها من ناحية نبات القصبة، وأرهف^(٢) - ماقدرت - جانبي قلمك، ليرد ما انتشر من المداد، ولا تطل شقّه. فإن القلم لا ينجح المداد من شقّه إلا مقدار ما احتملت شُعْبَتاه^(٣)، فرقم شعبيته ليجمعاً لك حواشي تصويره .

وأما قطع القلم فعلى قدر القلم الذي يتعاطاه الكاتب من الخط، غير أن المُسَلْسِل^(٤) لا يكاد يتسلسل إلا بالقلم المربع القط، كما أن كتب الملوك والسجلات لا تحسن إلا بالقلم المحرف الكوفي، وأما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه والمقصود إليه في النوائب والمهمات .

ورأيت كثيراً من الكتاب يختارون قلم النرجس لتجعدده وتجانسه، ومن اللازورد أبسط منه وأقوم حروفاً، وأما الموشع والمولع والمدبج والمنعم والمسهّم، فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه، وأما حسن الخط

(١) الرديني : نسبة إلى ردينة، وهي امرأة سمير، وكانا يقومان الرماح بخط هجر .

(٢) رهفه كنع وأرهفه : رققه .

(٣) في الأصل « شبتاه »، فرفع شبتيه ليجمعاً لك حواشي تحضيره « وهو تحريف، جاء في أدب الكتاب ص ٨٦ : « من كلام مسلم بن الوليد، في صفة برى القلم قوله : « حرف قطه قلمك قليلاً ليعلق المداد به، وأرهف جانيبه ليرد ما استودعته إلى مقصده، وشق في رأسه شقا - غير عاد - ليحتبس الاستمداد عليه، ورفع من شعبيته ليجمعاً حواشي تصويره . . . » وأورد صاحب صبح الأعشى قول مسلم في ذلك (٣ : ٦) وفيه : « ما خلا قلماً جوف باريه بطنه ليعلق المداد به، وأرهف جانيبه ليرد ما انتشر منه إليه، وشق رأسه ليحتبس الاستمداد عليه، وأربع من شفتيه ليجمعاً حواشي تصويره إليه . . . » والصواب : ورفع من شعبيته كما قدمنا .

(٤) فصل القلقشندي في صبح الأعشى الكلام على أنواع الأعلام في الفصل الثاني من الباب الثاني في الخط - اقرأ هذا الفصل في ج ٣ : ص ٥ - ١٥٢ من باب الخط (ج ٢ : ص ٤٤٠ - ج ٣ : ص ٢٢٦)

فلمست أجد له حَدًّا أَقِفَ عليه أكثر من قول عليّ النَّصْرَ أَبَازِي^(١) الكاتب ، فإني سألتُه واستوصفته الخطَّ ، فقال : أعلمك الخط في كلمة واحدة ؟ فقلت له : تفضل بذلك ، فقال : لا تكتبن حرفاً حتى تستفرغ مجهودك في كتابة الحرف المبدوء به ، وتجعل في نفسك أنك لا تكتب غيره ، حتى لا تمجّل^(٢) عنه إلى غيره ، وإياك والنقط والشكل في كتابك ، إلا أن تمر بالحرف المعضّل الذي تعلم أن المكتوب إليه يجوز عن استخراجِه ، فإني سمعت سعيد بن حميد الكاتب يقول : « لَأَنْ يُشَكِّلَ على الحرف ، أحب إليّ من أن يعاب بالنقط والإعجام » وقال المأمون لكتّابه : إياكم والشؤون^(٣) في كتبكم ، يعني النقط ؛ ولذلك قال ابن هاني :

لم ترضَ بالإعجام حين كتبتَه حتى كتبتَ السَّبَّ بالإعراب

ولا تُفعلِ الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، فقد قال أبو العيّن : « إن بني أمية هم الذين كانوا أمروا كتّابهم فطرحوا ذلك من كتبهم ، فجرت عادة الكتاب إلى يومنا هذا على ما سنّوه » وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تجعلوني كقدح^(٤) الراكب ، ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره » صلى الله عليه وعلى آله وسلّم أولاً وأوسطاً وآخرًا .

(١) نسبة إلى نصر باذ : محلة بنيسابور ، ومعناها بالفارسية عمارة نصر ، تنسب إلى نصر بن عبد العزيز الخراساني ، وكان قد ولي الري في أيام السفاح ، ولم يزل عليها إلى أن قتل أبو مسلم الخراساني ، وفي رسائل البلغاء : « علي بن زبير النصراني » وهو تحريف .

(٢) في العقد « حتى تمجّل عنه » .

(٣) الشؤون : الحبة السوداء ، فارسية ، والكلام على التشبيه .

(٤) معناه : لا تؤخروني في الذكر ، لأن الراكب يعلق قدحه في آخر رحله عند فراغه من ترحاله ويجعله خلفه ، قال حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :
وأنت زعيم نيط في آل هاشم : كما نيط خلف الراكب القدح الفرد .

وأحب أن تجعل بدل الإشارة^(١) التراب ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أترَبُوا كتبكم ، فإنه أنجح للحاجة » ولا تدع التاريخ ، فإنه يدل على تحقيق الأخبار وقربها وبعدها ، وانظر إلى ما مضى من الشهر وما بقي منه ، فإن كان الماضي أقل من نصف الشهر قلت : لكذا ليلة مَضَتْ من شهر كذا ، وإن كان الباقي أقل من النصف قلت : لكذا أيضاً بقيت ، وقد قال بعض الكتاب : إن الماضي من الشهر تخصيه ، والباقي لا تخصيه ، لأنك لا تدري : أَيْتِمُّ الشهر أو يَنْقُصُ ، وليس هذا بشيء ، لأن تاريخ الكتاب ليس من الأحكام في شيء ، وما على الكاتب أن يكتب إلا بما ظهر وتبين لا بما يظن .

ولا تجعل سَحَاة^(٢) كتبك غليظة إلا في العهود والسجلات التي تحتاج إلى خواتمها وطوابعها ؛ فإن محمد بن عيسى الكاتب كاتب آل طاهر أخبر عنهم أن عبد الله بن طاهر كتب إلى العراق في إشخاص كاتب كان كتب إليه ، فكتب وغلظ سَحَاة كتابه ، فردَّ الكتاب إليه ، فقدم عليه راجياً لبرِّه وجائزته ، فقال عبد الله بن طاهر : إن كان معك مِسْحَاة^(٣) فاقطع خَزَمَ كتابك وانصرف وراءك ، وكذلك لا تعظم الطيِّنة ، ففي المثل : « مَنْ عَظَّمَ الطيِّنة فإنه مظلوم » ولا تطبّعها إلا بعد عُنواناتها ، فإن ذلك من

(١) أشر الخشبة كقتل : شقها ، لغة في النون ، والمثشار : المنشار ، قال الشاعر :

* أناشر لا زالت يمينك آشره *

جُمع بين لفتي النون والهمزة ، فالإشارة هي النشارة الدقيقة التي تتخلف عن شق الخشب .
(٢) سحاة القرطاس : مأخذ منه ، وسحا القرطاس وسحاه : أخذ منه سحاة ، أو شدّه بها ، وسحا الكتاب وسحاه وأسحاه : شدّه بسحاة .

(٣) المسحاة : كالجرفة إلا أنها من حديد .

أدبهم^(١) ، وقد يجب عليك عِلْمُ إِنْصَاقِ القَرَاتِيسِ وَمَحْوِهَا ، وَلَمْ أَرْ شَيْئاً فِي
إِلْصَاقِهَا أَلْطَفَ مِنْ أَنْ يُنْقَعَ الصَّمْعُ الرَّبِّي فِي الْمَاءِ سَاعَةً حَتَّى يَذُوبَ ، ثُمَّ
يُلصَقَ بِهِ ، وَكَذَلِكَ مَاءُ الْكَثِيرَاءِ وَالنَّشَاسْتِجِ^(٢) ، ثُمَّ تَطْوِيهِ طَيًّا رَقِيقًا ،
وَتَجْعَلُهُ فِي مَبْدِيلٍ نَظِيفٍ ، وَيرْفَعُ تَحْتَ وَسَادَةٍ حَتَّى يَجِفَّ . وَأَمَّا مَحْوُهَا ،
فَعَلَى قَدْرِ لُطْفِ الْكَاتِبِ وَتَأَنِّيهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَلْقُطَ السَّوَادَ مِنَ
الْقَرَاتِيسِ إِلَّا بِمِثْلِ الشَّمْعِ الْمُسَخَّنِ وَاللَّبَّانِ الْمَضُوعِ ، وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، ثُمَّ يَكُونُ
لَقَطُهُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، كُلَّمَا لَقَطَ جَانِبًا حَوَّلَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ .
وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْكُتُبِ الْمُخْتَوِّمَةِ وَالتَّلَطُّفُ لِنَقْضِ خَوَاتِيمِهَا ، فَمَا لَا نَذْرَهُ
خَوْفًا مِنْ سَفِيهِهِ .

وَأَمَّا تَضْمِينُ الْأَسْرَارِ فِي الْكُتُبِ حَتَّى لَا يَقْرَأَهَا غَيْرُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ،
فَفِيهِ أَدَبٌ يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ ، وَقَدْ تَعَلَّقَتِ الْعَامَّةُ بِالْمَعْنَى ، قَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ^(٣) :
وَكَانَ أَبُو حَاتِمٍ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَدْ وَضَعَ مِنْهُ أَشْيَاءَ جَلِيلَةً مِنْ تَبْدِيلِ
الْحُرُوفِ تَبْدِيلًا يَخْفَى ، وَالْطُّفُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَأْخُذَ لَبِنًا حَلِيًّا فَتَكْتُبَ بِهِ
فِي قَرَاتِيسٍ ، فَيَذَرُ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ رَمَادًا حَارًّا مِنْ رَمَادِ الْقَرَاتِيسِ ،
فَإِنَّهُ يُظْهِرُ مَا كَتَبْتَ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَإِنْ كَتَبْتَ بِمَاءِ الزَّاجِ الْأَبْيَضِ وَذَرَّ
عَلَيْهِ الْعَفْصَ الْمَدْقُوقَ بِزَاجٍ ، أَوْ بِمَاءِ الْعَفْصِ وَذَرَّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الزَّاجِ ،
أَوْ تَنْقَعَ شَيْئًا مِنْ وُشَقٍّ^(٤) ثُمَّ تَكْتُبَ بِهِ ، ثُمَّ تَثَرْتُ عَلَيْهِ الرَّمَادَ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ ،

(١) فِي الْأَصْلِ « فَإِنْ ذَلِكَ مُرَادُ بِهِمْ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هُوَ النَّشَاءُ ، فَارْسِي حَذَفَ شَطْرَهُ تَخْفِيفًا .

(٣) فِي رِسَائِلِ الْبُلْغَاءِ : « تَعَلَّقَتِ الْعَامَّةُ بِالْمَعْنَى وَالْأَصْبَهَانِيُّ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْوَشَقُ وَالْأَشَقُّ كَسْرٌ : صَمْعٌ نَبَاتٌ .

وإن أحببته لا يقرأ بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السُلْحُفَة .
وإن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب ، فزِنِ اللفظة قبل أن تُخرجها
بميزان التصريف إذا عرضت ، وعابر الكلمة بميزانه إذا سَنَحْتَ ، فربما
مرَّ بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبت : « أنا فاعل » أحسن من
أن تكتب : « أنا أفعل » وموضع آخر يكون فيه « استفعلت » أحلى من
« فعلت » .

فأدرِ الألفاظ على أعكانها^(١) ، واعرضها على معانيها ، وقلِّبها على جميع
وجوهها ، فأى لفظة رأيتها في المكان الذي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ ، فَأَتَرِهَا إِلَى الْمَكَانِ
الذي أوردتها عليه ، وأوقعها فيه ، ولا تجعل اللفظة قَلِيقَةً في موضعها ، نَافِرَةً
عن مكانها . فإنك متى فعلت هَجَنْتَ الموضع الذي حاولت تحسينه ، وأفسدت
المكان الذي أردت إصلاحه ، فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقصَّدك
بها إلى غير نصابها^(٢) ، إنما هو كترقيق الثوب الذي إذا لم تتشابه رِقَاعُهُ ،
ولم تتقارب أجزاؤه ، خرج من حدِّ الجِدَّة ، وتغيَّر حُسْنُهُ ، كما قال الشاعر:
إن الجديد إذا ما زيدَ في خلقٍ يُبينُ للناس أن الثوب مرقوعُ
وَأَرْتَصِدُّ لِكِتَابِكَ فَرَاغَ قَلْبِكَ ، وساعة نشاطك ، فتجد ما يمتنع عليك
بالكَدِّ والتكلف ، لأن سماحة النفس بمكنونها ، وجُود الأذهان بمخزونها ،
إنما هو مع الشهوة المفرطة في الشعر^(٣) ، والمحبة الغالبة فيه ، أو الغضب

(١) الأعكان والمعكن (يضم ففتح) : الأطواء في البطن من السمن ، وواحدة المعكن عكنة بضم فسكون ، والكلام على التشبيه ، وفي رسائل البغاء : « فأدرِ الألفاظ في أماكنها حتى تقع موقعها » .

(٢) النصاب : الأصل .

(٣) في الأصل « الشعر » وهو تحريف .

الباعث منه ذلك . قيل لبعضهم لم لا تقول الشعر؟ قال : كيف أقوله ، وأنا لا أغضب ولا أطرب ! وهذا كله إن جرّيت من البلاغة على عِرْق^(١) ، وظهرت منها على حظ ، فأما إن كانت غير مناسبة لطبعك ، ولا واقعة شهوتك عليها ، فلا تُنْضِ^(٢) مطيّتك في التماسها ، ولا تُتْعِبْ بدّتك في ابتغائها ، واصرف عنانك عنها ، ولا تطمع فيها باستعارتك ألفاظ الناس وكلامهم ، فإن ذلك غير مُثْمِر لك ، ولا مُجْدٍ عليك ، ومن كان مرجعه فيها إلى اغتصاب ألفاظ من تقدّمه ، والاستضاءة بكوكب من سبّقه ، وسَخِبَ ذيل حُلّة غيره ، ولم يكن معه أداة تولّده من بنات قلبه ، وتأنج ذهنه ، الكلام الحرّ ، والمعنى الجزل ، لم يكن من الصناعة في غير ولا نقيض^(٣) ، على أن كلام العظماء المطبوعين ، ودرس رسائل المتقدمين على كل حال مما يفتق اللسان ، ويوسع المنطق ، ويشحذ الطبع ، ويستثير كوامنه إن كانت فيه سجيّة ، قال العتّابي : « مارأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم ، وجرّينا فيه من صنوف الآداب ، شيئا أصعب مرّا ، ولا أوعر مسلكا ، ولا أدلّ على نقص الرجال ورّجاحتهم ، وأصالة الرأي وحسن التمييز منه واختياره ، من الصناعة التي خطبتّها ، والمعنى الذي طلبته » وليس شيء أصعب من اختيار الألفاظ ، وقصّدها بها إلى موضعها ؛ لأن اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتها في الفصاحة والحسن ، ولا تحشّن في مكان غيرها . وبتمييز هذه المعاني ،

(١) العرق : الأصل .

(٢) أنضاه : هزله .

(٣) من أشال العرب : « لافي العير ولا في النّفير » مثل يضرب للرجل يحط أمره ، ويصغر قدره ،

وقد تقدم شرحه في جهرة خطب العرب ٢ : ١٣٧ .

ومناسبة طبائع جهابذتها^(١) ، ومشاكل أرواحهم ، جعلوا الكتابة نسبا وقراءة ، وأوجبوا على أهلها حفظها .

قال الحسن بن وهب : الكتابة نفس واحدة تجزأت في أبدان متفرقة ، ومن لم يعرف فضلها وجهل أهلها ، وتعدى بهم رتبتهم التي وصفهم الله بها^(٢) ، فإنه ليس من الإنسانية في شيء .

وقالت البرامكة : رسائل المرء في كتبه دليل على عقله ، وشاهد على غيبه . وقال الشاعر :

وتُنْكَرُ وَدَّ المرءُ في لَحْظِ عينه وتعرفُ عقل المرء حين تَكاتِبُهُ
وقال آخر :

وشعرُ الفتى يُبْدِي غريزة طبعه وبالكُتُبِ يبدو عقله وبلاغته
وقيل للشَّعْبِي : أي شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .

وقال العُتْبِي : عقول الناس مدونة في كتبهم ، وقال ابن المقفع : كلام الرجل وافد عقله .

وشبَّهت الحكماء المعاني بالغواني ، والألفاظ بالمعارض ، فإذا كسا الكاتبُ البليغُ المعنى الجزلَ لفظاً رائقاً ، وأعاره مخرجاً سهلاً ، كان للقلب أخلق ، وللصدر أمل^(٣) ، ولكنه بقي عليه أن ينظمه في سلكه مع شقائقه ، كاللؤلؤ المنشور الذي يتولى نظمه الحاذق ، والجوهرى العالم يظهر بإحكام

(١) جهابذة : جمع جهبذ ، بكسر الجيم والباء وهو النقاد الخبير .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : « كِرَامًا كَاتِبِينَ »

(٣) سهل عن أمل .

الصَّنْعَةُ لَهُ حُسْنًا هُوَ فِيهِ ، وَمِنْحَةً بِهِجَةً هِيَ لَهُ ، كَمَا أَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا وَضَعَ بَيْنَ
الْجَوْهَرَتَيْنِ خَرَزَةً ، هَجَّنَ ^(١) نَظْمَهُ ، وَأَطْفَأَ نَوْرَهُ ، كَانَ حَبِيبَ ^(٢) بَنِ أَوْسٍ
رَبْعًا وَقَعَ عَلَى جَوْهَرَةٍ فُجِّمَهَا بَيْنَ بَعْرَتَيْنِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ قَرَأْتَ بِدُرٍّ فَاخِرٍ خَرَزًا مِنْ الزَّجَاجِ لَقُلْنَا بِئْسَ مَا نَظَّمَا
وَالْيَاقُوتُ حَسَنٌ ، وَهُوَ فِي جِيدِ الْحُسْنَاءِ أَحْسَنُ ، وَكَذَلِكَ الشَّعْرُ الْجَيِّدُ
مُونِقٌ ^(٣) ، وَلَكِنَّهُ مِنْ أَفْوَاهِ الْمُظْمَاءِ آتَقُ ، وَالتَّاجُ الشَّرِيفُ بِهِ الْمَنْظَرُ ،
وَهُوَ عَلَى الْمَلِكِ أَبْهَى ، كَمَا قَالَ ابْنُ قَيْسٍ الرَّقِيَّاتِ ^(٤) :

يَسْتَدِلُّ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرَقِهِ ^(٥)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ لِابْنِ مُنَازِرٍ ^(٦) : بَاغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ الشَّعْرُ فِي الدَّهْرِ ،

(١) التَّهْجِينُ : التَّفْصِيحُ .

(٢) هُوَ أَبُو تَمَّامِ الشَّاعِرُ الْعَبَّاسِيُّ الْمَشْهُورُ - انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ١ : ١٢١ ، وَالْأَغَانِي ١٥ : ٩٦ ، وَالْفَهْرَسْتُ لِابْنِ النَّدِيمِ ص ٢٣٥ .

(٣) آتَقَى الشَّيْءُ لِيُنَاقَا : أَعْجَبَنِي .

(٤) هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ ، وَإِنَّمَا لَقِبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ شَبَّ بِثَلَاثِ نِسْوَةٍ سَمِيْنَ جَمِيعًا رَقِيَّةً ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ الْهَوَيْ ، وَخَرَجَ مَعَ مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الزَّيْبِرِ هَرَبَ فَلَجَأَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَسَأَلَ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي أَمْرِهِ فَأَمَنَهُ - انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَغَانِي ٤ : ١٥٤ ، وَالشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ص ٢١٢ .

(٥) الْمَفْرَقُ كَقَعْدِ وَجِلْسٍ : وَسَطُ الرَّأْسِ ، وَهُوَ الَّذِي يَفْرُقُ فِيهِ الشَّعْرُ ، وَهَذَا صَدْرُ بَيْتٍ وَعَجَزُهُ : « عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ » وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَهَا فِي مَدْحِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَمَّا أُنْشِدَهُ لِإِيَّاهَا وَوَصَلَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ ، قَالَ لَهُ عَبْدِ الْمَلِكِ : يَا بَنِي قَيْسٍ تَمْدَحُنِي بِالتَّاجِ كَأَنِّي مِنَ الْعَجَمِ ، وَتَقُولُ فِي مُصْعَبٍ :

لَئِمَّا مُصْعَبُ شَهَابٍ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مَلِكُهُ مَلِكٌ عِزَّةٌ لَيْسَ فِيهِ جَبْرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبَرِيَاءُ

أَمَّا الْأَمَانُ فَقَدْ سَبَقَ لَكَ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَأْخُذْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَطَاءُ أَبَدًا .

(٦) أَبُو الْعَتَاهِيَةِ شَاعِرٌ عَبَّاسِيٌّ مَعْرُوفٌ ، وَلَهُ تَرْجُمَةٌ مَطْوُولَةٌ فِي الْأَغَانِي ٣ : ١٢٢ ، وَفِي الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءُ ص ٣٠٩ ، وَوَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ١ : ٧١ ، وَالْفَهْرَسْتُ ص ٢٢٧ . وَابْنُ مُنَازِرٍ : هُوَ مُحَمَّدُ ابْنُ مُنَازِرٍ ، شَاعِرٌ عَبَّاسِيٌّ أَيْضًا - انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَغَانِي ١٧ : ٩ ، وَالشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ص ٣٦٤ .

والقصيدة في الشهر ، فقال : نعم ، لورضيتُ لنفسي أن أولف تأليفك ، وأقول : « ياعُتَبَ يادِرَّةَ الفَوَاصِ »^(١) لقلت في اليوم والليلة ألف قصيدة ، وقال عمر^(٢) بن لُجَأَ لشاعر : أنا أشعر منك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك تقول البيت وابن عمه ، وأنا أقول البيت وأخاه .

فإن مُنيتَ بحب الكتابة وصناعتها ، والبلاغة وتأليفها ، وجاش صدرك بشعر معقود ، أودعتك نفسك إلى تأليف الكلام المنشور . وتهيأ لك نظم هو عندك معتدل ، وكلامٌ لديك متسق ، فلا تدعوك الثقة بنفسك ، والعُجب بتأليفك ، أن تهجم به على أهل الصناعة ، فإنك تنظر إلى تأليفك بعين الوالد لولده ، والعاشق إلى عشيقه ، كما قال حبيب :

ويُسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا ، لَا كُنْ هُوَ بِابْنِهِ وَبشعره مفتونٌ
ولكن اعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء ممزوجا بغيره ، فإن أصغوا إليه ، وأذنوا^(٣) له ، وشخصوا بالأبصار ، واستعادوه وطلبوه منك ، وامتزج ، فاكشف من تلك الرسالة والخطبة والشعر اسمه ، وانسبه إلى نفسك ،

(١) عتبة التي كان أبو العتاهية يشبب بها : هي جارية لريطة بنت أبي العباس السفاح ، وكانت تحت المهدي ، فلما بلغ المهدي إكثاره في وصفها غضب فأمر بحبسها ، ثم شفع له يزيد بن منصور الحميري خال المهدي فأطلقه ، وجاء في الأغاني (١٧ : ١١) : « اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن منذر ، فقال له أبو العتاهية : يا أبا عبد الله ، كيف أنت في الشعر ؟ قال : أقول في الليلة إذا سنج القول واتسعت الفواقي عشرة أبيات إلى خمسة عشر ، فقال له أبو العتاهية : لكني لو شئت أن أقول في الليلة ألف بيت لغت ، فقال ابن منذر : أجل ، والله إذا أردت أن أقول مثل قولك :
ألا ياعتبة الساعه أموت الساعه الساعه

قلت ، ولكني لا أعود نفسي مثل هذا الكلام الساقط ، ولا أسمع لها به ، فحجل أبو العتاهية وقام يجرّ رجله » .

(٢) شاعر أموي ، وكان ممن هجا جريرا - انظر خبره في الشعر والشعراء ص ٢٦١ ، وفي الأغاني في ترجمة جرير ٧ : ٣٥ والفرزدق ١٩ : ٢ .

(٣) أذن إليه وله كفرح : استمع معجبا ، أو عام .

وإن رأيت عنه العيون منصرفةً، والقلوب عنه ذاهبة^(١)، فاستدرك به على تخلفك عن الصناعة، وتقاصرك عنها، واسترب رأيك عند رأى غيرك من أهل الأدب والبلاغة، فقد بلغنى أن بعض الملوك دعا إنسانا إلى مؤانسته، حتى ارتفعت الحشمة بينهما، فأخرج له كتابا قد غشاه بالجلود، وجمع أطرافه بالإبريسم^(٢)، وسوى ورقه، وزخرف كتابته، وجعل يقرأ عليه كلما قد حبره^(٣) فيه، ونمقه عند نفسه، وجعل يستحسن ما لا يحسن، ويقف على ما لا يستثقل قراءته، حتى أتى على الكتاب، فقال له: كيف رأيت ما قرأت عليك؟ فقال: أرى عقل صانع هذا الكلام أكثر من كلامه، ففطن له ولم يعاوده، إلى أن وقف به على تنور مسجور^(٤)، ثم قذف بالكتاب في النار، وهذا رجل في عقله فضلة، وفيه تمييز.

وإنما البلية فيمن إذا بينت له سوء نظمه واختياره، ووقفته على سخافة لفظه، هجره وعاداك، فاجعل هذا الأصل ميزانا ترن به مذهبك في رسائلك وبلاغتك، ولا تخاطبنَّ خاصا بكلام عام، ولا عامًا بكلام خاص، فمتى خاطبت أحداً بغير ما يشاكله، فقد أجريت الكلام غير مجراه، وكشفتة، وقصّدتك بالكلام الشريف للرجل الشريف تنبيهٌ لقدر كلامك، ورفع لدرجته، قال:

فلم أمدحه تفخيما لشعري ولكنى مدحت بك المديحا

(١) في الأصل « واهية » .

(٢) الابريسيم : الحرير .

(٣) التجبير : التحسين .

(٤) التنور : الذى يخبز فيه - الفرن - وسجر التنور : أحماه .

فلا تخرجن كلمة حتى تزنها بميزانها ، فتعرف تمامها ونظامها ، ومواردها ومصادرها ، وتجنب ما قد رت الألفاظ الوحشية ، وارتفع عن الألفاظ السخيفة ، واقتضب كلاماً بين الكلامين .

قال الجاحظ : « ما رأيت قوماً أمثل طريقة في البلاغة من هؤلاء الكتاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً موقياً » . وقال خالد بن صفوان : « أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ، ولا القروي المخدج ^(١) ، الذي صحت مبادئه ، وحسنت معانيه ، ودار على السنن القائلين ، ونخت على آذان السامعين ، ويزداد حسناً على ممر السنين ، بتجلية الرواة ، وتنقية السراة » .

والكتاب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا حاول صيغة كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت من معادنها ، ونذرت ^(٢) من مواطنها ، عن غير استكراه ولا اغتصاب .

حدثنا صديق للعتابي قال له : اعمل لي رسالة ، فاستمدته مدة بعد أخرى ، فقال له : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك ، فقال له العتابي : إني لما تناولت القلم تداعت علي المعاني من كل جهة ، فأحببت أن أترك كل معنى يرجع إلى موضعه ، ثم أجتني لك أحسنها .

(١) الإعراب : الإتيان بالغريب ، والمعنى المغرب صاحبه . والمخدج : الناقص ، من قولهم : أخذجت الناقة : أي جاءت بولد ناقص فهي مخدج (بكسر الدال) والولد مخدج (بفتحها) ، ورجل مخدج البد : ناقصا .

(٢) أي ظهرت ، ندر الشيء : ندورا : سقط من جوف شيء ، أو من بين أشياء فظهر ، وربما كان « بدرت » أي سبقت وعجلت ، وفي رسائل البلاء « وتدرّب » وهو تصحيف .

وأُمليَ يزيد بن عبد الله أخو ذُيَّان^(١) على كاتب له ، فأعجلَ الكاتب ،
ودارك في الإملاء عليه^(٢) ، فتعثرَ قلم الكاتب عن تقييد إملائه ، فقال له
متحرّشا : اكتب يا حمار ، فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ، إنه لما
هطلتْ شآبيب^(٣) الكلام ، وتدافعتْ سيولُه على حرف القلم ، كلَّ القلمُ
عن إدراك ما وجب عليه تقييده ، فليْتَذكر الأمير عذري ، فكان حضور
جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد .

وقال له يوما وقد نطَّ حُرُفا في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طُغْيَان في القلم .
وكَلما اخلَوَلِي الكلام وعذَّبَ ورقَّ وسَهَلتْ مَخارجُه ، كَانَ أَسْهَلَ وَلُوجا
في الأسماع ، وأشدَّ اتصَالاً بالقلوب ، وأخفَّ على الأهواء ، ولا سيما إذا كَانَ
المعنى البديع مترجما بلفظ مُونِق^(٤) شريف ، وممبِّرا بكلام مؤلَّف رَشيق ،
لم يشبهه التكلُّف بِمِسمِه^(٥) ، ولم يُفسِّده التعقيد باستهلاكه ، كقول ابن
أبي كريمة :

قَفَاهُ وَجْهٌ حَسَنٌ ، وَالَّذِي قَفَاهُ وَجْهٌ يُشَبِّهُ الشَّمْسَا

فهجَّنَ المعنى بتوَعُّر مَخارج الحروف ، وأخذَه الحسن بن هانئ فسَهَّلَه وقال
« بَدَّ^(٦) حُسْنَ الوجوه حُسْنُ قَفَا كَا » وكلاهما من حسان حيث يقول

(١) في رسائل البلغاء « أخو دينار » وهو تحريف .

(٢) وفي رسائل البلغاء : « وأجل عليه الإملاء » وأملَّ عليه الكتاب بمعنى أُمليَ

(٣) شآبيب : جمع شؤبوب كمصفور ، وهي الدفعة من المطر .

(٤) أى معجب .

(٥) ومسه : أثر فيه بسمه ، أى علامة ، والميسم : الآلة التى يؤسم بها .

(٦) بدَّ : فاق .

قَفَاؤُكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَأَمُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذِرِ^(١)

وانظر إلى سلاسة الحسن بن سهل حيث قال :

شَرِسْتُ بَلِّ لَنْتَ بَلِّ قَابِلْتَ ذَاكَ بَذَا فَأَنْتَ لَأَشَدُّ فَيْكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وكتب عيسى بن هبة كتابا إلى أخيه أبي الحسن ، فعقد كلامه ، وجاز

المقدار في التنطع ، فوق في أسفل كتابه :

أَنْتَى يَكُونُ بَلِغًا مَنِ اسْمُهُ كَانَ عِيًّا
وَتَالِثُ الْحَرْفِ مِنْهُ إِذَا كَتَبْتَ مُسِيًّا^(٢)

وبلغني أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة ، فخرج

من عنده ، وصر بباب الطاق ، وإذا بطير يدعى « الشفانين »^(٣) فاشتراه وبعث به

إليه ، وكتب كتابا يتنطع في بلاغته ، وذكر أنه يقال له شفانين ، وأرجو

أن يكون شفاء من أنين ، فوق في أسفل الكتاب . « والله لو عطست ضبا

لم تكن عندي إلا نبطيا »^(٤) ، فأقصر^(٥) عن تنطعك ، وسهل كلامك ، وفي

(١) ألفا قديم كما في هذا البيت ، والعرب تؤثنه ، والتذكير أعم . وكان حسان بن ثابت زار الحارث بن أبي شمر الفسافي - وكان النعمان بن المنذر يساميه - فقال الحارث لحسان : لقد نبئت أنك تفضل النعمان على ، فقال : وكيف أفضله عليك ؟ فوالله لفتاك أحسن من وجهه ، ولأملك أشرف من أبيه ، في كلام كثير ، فقال له : هذا لا يسمع إلا في شعر ، فنظمه في أبيات منها هذا البيت - انظر ديوان حسان ص ١٨٢ ، ومروج الذهب ١ : ٢٩٩ .

(٢) مسيا سهل عن مسيئا بمعنى سيئ ، يريد أن الشطر الثاني من اسمه « سي » يشبه رسمه رسم « سي » .

(٣) عده الجاحظ في أنواع الحمام ، وقيل : هو الذي تسميه العامة الحمام - انظر كلمة عنه « في حياة الحيوان الكبرى » للدميري ٢ : ٧٤ .

(٤) فسره في العقد قال : « قوله : لو عطست ضبا : يريد أن الضباب من طعام الأعراب ، وفي جلدهم يقال : لو عطست فنثرت ضبا من عطاسك لم تلحق بالأعراب ولم تكن إلا نبطيا ، وقد جاء في بعض الحديث : إن القط من نثرة عطسة الأسد ، وإن الفأر من نثرة عطسة الخنزير ، فقال هذا : لو أن الضب من نثرتك لم تكن إلا نبطيا » اهـ . والنبط : قوم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقيين .

(٥) أي كف ، وفي الأصل « فأقصر عن بعضك » وهو تحريف .

هذا المعنى قال مُحَمَّدُ الْمَوْصِلِيُّ يَهْجُو حَبِيبَ بْنِ أَوْسٍ الطَّائِي :

أَنْتَ عِنْدِي عَرَبِيٌّ لَيْسَ فِي ذَاكَ كَلَامٌ
شَعْرُ سَاقِيكَ وَفَخْذَيْكَ خُزَامِي وَثُمَّامٌ^(١)
وَقَذَى عَيْنِيكَ صَمَغٌ وَنَوَاصِيكَ شَبَامٌ^(٢)
وَصُلُوعُ الصَّدْرِ مِنْ شِلْوَكَ نَبْعٌ وَبَشَامٌ^(٣)
لَوْ تَحَرَّكَتَ كَذَا لَأَنْتَ جَفَلْتَ مِنْكَ نَعَامٌ^(٤)
وَضَبَاكُ رَاتِعَاتٌ وَيَرَايِسُ عِظَامٌ^(٥)
وَحَمَامٌ يَتَغَسَّنِي حَبْدًا ذَاكَ الْحَمَامُ
أَنَا مَا ذَنْبِي إِنْ كَذَبْتُ ذَنْبِي فِيكَ الْأَنَامُ
وَقَفًّا يَخْلِفُ مَا إِنْ أُغْرَقْتَ فِيهِ الْكَرَامُ
ثُمَّ قَالُوا هَاشِمِيٌّ مِنْ بَنِي الْأَنْبَاطِ حَامُ
كَذَبُوا مَا أَنْتَ إِلَّا عَرَبِيٌّ وَالسَّلَامُ

وَسَأَلَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ قِصَّةً إِلَى جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ

الْقَاضِي ، وَقَالَ : أَكْتُبْ لِي قِصَّةً سَهْلَةً بَلِيغَةً الْأَلْفَاظِ ، فَقُلْتُ لَهُ : دَعْنِي
أَكْتُبْ لَكَ مَا يَصْلُحُ لِلْقَضَاءِ ، فَعَضِبَ وَقَالَ : مَا أَسْأَلُ أَنْ تَعْطِيَنِي شَيْئًا !

(١) الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار نقحة ، والثمام : نبت أيضا .

(٢) في العقد « شعام » وهو محرف ، وأرى أن صوابه « شبام » وهو نبات يشب (أى يحسن) به لون الحناء .

(٣) الشلو : الجسد من كل شيء ، والنبع : شجر للقسي والسهام ، والبشام : شجر عطر الرائحة يستاك بقضبه .

(٤) انجفل : أسرع الهرب .

(٥) اليرابيع : جمع يربوع بالفتح ، وهو دويبة نحو القفارة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ، ورجلاه أطول من يديه ، عكس الزرافة .

إنما أسألك هذا المعنى الرخيص ، فاحتملتُ عَثْبَهُ لِلدِّمَامِ^(١) ، فكتبت له قصة لا تصالح أن تدفع إلا لرؤبة^(٢) بن العجاج يقرأها أو الطرمح^(٣) ، فلما حصلتُ بيد القاضى أراد قراءتها فإذا هى مُخلَّقة عليه ، فقال له : أنت كتبت هذه القصة ؟ قال : نعم ، قال : إذن فاقرأها ، فذهب ليقرأها ، فإذا هى بالشودانية ، استعجما عليه ، فقال له : أصلح الله القاضى ، إنما أقرأها فى بيتى ، فقال له : فاطلب حاجتك إذن فى بيتك ، فرجع إلى غضبان أسفاً يشتم ويؤذى ، وسألنى أن أكتب له قصة على ما أرى ، فكتبت له كتاباً يُشبه أن يكون من مثله إلى القضاة ، فقرأه وقضى حاجته ، وعلم أنه لم يكتب واحدة منهما .

والكتاب إذا لم يكن شبيهاً بحالة^(٤) صاحبه ، كان أحد الأسباب المانعة ، والمعانى كلها ممتثلة ، والكلام مُشبع^(٥) ، ولكن سياسته صعبة ، وتأليفه شديد ، إلا على جهابذته وفُرمانه أمراء الكلام ، يصرفونه كيف شاءوا ، ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، ويكون

(١) الدمام : الحق والحرمة .

(٢) هو راجز مجيد مشهور كأبيه العجاج ، وكان بصيراً بالغة عالماً بخوشيتها وغريبها ، وهو من مخضرمى الدولتين ، مدح بن أمية وبنى العباس ومات سنة ١٤٥ هـ - انظر ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٥٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٨٧ ، والشعر والشعراء ص ٢٣٠ .

(٣) هو الطرمح بن حكيم ، شاعر أموى مشهور . قال رؤبة : كان الطرمح والكميت بصيران إلى فيسألانى عن الغريب ، فأخبرهما به ، فأراه بمد فى أشعارهما . وسئل ابن الأعرابي عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرمح فلم يعرف منها واحدة ، يقول فى جميعها : لا أدرى - انظر ترجمته فى الأغانى ١٠ : ١٤٨ ، والشعر والشعراء ص ٢٢٨ .

(٤) فى الأصل « بحاجة » وأراه محرفاً .

(٥) امثله : تصوره حتى كأنه ينظر إليه ، ومشبع من قولهم : رجل مشبع العقل بفتح الباء أى وافره ، وفى الأصل « مشبعا » وهو تحريف .

اللفظ أُسْبَقَ إلى الأسماع من معناه إلى القلوب ^(١) .

قال الجاحظ : كان لفظه في وزن إشارته ، وَطَبَعُهُ في معناه في مطابقة معناه . وذَكَرَ الحسن بن وهب أحمد بن يوسف فقال : ما كنت أدري : أَلْفُظُهُ آتَى أم معناه ، أو معناه أَجَزَلُ أم لفظه ؟

والمعاني وإن كانت كامنَةً في الصدور ، فإنها معصورةٌ فيها ومتصلةٌ بها ، وهي كالآلئ المنطوية ^(٢) في أصدافها ، والنار المخبوءة في أحجارها ، فإن أظهرتها من أكنانها ^(٣) وأصدافها ، تَبَيَّنَ حُسْنُهَا ، وإن قَدَحْتَ النار من مكانها وأحجارها انتفعت بها ، وإلا بَقِيَتْ محجوبة مستورة ، وربما يُسْتَنَارُ السكائن منها ، وَيُسْتَخْرَجُ المستسِرُّ ^(٤) من جواهرها ، بقدر حِذْقِ المستنبِط ، وصواب حركات المستخرج ، وقصد إشارته ، ولطف مذاهبه ، وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ، ولا يصيب إشارته ، وكلما كان الكلام أفصح ، والبيان أوضح ، كان أدلَّ على حسن وجه المعنى ، وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفي بالروح الخفي ، واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جَزَلٌ ، لم تكن العبارة واضحة : ولا النظام متسقاً ، وتضائل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح ، كتضائل الحسنة في الأطمار ^(٥) الرثة .

(١) وجاء في نهاية الأرب ٧ : ٨ « وقالوا : لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه إلى قلبك أُسْبَقَ من لفظه إلى سمعك » .

(٢) في الأصل « المنظومة » وهو تحريف .

(٣) الأكنان : جمع كن ، وهو الستر ، بالكسر ، فيهما .

(٤) استسر : استتر وخفي .

(٥) الأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو الثوب الخلق .

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف: لفظ ، وإشارة ، وعقد وخط ، وقد ذكر أرسطاطاليس صنفًا خامسًا في كتاب المنطق ، وهو الذى يسمى النّصبة ، والنّصبة : الحال الدّالة التى تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهى الناطقة بغير لفظ ، والمشيرة إليه بغير يد ، وذلك ظاهرٌ فى خلق السموات والأرض ، وفى كل صامت وناطق ، وهى داخلة فى جملة هذه المعانى الأربعة ، وخارجة منها بالحلية ، ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبها ، وحلية غير مُشاكلة لحلية أختها ، غير أنها فى الجملة كاشفة عن أعيان المعانى ، وسافرة^(١) عن وجوهها^(٢) . وأوضح هذه الدلائل ، وأفصح هذه الأصناف ، صنفان منها ، وهما اللسان والقلم ، وكلاهما يترجمان ويدلان على القلب ، ويستمليان منه ، ويؤديان عنه ما لا تؤدى هذه الأصناف الباقية . فأما اللسان فهو الآلة التى يخرج الإنسان بها عن حدّ الاستبهام إلى حد الإنسانية بالكلام ، ولذلك قال صاحب المنطق : حدّ الإنسان : الحى الناطق . وقال هشام بن عبد الملك « إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه من بين الجوارح بتوحيده ، وما جعل الله من عبّر عن شئ مثل من لم يعبّر عنه » . وقال على بن عبّدة : « إنما يُبين عن الإنسان اللسان ، وعن المودّة الميزان » . وقال آخر : « الرجل مخبوء تحت لسانه^(٣) » . وقالوا « المرء بأصغريه : قلبه ، ولسانه » وقال الشاعر :

(١) أى كاشفة أيضا .

(٢) وقد عقد الجاحظ فصلا طويلا فى الكلام على أصناف الدلالات على المعانى - انظر باب البيان

من كتابه البيان والنبين ج ١ : ص ٤٢ .

(٣) من الحكم المروية عن الإمام على كرم الله وجهه « المرء مخبوء تحت لسانه » .

وما المرء إلا الأصفران ، لسانه ومعه قوله ، والجسم خلق مصور
فإن ترها راقتك يوما ، فربما أمر مذاق العود والعود أخضر^(١)
وقال الأعور التيمي^(٢) :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وقال آخر :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
وقال الطائي :

ومما كانت الحكاء قالت لسان المرء من خدام الفؤاد

وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه الأوصاف ، لأنه ينوب عنها في الإيضاح عند المشهد ، ويفضلها في المغيب ، لأن الكتب تقرأ في الأماكن المتباينة ، والبُلدان المتفرقة ، وتُدْرَس في كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان ذليلاً فصيحاً لا يعدو سامعه ، ولا يجاوزه إلى غيره ، وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله عز وجل : « الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » وأقسم^(٣) به كما أقسم بغيره^(٤) ، ثم أقسم بما يكتبه القلم ، إفصاحاً عن حاله ، وإعظاماً لشأنه ، وتنبيهاً لذكركه ، فقال : « وَمَا يَسْطُرُونَ » . ومن فضيلة الخط : أنه لسان اليد ، ورسول^(٥) الضمير ،

(١) الضمير يعود على مفهوم من السياق : أي صورته .

(٢) وفي رواية الزوزني أن هذا البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته .

(٣) قال تعالى « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ »

(٤) من السماء والطارق والفجر والشمس والليل والضحي والتين والزيتون . . . الخ مما ورد

في القرآن ، والآيات في ذلك معروفة .

(٥) وفي المقدم والصبح ونهاية الأرب « وبهجة الضمير » .

ودليل الارادة ، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحى الفكر ،
وسلاح المعرفة ، ومحادثة الأخلاء على التناثي ، وأنس الإخوان عند الفُرقة ،
ومستودع الأسرار ، وديوان الأمور ، وترجمان القلوب ، والمعبّر عن
النفوس ، والمُخبر عن الخواطر ، ومُورث الآخِر مكارم الأوّل ، والناقل إليه
مآثر الماضي ، والمخلّده حكمته وعلمه ، والمُسامِر للعين بسِرّ القلب ،
والمُخاطب عن الناصت ^(١) ، والمجادل عن الساكت ، والمُنصّح عن الأبكم ،
والمُتكلّم عن الأخرس ، الذي تشهد له آثاره بفضائله ، وأخباره بمناقبه .

وقد وضعت البلاغة من القلم ^(٢) علوّ القدر ، وباذخ ^(٣) العز ، كأبي مُسلم
صاحب الدولة : فرقت شملته ، وبددت جمعه ، ونقضت برمه ^(٤) ، وأفسدت
صالحه ، وضعضعت بنيانه ، مع ذكائه وتفطّنه ، ومكايده ودهائه ،
وأصالة رأيه وشدة شكيمته ^(٥) ، وامتناعه على أبي جعفر ونفاره عنه ،
كيف استفزّه ابنُ المقفع ، وصالح بن عبد القدوس وجبل بن يزيد ،
واستمالوه بسحر ألفاظهم ، وبلاغة أقلامهم ، حتى نزل من باذخ عزه ،
وجاء مبادراً حتى وقع في الشرك المنصوب له ، فتفرّق جمعه ، وانطفأ
نوره ، وصار خبراً سائراً ، ورثماً دائراً ^(٦) .

(١) نصت كضرب ، وأنصت : سكت .

(٢) في رسائل البلاغة : « وقد وقعت البلاغة من العلم » وهو تحريف .

(٣) الباذخ : العالى .

(٤) يقال برم الحبل برما وأبرمه إبراما .

(٥) الشكيمة : الأنفة .

(٦) أى دارساً ممجواً .

وَرَفَعَ الْقَلَمُ خَاشِعَ الطَّرْفِ ، صَغِيرَ الْخَطَرِ ^(١) ، لَثِيمَ الْجَنَسِ ، دَرَجَ مِنْ
عُشِّ التُّجَّارِ ، وَلَشَأْ بَيْنَ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ ، كَيْفَ شَالَتْ ^(٢) الْبِلَاغَةَ بِضَبْعِيهِ ،
وَرَفَعَتْ مِنْ نَاضِرِيهِ ، حَتَّى شَافَتْ بِهِ عَنَانَ السَّمَاءِ ، وَرَفَعَتْ بِنَاءَهُ فَوْقَ الْبِنَاءِ ،
حَتَّى طَلَبَهُ الرَّائِبُ ، وَقَصَدَهُ الطَّالِبُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الرِّجَالَ ، وَلَحَظَتْهُ الْعِیُونَ
بِالْوَقَارِ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الصَّنَائِعِ ، وَمُدَّتْ نَحْوَهُ الْأَصَابِعُ ، فَشُكِّرَتْ مِنْهُ
الْلَفْظَةُ ، وَرُجِّعَتْ مِنْهُ اللَّحْظَةُ ، كَمَا حَمَدَ ^(٣) بَنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الزِّيَاتِ ، وَفِيهِ يَقُولُ
عَلَى بْنِ الْجَهْمِ ^(٤) :

أَحْسَنُ مِنْ عَشْرِينَ يَتَأَسُّدِي جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتِ
مَا أَحْوَجَ الْمُلْكَ إِلَى مَطْرَةٍ تَفْسِيلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَّيْتِ ^(٥)

(١) الخطر : القدر .

(٢) أشال الحجر ، وشال به يشول شولا : رفعه ، فأنشال هو - ولا يقال شلت بالكسر -
والضبع : العضد كلها أو وسطها ، والعنان : السحاب وأحدثه عانة .

(٣) كان جده أبان يحب الزيت من مواضعه إلى بغداد ويتجر فيه ، وكان أبوه عبد الملك تاجراً
من مياسير التجار بالسكرخ (محلة ببغداد) فكان يثبته على التجارة ، وملازمته ، فيأتي إلا الكتابة ،
وطلبها ، وقصد المعالي حتى بلغ مرتبة الوزارة كما قدمنا ، وكان في أول أمره من جملة الكتاب ، وسبب
تقدمه أن المعتصم ورد عليه كتاب من بعض العمال ، فقرأه عليه وزيره أحمد بن عمار بن شاذي
البصري ، وكان في الكتاب ذكر السكلا ، فقال له المعتصم : ما السكلا ؟ فقال : لا أدري - وكان
قليل المعرفة بالأدب - فقال المعتصم : خليفة أمي ووزير عامي - وكان المعتصم ضعيف الكتابة - ثم قال :
أبصروا من بالباب من الكتاب ؟ فوجدوا ابن الزيات المذكور فأدخلوه إليه ، فقال له : ما السكلا ؟
فقال : السكلا : العشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الحلا ، فإذا يبس فهو الحشيش ، وشرع
في تقسيم أنواع النبات ، فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكته وبسط يده - انظر الأغاني ٢٠ : ٤٦
ووفيات الأعيان ٢ : ٥٤ ، والفخرى ص ٢١٣ ، وغرر الحقائق الواضحة ص ١٤٣ .

(٤) شاعر عباسي مشهور ، توفي سنة ٢٤٩ - انظر ترجمته في الأغاني ٩ : ٩٩ ، ووفيات الأعيان

١ : ٣٤٩ .

(٥) الوضر : وسخ الدسم ، وفي العقد الفريد (٣ : ١١١) : « وقال محمد بن الجهم يهجو ابن
الزيات : أحسن من سبعين بيتاً ... » وجاء في الأغاني (٢٠ : ٥١) : « كان محمد بن عبد الملك
يعادي أحمد بن أبي دواد ويهجو به ، فكان أحمد يجمع الشعراء ويعرضهم على هجائه ويصلهم ، ثم
قال فيه أحمد بيتين كانا أجود ما هجا به ، وهما : أحسن من خمسين بيتاً ... » وفي وفيات الأعيان (٢ :
٥٦) « وكان ابن الزيات قد هجا ابن أبي دواد بتسعين بيتاً ، فعمل القاضي أحمد فيه بيتين وهما :
أحسن من تسعين بيتاً ... » وجاء فيه أيضاً (١ : ٢٥) « وهجا بعض الشعراء ابن الزيات بقصيدة

فأجابه محمد بن عبد الملك :

رَقِيتَ فِي الْقَوْلِ إِلَى خُطَّةٍ قَدَرَكْ فِيهَا قَدْ تَعَدَّيْتَ
قَيَّرْتُمُ الْمُلْكَ فَلَمْ تُنْقِهِ حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ^(١)

وقال حبيب بن أوس يمدحه ويصف قلمه :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْمَفَاصِلِ^(٢)
وَكَانَ مُحَمَّدٌ مِنَ الْطُفْلِ النَّاسِ ذِهْنًا ، وَأَرْقَهُهُمْ طَبْعًا ، وَأَصْدَقَهُمْ حِسًّا ،
وَأَرْشَقَهُمْ قَلَمًا ، وَأَمْلَحَهُمْ إِشَارَةً ، إِذَا قَالَ أَصَابَ ، وَإِذَا كَتَبَ أَبْلَغَ ، وَإِذَا
شَعَرَ^(٣) أَحْسَنَ ، وَإِذَا اخْتَصَرَ أَغْنَى عَنِ الْإِطَالَةِ : أَمْرُهُ الْوَاقِعُ أَنْ يَتَلَطَّفَ
بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَيُعْلِمَهُ أَنَّهُ صَرَفَهُ عَنْ أَمْرِ الْجَزَائِرِ وَالْمَوَاصِمِ^(٤) ، وَفَوَّضَ
ذَلِكَ لابْنَ عَمِّهِ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ، فَكَتَبَ :

« أَمَا بَعْدَ ، فَإِنْ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَى أَنْ يَخْلَعَ مَا فِي يَمِينِكَ ، مِنْ أَمْرِ

عدد أبياتها سبعون بيتاً ، فيبلغ خبرها القاضي أحمد فقال ... فبلغ ابن الزيات ذلك - ويقال : إن بعض أجداد القاضي أحمد كان يبيع القار (الزيت) - فقال :

يَا ذَا الَّذِي يَظْمَعُ فِي هَجُونَا عَرَضَتْ بِي نَفْسُكَ لِلْمَوْتِ
الزيت لا يزرى بأحسابنا أحسابنا معروفة البيت
قيرتم الملك فلم تنقه حتى غسلنا القار بالزيت

وقيره : أطلاه بالقار .

(١) البيتان على هذه الرواية فيهما عيب شعري وهو الإصراف ، لأن حركة روى البيت الأول فتحة ، وحركة روى البيت الثاني كسرة .

(٢) الشبابة : حد كل شيء ، وهذا البيت هو الأول من أبيات تسعة مشهورة - انظرها ، في العقد الفريد ١٧٩: ٢ ، ونهاية الأرب ٢٥: ٧ ، وصبح الأعشى ٤٤٨: ٢ ، وأدب الكاتب ص ٧٥ وزهر الآداب ٢ : ٣٥ .

(٣) شعر كنصر وكرم قال شعراً ، أو شعر بالفتح : قال شعراً ، وشعر بالضم : أجاده .

(٤) المواسم : ولاية كانت قصبتها أنطاكية .

الجزائر والعواصم ، فيجمله في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته^(١) .

وقال سهل بن بركة يهجو أبا نوح النصراني الكاتب :
 بأبي وأمي ، ضاعت الأحلام أم ضاعت الأذهان والأفهام ؟^(٢)
 من صدّ عن دين النبي محمدٍ ألهُ بأصر المسلمين قيامٌ ؟
 إلّا تكن أسيافهم مشهورةً فينا ، فتلك سيوفهم أقلامٌ
 وقال عبد الرحمن بن كيسان : « استعمال الكلام أجدر بإحضار الذهن عند
 تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام^(٣) » .

ولم يختلف في شرف القلم ، وإنما اختلف في كيفية البلاغة وما هيّتها ،
 وقد مدحها كل قوم بأوضح عبارتهم ، وأحسن بيانهم ، فقال صاحب
 اليونانيين : « البلاغة تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام » وقال الرومي :
 « البلاغة وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة^(٤) » وقال
 الفارسي^(٥) : « هي معرفة الفصل من الوصل » وقال الهندي : « هي البصر
 بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة ، ثم أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها ،

(١) ليس ابن الزيات في هذا المعنى ببدع ، بل اقتبسه من يحيى بن خالد البرمكي - انظر ما قدمناه
 في ص ١٧٩ من الجزء الثالث .

(٢) الأحلام : القول .

(٣) وفي البيان والتبيين ١ : ٤٥ « وقال عبد الرحمن بن كيسان : استعمال القلم أجدر أن يحض
 الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام » .

(٤) وفي البيان والتبيين ١ : ٤٩ « وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند
 البداهة ، والنزارة يوم الإطالة ، وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة
 وحسن الإشارة » (وكذا في زهر الآداب ١ : ١٣٥) . قال الجاحظ : وقال بعض أهل الهند :
 « جامع البلاغة البصر بالحجة . . . » .

(٥) يعني أبا على الفارسي .

إذا كان الإفصاح أوعرَ طريقاً ، وربما كان الإطراق عنها أبلغ في الدّرك ، وأحقّ بالظفر « وقال غيره : « جماعُ البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، والحذق بما التبس من المعاني وغمض ، وبما شرد عليك من اللفظ وتمذّر » ثم قال : « وزين ذلك كله وبهاؤه ، وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشوائل مستدلة ، والألفاظ موزونة ، واللهجة نقية ، فإن جامع ذلك السنّ والسمت^(١) والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام^(٢) » .

وقيل لمندى ما البلاغة ؟ فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها^(٣) : « أول البلاغة اجتماع^(٤) آلة البلاغة ، وذلك أن يكون البليغ رابطاً الجأش^(٥) ، ساكن الجوارح ، قليل اللعظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام الشوكة ، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ، ولا يصفّيها كل التصفية^(٦) ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفاً حكيماً علماً ، ومن قد تعود حذف فضل الكلام ،

(١) السمت : هيئة أهل الخير .

(٢) انظر البيان والتبيين ١ : ٤٩ .

(٣) جاء في البيان والتبيين (١ : ٥١) « قال معمر أبو الأشعث : قلت لبهلة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند ، ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ، ولكنني لا أحسن ترجمتها لك ، ولم أعالج هذه الصناعة فأثّق من نفسي بالقيام بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها ، قال أبو الأشعث : فلتقت بذلك الصحيفة التراجمة ، فإذا فيها : أول البلاغة اجتماع » انظر أيضاً زهر الآداب ١ : ١٢٠ .

(٤) في رسائل البغاء « احتمال » .

(٥) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب من الفزع ، ونفس الإنسان . وربط جأشه رباطة (بالسكسر) اشتد قلبه .

(٦) في رسائل البغاء « ويصعبها كل التصعبة » .

وأسقط مشترك اللفظ^(١) » وقال أنوشروان لبزرجهر^(٢) : متى يكون
الحي بليغاً ؟ فقال : إذا وصف بليغاً ، وقال أرسطاطاليس : « البلاغة حسن
الاستمارة » وقال بشر بن خالد^(٣) : « البلاغة التقرب من المعنى البعيد ،
والتباعد عن خسيس الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير » وقال خالد
ابن صفوان : « ليس البلاغة بخفة اللسان ، ولا بكثرة الهذيان ،
ولكنها إصابة المعنى ، والقرع بالحجة » وقال عمر بن عبد العزيز : « البليغ
من إذا وجد كثيراً ملاًه ، وإذا وجد قليلاً كفاه » ، وقال ابن عتبة :
« البلاغة دُنُوُّ المآخِذِ ، وقرعُ الحجّة ، والاستغناء بالقليل عن الكثير »
وقال بعضهم : « إني لأكره للإنسان أن يكون مقدار لسانه فاضلاً
عن مقدار عقله ، كما أكره أن يكون مقدار عقله فاضلاً عن مقدار
لسانه وعلمه ، يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام
الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع^(٤) » وقيل لعمر بن
عبيد^(٥) : ما البلاغة ؟ فقال : « ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصرك

(١) جاء في البيان والتبيين ، وزهر الآداب عقب ذلك « قد نظر في صناعة النطق على جهة
الصناعة والمبالغة ، لأعلى جهة التصفيح والاعتراض . ووجه التطرف والاستطراف . »

(٢) بزرجهر : مركب من بزرج معرب بزرك أى الكبير ، ومهر : أى الروح ، وهو : بزرجهر
ابن البختكان وزير كسرى أنوشروان ملك الفرس ، وكان شديد الفكر حصيف الرأي .

(٣) وفي العقد « جعفر بن خالد » وفي زهر الآداب ١ : ١٣٤ « قال أعرابي : البلاغة التقرب
من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل على كثير . »

(٤) جاء في البيان والتبيين ١ : ٤٦ « قال الإمام إبراهيم بن محمد : يكفي من حظ البلاغة . . .
الحج » انظر أيضاً زهر الآداب ١ : ١٣٤ ، وفي نهاية الأرب ٧ : ٧ « وقيل لآخر ما البلاغة ؟ قال : ألا
يؤتى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل . »

(٥) وردت هذه المحاور في زهر الآداب ١ : ١١٧ ، ونهاية الأرب ٧ : ٧ ، وعمر بن عبيد
ابن باب : إمام من أئمة المعتزلة توفي سنة ١٤٤ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ .

بمواقع رشدك ، وعواقب غيِّك ، فقال السائل : ليس هذا أريد ، فقال : من لم يُحسِّن أن يسكت لم يُحسِّن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يُحسِّن القول^(١) ، قال : ليس هذا أريد : قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إنا معاشر الأنبياء بكاء »^(٢) وكأنوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ، فقال له السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سَقَطَات الكلام ، ما لا يخافون من فتنة السكوت وسَقَطَات الصَّمْت^(٣) ، فقال : ليس هذا أريد ، فقال فكأنك إنما تريد تخيُّر اللفظ في حسن إفهام ، قال : نعم ، قال : إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين^(٤) ، وتخفيف المثونة على المستمعين ، وتزوين تلك المعاني في قلوب المريدين^(٥) ، بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبةً في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة الناطقة عن الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيتَ فَعَصْلَ الخطاب ، واستوجبت من الله سبحانه جزيلَ الثواب^(٦) .

(١) وفي نهاية الأرب : « قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول » .
 (٢) بكأ الرجل بكاءً بالفتح فهو بكى ، من قوم بكاء بالكسر : قل كلامه خلفه ، وأصله من بكأت الذاقة والشاة كجعل وكرم بكئا وبكاءة بالفتح فيهما ، وبكؤا وبكاء بالضم فيهما ، فهي بكى وبكئة : إذا قل لبنها ، وفي الحديث « إنا معاشر النبأ بكاء » وفي رواية « نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء وبكاء » بالضم أى قلة كلام إلا فيما نحتاج إليه - انظر لسان العرب والقاموس مادة بكأ .
 (٣) في رسائل البلغاء « قال كانوا يخافون من فتنة السكوت وسَقَطَات الصمت » والتصحيح من زهر الآداب .

(٤) وفي نهاية الأرب « المتكلمين » .

(٥) وفيه « المستفهمين » .

(٦) وجاء في زهر الآداب عقب ذلك : « قليل لعبد الكريم بن روح الغفارى : من هذا الذى

وقال الخليل بن أحمد : كلُّ ما أدَّى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة ، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقاً ، ولتلك الحال وفقاً ، وآخر كلامك لأوله مشابهاً ، ومواردُه لمصادرِه مُوازناً فافعل ، واحرص أن تكون لكلامك متبهما وإن ظرف ، ولنظامك مستريبا وإن لطف . بمواتاة^(١) آلائك لك ، وتصرف إرادتك معك ، فافعل إن شاء الله .

وهذه الرسالة عذراء ، لأنها بكر معاني لم تفرع عنها بلاغة الناطقين ، ولا كسرتها أكفُ المفوهين ، ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ، ولا سبق إلى ألفاظها أذهان الناطقين ، فاجعلها مثلاً بين عينيائك ، ومعصورة بين يديك ، ومسامرة لك في ليلك ونهارك ، تهطل عليك شآبيب منافعها ، ويظللك منها بركاتها ، وتوردك منها بلوغاتها ، وتذلك على مهيع^(٢) رشدتها ، وتصدر لك وقد تقيع^(٣) ظموك بينابيع بحر إحسانها إن شاء الله عز وجل ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم^(٤) .

(رسائل البغاء ص ١٧٦ ، والعقد الفريد ٢ : ١٧١)

صبر له وهو هذا الصبر ؟ قال : سألت عن ذلك أبا حفص الشمرى فقال : ومن يجترئ عليه هذه الجراءة إلا حفص بن سالم ؟ » أقول : وحفص هذا هو أحد دعاة المعتزلة الذين أنفذهم واصل بن عطاء إلى الآفاق ، وبشهم في البلاد ، للنشر مذهب الاعتزال ، وقد بعثه واصل إلى خراسان - انظر المنية والأمل ص ١٩ ، والبيان والتبيين ١ : ١٤ .

(١) المراتاة : المرافقة والمطوعة .

(٢) طريق مهيع : أى بين .

(٣) تقع الماء العطش كقطع : سكبته ، وفي المثل « الرشف أنقع » أى إن الشراب الذى يترشف قليلاً قليلاً أقطع للعطش وأنجع ، وإن كان فيه بطء ، مثل يضرب في ترك العجلة .

(٤) ذكر الأستاذ كرد على في رسائل البغاء أنه نقل هذه الرسالة من مجموع قديم من كتب الشيخ طاهر الجزائري ، وقد أورد صاحب العقد الفريد نحواً من شطرها في باب أدوات الكتابة ، وأخبار الكتاب ، غير أنه لم يوردها على النمط الذى ورد في رسائل البغاء ، بل تصرف فيها كثيراً بالحذف والزيادة ، والتقديم والتأخير ، وتراه يلقب إبراهيم بن محمد بن المدبر كاتبها بالشيئاني ، فيقول :

(١٦ - ٤)

١٣٦ — كتاب محمد بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر

وكتب محمد^(١) بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر :

« الحمد لله رب العالمين ، محمدًا يجوز محمدًا حامدين ، الذي جعل قضاءه خيرةً لك ، فإن زادك نعمةً وفَّقَكَ لشكرها ، وإن امتحنك ببلوى من نَفَثِ^(٢) حاسدٍ ، أو كيدٍ كائدٍ ، أنار برهانتك ، وأفلج^(٣) حُجَّتَكَ ، وجمع بين وِلْيَتِكَ وعدوك في الشهادة لك ، وإن نقل أمرًا عن يدك فرمى برجمه إليك فمَحَلًّا لِفَقْدِكَ ، هذا إلى ما جعل عندك من خواصِّ النعم التي إن ذكرناها فأطننا ، أو تجوَّزنا فقصرنا ، كان غایتنا إلى الحُسُور^(٤) دون مَدَى غایتك ، وقد زادك الله بهذا الحادث فضلًا عظيمًا ، لما ظهر من وِلَه العامة إليك ، وتطَّسَّها إلى ما كانت فيه ، من لين إنصافك وكريم أخلاقك ، ووَحْشَةِ الخاصَّة لما فَقَدْتَهُ من حسن معاملتك ، وكثير تفضلك ، وأيقن أهل الرأي والتأمل لصفحات الأمور أن كل ما خرج عنك فمائدٌ إليك ، ومتصلٌ به غيره ، حتى تستقرَّ في يدك عُرَا الأمور ومعاقدها ، وتُفْتَحَ برأيك وتديره أبوابها ومغالقها ، فليهنئك أن كل ما زاد غيرك نقصًا ، زادك

قال إبراهيم بن محمد الشيباني . . . وأورد الفلقسندی في صبح الأعشى . فقرا منها — انظر ج ٢ : ص ٧ = ج ٣ : ص ٦ ، وكذا النويری في نهاية الأرب — انظر ج ٧ : ص ١٢ ، ١٣ ، ١٩ وكلاهما ياقبه بالشيباني أيضاً ، والظاهر أنه ينتمى إلى شيبان بالولاء .

(١) كاتب بليغ مترسل ، وكان بينه وبين أبي العناء مداعبات ، انظر أخباره في الفهرست لابن النديم ص ١٧٩ ، وفي خلال ترجمة أبي العناء في وفيات الأعيان وزهر الآداب كما قدمنا .

(٢) النفث شبيه بالنفخ ، والمعنى مما يصدر عن الحاسد .

(٣) أى نصرها .

(٤) الحُسُور : السكال والانقطاع .

فضلاً ، وكلّ ما نقص من الرجال وحطّها ، ألحق بك شرفاً ، فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا ممن يقبله رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموافقتك ، ويجرى منها على سبيل طاعتك .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٠١)

١٣٢ — كتابه إلى أحمد بن المديبر

وكتب ابن مكرم إلى أحمد بن المديبر :

« إن جميع أكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل ، فإذا انتهوا إليك أقرؤا لك ، ويتنافسون المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك ، فزادك الله ، وزادنا بك وفيك ، وجعلنا ممن يقبله رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموقع موافقتك ، ويجرى فيها على سبيل طاعتك . »

(المقد الفريد ٢ : ١٩٦)

١٣٣ — كتابه إلى أحمد بن دينار

وكتب محمد بن مكرم إلى أحمد بن دينار يعزيه بأخيه :

« الذي حرّكني للكتاب أيها الأمير تعزيتك بمن لا ترهيبك الأيام بمثل الحادث فيه ، ولا تعترض مما كان الله جمه لك عنده ، من الميل إليك ، والاستباق^(١) في صفوك ، والصبر على مكروه جفائك ، مع ما كان الله أعاره من قوة العقل ، وأصالة الرأي ، ومدّه له من عناية إلى قصوى غايات أمله

(١) في الأصل « الاسان » وهو تحريف .

ورجائه ، أبا محمد رضى الله عنه ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، على ما أفاتتنا
الأيامُ منه حين تمّ واستوى ، وعالَى في الثروة وتناهى ، وعند الله احتسابُ
المُصابِ به ، وعظمَ الله لك الأجرَ ، وأجزَلَ لك العِوضَ والآخرَ . فكل ماضٍ
من أهالك فأنت مِدادُ ثَمَمته ، وجابرُ رزيتِه ، والمؤنسُ من وحشته وفقده ،
وقد خلفَ من أنتَ أحقُّ الناسَ به : من عجوزٍ وليتَ تريبتك^(١) وحياطتك
في طبقاتِ سنك ، وولَدِ رُبوا في حِجرك ، ونبَتُوا في حَوَزَتك ، وليس لهم
بعد الله مرجعٌ سواك ، ولا مَقِيلَ إلا في ظلك وذراك^(٢) ، فَأَشْهُدُكَ اللهُ فيهم ،
فإنه رضى الله عنه أخرَبَهم بِعِمارةِ مُرُوءته ، وقطَعَهُم بِصِلَةِ^(٣) فضله ، فأنه
يَجْزِيهِ بِجَمِيلِ أثره ، ويُخْلِيفُ عليهم ما هو أهله ، فإن رأى الأميرُ أن يضمَّهُم
إليه ، ويَحَقِّقَ ثِقَةَ أبيهم كانت به ، ويُجَرِّىَ على أمِّه ما يقوم بعِصمتِها
وصيانتِها ، فَعَلَّ إن شاء الله . (اختيار المنظوم والشعر ١٣ : ٣١٨)

١٣٤ - كتابه إلى أحمد بن دينار

وكتب إلى أحمد بن دينار :

« نحن من السرور أيها الأميرُ بما قد استفاض من جميل أثرِكَ فيما
تلى من أعمالِكَ ، وزَمَّكَ إياها بِحَزَمِكَ وعِزَمِكَ ، وانتِياشِكَ^(٤) أهلها من
جَوْرِ مَنْ وَلِيَهُم قَبْلَكَ ، وسرورهم بتطاوُلِ أيامِكَ ، والكَوْنِ في ظِلِّ يدِكَ .

(١) في الأصل « مرسك » .

(٢) الذرى : الظل ، يقال : أنا في ذراه : أى في كنفه وستره .

(٣) في الأصل « بعقلة » .

(٤) انتاشه : انتشله واستنقذه .

وجناحك ، في إحانة من تحضه وتعمه نعمتك ، وتحول به الجول حيث
حالت بك ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك ، ولم يردد علينا آمالنا فيك
منكوسة ، كما ردها على غيرنا في غيرك ، ولوددت أن أباك كان عين آثارك
هذه ومناقبك ، وإن كان الافتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلفه ، وأنت
إليك بأمره ومعاقد ثقته ، وجعلك موضع اختصاصه وأثرته ، وصرف ذلك
عن كان لا يستحقه ، وذم سالف رأيه فيك وفيه ، وحيد آخره ، ثم نعمة
اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أسورك فاعتدلت ، وتلاحت عليها
واتسقت : ما منحت في كتابك ، ومستقر ثقتك ، وحامل أعبائك ، من
الكفاية والنصيحة ، ووضعيه عن قلبك متونة الشهمة والقص لأثره ،
وإدخاله راحة الطمأنينة إليه ، وروح الثقة به ، لا كما ابتلى أخوك^(١) ، فإنه
صحبته فخلط عليه أمره ، وأفشى أسرارَه إلى صاحب بریده ، فأنفل^(٢) ذلك
بينهم ، وقطع حبالهم ، حتى هُجنت^(٣) آثاره مع حُسنها ووضوحها ،
وصفرت يده من حظ عمله ، ولزمه الذم من أهله ، فهذه كتبه إلى ،
في أطراح نصيحة له كانت فيسه ، ويسألني أن أشخص إليه كاتباً يحمل
ثقله ، ويفتح له ما أرتجته^(٤) من أمره ، وهذا من سعادة جدك ، ومن
طائرک، وإقبال الأمور إليك ، وسعيها على طريق موافقتك ، وهنيئاً ، هناك

(١) جاء في تاريخ الطبري ١٠ : ٣٦٢ « وفي سنة ٢٢٤ - في خلافة المعتصم - ولي جعفر بن دينار
البن » وجاء فيه أيضاً ١١ : ١٨ « وفي سنة ٢٣١ ولي إمام جعفر بن دينار الدين » .

(٢) الإقبال : أخذ الرجل الفأس لقطع القتاد لإبله ، والمعنى هنا فقطع .

(٣) أى قبحت .

(٤) أى ما أغلقه .

الله نعمته خاصتها وعامتها ، وأوزعك ^(٦) شكرها ، وأوجب لك بالشكر
أحسن الزيد فيها . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٠)

١٣٥ - كتابه إلى نصراني أسلم

وكتب محمد بن مكرم إلى نصراني أسلم .

« أما بعد : فالحمد لله الذي وفّقك لشكره ، وعرفّك هدايته ، فطهر
من الارتياح قلبك ، ومن الافتراء عليه لسانك ، وما زالت فخايلك ممثلة لنا
جميل ما وهبه الله لك ، حتى كأنك لم تزل بالاسلام موسوما ، وإن كنت على
غيره مقبلا ، وكنا مؤمّلين لما صرت إليه ، مُشفقين لك مما كنت عليه ، حتى
إذا كاد إشفاقنا يستعلي رجاءنا ، أتت السعادة بما لم تزل الأنفس تعدّ
منك ، فأسأل الله الذي نور لك في رأيك ، وأضاء لك سبيل رشدك ، أن
يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ،
ويقيك عذاب النار » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٥ ، وزهر الآداب ١ : ٣٢٥)

١٣٦ - كتابه إلى حاج

وكتب تهنئة لحاج :

« بلغك الله الرضا في أملاك ، من نجح كل حاجة ، وإبلاغ كل أمنية ،
وتقبل كل دعوة خصصت بها نفسك أو عممت بها أحدا من أهلك ، في

تَجَامِعُ وَفُودِهِ ، وَمُعْتَزَلٍ قَرَارِهِ فَكُنْتَ شَافِعَ مَنْ شَافَعَكَ ، وَوَافِدَ مَنْ غَابَ عَنْكَ ، يَسْتَفْتِحُ بِدَعَائِكَ ، وَيُرْجِي بِرُكَّةِ مَحْضَرِكَ ، وَالْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِ جَاهِكَ » (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٩٩)

١٣٧ — كتابه إلى بعض الرؤساء

وكتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء يعتذر :
« نَبَتْ بِي عَنْكَ ^(١) غِرَّةُ الْحِدَاثَةِ ، فَزِدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجَرِبَةُ ^(٢) ، وَبَاعَدَتْني عَنْكَ الثِّقَةُ بِالْأَيَّامِ ، فَأَذْنَتْنِي إِلَيْكَ الضَّرُورَةُ ، ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ ، وَقَبُولِكَ لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ سَدَّتْ عَلَى مَسَالِكَ الصَّفْحِ عَنِّي ، فَرَأَيْتُ فِيَّ مَجْدَكَ وَسُوْدُودَكَ ، وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذِلُّ مِنْ مَوْقِفِي ، لَوْلَا أَنَّ الْمَخَاطَبَةَ فِيهِ لَكَ ، وَلَا خُطَّةً أَدْنَى مِنْ خُطَّتِي ، لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ ^(٣) . »

(زهر الآداب ٣ : ٣٨٢ ، وعيون الأخبار ٣ : ١٠٥)

١٣٨ — كتابه إلى سليمان بن وهب

وله إلى سليمان بن وهب يعزيه عن أخيه الحسن :
« لَئِنْ أَطْنَبْتُ فِي وَصْفِ جَلَالَةِ الْمَصِيبَةِ بِفُلَانٍ ، لَأَجِدَنَّ مِنَ الْقَوْلِ

(١) نبا عنه : تبناني وتباعد ، والغرة : الغفلة .

(٢) وفي عيون الأخبار « الحنكة » — بالضم — .

(٣) وفيه : « وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ سَدَّتْ عَلَيْكَ مَسَالِكَ الصَّفْحِ ، فَأَيُّ مَوْقِفٍ هُوَ أَدْنَى مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ ، لَوْلَا أَنَّ الْمَخَاطَبَةَ فِيهِ لَكَ ، وَأَيُّ خُطَّةٍ هِيَ أَوْدَى بِصَاحِبِهَا مِنْ خُطَّةِ أَنَا رَاكِبُهَا ، لَوْلَا أَنَّهَا فِي رِضَاكَ ؟ » .

مُسْتَعْرِضًا فَمِيسِحًا يَزِيدُ الْإِمْعَانُ فِيهِ عَلَى غَايَتِهِ بُعْدًا ، وَلِئِنْ أَسْهَبْتُ فِي ذِكْرِ ثَوَابِهَا - الَّذِي إِذَا خَطَرَتْ الدُّنْيَا لِأَقْلَلِ لَهَا كَانَتْ بِهِ وَفَاءً وَلَهُ تَبَعًا^(١) - لَا أَجْدَنُّ أَرْحَبَ مِنْهُ مَذْهَبًا ، وَأَوْسَعَ مَجَالًا وَمُضْطَرَبًا ، فُجِعَ اللَّهُ حَظَّكَ حَظَّ الصَّابِرِينَ الْمُحْتَسِبِينَ ، الَّذِينَ عَرَفُوا فَسَلَمُوا ، وَأَيَقَنُوا فَصَبَرُوا ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَخْذًا بِأَدَبِ اللَّهِ الَّذِي قَرَنَ بِهِ صَلَاتَهُ وَرَحْمَتَهُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ فَلَانَا رَحْمَةً تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ زَلَلِهِ ، وَتُعْفِي عَلَى فَرَطَاتِ لِسَانِهِ وَيَدِيهِ ، فَلَقَدْ ظَمَنَ عَنِ الدُّنْيَا مَحْمُودًا مَفْقُودًا ، قَدْ أَطَالَ تَفَجُّعَ عَشِيرِهِ وَخَلِيلِهِ ، وَصَدَعَ فِي قَلْبِهِ ، وَجَافَى جَنْبَهُ ، وَأَعْدَمَهُ سَلْوَةُ الْعِرَوضِ ، وَرَاحَةُ السَّكُونِ إِلَى أَحَدٍ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الرَّمَضَ^(٢) وَالْهَلَعَ إِنَّمَا يَكُونَانِ لِلْمَصِيبَةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي لَا تَعْدُو صَاحِبَهَا ، وَلَا يَجِدُ مُسْعِدًا عَلَيْهَا ، وَلَا شَرِيكَ فِيهَا ، وَقَدْ أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى مَصِيبَتِكَ بِالْوَاشِجِ^(٣) رَحِمًا بِكَ ، وَالْبَعِيدِ نَسَبًا مِنْكَ ، وَجَمَعَ فِي ثِقَلِ مَحْمِلِهَا وَأَلَمِ فَجَعِهَا صَدِيقَكَ وَعَدُوَّكَ ، وَكُلُّ مُسْكِنٍ مِنْهَا سِرْبَالٌ وَخَشْيَةٌ ، وَمُنْطَوٍ عَلَى دَخِيلِ حَزْنٍ ، وَنَاطِرٍ مِنْ أَعْقَابِهَا فِي مَنَظَرٍ وَعَرٍ ، فَجَمِيعُهُمْ^(٤) فِيهَا مُشْتَرِكٌ ، وَأَنْتَ بِالتَّمَرُّزِيِّ حَقِيقٌ قَرْنٌ^(٥) ، عَلَى أَنَّهَا لَوْ خَصَّتْكَ لَكَانَ فِي عَامِكَ - بَأَنَّ كُلَّ مَصِيبَةٍ سَلِمَتْ مِنْ شَائِنَةٍ تَنْتَقِصُ ثَوَابُهَا فَهِيَ النِّعْمَةُ الْوَافِيَةُ ، وَكُلُّ مَصِيبَةٍ تَحْيِفُ^(٦) جَزَعُهَا أَجْرَهَا فَهِيَ الرِّزْيَةُ الْبَاقِيَةُ - مَا أَغْنَاكَ

(١) فِي الْأَصْلِ هَكَذَا « سَاءَ » .

(٢) الرَّمَضُ : حَرْقَةُ الْغَيْظِ .

(٣) وَشَجَّتْ بِكَ قِرَابَتَهُ كَوَعْدٍ : اشْتَبَكَتْ ، وَالْوَاشِجَةُ : الرَّحِمُ الْمَشْتَبِكَةُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ « فَعِجْلُكَ » .

(٥) أَيْ حَقِيقٌ أَيْضًا ، بِكُسْرِ الِیَمْ وَفَتْحِهَا وَكَأَمِيرٍ .

(٦) أَيْ تَنْقُصُ .

وكفالك عن أن تعيش من غيرك ، أو تعول في حظك على سواك ، وأن
يتخطى الجزعُ نعمة الله عليك إلى قلبك ، أو يجتازها إلى عزمك ، اللهم إلا
مالاتك النفس في بدء الصدمة من لوعة الفُرقة حتى تقسم أمرها ،
وتصير إلى أخذ مالها وترك ما عليها ، فتفتأ^(١) بفوز قدحك ، وبغنى سهمك ،
ويبقى الله أثرك منهجا لغيرك ، فقد يما وهب الله لك الخيرة في رأيك ،
والتوفيق في إيرادك وإصدارك ، فله الحمد ومنه العونة على الشكر ، وبطوله
يستحق المزيدي ، فإن رأيت أن تأمر بالكتاب إلى بما نفسى إليه متطلعة ،
وإليه مرجعي ، من صبر إن كان عزم لك عليه ، أتخذك فيه إماما ، وأروح
عن قلبي براحة قلبك ، أو غيره^(٢) - لا ابتلاك الله به - فأقضي فيه معك ،
وأحل فيه محلتك ، فعلت إن شاء الله » . (اختيار المنظوم المشور ٣١٩ : ١٣)

١٣٩ - كتاب محمد بن مكرم إلى أبي العيناء

وكتب محمد بن مكرم إلى أبي العيناء .

« أما بعد ، فإنني لأعرف للمعروف طريقا أحزن^(٣) ولا أوعر من
طريقه إليك ، ولا مستودعا أقل زكاء^(٤) ولا أبعد من ثمرة خير من مكانه
عندك ، لأنه يحصل منك المعروف في حسب دنيء ، ولسان بذيء ،

(١) نفى كفرح : انكسر غضبه ، وفي الأصل فبعنا « وربما كان » فتها .

(٢) معطوف على « صبر » .

(٣) أى أوعر ، من الحزن بالفتح : وهو ماغلظ من الأرض .

(٤) الزكاء : النماء والصلاح .

وَجَهْلٍ قَدْ مَلَكَ عَلَيْكَ عِنَانُكَ ، فَاَلْمَرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ
مُهْجُورٌ ، غَايَتُكَ فِي الْمَرُوفِ أَنْ تَجْزُرَهُ ^(١) ، وَإِنَّ وَلِيَّهِ أَنْ تَكْفُرَهُ ^(٢) .

(المنظوم والمنثور ١٣ : ٤١١)

١٤٠ - فصول لابن مكرم

فصل له :

« إِنَّ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنِّ عَلَيْهِكَ أَلَّا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ ، وَلَا يَأْمَنُ
التَّقْصِيرَ ، وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكَذِبِ ، وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ إِلَى غَايَةٍ
إِلَّا وَبَدَّ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا ، وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنْ الدَّاعِيَ لَا يَعْذَمُ ^(٣) كَثْرَةُ
الْمُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ » .



وفصل له :

« السِّيفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَأُ ، اسْتَفْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجِلَاءِ ، حَتَّى
تَعُودَ جِدَّتُهُ ، وَيُظْهِرُ فِرْنْدُهُ ^(٤) ، لِلِّينِ طَبِيعَتَهُ ، وَكِرْمِ جَوْهَرِهِ ، وَلَمْ أَصْفِ
نَفْسِي لَكَ عَجَبًا بِكَ بَلْ شُكْرًا » .



وفصل له :

-
- (١) أى تقطعه وتستأمله وفي الأصل « تحزره » وهو تصحيف . وربما كان « تحقره » كما في العقد .
(٢) تقدم لك (في الجزء الثالث ص ٤٥٦) أن صاحب العقد الفريد روى هذا الكتاب - بصورة
أخصر من ذلك - معزوا إلى أحمد بن يوسف . ولم أورد هنا ردَّ أبي العيَّاء على ابن مكرم لما فيه من
إخاش صريح لا يليق نشره .
(٣) في الأصل « لا يقدم » وهو تحريف .
(٤) فرند السيف : جوهره .

« زاد معروفك عندي عِظْماً أَنه عندك مستور حقير ، وعند الناس مشهور كبير ^(١) » .



وكتب في التنصل :

« لاقِ عَظِيمَ أَمَلِي فِيكَ ، مَا أَتَيْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذَنْبًا : مُخْطِئًا وَلَا مَتَمِّدًا ، وَاحِلَ فُلْتَةٍ لَمْ أَتِ لَهَا بِالْأَلْفِ ، فَأَوْطَيْتُ لَهَا اعْتِذَارًا ، وَإِنْ تَكُنْ ، فُبُغْيَةٍ حَاسِدٍ زَخَرَفَهَا عَلَى لِسَانٍ وَاشٍ نَبَذَهَا إِلَيْكَ فِي بَعْضِ غِرَّاتِكَ ، أَصَابَتْ مِنِّي مَقْتَلًا ، وَشَفَّتْ مِنْكَ غَلِيلًا » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٤ ، ١٩٦)



وله

« لَا تَتْرَكْنِي مَعْلَقًا بِحَاجَتِي ، فَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَطْلِ الطَّوِيلِ » .



وله :

« إِنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيَّ فِي طَلَبِ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَمْرَانِ فِي نَفْسِي ، وَأَمْرَانِ فِيكَ . فَأَمَّا اللَّذَانِ فِي نَفْسِي فَأَنِّي لَسْتُ أَضِيقُ عَنْكَ بِعَذْرِي ، وَلَا أَصُونُ عَنْكَ شُكْرِي . وَأَمَّا اللَّذَانِ فِيكَ ، فَسُرُورُكَ إِنْ أَجْدَيْتَ ^(٢) ، وَصَحَّةُ عَذْرِكَ إِنْ أَكْدَيْتَ ^(٣) » . (اختيار المنظوم والمثثور ١٣ : ٣٩٣)

(١) أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

زاد معروفك عندي عِظْماً أَنه عندك مستور حقير
تناساه كأن لم تأته وهو عند الناس مشهور كبير

(٢) أَجْدَى : أَعْطَى .

(٣) أَكْدَى : بَجَلَ أَوْ قَلَّ خَيْرُهُ أَوْ قَلَّ عَطَاءُهُ .

١٤١ - كتاب سعيد بن موسى إلى أبي شراعة

وكتب أبو شراعة^(١) إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قتيبة يستهديه بهذا ، فكتب إليه سعيد :

« إذا سألتني - جعلني الله فداء لك - حاجة فاشطط ، واحتكم فيها حكم الصبي على أهله ، فإن ذلك يسرني وأسارع إلى إجابتك فيه .
وأمر له بما التمس من النبيذ ، فزجه صاحب شرابه وبعث به إليه .

١٤٢ - رد أبي شراعة على سعيد بن موسى

فكتب إليه أبو شراعة :

« أستنسى^(٢) الله أجلك ، وأستعيذه من الآفات لك ، وأستعينه على شكر ما وهب من النعمة فيك ، إنه لذلك ولي ، وبه ملي .
أتاني غلامك المبيع قدّه ، السعيد بملكك^(٣) جدّه ، بكتاب قرأته غير مستكره اللفظ ولا مزور^(٤) عن القصد ، ينطق بحكمتك ، ويبين عن فضلك ، فوالله ما أوضح لي خفيّاً ، ولا زادني بك علماً ، وإذا أنت تسأل

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة ، من بكر بن وائل ، شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية ، جيد الشعر ، وهو كالبديوي في مذهبه ، وكان يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره ، وكان صديقاً لإبراهيم بن المنذر أيام تقلده البصرة أثراً عنده - انظر ترجمته في الأغاني ٢٠ : ٣٥ .

(٢) أى أسأله أن يطيل أجلك .

(٣) الملك : الملك .

(٤) ازور : مال وانحرف ، والقصد : استقامة الطريق .

فيه أن تهَبَ ، وتحبَّ أن تُحمَدَ ، ولا غَرْوَ^(١) أن تفعل ذلك ، ومن كَتَبَ^(٢) أخذته ، وعن كِلَالَةٍ^(٣) وغير كِلَالَةٍ ورثته ، موسى أبوك ، وسعيد جدك ، وعمرئو عمك ، ولك دار الصِّلة ودار الضيافة ، وصاحب البغلة الشَّهْبَاءُ^(٤) ، وحُصَيْنُ بن الحُمَامِ^(٥) ، وعُرْوَةُ بن الوَرْدِ^(٦) ، ففي أي غَلَوَاتٍ^(٧) المجد يطمع قرينك أن يستولى على المدى والأمد ، والأمدُ ذونك .

وكتابتك إلى أن أتحمم عليك تحمُّمُ الصبي على أهله ، فلَسَدًا ما جَرَرْتَ إلى معروفك ، ودَلَلْتَ على الأنس بك ، وحاشا للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحَسَبِ العتيق^(٨) ، والمنظر الأنيق ، الذي يسر القلب ، ويلاثم الروح ، ويطرُدُ الهمم :

تَدِيبٌ خِلَالِ شُئُونِ الْفَتَى دَيْبٌ دَبَا النَّمَلِ الْمُنْتَعِشِ^(٩)

(١) لاغرو ولاغروي : لا يجب .

(٢) أي من قرب .

(٣) الكِلَالَةُ : ما لم يكن من النسب لحنًا ، قال الفرزدق : « ورثم فتاة الملك لامن كِلَالَةً » أي ورثتموها وراثته قرب لا وراثته بعد ، قال عامر بن الطفيل :

وما سودتنى عامر عن كِلَالَةٍ أبي الله أن أسمر بأُم ولا أب

ومنه قولهم : هو ابن عم كِلَالَةٍ أي بعيد النسب ، فإذا أرادوا القرب قلوا هو ابن عم ذنية (بكسر الهمزة) .

(٤) شهباء ذات شبهة بالضم ، وهي بياض يصدعه سواد .

(٥) كان سيد بني سهم بن مرة ، وكان يقال له : مانع الضيم ، وهو شاعر جعل مقلدًا - انظر

ترجمته في الأغاني ١٢ : ١١٨ ، والشعر والشعراء ص ٢٤٧ .

(٦) شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وكان يقب : عروة الصماليك ، أسخانه ،

وهو من بني عيس - انظر ترجمته في الأغاني ٢ : ١٨٤ ، والشعر والشعراء ص ٢٦٠ .

(٧) الغلوة : الغاية قدر رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال : هي تدور ثلثة ذراع إلى أربع مائة ،

وقد تستعمل الغلوة في سباق الخيل ، - وهو المقصود هنا - والمدى والأمد : الغاية .

(٨) يعني الخمر .

(٩) الدبا : أصغر النمل .

إِذَا قُتِحَتْ فَفَمَتْ رِيحُهَا وَإِنْ سِيلَ حَمَارُهَا قَالَ : « خَشَّ »^(١)
فَإِنْ كُنْتَ رَعَيْتَ لَهَا عَهْدًا ، وَحَفِظْتَ لَهَا عِنْدَكَ يَدًا ، فَانْظُرْ رَبَّ
الْحَانُوتِ^(٢) فَامْطُلْهُ دَيْنَهُ ، واقطع السبب بينك وبينه ، فقد أساء
صُحْبَتَهَا ، وأفسد بالماء جُثَّتَهَا^(٣) ، وسلَّط عليها عدوها ، واعلم بأن أباك
الْمُتَمَثِّلَ بِقَوْلِهِ :

بَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا فَيَقْهَرُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ
وَقَدْ بَسَطَتْ قَدْرَتُكَ لِسَانَكَ ، وَأَكْثَرْتَ لَكَ الْحَمْدَ ، فَدُونِكَ نَهْزَةٌ^(٤)
الْبَدِيَّةُ ، مِنْهُ فَقَالَ :

وَبَادِرْ بِمَعْرُوفٍ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا زَوَالِ افْتِقَارٍ أَوْغَى عَنْكَ يُعَقِّبُ
وَقَدْ بَعَثَتْ إِلَيْكَ بِقَرَابَةٍ^(٥) مَعَ الرَّسُولِ ، وَأَنْشَأَتْ فِي إِثَرِهَا أَقُولُ :
إِلَيْكَ ابْنُ مُوسَى الْجَوْدِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي مُجَلَّلَةً يَضْفُو عَلَيْهَا جِلَالُهَا^(٦)
كَتُومُ الْوَجْهِ لَا تَشْتَكِي أَلَمَ السَّرِيِّ سَوَاءَ عَلَيْهَا مَوْتُهَا وَاعْتِلَالُهَا^(٧)
إِذَا شَرِبَتْ أَبْصَرَتْ مَا جَوْفُ بَطْنِهَا وَإِنْ ظَمِئَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهَا هُزَالُهَا
وَإِنْ كَحَلَتْ جَمَلًا تَكَلَّفُ جَمَلُهَا وَإِنْ خَطَّ عَنْهَا لَمْ أَبْلُ كَيْفَ حَالُهَا^(٨)

(١) نغمه الطيب كنع : سد خياشيمه ، وسال يسال : لغة في سأل المهموز ، وخش : كلمة فارسية
تفسيرها : طيب .

(٢) الحانوت : دكان الخمار ، ويقال : مطله حقه ، وبه .

(٣) وربما كانت « حسنها » .

(٤) النهزة : الفرسة . (٥) أى بنى قرابة .

(٦) الجلال جمع جل بالضم والفتح : وهو ما تلبسه الدابة لئلا يراها به ، وجلالها : ألبسها الجل ، وثوب
ضاف : أى سابغ .

(٧) الوجى : الحقى أو أشد منه ، والسرى : سير عامة الليل .

(٨) يقال : ما باليت وما باليت به : أى لم أكثرت به ، ولم أبال ولم أبل ، حذفوا الألف تخفيفا
لكثرة الاستعمال .

بهتتا بها تسمو الميونُ وراءها إليك ، وما يُخشَى عليها كلاًها^(١)
وغى مُغنيّنا بصوتٍ فشاقتني متى راجعٌ من أم عمرو خيالها
أحبُّ لكم قيسَ بنَ عيلانَ كلّها ويُعجِبني فُرسائها ورجالها^(٢)
ومالي لا أهوى بقاء قبيلة أبوك لها بدّر وأنت هلالها !
فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ ، وبصاحب شرابه ، وكل
ما كان في خزانته من الشراب ، وبثلثمائة دينار . (الأغاني ٢٠ : ٤٠)

١٤٣ - كتاب البيعة المنتصر بالله

ومات المتوكل على الله سنة ٢٤٧ هـ فبويغ ابنه المنتصر بالله بالخلافة ،
وكانت نسخة البيعة التي أخذت له :
« بسم الله الرحمن الرحيم : تبأيعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين ،
بيمة طوع واعتقاد ، ورضا ورغبة ، بإخلاصٍ من سرائركم ، وانشراحٍ
من صدوركم ، وصدقٍ من نيّاتكم ، لا مكرهين ولا مجبرين ، بل مُقرّين
عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها ، من طاعة الله وتقواه ، وإعزاز دين الله
وحقه ، ومن عموم صلاح عباد الله ، واجتماع الكلمة ، ولم الشّمت ،
وسُكون الدّهماء^(٣) ، وأمن العواقب ، وعزّ الأولياء ، وقمع الملحدين ، على
أن محمدًا الإمامَ المنتصر بالله عبدُ الله وخليفته المفترضُ عليكم طاعته ومناصحته ،

(١) الكلال : الإعياء .

(٢) لكم أى لأجلكم ، وفيس : هو قيس بن عيلان بن مضر . والمعنى : أحب جميع العرب
الماضية لأجلكم (وسعيد المكتوب إليه من باهلة ، وهم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس) .

(٣) الدهماء : جماعة الناس .

والوفاء بحقه وعقده ، لا تشكُّون ولا تذهنون^(١) ، ولا تميِّلون ولا ترتابون ،
وعلى السَّمْع له والطاعة ، والمسألة والنَّصْرَة ، والوفاء والاستقامة ، والنصيحة
في السِّر والعَلانية ، والخُفُوف^(٢) والوقوف عند كلِّ ما يأمر به عبدُ الله
الإمامُ المنتصرُ بالله أمير المؤمنين ، وعلى أنكم أولياء أوليائه ، وأعداء أعدائه ،
من خاصٍّ وعامٍّ ، وأبعد وأقرب ، وتتمسَّكون ببيعته بوفاء العقد ، وذيمة
العهد ، سرائرُكم في ذلك مثلُ علانيَتكم ، وضمائرُكم مثلُ أسنتكم ، راضين
بما يرضاه لكم أمير المؤمنين في عاجلكم وآجلكم ، وعلى إعطائكم أمير المؤمنين
بعد تجديدكم بيعته هذه على أنفسكم ، وتأكيذك إياها في أعناقكم ، صَفْقَةً
أيمانكم راغبين طائعين ، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ، وعلى
ألا تسعوا في نقضِ شيء مما أكَّد الله عليكم ، وعلى ألا يميل بكم مِمِيلٌ^(٣)
في ذلك عن نصرة وإخلاص ، ونصح ومُوالاة ، وعلى أن لا تبدلوا ، ولا
يرجع منكم راجع عن نيته وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون
بيعته التي أعطيتكم بها أسنتكم وعهودكم ، بيعَةً يطلع الله من قلوبكم على
اجتِبائها^(٤) واعتقادها ، وعلى الوفاء بدمته بها ، وعلى إخلاصكم في نصرتها
ومُوالاة أهلها ، لا يشوبُ ذلك منكم دَغْلٌ^(٥) ولا إذهانٌ ، ولا احتيال ولا
تأوُّل ، حتى تلقوا الله مُوفين بمهده ، ومؤدِّين حقَّه عليكم ، غيرَ

(١) الإذهان : إظهار خلاف ما يضر ، والفتن .

(٢) الخفوف : العجلة وسرعة السير .

(٣) مِمِيل بالفتح مصدر كميل ، ويصح أن يكون بالضم ، اسم فاعل .

(٤) اجتباها : اختارها .

(٥) الدغل : الفساد .

مستشرفين^(١) ولا ناكثين ، إذ كان الدين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما يبايعون الله ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ، عليكم بذلك وبما أَكَدَّتْ هذه البيعة في أعناقكم ، وأعطيتم بها من صَفْقَةِ أيمانكم ، وبما اشترط عليكم بها ، من وفاء ونصرٍ ومُوالاةٍ واجتهاد ونُصح ، وعليكم عهدُ الله إن عهده كان مستولاً ، وذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله ، وأشدُّ ما أَخَذَ على أنبيائه ورسله وعلى أحد من عباده من متأكّد وثائقه ، أن تسمعوا ما أَخَذَ عليكم في هذه البيعة ولا تبدّلوا ، وأن تُطيعوا ولا تعصوا ، وأن تُخلصوا ولا ترتابوا ، وأن تتمسّكوا بما عاهدتم عليه تمسّكَ أَهْلِ الطاعة بطاعتهم ، وذوى الهدى والوفاء بوفائهم وحقّهم ، لا يُلَفِّتْكم عن ذلك هَوًى ولا مَمِيل ، ولا يَزِيغْ بكم فيه ضلالٌ عن هدى ، باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة ، بما جعلتم على أنفسكم ، لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها ، فَمَنْ نَكَثَ مِنْكُمْ مِمَّنْ بَايَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هذه البيعة عما أَكَدَّ عليه ، مُسِرًّا أو مُعَلِنًا ، أو مُصَرِّحًا أو مُحْتَالًا ، فَأَذْهَنَ فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أَخَذَتْ به موثيقُ أمير المؤمنين وعهودُ الله عليه ، مستعملًا في ذلك الهَوَيْنِىَ دون الجِدِّ ، والرُّكُونََ إلى الباطل دون نُصرةِ الحق ، وزاغَ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم ، فكلُّ ما يَمْلِكُ كلُّ واحدٍ ممن خان في ذلك بشيءٍ نقضَ عهده ، من مال أو عقار أو سائمةٍ

(٢) استشرّفه حقه : ظاهراً ، وسيأتى في كتاب البيعة للمعتر « غير مسترين » .

أَوْزَعُ أَوْ ضَرَعُ ، صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ فِي وَجْهِهِ سَبِيلُ اللَّهِ ، مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَالِهِ ، عَنْ حَيَاةٍ يَقْدُمُهَا لِنَفْسِهِ أَوْ يَحْتَالُ بِهَا ، وَمَا أَفَادَ^(١) فِي بَقِيَّةِ عَمَرِهِ مِنْ فَائِدَةِ مَالٍ ، يَقِلُّ خَطَرُهَا أَوْ يَجِلُّ قَدَرُهَا ، فَتِلْكَ سَبِيلُهُ إِلَى أَنْ تُؤَافِقَهُ مَنِيَّتُهُ ، وَيَأْتِي عَلَيْهِ أَجَلُهُ ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ يَمْلِكُهُ الْيَوْمَ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أَنْثَى ، أَحْرَارٌ لَوَجْهِهِ اللَّهُ ، وَنَسَاؤُهُ يَوْمَ يَلْزَمُهُ الْحِنْتُ ، وَمَنْ يَتَزَوَّجَ بَعْدَهُنَّ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً ، طَوَالِقُ الْبَتَّةِ طَلَاقُ الْخَرَجِ^(٢) ، لَا مَشْنُونِيَّةَ^(٣) فِيهِ وَلَا رَجْعَةَ ، وَعَلَيْهِ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثِينَ حِجَّةً^(٤) لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ إِلَّا الْوَفَاءَ بِهَا ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرِيئَانِ ، وَلَا قَبَلَ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا^(٥) ، وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا »

(تاريخ الطبري ١١ : ٧١)

١٤٤ - كتاب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وَفِي سَنَةِ ٢٤٨ أُغْزِيَ الْمُنْتَصِرُ وَصِيْفًا التُّرْكِي - أَحَدُ كِبَارِ الْمَوَالِي الْأَتْرَاكِ - بِلَادَ الرُّومِ ، وَكُتِبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ كِتَابًا نَسَخْتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُحَمَّدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،

(١) أى استفاد . (٢) انظر ص ١٦١ من الجزء الثالث .

(٣) أى لا استثناء . (٤) الحجة : السنة .

(٥) الصِّرف : التوبة ، والعدل : الفدية .

ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله .
 أما بعد : فإن الله - وله الحمد على آلائه ، والشكرُ بحمिल بلائه -
 اختار الإسلام وفضله ، وأتته وأكمله ، وجعله وسيلةً إلى رضاه ومثوبته ،
 وسبيلاً لهمجاً^(١) إلى رحمته ، وسبباً إلى مذكور كرامته ، فقهر له من خالفه ،
 وأذل له من عند عن حقه ، وابتغى غير سبيله ، وخَصَّه بأتم الشرائع وأكملها ،
 وأفضل الأحكام وأعدلها ، وبعث به خيرته من خلقه ، وصفوته من عباده ،
 محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجعل الجهاد أعظم فرائضه منزلةً عنده ، وأعلىها
 رتبةً لديه ، وأنجحها وسيلةً إليه ، لأن الله عز وجل أعز دينه ، وأذل عتاة
 الشرك ، قال الله عز وجل آمرا بالجهاد ، ومفترضاً له : « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً
 وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

ولست تفضي بالمجاهد في سبيل الله حال لا يكابد في الله نصيباً ولا
 أذى ، ولا ينفق نفقةً ، ولا يقارع عدواً ، ولا يقطع بلداً ، ولا يطأ أرضاً ،
 إلا وله بذلك أمرٌ مكتوبٌ ، وثوابٌ جزيل ، وأجرٌ مأمول ، قال الله عز
 وجل : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ^(٢) فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ
 بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً
 وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ

(١) النهج : الطريق الواضح .

(٢) المخمصة : المجاعة .

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» ثم أثنى عز وجل بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده ، وما وَعَدَهُمْ من جزائه ومثوبته وما لهم من الزُلفى عنده فقال : « لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » .

فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وجعل جنته ثمنًا لهم ، ورضوانه جزاء لهم على بذلها وَعَدًا منه حقًا لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَحُكْمًا عَدْلًا لَا تَبْدِيلَ لَهُ ، قَالَ اللَّهُ عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » وحكم الله عز وجل لأحياء المجاهدين بنصره ، والفوز برحمته ، وأشهد لموتاهم بالحياة الدائمة ، والزُلفى لديه ، واحفظ الجزيل من ثوابه ، فقال : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

وليس من شيء يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم ، ويسمعون به في حطِّ أوزارهم ، وَفَكَالُ^(١) رِقَابِهِمْ ، ويستوجبون به الثواب

(١) فكَالُ الرهن بالفتح ويكسر : ما يفتك به .

من ربهم ، إلا والجهادُ عنده أعظمُ منه منزلةً ، وأعلى لديه رتبةً ، وأولى بالفوز في الماحلة والآجلة ، لأن أهله بذلوا لله أنفسهم ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وسمّحوا بها دون مَنْ ورائهم من إخوانهم وحرّيم المسامين ويَضَتُّهم ، ووقموا^(١) بجهادهم العدو .

وقد رأى أمير المؤمنين - لما أُحِبَّه من التقرب إلى الله بجهاد عدوه ، وقضاء حقه عليه فيما استحقَّه من دينه ، والتماس الرُّأْفَى له في إعراز أوليائه ، وإحلال البأس والنقمة بمن حادَّ عن دينه ، وكذب رسالته ، وفارق طاعته - أن يُنْهَضَ « وصيفاً » مَوْلى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة الروم غازياً ، لما عرفه الله أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ، ومحمود تعبته ، وخلوص نيته في كل ما قرَّبه من الله ومن خليفته .

وقد رأى أمير المؤمنين - والله وليُّ معونته وتوفيقه - أن يكون موافقاً « وصيفاً » فيمن أنهض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنده وشاكريته^(٢) ثغر مَلَطِيَّة^(٣) ، لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ ليلةً تخلو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وذلك من شهور العجم للنصف من حزيران ، ودخوله بلاد أعداء الله في أول يوم من تموز .

فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عملك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا ، ومُرهم بقراءته على مَنْ قِيتهم من المسامين ، وترغيبهم في الجهاد

(١) أى أذلوا ونهروا .

(٢) الشاكرى : الأجير والمستخدم .

(٣) قال ياقوت في معجمه « ملطية بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء وتخفيف الياء ، والعامية نقوله بشديد الياء وكسر الطاء : بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تناخم الشام » .

وَحَثَّهِمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتَنْفَارِهِمْ إِلَيْهِ ، وَتَعْرِيفِهِمْ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ لِأَهْلِهِ ، لِيَعْمَلَ ذَوُو النِّيَّاتِ وَالْحِسْبَةِ وَالرَّغْبَةَ فِي الْجِهَادِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ فِي النَّهْوِضِ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَالْخُفُوفِ إِلَى مُعَاوَنَةِ إِخْوَانِهِمْ ، وَالذِّيَادِ عَنْ دِينِهِمْ ، وَالرَّحْمَى مِنْ وَرَاءِ حَوَازِتِهِمْ ، بِمَوَافَاةِ عَسْكَرِ « وَصِيف » مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَلَطِيَّةَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّثَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَكَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ^(١) لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ . (تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١١ : ٧٤)

١٤٥ - رُقْعَةُ الْمُعْتَزِّ وَالْمُؤَيَّدِ فِي خَلْعِ أَنْفُسِهِمَا مِنَ الْبَيْعَةِ

وَسَمِيَ الْأَتْرَاكُ سَعْيِهِمْ - بِتَدْيِيرِ الْوَزِيرِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ - لَدَى الْمُنتَصِرِ ، فِي أَنْ يَخْلَعَ أَخُوَيْهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزَّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدَ مِنَ الْخِلَافَةِ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى فَعَلَ ، وَاسْتَكْتَسَبَ كِلَا مِنْهُمَا رُقْعَةً بِخَطِّهِ أَنَّهُ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْبَيْعَةِ ، وَقَامَا فِيمَنْ اجْتَمَعَ مِنْ وَجُوهِ النَّاسِ فَأَعْلَنَا ذَلِكَ لَهُمْ ، وَكَانَتِ النُّسْخَةُ الَّتِي كَتَبَاهَا .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : إِنْ أَسِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَلَدْنِي هَذَا الْأَمْرَ ، وَبَايَعْتُ لِي وَأَنَا صَغِيرٌ ، مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِي وَمُحَبَّتِي ، فَلَمَّا فَهِمْتُ أَمْرِي عَامَتُ أَنِّي لَا أَقُومُ بِمَا قَلَدْنِي ، وَلَا أَصْلِحُ لِمُخْلَافَةِ الْمَسَامِينِ ، فَمَنْ كَانَتْ يَبْعَتِي فِي عُنُقِهِ فَهُوَ مِنْ تَقْضِيهَا فِي حِلٍّ ، وَقَدْ حَلَلْتُكُمْ مِنْهَا ،

(١) كَانَ وَزِيرًا لِلْمُنْتَصِرِ - انْظُرْ خَبْرَهُ فِي الْفَتْحِ ص ٢١٧ وَمَرْجُوعُ الذَّهَبِ ٢ : ٣٩٩ .

وأبرأتكم من أيمانكم ، ولا عهد لي في رقابكم ولا عقد ، وأنتم بُرَاء من ذلك .
وكان الذي قرأ الرقعة أحمد بن الخصيب ، ثم قام كل منهما فقال لمن
حضر : هذه رقعتي وهذا قولي ، فاشهدوا عليّ ، وقد أبرأتكم من أيمانكم
وحللتكم منها ؛ فقال لهما المنتصر عند ذلك : قد خار الله لكما والمسلمين .
(تاريخ الطبري ١١ : ٧٧)

١٤٦ - كتاب المنتصر بخلع المعتز والمؤيد

وكتب المنتصر كتابا إلى العمال بخلعهما ، وهذه نسخة كتابه إلى أبي
العباس محمد بن عبد الله بن طاهر في ذلك :
« من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله
مولى أمير المؤمنين .

أما بعد ، فإن الله - وله الحمد على آلائه ، والشكرُ بجميل بلائه -
جعل ولاة الأمر ، من خلفائه القائمين بما بعث به رسوله صلى الله
عليه وسلم ، والذائبين عن دينه ، والداعين إلى حقه ، والمُضِين لأحكامه ،
وجعل ما اختصهم به من كرامته قواما لعباده ، وصلاحا لبلاده ، ورحمةً
عمر بها خلقه ، واقترض طاعتهم ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم ، وأوجبها في مُحْكَم تنزيله ، لما جمع فيها من سُكون الدَّهَاء ،
والتَّساقِ الأهواء ، ولمَّ الشَّعَث ، وأَمَّنِ السُّبُل ، وَوَقَمِ العدو ، وحَفِظِ الحَرِيم ،
وسدَّ الثُّغُور ، وانتظام الأمور ، فقال : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ » فَمِنَ الْحَقِّ عَلَى خُلَفَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ حَبَّاهُمْ بِعَظِيمِ نِعْمَتِهِ ، واختصهم

بأعلى رُتَب كرامته ، واستحفظهم فيما جعله وسيلةً إلى رحمته ، وسببا لرضاه ومثوبته ، أن يؤثروا طاعته في كل حال تصرّفت بهم ، ويقيموا حقه في أنفسهم ، والأقرب فالأقرب منهم ، وأن يكون محلهم من الاجتهاد في كل ما قرّب من الله عز وجل حسب موقعهم من الدين ، وولاية أمير المسلمين ، وأمير المؤمنين يسأل الله مسألةً ، رغبةً إليه وتذللاً لعظمته ، أن يتولاه فيما استرعاه ، ولايةً يجمع له بها صلاح ما قلده ، ويحمل عنه أعباء ما حمّله ، ويعينه بتوفيقه على طاعته ، إنه سميع قريب .

وقد علمت ما حضرت من رفع أبي عبد الله وإبراهيم ابني أمير المؤمنين المتوكّل على الله رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين رُفَعَتَيْن بخطوطهما يذكّران فيهما ما عرفهما الله من عطف أمير المؤمنين عليهما ورأفته بهما ، وجبيل نظره لهما ، وما كان أمير المؤمنين المتوكّل على الله عقده لأبي عبد الله من ولاية عهد أمير المؤمنين ، وإبراهيم من ولاية العهد بعد أبي عبد الله ، وأن ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفلاً لم يبلغ ثلاث سنين ، ولم يفهم ما عُقد له ، ولا وقف على ما قلده ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحلم ، ولم تجز^(١) أحكامهما ، ولا جرت أحكام الإسلام عليهما ، وأنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووقفا على عجزهما عن القيام بما عُقد لهما من العهد ، وأُسْنِد إليهما من الأعمال ، أن يتصحا لله ولجماعة المسلمين ، بأن يُخْرِجا من هذا الأمر الذي عُقد لهما أنفسهما ، ويعتزلا الأعمال التي قلداها ، ويجعلا كلّ من في عُنقه لهما بيعةً وعليه عيّن ، في حلٍّ ، إذ كانا لا يقومان بما رُشّـحـا له ، ولا يصلحان لتقلده ، وأن يُخْرِجَ مَنْ كان ضمّاً إليهما ممن في نواحيهما من قوّاد

(١) وربما كان « ولم تجز » .

أمير المؤمنين ومواليه وغلمانه وجنده وشاكريته وجميع من مع أولئك القواد بالخضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما ، ويُرْزَلُ عنهم جميعا ذكر الضم إليهما ، وأن يكونا سوقة^(١) من سوق المسامين وعامتهم ، ويصفان ما لم يزالا يذكُران لأمر المؤمنين من ذلك ، ويسألانه فيه ، منذ أفضى الله بخلافته إليه ، وأنهما قد خلعا أنفسهما من ولاية العهد وخرجا منها ، وجعلا كل من لهما عليه بيعة وعين ، من قواد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيته قريتهم وبعيدهم ، وحاضرهم وغائبهم ، في حل وسعة من بيعتهم وأيمانهم ، ليخلعوهما كما خلعا أنفسهما ، وجعلا لأمر المؤمنين على أنفسهما عهد الله وأشد ما أخذ على ملائكته وأنبيائه وعباده من عهد وميثاق ، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليهما من الأيمان ، بإقامتهما على طاعته ومناصحته وموالاته في السر والعلانية ، ويسألان أمير المؤمنين أن يظهر ما فعلاه وينشره ، ويحضر جميع أوليائه ليسمعوا ذلك منهما ، طالبين راغبين ، طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ، ويُقرأ عليهم الرقعتان اللتان رفعاهما بخطوطهما ، بما ذكرنا من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد وهما صبيان ، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما ، وما سألنا من صرفهما عن الأعمال التي يتوليانها ، وإخراج من كان بها ممن ضم إليهما في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين وجنده وغلمانه وشاكريته وجميع من مع أولئك القواد بالخضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما ، وإزالة ذكر الضم إليهما عنهم ، وأن يُكتب الكتاب بذلك إلى جميع عمال النواحي ، وأن أمير المؤمنين وقف على

(١) السوق : الرعية ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وقد يجمع على سوق بضم ففتح .

صِدْقُهُمَا فِيما ذَكَرًا وَرَفَعًا ، وَتَقَدَّمَ فِي إِحْضَارِ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ وَمَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَقَوَادِهِ وَمَوَالِيهِ وَشِيعَتِهِ وَرُؤَسَاءِ جُنْدِهِ وَشَاكِرِيَّتِهِ وَكُتَّابِهِ وَقُضَّاتِهِ وَالْفُقَهَاءَ وَغَيْرَهُمْ وَسَائِرَ أَوْلِيائِهِ الَّذِينَ كَانَتْ وَقَعَتْ الْبَيْعَةُ لَهُمَا بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَحَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقُرِئَتْ رُقْعَتَاهُمَا بِخَطِّ طَهُمَا بِحَضْرَتِهِمَا فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمَا وَعَلَى جَمِيعِ مَنْ حَضَرَ ، وَأَعَادَا مِنَ الْقَوْلِ بَعْدَ قِرَاءَةِ الرُّقْعَتَيْنِ مِثْلَ الَّذِي كُتِبَ بِهِ ، وَرَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ فِي إِجَابَتِهِمَا إِلَى نَشْرِ مَا فَعَلَاهُ وَإِظْهَارِهِ وَإِمضَائِهِ ذَلِكَ ، قَضَاءً حَقُوقِ ثَلَاثَةِ : مِنْهَا حَقُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيما اسْتَحْفَظَهُ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَأَوْجِبَ عَلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ لِأَوْلِيائِهِ فِيما يَجْمَعُ لَهُمْ كَلِمَتَهُمْ فِي يَوْمِهِمْ وَغَدِهِمْ ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَمِنْهَا حَقُّ الرِّعَاةِ الَّذِينَ هُمْ وَدَائِعُ اللَّهِ عِنْدَهُ ، حَتَّى يَكُونَ الْمُتَقَلِّدُ لَأُمُورِهِمْ مَنْ يَرَاعِيهِمْ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، بِعِنَايَتِهِ وَنَظَرِهِ وَتَفَقُّدِهِ وَعَدْلِهِ وَرَأْفَتِهِ ، وَمَنْ يَقُومُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، وَمَنْ يَضْطَلِعُ بِثَقُلِ^(١) السِّيَاسَةِ وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ ، وَمِنْهَا حَقُّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمَ فِيما يُوْجِبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمَا بِأَخَوَتِهِمَا وَمَاسٍ رَحِمَهُمَا ، لِأَنَّهُمَا لَوْ أَقَامَا عَلَى مَا خَرَجَا مِنْهُ ، مَعَ عَجْزِهِمَا عَنْهُ ، لَمْ يُؤْمَنْ تَأْدِي ذَلِكَ إِلَى مَا يَعْظُمُ فِي الدِّينِ ضَرَرُهُ ، وَيُسْمُ الْمَسَامِينُ مَكْرُوهُهُ ، وَيَرْجِعُ عَلَيْهِمَا عَظِيمُ الْوِزْرِ فِيهِ ، فَخَلَعَهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ خَلَعَا أَنْفُسَهُمَا مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَخَلَعَهُمَا جَمِيعُ إِخْوَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَخَلَعَهُمَا جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ مِنْ قَوَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ وَشِيعَتِهِ وَرُؤَسَاءِ جُنْدِهِ وَشَاكِرِيَّتِهِ وَكُتَّابِهِ

(١) الثَّقُلُ : الْحَمْلُ ، وَاضْطَلَعَ بِهِ : قَوَى عَلَى حِمَاة .

وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين ، الذين كانت أخذت
لهما البيعة عليهم ، وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك إلى جميع العمال ،
ليتقدموا في العمل بحسب ما فيها ، ويخلصوا أبا عبد الله وإبراهيم من ولاية
العهد ، إذ كانا قد خلاهما أنفسهما من ذلك ، وحلّالا الخاصّ والعام ، والحاضر
والغائب ، والداني والقاصي منه ، ويسقطوا ذكركما بولاية العهد ، وذكر
ما نسبنا إليه من نسب ولاية العهد ، من المعتز بالله والمؤيد بالله من كتبهم
وألفاظهم ، والدعاء لهما على المنابر ، ويسقطوا كلّ ما ثبت في دواوينهم من
رسومهما القديمة والحديثة الواقعة على من كان مضموما إليهما ، ويُرلوا
ما على الأعلام والمطارد^(١) من ذكركما ، وما وُسمت به دواب الشاكرية
والرّابطة من أسمائهما ، ومحمّلك من أمير المؤمنين وحالك عنده على حسب
ما أخلص الله لأمر المؤمنين من طاعتك ومناصحتك وموالاتك ومشايعتك
ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك ، وما عرف الله أمير المؤمنين من
طاعتك ، ويؤمن بقيمتك^(٢) ، واجتهادك في قضاء الحق ، وقد أفرذك
أمير المؤمنين بقيادتك ، وإزالة الضم إلى أبي عبد الله عنك ، وعمّن في ناحيتك
بالخضرة وسائر النواحي ، ولم يجعل أمير المؤمنين بينك وبينه أحدا يرأسك ،
وخرج أمره بذلك إلى ولاية دواوينه . فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك بنسخة
كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وأوعز إليهم في العمل على حسبه إن
شاء الله والسلام .

(١) المطرد كنب : مرج قصير يطرد به .

(٢) النقية : النفس .

وكتب أحمد بن الخصب يوم السبت لعشرَ بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين . (تاريخ الطبري ١١ : ٧٧)

١٤٧ - كتاب البيعة للمعتز بالله

وتوفي المنتصر بالله سنة ٢٤٨ هـ فولي الخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم ، ولقب بالمستعين بالله ، وفي عهده قويت شوكة الأتراك .

وفي سنة ٢٥١ انحدر المستعين من سامرا^(١) إلى بغداد ، ومالبت الأتراك أن ثاروا به ، وأخرجوا المعتز^(٢) بالله وبايعوه ، وكانت نسخة بيعته^(٣) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، تبايعون عبد الله الإمامَ المعتز بالله أمير المؤمنين ، بيعة طوع واعتقاد ، ورضا ورغبة وإخلاص من سرائركم ، وانشراح من صدوركم ، وصدق من نيّاتكم ، لا مكرهين ولا مجبرين ، بل مُقرّين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من تقوى الله وإيثارية طاعته ، وإعزاز حقه ودينه ، ومن عموم صلاح عباد الله ، واجتماع الكلمة ، ولم الشعث ، وسكون الدماء ، وأمن العواقب ، وعز الأولياء ، وقمع الملحدّين ، على أن أبا عبد الله المعتز بالله ، عبدُ الله وخليفته ، المفترضُ عليكم طاعته ونصيحته ، والوفاء بحقه وعهده ، لا تشكّون ولا تذهنون ولا تميّلون

(١) سامرا لغة في سر من رأى ، وقد قدمنا كلمة عنها في ص ١٥٠ .

(٢) وكان المعتز والمؤيد في حبس في الجوسق (أى القصر) في حجرة صغيرة ، مع كل واحد منهما غلام يخدمه ، موكل بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بلان ، ومعه عدة من الأعوان .

(٣) هي نسخة بيعة المنتصر مع تغيير طفيف ويظهر أنه من الناسخ .

ولا ترتابون ، وعلى السمع والطاعة والمشيئة والوفاء والاستقامة والنصيحة
 في السر والعلانية ، والخُفُوفِ والوقوفِ عند كل ما يأمر به عبدُ الله
 أبو عبد الله الإمام المعترف بالله أمير المؤمنين ، من موالاة أوليائه ، ومُعاداة
 أعدائه ، من خاصٍّ وعامٍّ ، وقريبٍ وبعيدٍ ، متمسكين ببيئته بوفاء العقد ،
 وذمة العهد ، سرائرُكم في ذلك كعلانيتكم ، وضمائرُكم فيه كمثل ألسنتكم ،
 راضين بما يَرْضَى به أمير المؤمنين بعد بيعتكم هذه على أنفسكم ، وتأكيديكم
 إياها في أعناقكم ، صفةً ، راغبين طائعين ، من سلامة من قلوبكم وأهوائكم
 ونياتكم ، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخى أمير المؤمنين ، وعلى
 ألا تسعوا في نقض شيء مما أكد عليكم ، وعلى أن لا يميل بكم في ذلك
 تميل عن نصرة وإخلاص ومُوالاة ، وعلى ألا تبدلوا ولا تغيروا ، ولا يرجع
 منكم راجع عن بيعته وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون بيعتكم
 التي أعطيتموها بألسنتكم وعهودكم بيعةً يطلع الله من قلوبكم على اجتباؤها
 واعتمادها ، وعلى الوفاء بذمة الله فيها ، وعلى إخلاصكم في نصرتها ومُوالاة
 أهلها ، لا يشوب ذلك منكم نفاقٌ ولا إدهانٌ ولا تأوُّل ، حتى تلقوا الله
 مُوفين بمهده ، مؤدِّين حقَّه عليكم ، غير مُستترين ولا ناكثين ، إذ كان
 الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين ، بيعةً خلافته وولاية العهد من بعده
 لإبراهيم المؤيد بالله أخى أمير المؤمنين ، إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
 أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ
 اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ، عليكم بذلك وبما أكدت عليكم به هذه البيعة

في أعناقكم ، وأعطيتكم بها من صَفْقَةِ أيمانكم ، وبما اشترط عليكم من وفاء ونُصرة وموالاتة واجتهاد ، وعليكم عهد الله ، إن عهده كان مسئولاً ، وذمة الله عز وجل وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله وعلى أحدٍ من عباده من مَوا كيدِهِ ومَواثيقِهِ ، أَنْ تَسْمَعُوا مَا أُخِذَ عليكم في هذه البيعة ، ولا تبدّلوا ولا تغيّلوا ، وأن تَمَسَّكُوا بما عاهدتم الله عليه تَمَسُّكُ أَهْلِ الطاعة بطاعتهم ، وذوى الوفاء بالعهد بوفائهم ، لَا يَلْفِتِكُمْ عَنْ ذَلِكَ هَوًى وَلَا مِيلٌ ، وَلَا يُرِيغُ قُلُوبَكُمْ فَتْنَةٌ أَوْ ضَلَالَةٌ عَنْ هَدًى ، بِأَذَانٍ فِي ذَلِكَ أَنْفُسِكُمْ واجتهادكم ، ومقدّمين فيه حقّ الدين والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْكُمْ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ إِلَّا الْوَفَاءَ بِهَا ، فَمَنْ نَكَثَ مِنْكُمْ مِمَّنْ بَايَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيَ عَهْدَ الْمُسْلِمِينَ أَخَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ ، عَلَى مَا أَخَذَ عَلَيْكُمْ ، مُسِيرًا أَوْ مُقِلًّا ، مُصَرِّحًا أَوْ مُحْتَالًا أَوْ مُتَاوِّلًا ، وَأَذْهَنَ فِيمَا أَعْطَى اللهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَفِيمَا أُخِذَ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاقِيقِ اللهِ وَعَهْدِهِ ، وَزَاغَ عَنِ السَّبِيلِ الَّتِي يَعْتَصِمُ بِهَا أَوَّلُو الرَّأْيِ ، فَكُلُّ مَا يَمْلِكُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِمَّنْ خَتَرَ^(١) فِي ذَلِكَ مِنْكُمْ عَهْدَهُ ، مِنْ مَالٍ أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائَةٍ أَوْ زَرْعٍ أَوْ ضَرْعٍ ، صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ فِي وَجْهِ سَبِيلِ اللهِ ، مُحَبُّوسٌ مَحْرُومٌ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَالِهِ ، عَنْ حِيلَةٍ يَقْدُمُهَا لِنَفْسِهِ أَوْ يَحْتَالُ لَهَا بِهَا ، وَمَا أَفَادَ فِي بَقِيَةِ عَمْرِهِ مِنْ فَائِدَةٍ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهَا أَوْ يَجِلُّ ، فَذَلِكَ سَبِيلُهَا إِلَى أَنْ تَوَافِيَهِ مَنِيَّتُهُ ، وَيَأْتِيَ عَلَيْهِ أَجَلُهُ ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ يَمْلِكُهُ الْيَوْمَ وَإِلَى ثَلَاثِينَ

(١) الختر : الغدر والخديعة أو أفبح الغدر ، وفعله كضرب ونصر .

سنة من ذكر أو أنثى ، أحراراً لوجه الله ، ونساؤه يوم يَلْزَمُهُ فِيهِ الْجَنَّتُ ومن يتزوج بعدهنَّ إلى ثلاثين سنةً ، طَوَّاقُ طَلَّاقِ الْحَرَجِ ، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ، وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريئان ، ولا قَبَلَ الله منه صَرْفاً ولا عَدْلاً ، والله عليكم بذلك شهيد ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » (تاريخ الطبري ١١ : ٩١)

١٤٨ - كتاب عن محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد

(كتبه سعيد بن حميد)

ولما بايع الأتراك المعتز بسامراً ، أمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد ، فتقدم في ذلك ، وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكل على حرب المستعين وابن طاهر وولاه ذلك ، فسار إلى بغداد في جمع من الأتراك والمغاربة ، فصدم ابن طاهر وأوقع بهم ودارت عليهم الدائرة .

وأمر ابن طاهر سعيد بن حميد فكتب كتاباً يذكر فيه هذه الواقعة ، فقرأ على أهل بغداد في مسجد جامعها ، ونسخته :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أما بعدُ ، فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحدٌ شكرَ نعمته ، والقادر فلا يعارضُ في قدرته ، والعزير فلا يذلُّ في أمره ، والحكيم العدل فلا يردُّ حكمه ، والناصر فلا يكون نصره إلا للحق وأهله ، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحدٌ عن أمره ، والهادي إلى سبيل رحمته فلا يضلُّ من انقاد لطاعته ، والمقدم إعذاره ليظاھر به حجته ، الذي جعل

دينه لعباده رحمةً ، وخلافته لدينه عصمةً ، وطاعة خلفائه فرضاً واجباً على
كافة الأمة ، فهم المستخفّظون في أرضه على ما بعت به رسله ، وأمنائه
على خلقه فيما دحاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج حقه ، لئلا
تتشعب بهم الطرُق المخالفة لسبيله ، والهادون لهم إلى صراطه ، ليجمعهم
على الجادة ^(١) التي تدب إليها عباده ، بهم حُي الدين من البغاة الطاغين ،
وحُفِظت معالم الحق من الفؤاة المخالفين ، محتجّين على الأمم بكتاب الله الذي
استعملهم به ، ورعاة للأمر بحق الله الذي اختارهم له ، إن جادلوا كانت
حجة الله معهم ، وإن حاربوا حُكِم بالنصر لهم ، وإن جاهدوا كان في طاعة
الله نصرهم ، وإن بغاهم عدو كانت كفاية ^(٢) الله حائلة دونهم ، ومعقلاً لهم ، وإن
كادهم كاد فالله من وراء عونهم ، نصّبهم الله لإعزاز دينه ، فمن عاداهم
فإنما عادى الدين الذي أعزّه وحرّسه بهم ، ومن ناورأهم ^(٣) فإنما طعن على
الحق الذي يكلّؤه بحراستهم ، جيوشهم بالرعب ^(٤) منصوره ، وكتائبهم
بسلطان الله من عدوهم محوطة ^(٥) ، وأيديهم بذبّها عن دين الله عالية ، وأشياءهم
بتناصرهم في الحق غالبة ، وأحزاب أعدائهم بينعيمهم مقموعة ^(٦) ، وحجبتهم عند
الله وعند خلقه داحضة ^(٧) ، ووسائلهم إلى النصر مردودة ، وأحكام الله

(١) الجادة : الطريق الواضح ، ونديه إلى الأمر كنصر : دعاء وخنه .

(٢) وفي النظم والنثور « نكاية » .

(٣) ناورأه : عاداه ، ويكلّؤه : يحرسه ويحفظه .

(٤) وفي الطبرى « بالنصر والنز » .

(٥) وفيه « محوطة » ، وأيديهم عن دين الله دافعة » .

(٦) قمع كمنعه : قهره وأذله .

(٧) دحضت الحجة كمنع : بطلت ، وفي الطبرى « راحضة » وهو تحريف .

يَحِذُّ لَانِهِمْ واقعةً ، وأقدارُهُ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى أَوْلِيَائِهِ جاريةً ، وعادتهُ فِيهِمْ وفي الأُمِّ السالفة والقرون الخالية ماضيةً ، ليكونَ أَهْلُ الْحَقِّ على ثقةٍ من إنجاز سابق الوعد ، وأعداؤه مُحْجُوجِينَ بما قُدِّمَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْإِنْذَارِ ، مُعْجَلَةً لَهُمْ نِقْمَةُ اللَّهِ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِهِ ، مُعَدًّا لَهُمُ الْعَذَابُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَالْخِزْيُ مُوَصُولٌ بِنَوَاصِيهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْمَبِيدِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ، وَرَسُولِهِ الْمُرْتَضَى ، وَالْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى ، صَلَاةً تَامَّةً نَامِيَةً بِرِكَائِهَا ، دَائِمًا اتِّصَالُهَا ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَوَاضَعًا لِعَظَمَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِقْرَارًا بِرُبُوبِيَّتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ اعْتِرَافًا بِقُصُورِ أَقْصَى عَنَازِلِ الشُّكْرِ عَنْ أَدْنَى مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنَازِلِ كَرَامَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْهَادِيَ إِلَى سَمَدِهِ ، وَالْمَوْجِبِ بِهِ مَزِيدَهُ ، وَالْمُحْصِي بِهِ عَوَائِدَ إِحْسَانِهِ ، تَحْمِداً يَرْضَاهُ وَيَتَقَبَّلُهُ ، وَيُوجِبُ طَوْلَهُ وَإِفْضَالَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَكَمَ بِالْخِذْلَانِ عَلَى مَنْ بَغَى عَلَى أَهْلِ دِينِهِ ، وَسَبَقَ وَعْدُهُ بِالنَّصْرِ لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِ مِنْ أَنْصَارِ حَقِّهِ ، وَأُنْزِلَ بِذَلِكَ كِتَابَهُ الْعَزِيزَ مَوْعِظَةً لِلْبَاقِينَ ، فَإِنْ أَقْلَسُوا كَانَتْ التَّذْكَرَةُ نَافِعَةً لَهُمْ ، وَالْحُجَّةُ عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَامَ بِهَا فِيهِمْ ، ثُمَّ أَوْجِبَ بَعْدَ التَّذْكَرَةِ وَالْإِصْرَارِ جِهَادَهُمْ ، فَقَالَ فِيمَا قُدِّمَ مِنْ وَعْدِهِ ، وَأَبَانَ مِنْ بُرْهَانِهِ : « وَمَنْ بَغَى عَلَيَّ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ » وَعَدًّا مِنَ اللَّهِ حَقًّا ، نَهَى بِهِ أَعْدَاءَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَثَبَّتَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى سَبِيلِهِ ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

وَلِلَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - فِي رَأْسِ دَعْوَتِهِ ، وَسَيْفِ دَوْلَتِهِ ، وَالْحِمَايِ عَنْ سُلْطَانَتِهِ ، وَمَحَلِّ ثِقَتِهِ ، وَالْمَتَقَدِّمِ فِي طَاعَتِهِ وَنَصِيحَتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَالذَّابِّ

عن حقه ، والقائم بمجاهدة أعدائه ، محمد بن عبد الله مؤلى أمير المؤمنين -
 نعمة يرغب إلى الله فى إتمامها ، والتوفيق لشكرها ، والتطوّل بمن أراد
 المزيد فيها ، فإن الله قدّر لآبائه القيام بالدعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين ، ثم
 جمع له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية ، حين حاول أعداء الله أن يطمسوا معالم
 دينه ويغفوها^(١) ، فقام بحق الله وحقّ خليفته ، مُحَامِيًا عنها ، ومُرَامِيًا مِنْ
 ورائها ، متناولاً للبعيد برأيه ونظيره ، مباشرًا للقريب بإشرافه وتفقدِهِ ،
 باذلاً نفسه فى كل ما قرّبه من الله ، وأوجب له الزُلفَة عنده ، وسيمنعُ الله
 أمير المؤمنين به وليًّا مُكَانِفًا^(٢) على الحق ، وناصرًا مُوَازِرًا على الخير ، وظهيرًا
 مُجَاهِدًا لعدوِّ الدين .

وقد علمتم ما كان كتابُ أمير المؤمنين تقدّم به إليكم فيما أحدثته
 الفرقة الضالة عن سبيل ربها ، المفارقة لعصمة دينها ، الكافرة بنعم الله ،
 ونعم خليفته عندها ، المباينة لجماعة الأمة التى أَلَفَ الله بخلافته نظامها ، المحاولة
 لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثة لبيعتة ، الخالعة لِرَبْقَة^(٣) الإسلام من
 أعناقها ، الموالى الأتراك ، وما صارت إليه من نصب الغلام المعروف بأبى
 عبد الله بن المتوكل لإمامتها^(٤) ، عند مَصِير أمير المؤمنين إلى مدينة السلام ،
 محلّ سلطانه ، ومجتمع أنصاره وأبناء أنصار آبائه ، وما قابل به أمير المؤمنين
 خيانتهم ، وآثره من الأناة فى أمرهم ، ثم إن هؤلاء الناكثين جمعوا جمعًا

(١) عفاه كدخل وعفاه : محاه .

(٢) كانفه : عاونه وساعده ، والظهير : العين .

(٣) الربة واحدة الربق بالكسر ، وهو حبل فيه عدة عرى تشد به البهم ، والمراد هنا العهد .

(٤) فى الأصل « تاريخ الطبرى » : « من نصر » وفيه أيضا « لإقامتها » وهو تحريف .

من الأتراك والمغاربة ومن ولج في سوادهم ، ودخل في غمارهم ^(١) ، مؤاتياً للفتنة من ألفاف ^(٢) الغي ، ورأسوا عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتوكل ، ثم ساروا نحو مدينة السلام في الجانب الشرقي ، مُعلنين للبغي والاقتدار ، مُظهري للغي والإصرار ، فتأنأهم ^(٣) أمير المؤمنين ، وفسح لهم في النظرة لهم ، وأصر بالكتاب إليهم بما فيه تبصيرهم الرشد ، وتذكيرهم بما قدّموا من البيعة ، وإفهامهم ما لله عليهم وله في ذلك من الحق ، وأن خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طوعاً خوفاً من دين الله والبراءة منه ومن رسوله ، وتحريرهم أموالهم ونساءهم عليهم ، وأن في تمسكهم به سلامة أديانهم ، وبقاء نعمتهم ، والاحتراز من حلول النقم بهم ، وأن يُبين لهم ما سلف من بلائه عندهم ، من أسنى المواهب ، وأرفع الرغائب ، والاختصاص بسني المراتب ، والتقدم في المحافل ، فأبوا إلا تمادياً ونقاراً ، وتمسكاً بالغي وإصراراً ، فقلد أمير المؤمنين نصيحة المؤمن ووليه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين تدبير أمورهم ، ودعاهم إلى الحق ما كانت الإنابة ، أو محاربتهم إن جنح بهم غيهم ، وتلّوا ^(٤) في ضلالهم ، فلم يألهم ^(٥) نظراً وإفهاماً ، وتبييناً وإرشاداً ، وهم في ذلك رافعون أصواتهم بالتوعد لأهل مدينة السلام ، بسفك دماهم ،

(١) ولج يلج : دخل ، وسوادهم : عامتهم ، وغمارهم بانضم والفتح : زحمتهم وكثرتهم .

(٢) مؤاتياً : مطاوعاً ، والألفاف جمع لف بالكسر وهو الحزب والطائفة ، من الانفاف .

(٣) جاء في اللسان « تأنى في الأمر أي ترفق وتنظر ، واستأنى به أي انتظر به ، ويقال : تأنيك

حتى لا أناة لي » ، وفسح له كنع : وسع ، والنظرة : التأخير .

(٤) المتلغ : الشاخص للامر والرافع رأسه للنهوض والتقدم .

(٥) ألا يألو : قصر .

وَسَبَّيْ نِسَاءَهُمْ ، وَتَفَنَّمْ^(١) أَمْوَالَهُمْ ، وَقَبِلْ ذَلِكَ مَا كَانُوا فِي مَسِيرِهِمْ عَلَى السَّبِيلِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا أَهْلُ الشُّرْكِ فِي غَارَاتِهِمْ ، وَيَعْيَلُونَ إِلَيْهَا عِنْدَ إِمْكَانِ النَّهْزَةِ^(٢) لَهُمْ ، لَا يَحْتَازُونَ بِعَامِرٍ إِلَّا أَخْرَبُوهُ ، وَلَا بِمَحْرِمٍ^(٣) لِمُسْلِمٍ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا أَبَاحُوهُ ، وَلَا بِمُسْلِمٍ يَعْجِزُ عَنْهُمْ إِلَّا قَتَلُوهُ ، وَلَا بِعَالٍ لِمُسْلِمٍ وَلَا ذِمِّيٍّ إِلَّا أَخَذُوهُ ، حَتَّى اتَّقِلَ كَثِيرٌ مِمَّنْ سَبَقَتْ إِلَيْهِ أَخْبَارُهُمْ مِمَّنْ أَمَامَهُمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ ، وَفَارَقُوا مَنَازِلَهُمْ وَرِبَاعَهُمْ^(٤) ، وَفَزَعُوا إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَحْصُنَا مِنْ مَعَرَّتِهِمْ ، لَا يَمْرُؤُنَ بَغْنِيٍّ إِلَّا خَلَعُوا عَنْهُ لِبَاسَ الْغَنَى ، وَلَا بِمُسْتَوْرِ إِلَّا هَتَكُوا عَنْ الذَّرِيَّةِ وَالنِّسَاءِ سِتْرَهُ ، لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا^(٥) وَلَا ذِمَّةً ، وَلَا يَتَوَقَّقُونَ عَنْ مُسْلِمٍ بِهَيْتِكَ وَلَا مُثْلَةٍ^(٦) ، وَلَا يَرْغَبُونَ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ دَمٍ وَلَا حُرْمَةٍ .

ثُمَّ تَلَقَّوْا التَّذَكِيرَةَ بِالْحَرْبِ ، وَقَابَلُوا الْمَوْعِظَةَ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ ، وَطَارَضُوا التَّبَصِيرَ بِالْإِسْتِبْصَارِ فِي الْبَاطِلِ ، فَذَلَّفُوا^(٧) نَحْوَ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، وَقَدَّرَتَّبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ الْبَابِ وَالْأَبْوَابِ الَّتِي سَبِيلُهَا سَبِيلُهُ مِنْ أَبْوَابِ مَدِينَةِ السَّلَامِ الْجِيُوشَ فِي الْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ ، وَالْعِدَّةِ الْمَتَظَاهِرَةِ ، مَعَاقِلَهُمُ التَّوَكُّلَ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَخُصُوصَتَهُمُ الْإِعْتِصَامَ بِطَاعَتِهِ ،

(١) اغتَنَمَهُ وَتَفَنَّمَهُ : عَدَهُ غَنِيمَةً .

(٢) النَّهْزَةُ : الْفُرْصَةُ .

(٣) حَرِيمٌ : مَا تُحْبِيهِ وَتُقَاتِلُ عَنْهُ .

(٤) الرِّبَاعُ جَمْعُ رِبْعٍ بِالْفَتْحِ : وَهُوَ الْمَنْزِلُ .

(٥) الْإِلَّ : الْعَهْدُ .

(٦) مِثْلٌ بِهِ بِالتَّخْفِيفِ مِثْلَةٌ ، وَمِثْلٌ بِهِ بِالتَّشْدِيدِ تَمْثِيلًا : كُلٌّ .

(٧) ذَلَّفَتْ الْكُتَيْبَةُ فِي الْحَرْبِ كَضَرْبٍ : تَقَدَّمَتْ .

وشعارهم التكبير والتهليل أمام عدوهم ، ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين يأمرهم بتحصيل ما يليهم ، والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحة^(١) لهم ، فباداهم الأولياء بالموعظة ، وبدأهم الغواة الناكثون بحربهم ، وغادوهم أياما بجموعهم وعدادهم ، مدلين بعدتهم ومقدرين أن لا غالب لهم ، ولا يهائمون بالله أن قدرته فوق قدرتهم ، وأن أقداره نافذة بخلاف إرادتهم ، وأحكامه عادلة ماضية لأهل الحق عليهم ، حتى إذا كان يوم السبت للنصف من صفر ، وافوا باب الشامية بأجمعهم ، قد نشروا أعلامهم ، وتنادوا بشعارهم ، وتحصنوا بأسلحتهم ، وبدأ الأمر منهم لمن عاينهم ، ليس لهم وعيد دون سفك الدماء ، وسبي النساء ، واستباحة الأموال ، فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا ، وقابلوهم بالتذكرة فلم يصفوا إليها ، وبدءوا بالحرب منابذين لها ، ففسرّع الأولياء عند ذلك إليهم ، واستنصروا الله عليهم ، واستحكمت بالله ثقتهم ، ونفذت به بصائرهم ، فلم ترل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم ، فقتل الله من محبتهم وفرسانهم ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعة كثيرة عددها ، ونالت الجراحة المُنخنة^(٢) التي تأتي على من نالته أكثر عامتهم ، فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه أن قد أكذب ظنونهم ، وحال بينهم وبين أمانيتهم ، وجعل عواقبها خسرات عليهم ، استنهضوا جيشا من « سامرا » من الأتراك والمغاربة : في العتاد^(٣) والعدة

(١) مندوحة : أى سعة .

(٢) أثخن في العدو : بالغ الجراحة فيهم .

(٣) العتاد : العدة .

والجلد والأسلحة ، في الجانب الغربي طالبين الممرّة ، ومؤملين أن ينالوا نيلاً من أهله ، باشتغال إخوانهم في الجانب الشرقي بأعدائهم ، وقد كان محمد ابن عبد الله مولى أمير المؤمنين شحّن الجانبين جميعاً بالرجال والمُدّة ، ووكل بكل ناحية مَنْ يقوم بحفظها وحراستها ، ويكفّ عن الرعية بوائق^(١) أعدائهم ، ووكل بكل باب من الأبواب قائداً في جمع كثيف ، ورتّب على السور مَنْ يُراعيه في الليل والنهار ، وبتّ الرجال ليعرف أخبار أعداء الله في حرّ كآتهم ونهوضهم ومُقامهم وتصرفهم ، فيعامل كل حال لهم بحالٍ يفتّ الله في أعضادهم^(٢) بها ، فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، وافى الجيش الذي أنهضوه من الجانب الغربي الباب المعروف بباب قُطر بل^(٣) ، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرقي من دجلة ، في عددٍ لا يسمّهُ إلا الفضاء ، ولا يحمله إلا المجال الفسيح ، وقد تواعدوا أن يكون دُئوهم من الأبواب معاً ، لِشغل الأولياء بحربهم من الجهات ، فيضعضعوا عنهم ، ويغلبوا حقهم بباطلهم ، أملاً كادهم الله فيه غير صادق ، وظناً خائباً لله فيه قضاء نافذ ، وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبي عون وبنّدار ابن موسى الطبري مولى أمير المؤمنين وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قُطر بل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته ، والاتباع لأمره ، والتصرف مع كتابه ، والتوقّف عن الحرب حتى تسبق التذكيرة الأسماع ، وتنزل الحجة

(١) البوائق جمع بائقة : وهي الداهية .

(٢) فت في عضده : أضغفه .

(٣) باسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الحر .

بالتتابع منهم والإصرار ، فنفذوا في جمع يقابل جمعهم ، مستبصرين في حق الله عليهم ، مسارعين إلى لقاء عدوهم ، محتسبين خطاهم وسيرهم ، واثقين بالثواب الآجل ، والجزاء العاجل ، فتلقاهم ومن معهم أعداء الله قد أطلقوا نحوهم أعنتهم ، وأشرعوا^(١) لنحوهم أسنتهم ، لا يشكرون أنهم نهزة المختلس ، وغنيمة المنتهب ، فنادوهم بالموعظة نداءً مُسمِعاً ، فحجتها أسماؤهم ، وعميت عنها أبصارهم ، وصدقهم أولياء الله في لقاءهم بقلوب مستجيبة لهم ، وعلم بأن الله لا يخلف وعده فيهم ، فجالت الخيل بهم جولة ، وعاودت كربة بعد كربة عليهم ، طافنا بالرماح ، وضربنا بالسيوف ، ورشقنا بالسهم ، فلما مسهم ألم جراحها ، وكلمتهم^(٢) الحرب بأنيابها ، ودارت عليهم رحاها ، وصمم عليهم أنباؤها ، ظمأ إلى دماهم ، ولوا أدبارهم ، ومنح الله أكتافهم ، وأوقع بأسه بهم ، فقتلت منهم جماعة لم يحترسوا من عذاب الله بتوبة ، ولم يتحصنوا من عقابه بإنبابة^(٣) ، ثم ثابت ثانية فوققوا بإزاء الأولياء ، وعبر إليهم أشياؤهم الناعون من عسكرهم بباب الشماسية ألف رجل من أنجادهم^(٤) في السفن ، معاوين لهم على ضلالتهم ، فأنهض محمد بن عبد الله خالد ابن عمران والشاه بن ميكال مولى طاهر نحوهم ، فنفذوا ببصيرة لا يتخونها فتور ، ونية لا يلحقتها تقصير ، ومعهما العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين . فلما وافي الشاه فيمن معه أعداء الله ، وكل بالمواضع التي يتخوف منها مدخل

(١) أشرع نحوه الرمح والسيف ونزعهما : أقبهما إياه وسددهما له .

(٢) كله كضرب : جرحه .

(٣) في الأصل « بأمانة » والظاهر أنها « بإنبابة » لتاسب قوله قبل « بتوبة » .

(٤) أنجاد جمع نجد ، والنجد كشمس وكنف ورجل : الشجاع الماضي فيما يعجز غيره .

الْكُفَّاءُ ، ثُمَّ حَمَلَ وَمَنْ تَوَجَّهَ مَعَهُ مِنَ الْقَوَادِمِ الْمَسْمُومِينَ مَاضِينَ لَا يَعُوقُهُمْ^(١) الوَعِيدَ ، وَلَا يَشْكُرُونَ مِنَ اللَّهِ فِي النَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ ، فَوَضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِيهِمْ ، تَمْضِي أَحْكَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى أَلْحَقُوهُمْ بِالْمَعْسَكِ الَّذِي كَانُوا عَسَكَرُوا فِيهِ وَجَاوَزُوهُ ، وَسَلَبُوهُمْ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ سِلَاحٍ وَكُرَاعٍ^(٢) وَعَتَادِ الْحَرْبِ ، فَمِنْ قَتِيلٍ غَوَدَتْ جُثَّتُهُ بِمَصْرَعِهِ ، وَثَقُلَتْ هَامَتُهُ^(٣) إِلَى مَصِيرٍ فِيهِ مُعْتَبَرٌ لغيره ، وَمِنْ لَاجِيٍّ مِنَ السَّيْفِ إِلَى الْفَرْقِ ، لَمْ يُجِرْهُ اللَّهُ مِنْ حِذَارِهِ ، وَمِنْ أَسِيرٍ مَصْفُودٍ^(٤) يُقَادُّ إِلَى دَارِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَحِزْبِهِ ، وَمِنْ هَارِبٍ بِحُشَّاشَةٍ^(٥) نَفْسِهِ ، قَدْ أَسْكَنَ اللَّهُ الْخَوْفَ قَلْبَهُ ، فَكَانَتِ النِّقْمَةُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَاقِعَةً بِالْفَرِيقَيْنِ : مَنْ وَافَى الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ قَادِمًا ، وَمَنْ عَبَرَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مُنْجِدًا ، لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ نَاجٍ ، وَلَمْ يَعْتَصِمْ مِنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ مُعْتَصِمٌ ، وَلَا أَقْبَلَ إِلَى اللَّهِ مُقْبِلٌ ، فَرَقًا أَرْبَعًا يَجْمَعُهَا النَّارُ ، وَيَشْمَلُهَا حَاجِلُ النَّكَالِ ، عِظَّةٌ وَمُعْتَبَرٌ لِأُولَى الْأَبْصَارِ ، فَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْلَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ^(٦) ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْقَرَارَ » وَلَمْ تَزَلِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ وَبَيْنَ الْفَرِيقَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَالْقَتْلُ مُحْتَفِلٌ^(٧) فِي أَعْلَامِهِمْ ، وَالْجِرَاحُ فَاشِيَةٌ فِيهِمْ ، حَتَّى إِذَا هَانُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنَ الْبَوَارِ ، وَأَحَلَّ بِهِمْ مِنَ النَّقْمَةِ وَالْإِسْتِثْصَالِ ، مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ « لَا يَعُوقُهُمْ » وَأَرَاهُ مُحَرَّفًا وَصَوَابُهُ « لَا يَعُوقُهُمْ » .

(٢) الْكُرَاعُ : اسْمٌ يَجْمَعُ الْحَيْلَ .

(٣) الْهَامَةُ : الرَّأْسُ .

(٤) مَصْفُودٌ كَضَرْبِهِ : شَدِيدٌ وَأَوْثَقٌ كَأَصْفَدِهِ وَصَفْدِهِ .

(٥) الْحُشَّاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْجُرَيْجِ وَالرَّيْضِ .

(٦) الْبَوَارُ : الْهَلَاكُ .

(٧) مِنْ اِحْتَفَلٍ : أَيِ اجْتَمَعَ .

عاصم ، ولا من أوليائه ملجأ ولا مؤئل ، ولوا منهم من مفلولين منكوبين ،
قد أراهم الله العبر في إخوانهم الغلوية ، وطوائفهم المضلة ، وصل ما كان
في أنفسهم ، لما رأوا من نصر الله لجنده ، وإعزازه لأوليائه ، والحمد لله
رب العالمين ، قامع الغواة الناكبين عن دينه ، والباقاة الناقضين لعهدده ،
والمراق الخارجين من جملة أهل حقه حمداً مبثغاً رضاه ، وموجباً أفضله من يده ،
وصلّى الله أولاً وآخرأ على محمد عبده ورسوله الهادي إلى سبيله ، والداعي
إليه بإذنه وسلم تسليماً .

وكتب سعيد بن حميد يوم السبت لسبع خلون^(١) من صفر سنة ٢٥١

(تاريخ الطبري ١١ : ١٠٦ ، واختيار النظم والنثر ١٣ : ٢٨٤)

١٤٩ - كتاب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان

وكتب سعيد^(٢) بن حميد إلى بعض أهل السلطان في يوم التبروز :
« أيها السيد الشريف ، عشت أطول الأعمار ، بزيادة من العمر
موصولة بفرائضها من الشكر ، لا ينقضي حق نعمة حتى يُجدد لك أخرى ،
ولا يمر بك يوم إلا كان مقصراً عما بدمه ، مؤفياً عما قبله .
إني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة ،

(١) هكذا في الأصل وأراه خطأ وصوابه « بقين » لأن الوقعة استمرت إلى « يوم الأربعاء
لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر » كما جاء في هذه الرسالة .

(٢) كان كاتب أحمد بن الحبيب ، وقلده المستعين ديوان الرسائل ، وكان كاتباً شاعراً مترسلاً
عذب الألفاظ مقدماً في صناعته ، وهو من أبناء الجوس . وكان يدعى أنه من أولاد ملوك الفرس - انظر
ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ١٧٩ ومروج الذهب ٢ : ٤٠٨ وتاريخ الطبري ١١ : ٧٠
والأغاني ١٧ : ٢ .

فالتستُ النَّاسِيَّ^(١) بهم في الإهداء ، وإن قصَّرتُ بي الحالُ عن الواجب ،
وإني إن أهديتُ نفسي فهي مِلْكُكَ ، لا حظَّ فيها لغيرك ، ورميت
بطرفي إلى كرائمِ مالي فوجدتها منك ، فإن كنتُ أهديتُ منها شيئاً فإني
لأهدِي مَالَكَ إِيْلَكَ ، ونَزَعْتُ إلى سودتي فوجدتها خالصةً لك ، قديمةً غيرَ
مستحدثةً ، فرأيتُ إن جعلتها هديتي لم أجددُ لهذا اليوم الجديد برّاً
ولا لطفاً ، ولم أُمَيِّرْ منزلةً من شكرى بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر
مقصراً عن الحق والنعمة ، زائداً على ما تبلغه الطاقة ، فجعلتُ الاعترافَ
بالتقصير عن حَقِّكَ هديةً إِيْلَكَ ، والإقرارَ عما يجب لك برّاً أتوصِّلُ به
إِيْلَكَ ، وقلتُ في ذلك :

إن أهدِ مالاً فهو رَاهِبُهُ وهو الحَقِيقُ عليه بالشكرِ
أو أهدِ شكرى فهو مرتَهَنٌ بجميلِ فِعْلِكَ آخرَ الدهرِ
والشمسُ تستغني إذا طلعتُ أن تستضيءَ بسُنَّةِ البَدْرِ^(٢)
(المقدم الفريد ٣ : ٣٠٧)

١٥٠ - كتاب سعيد بن حميد إلى صديق له

وكتب سعيد بن حميد إلى صديق له يوم نيروز :
« هذا يومٌ سهَّلتُ فيه السنةُ للعبيد الإهداءَ لملوك ، فتعلَّقت كلُّ
طائفةٍ من البرِّ بحسبِ القدرة والهمة ، ولم أجِدْ فيما أملكُ ما يفي بحَقِّكَ ،

(١) قال في اللسان : النَّاسِيَّ في الأمور : الأسوة أي القدوة ، وفلان يَأْتِي بِفُلَانٍ : أي
يقتدى به .

(٢) السنة : الوجه .

ووجدت تقريرك أبلغ في أداء ما يجب لك ، ومن لم يؤت في هديته إلا من
جهة قدرته فلا طمن عليه . (صبح الأعشى ٢ : ٤٢٠)

١٥١ - كتاب سعيد بن حميد إلى أبي العباس بن ثوابة

وكان سعيد بن حميد صديقاً لأبي العباس^(١) بن ثوابة ، فدعاه يوماً ،
وجاءه رسول « فضل^(٢) » الشاعر ، يسأله المصير إليها ، فمضى معه وتأخر
عن أبي العباس ، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها معاتبةً فيها بعض الغلظة :
فكتب إليه سعيد :

أَقْدَلَّ عَتَابَكَ ، فَالْبَقَاءُ قَلِيلٌ وَالدهرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَمِيلُ
لَمْ أَبْكِ مِنْ زَمَنِ ذَمَمْتُ صُرُوفَهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حَسِينُ يَزُولُ
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَمْتُ مَدَّةً وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلْتُ تَحْوِيلُ
وَالْمُشْمُوتُ إِلَى الْإِخَاءِ جَمَاعَةً إِنْ حُصِّلُوا أَفْنَاهُمُ التَّحْصِيلُ^(٣)
وَلَعَلَّ أَحْدَاثَ اللَّيَالِي وَالرَّذَى يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَتَحُولُ^(٤)
فَلَيْتُ سَبَقْتُ لَتَبَكَيْنَ بِحَسْرَةٍ وَلَيْسَ كَثُرَ عَلَى مَنْكَ عَوِيلُ

(١) آل ثوابة بن يونس من بلغاء الكتاب العباسيين ، منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة
(توفي سنة ٢٧٧) ، وابنه أبو عبد الله محمد بن أحمد وكان مترسلاً بليفاً ، وكتب المعتضد ، وأخوه
أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة ، تولى ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان الوزير ، ثم ابنه
أبو الحسين محمد بن جعفر بن ثوابة ، ثم ابنه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن جعفر بن ثوابة ، ولى ديوان
الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر سنة ٣١٢ في أيام المعتز إلى أن مات وهو متوليه في أيام معز الدولة
سنة ٣٤٩ - انظر معجم الأدباء ٤ : ٤٤٤ ، ٢٤٣ ، ٧ : ١٨٧ والفهرست ص ١٨٧ - ١٨٨
(٢) جارية مولدة من مولدات البصرة ، أهديت إلى المتوكل ولم يكن في نساء زمانها أشعر منها
- انظر أخبارها في الأغاني ج ٢١ ص ١١٤ .
(٣) التحصيل : تمييز ما حصل .
(٤) يصدع : أى يفرق .

وَلَتَفْجَعَنَّ بِمُخْلِصٍ لَكَ وَامِقٍ حَبْلُ الْوَفَاءِ بِحَبْلِهِ مَوْصُولٌ^(١)
(الأغاني ١٧ : ٦)

١٥٢ - كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة

وَعُضِبْتَ فَضْلَ الشَّاعِرَةِ عَلَى سَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهَا :
يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ مَا لِي وَلَكَ ؟ أَهَكَذَا تَهْجُرُ مَنْ وَاصَلَكَ ؟
لَا تَصْرِفِ الرَّحْمَةَ عَنْ أَهْلِهَا قَدْ يَمُطِفُ الْمَوْئِلَى عَلَى مَنْ مَلَكَ^(٢)
ظَلَمْتَ نَفْسًا فِيكَ عُلَّقَتْهَا فَدَارَ بِالظُّلْمِ عَلَى الْفَلَكَ^(٣)
تَبَارَكَ اللَّهُ ، فَا أَعْلِمِ اللَّهَ بِمَا أَلْقَى ، وَمَا أَغْفَلَكَ !
فَرَاغَتْ وَصْلَهُ وَصَارَتْ إِلَيْهِ جَوَابًا لِلرَّقْعَةِ ،
(الأغاني ١٧ : ٦)

١٥٣ - كتابه إلى فضل الشاعرة

وَكُتِبَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ رُقْعَةً إِلَى فَضْلِ الشَّاعِرَةِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا مِنْ تَغْيِيرِ
ظَنِّهَا بِهِ ، وَفِي آخِرِهَا :
تَظُنُّونَ أَنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُمْ بَدِيلًا ، وَبَعْضُ الظَّنِّ إِيَّاهُمْ وَمُنْكَرٌ
إِذَا كَانَ قَلْبِي فِي يَدَيْكَ رَهِينَةً فَكَيْفَ بَلَاقِبِ أَصَافِي وَأَهْجُرُ ؟
(الأغاني ١٧ : ٤)

(١) الوامق : المحب .

(٢) اللوى هنا : السيد .

(٣) علق فلان امرأة (بالبناء للمجهول) : أحبها .

١٥٤ - كتابه إلى فضل الشاعرة

وتفاضب سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أيما ، ثم كتب إليها
 تَعَالَى نُجِدُّ عَهْدَ الرِّضَا وَنَصْفَحُ فِي الْحَبِّ عَمَّا مَضَى
 وَتَجْرَى عَلَى سُنَّةِ الْمَاشِقِينَ وَنَضْمُنُ عَنْ وَعْنِكَ الرِّضَا
 وَيَبْذُلُ هَذَا لِهَذَا هَوَاهُ وَيَصْبِرُ فِي حُبِّهِ لِلْقَضَا
 وَنَخْضَعُ ذُلًّا خُضُوعَ الْعَبِيدِ لِمَوْلَى عَزِيزٍ إِذَا أَعْرَضَا
 فَإِنِّي مُذْ لَجَّ هَذَا الْعِتَابُ كَأَنِّي أَبْطَنْتُ جَمْرَ الْغَضَا^(١)
 فصارت إليه وصالحته^(٢) . (الأغاني ١٧ : ٥)

١٥٥ - كتابه إلى أبي هفان

وبلغ أبا هفان^(٣) عن سعيد بن حميد كلام فيه جفاء وطعن على شعره ،
 فتوَعَّدَه بالهَجاء . وكان الحاكِي عن ذلك كاذبا ، فبلغ سعيدا ما جرى ، فكتب
 إلى أبي هفان :

أَمْسَى يَخُوفُنِي الْعَبْدِيُّ بِصَوْلَتِهِ وَكَيْفَ آمَنُ بِأَسِّ الضَّيْفِ الْمَهْصِرِ^(٤)
 مَنْ لَيْسَ يُحَرِّزُنِي مِنْ سَيْفِهِ أَجَلِي وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَيْدِهِ حَذَرِي

(١) الغضا : شجر له جمر يبتى طويلا .

(٢) وقد أورد صاحب الأغاني عدا ما قدمنا مكانات شعرية بين فضل وسعيد بن حميد وبينها وبين غيره ، فارجع إليها في ترجمتهما فيه .

(٣) هو أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب الشاعر - انظر ترجمته في نزهة الألبا في طبقات الأدبا

ص ٢٦٧ .

(٤) الضيفم : الأسد ، وكذا المهصر ، من هصره إذا كسره .

ولا أبارزه بالأمر، يَكْرَهُهُ ولو أُعِنْتُ بأنصارٍ من الغير^(١)
 له سِهامٌ بلا ريش ولا عَقَبٍ وقوسُهُ أبداً تُطْلُ من الوتر^(٢)
 وكيف آمن من تحري له غرضٌ وسهمُهُ صائبٌ يَنْفُ عن البصر؟
 (الأغاني ١٧ : ٧)

١٥٦ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه يهنئه بعزل عن عمله :
 « جَعَلَنِي اللَّهُ مِنَ السَّوِّءِ وَالْمَكْرُوهِ فِدَاءُكَ ، وَأَطَالَ فِي الْخَيْرِ وَالسَّرُورِ
 بَقَاءُكَ ، وَأَتَمَّ نِعْمَةً عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ مِنْهَا مَزِيدَكَ ، وَبَلَّغَكَ أَقْصَى أَمْنِيَّتِكَ ،
 وَقَدَّمَ لِي أَمَامَكَ ، وَقَدْ بَلَغَنِي مَا اخْتَارَ اللَّهُ لَكَ ، فَسُرِرْتُ مِنْ حَيْثُ يَغْتَمُّ لَكَ
 مَنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وَلَا يَرَاكَ بِعَيْنِ اسْتِحْقَاقِكَ ، وَلَيْتَنِي سَاءَنِي
 مَا سَاءَ إِخْوَانُكَ مِنْ عَزْلِكَ ، لَقَدْ سَرَّني مَا يَسِّرُ اللَّهُ لَكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 جَعَلَ انْصِرَافَكَ مَحْمُوداً ، وَقَضَى لَكَ فِي عَاقِبَتِكَ الْحُسْنَى ، وَأَقُولُ :
 لِيَهْنِكَ أَنْ أَصْبَحْتَ مُجْتَمَعَ الْحَمْدِ وراعى المعالي ، والمُحَامِي عن المجدِ
 وَأَنْتَ صُنْتَ الْأَمْرَ فِيمَا وَلِيَّتَهُ ففرقت ما بين الغواية والرُّشْدِ
 فَلَا يَحْسَبُ الْبَاغُونَ عَزْلَكَ مَغْنَمًا فَإِنَّ إِلَى الْإِصْدَارِ عَاقِبَةَ الْوَرْدِ
 وَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ جُرْدًا لِلْوَعَى فَأُفْجِدُ فِيهَا ثُمَّ رُدُّ إِلَى النِّعْمِ
 وقد قال الأول :

(١) غير الدهر : أحداثه المفيرة .

(٢) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

فَنَ يَكُنْ بُوْرُوْدِ الْعَزْلِ مَكْتَبًا فَإِنِّي بُورُوْدِ الْعَزْلِ مَسْرُورٌ
بَعْدَ الْوَلَايَةِ عَزْلٌ يَسْتَبِينُ بِهِ طَوْلُ الْوَلَايَةِ ، وَبَعْدَ الْعَزْلِ تَأْمِيرُ
أَمَّا مَا عِنْدِي مَعَ تَصَوُّرِ الْعَاقِبَةِ لَكَ فِي نَفْسِي ، فَيَمَسُّنِي فِي أَمْرِكَ فِي حَالِ الْمِحْنَةِ
مَا يَخْضَعُنِي مِنْهُ فِي وَقْتِ تَجَدُّدِ النِّعَةِ ، وَبِحَسَبِ ضَمِيرِكَ الشَّاهِدِ عَلَى مَا عِنْدِي
مَا أَجَدَهُ لَكَ فِي نَفْسِي ، فَلَا زِلْتَ فِي نِعَمٍ مُتَتَابِعَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ ، وَلَا عَدِمْتَ
الثَّرْوَةَ وَالزِّيَادَةَ ، وَبَلَّغَكَ اللَّهُ أَقْصَى أَمْلَاكَ وَأَمِلَ أَخِيكَ لَكَ ، وَكَبَّتْ^(١)
أَعْدَاءُكَ ، وَجَعَلَنِي وَقَاءَكَ الْمَقْدَمَ عَنْكَ .

أَحِبُّ أَنْ تَشْرَحَ لِي صُورَةَ الْأَمْرِ ، إِلَّا مَا تَأَدَّتْ ؟ وَكَيْفَ كَانَ الْإِبْتِدَاءُ ؟
فَإِنِّي لَا أَشْكُ أَنَّهَا حِيلَةٌ وَنِيَّةٌ مِنْ عَزِّ الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ الْقَدَرِ ، وَلَهَا عَاقِبَةٌ مِنْهُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَحْمُودَةٌ ، وَتُنْفَضِي مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفْسِي ، إِنْ شَاءَ
اللَّهُ . (اخْتِيارُ الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ ١٣ : ٣٠١)

١٥٧ - كِتَابُهُ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

وَكُتِبَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَهْتِنُهُ بِعَزْلِ عَنْ عَمَلِهِ :
« حَفِظْتُكَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكَ كَرَامَتَهُ ، وَأَدَامَ إِلَيْكَ إِحْسَانَهُ .
إِنْ سُرُورِي بِصَرْفِكَ ، أَكْثَرُ مِنْ سُرُورِ أَهْلِ عَمَلِكَ بِمَا خُصُّوا بِهِ مِنْ
وَلَايَتِكَ ، وَقَدْ كُنْتَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - فِيمَا يُرَبُّ^(٢) بِكَ عَنْهُ ، بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ فِي

(١) كَبَتْ : أَذَلَهُ وَرَدَّهُ بِشَيْطَانِهِ .

(٢) يُقَالُ : إِنِّي لِأُرَبُّ بِكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ : أَيِ أَرْفُكَ عَنْهُ ، وَاسْتَأْهَلَهُ : صَارَ أَهْلًا لَهُ وَمُسْتَحَقًّا ،
قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ : وَهِيَ لَفَةٌ جَيِّدَةٌ ، وَإِنْكَارُ الْجَوْهَرِيِّ بَاطِلٌ (إِذْ يَقُولُ : وَلَا تَقُلْ مُسْتَأْهَلٌ ،
وَالْعَامَّةُ تَقُولُهُ) .

قدرك واستئصالك ، وَلَكِنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لَكَ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ ، فَطَبَّنَا
نَفْسًا بِالَّذِي رَجَوْنَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَّمَكَ مِنْهُ ، وَنَسْأَلُهُ تَمَامَ نِعْمِهِ عَلَيْكَ
وَعَلَيْنَا فِيكَ ، بِتَبْلِيغِكَ أَمْلَكَ وَأَمَانًا فِيكَ ، وَشَفَعِ مَا كَانَ مِنْ وِلَايَتِكَ
بِأَعْظَمِ الدَّرَجَاتِ ، وَأَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ ، ثُمَّ خَصَّكَ اللَّهُ بِجَمِيلِ الصَّنْعِ ، وَبَلَّغَكَ
غَايَةَ الْمُؤْمَلِينَ .

إِنْ مِنْ سَعَادَةِ الْوَالِي - حَفَظَكَ اللَّهُ - وَأَعْظَمَ مَا يُخَصُّ بِهِ فِي عَمَلِهِ وَوِلَايَتِهِ ،
السَّلَامَةُ مِنْ بَوَائِقِ ^(١) الْإِثْمِ ، وَنَوَائِبِ الدُّنْيَا وَشَرِّهَا ، وَالْمَاقِبَةِ مِمَّا يُخَافُ مِنْهَا ،
وَقَدْ خَصَّكَ اللَّهُ مِنْهَا - بِعِنَّةٍ وَطَوَّلَهُ - مَا نَرْجُو أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لَكَ إِلَى نَيْلِ
مَا تَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَرَاتِبِ ، وَاللَّهُ نَسْأَلُ إِيزَاعَكَ ^(٢) شُكْرَ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكَ ،
وَتَبْلِيغَكَ غَايَةَ أَمْلِكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ ، بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ .

(اخْتِيارُ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ١٣ : ٣٠١)

١٥٨ - كِتَابُهُ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

وَكُتِبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ :

« سَرَّكَ اللَّهُ بِتَتَابَعِ نِعْمِهِ ، وَتَرَادُفِ إِحْسَانِهِ ، وَزَادَكَ مِنْ فَوَاضِلِ أَقْسَامِهِ ،
بَلَّغْنِي - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فَقَوَّاكَ اللَّهُ عَلَى
مَا اسْتَرَعَاكَ ، وَرَزَقَكَ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاكَ ، وَالسَّلَامَةَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا » .

(اخْتِيارُ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ١٣ : ٢٩٩)

(١) البوائق جمع بائقة : وهي الداهية .

(٢) أوزعه الله : ألهمه .

١٥٩ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه :

« أنا أهني بك العمل الذي وُئيتَ ، ولا أهنتك به ، لأن الله أصاره إلى من يورده موارد الصواب ، ويصدره مصادر الحجة ، ويصونه من كل خلل وتقصير ، ويمضيه بالرأي الأصيل ، والمعرفة الكاملة ، قرن الله لك كل نعمة بشكرها ، وأوجب لك بطوله المازيد منها ، وأوزعك من المعرفة بها ما يصونها من الفتن ، ويحوطها من النقص » .

(اختيار النظم والمشور ١٣ : ٢٩٩)

١٦٠ - كتاب له في السلامة

« كتابي إليك عن سلامة ، ووحشتي لفراق البلد الذي يجمع السادة والإخوان ، والأهل والجيران ، على حسب الأنس بمكاني فيه ، والسرور به ، ولكن المقدار يجري فيتصرف معه ، وقع ذلك بالهوى أو خالفه ، ولئن كانت هذه حالي في الوحشة ، إن أكثر ذلك وأوفره لفراقك وما بعدنا من الأنس بك ، فأسأل الله أن يهب لنا اجتماعا عاجلاً في سلامة من الأبدان والأديان ، وغبطة من الحال ، وغنى عن المطالب برحمته » . (اختيار النظم والمشور ١٣ : ٣٧٠)

١٦١ - كتاب له في الشوق

« كتابي والله يعلم كيف وَخَشْتِي لك ، لا أَوْحَشَكَ اللهُ من نعمه ، ولا فَرَّقَ بينك وبين عافيته ، وكان مما زاد في الوحشة أنها جاوزت الأمل المتمكّن في الأنس بقرب الدار ، وتَدَايى المَزَار ، نَحْمَدُ الله عز وجلّ على نعمه ، ونستدينه لك ولنا فيك أَجَلٌ بلائه ، ونسأله ألاَّ يُخْلِيَك من شكره ومزيده ، ولو كنتُ في كل يوم أكتبُ إليك كتاباً ، بل لو شخصتُ نحوكَ قاصداً ، لكان ذلك دون الحق ، ولكن غَلِقْتُ^(١) بما تعلم من العمل ، وأُكْرِه أن أتابع كُتُبِي فأسلك سبيلاً من سُبُل الثَقَل ، وأَقِفُ بمنزلة تَوْسُطٍ ، أرجو أن أسلمَ بها من الجفاء والإبرام ،^(٢) وأنا وإن أبقيتُ عليك من الزيادة في شغلك ، فلستُ بممتنع من مسألتك التطولَ بتعريفى جِهانه من خبرك أَسْكُنُ إليها ، وأعتدُّ بالنعمة وأُهدى الله عليها » . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٥)

١٦٢ - كتاب آخر

« كتابك ليس من الحق أن أسألكه في كل ما نَقَذَ لى رسولٍ ، ومن الجفاء^(٣) أن أُعْفِيَك منه في كل وقت ، ولكن أسألكُ بنا سبيلاً بين السبيلين نَخْرُجُ نحن وأنتُ بها من حَدِّ المُبْرَمين ، وتخرج أنتُ بها من حَدِّ الجفاء » . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٥)

(١) من غلق الرهن : إذا لم يفتكك في الوقت المشروط ، والمعنى أنى مقيد بقيود من العمل لأجل منها ، مرهق بالشواغل الجمة التي ملكت على أوقاتي .

(٢) أبرمه : أضجره . (٣) في الأصل « رسول من الجفاء ... » .

١٦٣ - كتاب آخر

« أنا أتعمد في كتبى إليك ما يخفى ويسهل عليك ، فأُمسِكُ عن الكتاب أحياناً بالإبقاء^(١) ، وأكتبُ أحياناً لئلا يتوهم على الجفاء ، فإن يجر الأمر عندك فيها هذا المجرى ، وإلا فالمتعَبُ قريب ، ومتابعة الكتب على سهلٍ ممكنة » . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٧٥)

١٦٤ - كتاب له فى توصية

« من شكر فقد قضى حقَّ النعمة ، واستوجبَ من المنعمِ الزيادة ، وقد شكر فلانٌ ما وعدته فى حاجته ، فاستوجبَ الإنجاز بالشكر ، وكلُّ ما ناله من رفقٍ وحظٍّ فهما واصلان إلى دونه ، فأحبُّ أن تأتى فى أمره ما أنت أهله » . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٨٣)

١٦٥ - كتاب له فى الاعتذار

« من قَبَلَ عذرك فى تركِ إجابته فلا قَبَلَ اللهُ عذرَه ، ومن حَسَّنَ أمرَكَ فى تركِ ابتداءه بالكتاب فلا حَسَّنَ اللهُ أمرَه ، فإنك الآن بفضلِ حذقك أردتَ أن تجفونى بحُجَّة ، وتقصر فى برِّى ببرهان قاطع يقوم عند الجاهل - غيرك - مقامَ المقبول من الأمر ، ولكنَّه إذا تصفَّحه أهلُ النظر علموا

(١) أى بسبب الإبقاء عليك ، والإشفاق من الزيادة فى شغلك ، لعلى بكثرة أعمالك .

أنه طَرَف من الحيلة استعملته ، وطريقٌ من الغدر سلكته ، والله إن في طمعك فيَّ أبُّ أقبل إقرارك بالعجز عن إجابتي ، لمساومةً منك بعقلي ، وتشكيكٌ لي فيما تحيط به معرفتي ، وتقرُّ لي بالجهل من حيثُ شهدت بالعلم لي ، وأبلغ المناقضة ما لم تطل فيه المجاذبة ، وما استشهد فيه على المنازع من قوله ، وعُدِل عن التماس الدليل من جهةٍ يُبعد بينه وبين صاحبه ، قد صدقت - أعزك الله - في كلِّ ما قدَّمت من الدعوى ، وفلجبت^(١) فيما ذهبت إليه من الحجَّة ، وعجزت بالحقيقة عما انتحلت العجز عنه في الظاهر ، فقد كتبت إلى كتابا لم تعد فيه طريق العادة ، هو كتابنا هذا ، فاكتب الآن الجواب ، وأنت محمودٌ يَصِلُف^(٢) ، وحسبي من معاتبتك ، فليس يجبُ للفارغ أن يكلف المشغول النظر في أكثر من هذا المقدار من كتابه فيما لا يُجدي ولا يعود بحظٍّ . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٠)

١٦٦ - كتاب تعزية له

« إذا استوى المعزَّى والمعزِّي في النائبة ، استغني عن الاكثار في الوصف لموقع الرزية ، والعذر في التأخر يكاد ظهوره يُنبئ عن التنبيه عليه ، وأنت أولى بما تتطوَّل به في قبُوله ، وأنا أقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إقراره بالهلكة ، واعترافه بالمرجع إليه ، وتسليما لقضائه ، ورضا بمواقع أقداره ، وأسأل الله أن يصلي على محمد صلاةً متصلةً بركاتها ، وأن يوفقك

(١) أي انتصرت وظفرت .

(٢) الصلف بالتحريك : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا .

لما يُرضيه عنك قولاً وفعلاً ، حتى يُكْمِلَ لك ثواب الصابر المحتسب ،
وجزاء المطيع المتنبِّئ للوعد ؛ ويرحم فلانا ويُحِلَّهُ أعلى منازل أوليائه الذين
رَضِيَ سَمْعُهُمْ ، وتطوَّلَ بفضله عليهم ، إنه وليُّ قدير «
(اخيار المنظوم والمشرور ١٣ : ٣٠٦)

١٦٧ كتاب تعزية له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وكتب تعزية إلى محمد بن عبد الله بن طاهر عن بعض أوليائه :
« ورد على الخبر - أعز الله الأمير - بحادث قضاء الله في الوليِّ الناصح ،
المطيع الشاكر ، فلان - رحمه الله - فكان وَقَعَ المصائب به على حَسَب علمي
بمحله كان من الأمير وما يراه من حق طاعته ونصيحته ، وما يجرى
عليه من أدبه وسلوك نهجه ، والتمسك بأمره ، وما يوجب به الأمير لمن وسمه
بمروفته ، وشرّفه باختياره ، واختصّه بالقرب من خدمته ، هذا مع ما أخلص
الله بيني وبينه من المودة الصادقة ، والثقة الصحيحة التي بمتنا على التمسك
بحبّل الأمير ، والاتصال بأسبابه ، والوقوف في ظلّه ، فإن الله عز وجل
جعل ذلك سبباً يجمع أهله ، وإن اختلفت بهم الأسباب ، وتفرقت بهم
الديار ، وتباعدت الأشكال .

وأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزَلَ له الثوبة والذخر ، وجعل الله
الأمير وارث أعمارنا ، والباقي بعدنا ، والمؤمل لخُلُوفنا وأعقابنا ، ورحم الله
أبا فلان ونقله إلى جنته التي لا يجاوزها أمل ، ولا يوازيها خطر ، فما أكادُ
أشهد مشهداً من مشاهد التمييز والنظر ، إلا وهم شاهدون له بالفضل الذي

شرفه به اصطناع الأمير واختياره والنصيحة له ، وقدّمه الله به على أكفائه^(١) ، فلقد رفعه الله به إن شاء الله في حياته [وأورثه^(٢)] ثناء جميلاً بعد وفاته » . (اختيار المنظوم والشور ١٣ : ٣٠٧)

١٦٨ - تعزية له في مثله

« لولا أن التعزية على المصائب سبيل لا يُنكر على مثلى من خدم الأمير وعييده سلوكها ، لأجللت الأمير أن أذكره من الصبر وحسن العزاء بما أعلم أنه بفضل نعمة الله عليه ، وما خوّله من العلم الذي جعله به قدوة ، وإنما أسأل الله عز وجل أن يوفق أمير المؤمنين لما يُعظم به أجره ، ويُجزل به مثوبته ، ولا يهد له ركنا ، ولا يريه في شيء من عواريه لديه ومناحيه نقصاً ولا غيراً ، ولا تبديلاً ، بمنه ولطفه » . (اختيار المنظوم والشور ١٣ : ٣٠٧)

١٦٩ - كتاب له

وكتب :

« شغلك يقطعنا عن مطالبتك بالحق في جوابات كتبنا إليك ، وصدق مودتنا لك بمنعنا من التقصّي في الحجة عليك ، ومن يكللك إلى رأيك فإنه لا يفي بك إلا لك ، صلة إخوانك والتعاهد لهم من برك بما يشبه فضلك والنعمة عليهم فيك .

(١) في الأصل « والنصيحة له التي قد الله به على كفايه » وهو تحريف .

(٢) زدت هذه الكلمة لتستقيم العبارة .

وفلان بيني وبينه مودة أقدمه بها على الأخوة ، لأنك تعلم قرب ما بين المودة والقربة ، وقد بلوته^(١) على الحالات كلها ، فلم يزدني اختبارُهُ إلا اختياراً له ، ولا أعلم بالمسكر جليلاً إلا وهو لي صديق ، يشكر بشكره ، ويوجب على نفسه المنّة فيما آتني إليه ، فأما من بين إخوانه فلست أعدل عن قضاء حقه ، ولا أتأخر عن معروف أسدي إليه ، فإن رأيت أن تحله بالمحل الذي يستحقه بنفسه وسلفه ، فوالله ما رأيت سوق الأحرار أنفق^(٢) منها عندي ، أهل البيت ، أبقى الله تبارك وتعالى باقيكم ، ورحم ماضيكم .

(اختيار المنظوم والمثور ١٢ : ٢٥٩)

١٧٠ - تحميد له في فتح

وله تحميد في فتح عن وصيف :

« أما بعد ، فالحمد لله الحميد المجيد ، الفعال لما يريد ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وأمضاه على مشيئته ، ودبره بعلمه ، وأظهر فيه آثار حكيمته التي تدعو العقول إلى معرفته ، وتشهد لذوى الأبواب برؤيته ، وتدل على وحدانيته ، لم يكن له شريك في ملكه فينازعه ، ولا معين على ما خلق فتلزمه الحاجة إليه ، فليس يتصرف عباده في حال إلا كانت دليلاً عليه ، ولا تقع الأبصار على شئ إلا كان شاهداً له ، بمارسم فيه من آثار صنعه ، وأبان فيه من دلائل تدبيره ، إعذاراً بحجته ، وتطوئلاً بنعمته ، وهداية إلى حقه ، وإرشاداً إلى سبيل طاعته » وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو

(١) بلّاه بلّوه : اختبره .

(٢) أي أروج .

أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

والحمد لله العزيز القهار ، الملك الجبار ، الذي اصطفى الإسلام واختاره ، وارتضاه وطهره ، وأعلاه وأظهره ، فجعله حُجَّةَ أَهْلِهِ عَلَى مَنْ شَاقَّهُمْ ^(١) ، ووسيلتهم إلى النصر على مَنْ عِنْدَ ^(٢) فِي حَقِّهِمْ ، وابتغى غير سبيلهم ، وبعث به رسالَه يدْعُونَ إِلَى حَقِّهِ ، وَيَهْدُونَ إِلَى سَبِيلِهِ بِالآيَاتِ الَّتِي يَبَيِّنُونَ بِهَا عَنِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَيُوجِبُونَ بِهَا الْحُجَّةَ عَلَى الْمُخَالِفِينَ ، حَتَّى انْتَهَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ إِلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَحَامِلِ كِتَابِهِ ، وَمِفْتَاحِ رَحْمَتِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرِّسَالِ ، وَاخْتِلَافٍ مِنَ الْمِلَلِ ، وَدُثُورٍ ^(٣) مِنْ أَعْلَامِ الْحَقِّ ، وَاسْتِعْلَاءٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالنَّاسُ عَانِدُونَ عَنْ سَبِيلِ رَبِّهِمْ ، يَتَسَافِكُونَ دِمَاءَهُمْ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَأَيَّدَهُ بِالْبُرْهَانِ الْوَاضِحِ ، وَالْحُجَجِ الْقَوَاطِعِ ، وَالآيَاتِ الشَّوَاهِدِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، وَجَسَلَ فِيهِ أَوْضَحَ الدَّلِيلِ عَلَى رِسَالَتِهِ ، وَأَعَدَلَ الشَّوَاهِدَ عَلَى نَبَوْتِهِ ، إِذْ عَجَزَ الْمَخْلُوقُونَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ عَلَى مَرَّةٍ الْأَيَّامِ ، وَكَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْمَنَازِعِينَ ، يَتَحَدَّاهُمْ بِهِ فِي الْمَوَاسِمِ ، وَيَقْصِدُهُمْ بِحُجَّتِهِ فِي الْحَافِلِ ، وَلَا يَزِدَادُونَ عَنْهُ إِلَّا حُسُورًا ^(٤) وَعَجْزًا ، وَلَا تَزِدَادَ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَظَاهُرًا وَعُلُوءًا ،

(١) أَى خَالِفِهِمْ وَعَادَاهُمْ .

(٢) أَى مَالٍ .

(٣) دُثُرُ الْأَثَرِ كَدَخَلَ دُثُورًا : دَرَسَ .

(٤) أَى كَلَالًا وَاقْطَاعًا .

ثم أيده بالنصر بأنصار ألف بينهم بطاعته ، وجمعهم على حقه ، ولم شعثهم
بنصرة دينه ، بعد الشقاق المتصل بينهم ، والحرب المفرقة لجماعتهم ، كما قال
عز وجل : « هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ » وقدم إليه وعده بالنصرة
والتمكن ، فجعله بشرى للمؤمنين ، وحجة على الكافرين ، ودليلا على ما
بعثه به من الدين ، فهزم بالقليل من عددهم الكثير من عدد أعدائهم ، وغلب
بضعفائهم أهل القوة ممن ناوَاهُمْ^(١) ، ففعل به حذم ، وفض جمعهم ، وافتتح
حصونهم وحرير^(٢) معاقليهم ، وأظهر بحجته ونصره عليهم ، وأنجز سابق
وعده لهم وفيهم ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٨٢)

١٧١ - فصول لسعيد بن حميد في المودة

وكتب سعيد بن حميد :

« إني أهديت مودتي رغبةً إليك ، ورضيت بالقبول منك مَثُوبَةً ،
فصرت بقبولها قاضيا لحق ، ومالكاً لرق ، وصرت - بالتسرع إلى الهدية ،
والتخير للمثوبة - مُرْتَهِنَ اللسان بالرضا ، واليدن بالوفا » .



وفصل له :

« إني صادقتُ منك جوهر نفسي ، فأنا خير محمودٍ على الانقياد لك بغير
زِمَام ، لأن النفس يقود بعضها بعضا » .

(١) أي عاداهم .

(٢) الحرير : الحصين ، والمقل كجلس : اللجأ .



وفصل له :

« لسانى ترطب بذكرك ، وقلبي معمور بحببتك ، حضرت أو غبت ،
سيرت أو أقيمت » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

١٧٢ — كتاب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد

وكتب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد :
« أكره - أطل الله بقاءك - أت أضعك ونفسي موضع العذر
والقبول ، فيكون أحدنا معذرا مقصرا ، والآخر قابلا متفضلا . ولكن
أذكر ما في التلاقي من تجديد البر ، وفي التخلف من قلة الصبر ، وأسأل الله
تعالى أن يوفقك وإيانا لما يكون منه عُقبى الشكر » .

١٧٣ — رد سعيد بن حميد عليه

فأجابه سعيد بن حميد :

« وصل كتابك - أكرمك الله تعالى - الحاضر سروره ، اللطيف
موقعه ، الجميل صدوره ومورده ، الشاهد ظاهره على صديق باطنه ، ونحن
- أعزك الله - نجعل عزاءك الاعتراف بفضلك ، ومجازاتك التقصير دونك ،
ونرى أن لا عذر في التخلف عنك وإن حال الاشتغال بيننا وبينك ، فإن
كنت ساحت على العذر قبل الاعتذار ، وسبقت إلى فضيلة الاعتذار ،

فلا زلتَ على كل خير دليلاً ، وإليه داعياً ، وبه آمراً ، وقد التقينا قبل وصول كتابك لقاءً أحدثَ قطراً^(١) ، وهاجَ شوقاً ، وأرجو أن تتسع لنا الجمعة بما فاضت به الأيامُ ، فننالَ حظاً من محادثتك والأنسِ بك .

(زهر الآداب ٣ : ٣٦١)

١٧٤ - كتاب لسعيد بن عبد الملك في السلامة

« أما بعدُ ، فإن أُوْلَى نعمةٍ تُشكر وتُقْبَلُ ، نعمةٌ خَصَّتْ فاستقامت بها الأمورُ ، واقعةٌ بمصالحها ، جاريةٌ على أقصد^(٢) سُنَنِها ، وأَجْمَلِ ما وَلِيَ اللهُ به منها ، رِعْمَتٌ فَالَّتِ الْبَشَرُ ، وَجَمَعَتِ الْكَلِمَةُ ، وآمَنَتِ السَّرْبُ^(٣) ، وَسَكَنَتِ بِهَا الدَّهْمَاءُ^(٤) .

وإن أمير المؤمنين كتبَ إليك ، وهو من ترادف النعم الخاصة عنده في نفسه وولده وأذانيه وأوليائه ، من شمول السلامة والنعمة والصنع وتابعه في رعيته وأموره بحضْرته وقاصيته وكذا ...

فالله يتولى لأمر المؤمنين في ذلك شكرَ تفضُّله ، وإليه الرغبةُ في إدامة أحسن ما أنعم به عليه ، إنه وليّ قدير .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٦٦)

(١) أى قطر الدموع ، كناية عن شدة تأثير اللقاء .

(٢) أى أقوم ، أفعل من القصد وهو استقامة الطريق .

(٣) السرب : النفس .

(٤) الدهماء : جماعة الناس .

١٧٥ - كتاب له في سلامة الفطر

« أما بعدُ ، فإن الله هو وليُّ أمير المؤمنين فيما استحفظه من النظر في سياسة عباده ومراعاة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامة شرائع دينه ، ودلالة الأمة إلى مَراشدها في قضاء حق الله عليها ، وجمعها في المواطن التي ندبها إليها ، وجعل نَوَافِل^(١) الخير والبرِّ فيها ، فأدام الله صلاحها ، ولا أخلاها من بَرَكَرَهايته ، ومن ولايته وسياسته ، ولا زالت في كَنَفِ السلامة بسلامته ، وظلَّ العافية بعافيته ، وعلى سبيل نَجاة هدايته .

وقد كتبتُ إلى أمير المؤمنين فيما وليه الله به في مَخْرَجِهِ إلى عِيده من يوم فِطْرِهِ ، وما وَفَّقَهُ له من التقرب إليه بوسائل التذلل في طاعته ، والاجتهاد في شكره ، والمناصحة في مخاطبة مَنْ حَضَرَهُ ، وإنصاتهم لوعظه وتذكيره ، وما وَلِيَهُ الله به من العافية والسلامة الشاملة ، والنعمة الكامة (والسلامة^(٢) التامة) والعزم الموصول بالسكينة ، والإخبات^(٣) والخشوع ، وحُسن الرغبة والدَّعة والوقار والاستغفار والتكبير والتهليل ، وما منحه الله من كثرة الدعاء ممن شاهد من خاصَّته وعامَّته ، ومَنْ أوفى من البلدان والأُمصار ، وآتاه مِنْ تَفَرُّغِهِمْ لشكر النعمة عليهم ، وأفرشهم^(٤) من عدله وإحسانه ، وفضله وامتنانه ،

(١) النافلة : العطية .

(٢) هكذا في الأصل ، وبلاحظ أن كلمة « السلامة » قد تقدمت ، فلهذا سهو من الناسخ ، أو قد

يكون الأصل « والسلطة التامة » .

(٣) أخبت : خضع وتواضع .

(٤) من أفرش فلانا بساطا : إذا بسطه له كفرشه .

وأعانهم على ما كانوا يتشوقون^(١) ، ويُعيدون له في أعيادهم ، من رفع حوائجهم
وذكرِ مَظالمهم ، مِنَّا من الله خصَّ به خليفته ، وأعطاه فضلَ مزيته ، بما
وفَّقه له من العدل والنَّصفَةِ ، والبرِّ والمرحمة ، والعطف^(٢) والرأفة ، كتاباً
أمرت بنسخه لك آخرَ كتابي هذا ، فافعل وافعل ... والسلام .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٧١)

١٧٦ - كتاب له في الاعتذار

« لحظاك الله بعفوه ، وعاد عليك وعلينا بعفوه ، فنسأل الله ما لا يقبله
على العلم والقدرة غيره ، لو بُدِّلَ مكانَ سوء الظن أحسنه ، وتيقنتُ أن قليل
ما يلزم بصديقي - ممَّا يطرِفُ عينه - ويؤذيه سماعه ، دون ما يخاف من لواحق^(٣)
عبيه - لا يُزِيلُ خَلْدِي الاهتمامُ به ، حتى يجعلَ اللهُ مخرجاً ، كنتُ رَوَّحتُ
عن قلبك وعنَى في استبطائك » . (اختيار النظم والمشور ١٣ : ٣٨٩)

١٧٧ - تعزية لسعيد بن عبد الملك

« لكلِّ مُعَزٍّ - أعزَّ الله الأمير - سبيلٌ في موقعه من التعزية والمزاء ،
وحقُّ الأمير لا يقضيه طولُ السعي فيه ، جلاله خطرُه ، وعِظَمُ قدره ،
وكلُّ ما أدَّى إليه منه فهو دون ما يجب له (وما^(٤) قصَّر عنه) افضلُ منزلته ،

(١) تشوق إليه : تطلع .

(٢) في الأصل « والعطف » وهو تحريف .

(٣) في الأصل « من لواحق عبيه » وأراه محرفاً .

(٤) ما هنا نافية ، والجملة حالية .

وارتفاع مَزِيد النعمة عليه وتَوَالِيهَا^(١) ، فإن النعم على الأمير متكاملة قد وفَّرته عن الجزع لحادثِ المصيبة ، وذَلَّلته بالتقوى لخالص الشكر ، وعلَتْ به في كل أمر يحدث له أو عليه ، وحطَّت درجةٌ مثلى عن تعزيتِه إلا بالدعاء ، فثَبَّت اللهُ الأمير بعزيمة الصبر ، ووفاه متكاملَ الأجر ، وزاده في مدة العمر ، ولا أخلاه في السَّراء والضَّراء من نعمة تثبَّتته على شكر يجمع له به ذخائر البر ، ووهب لميَّتِه رضوانه ومغفرته ، وبرَّدَ عفوه في جنته التي لا يجاوزها أملٌ ، ولا يبلُغها خطرٌ . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣١٢)

١٧٨ — تعزية له

« المصائب - أكرمك الله - هدايا لقوم ، وبلايا على آخرين ، فجعلك الله ممن عقل ، عند ما استعمل الشكر عند الإمتاع ، والصبر عند الارتجاع . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣١٧)

١٧٩ — كتاب له في توصية

« للمودة أسباب تؤدِّي إلى اتصال المحبة ، واجتماع المودة ، واتساق نظم الأخوة وكتابي هذا من أسبابها القوية ، إذ كان في سبيل البرِّ والمثوبة ، ولفلان قبلك حاجةٌ ، فافعل وافعل . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٩٣)

(١) في الأصل « وتواهيها » وهو تحريف .

١٨٠ - كتاب آخر

« كتابي إليك لك ، فإن قبلته كان شبيها بكرمك ونعمة الله عندك ، وما أقبل منك إلا أن تقبله ولا تؤخره ، وهو أنك قد عرفت ما يجب لفلان ، وما كتبت به له ، وما أرجع عليه بلوم في حسن ظنه بك ، وصبره عليك ، ووفائه لك ، ولا أرضى منك أن تغفل عنه ، وأن تجعل حاجته فيما تدافع به أو تعطل فيه ، فقد ضمنت له عنك أن يكون جوابه النصح ، وقد اقتصر على كتابي واقتصرت له عليه ، وأرجو ألا تخجل به ، ولا تردّه بغير حظ إن شاء الله » . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٩٣)

١٨١ - كتاب له في إطلاق محبوس

« معرفتي أنك لا تجاوز في العقوبة سبيلها من مواقع الأدب بالحق ، تحمّلني على مسألتك ما أنت موجب له ، والله كرى تنفع المؤمنين ، ولولا ذلك لاستغنى صاحب كتابي عنه ، فإن كان ذنبه صغيرا ، فالعقوبة تُخرجّه من حبسه ، وإن كنت تناهيت في حبسه إلى مدة ذنبه ، فالحق يُخرجّه ، وكتابي متقاض لك » . (اختيار المنظور والمشور ١٣ : ٣٩٤)

١٨٢ - كتاب له

وكتب سعيد بن عبد الملك :

« كتبت - على شغل - في قطع من القرطاس ، ولم يقطع بي حسن

الظن بك في قبولك العذر ، وتحسينك ما أنت أهل لتحسينه ، فإنك تقبل دون حَقِّك ، وتهب الذنب فيه ، فيكون شكرك جاريا على سبيلين ، كلاهما يُبين لك عن فضلك ، ويُوجب لك ما لا يقصّر معه إلا مغبون الحظ ، خسيس النصيب . (اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ٢٦٤)

١٨٣ — ومن فصوله

فصل له :

« أنا صَبَّ إليك ، سامي الطرفِ نحوك ، وذِكْرُك مُلصَقٌ بلساني ، واسمُك حُلُوٌّ على لَهَوَاتِي ^(١) وشخصُك ماثلٌ بين عيني ، وأنت أقربُ الناس من قلبي ، وآخذُهم بِجَماعِ هوای . »



وفصل له :

« لَنَحْنُ أَحَقُّ بِابْتِدَائِكَ بِمَا ابْتَدَأْتَنَا بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ ، إِلَّا أَنَّكَ أَحَقُّ بِالْفَضْلِ الَّذِي سَبَقْتَنَا إِلَيْهِ . » (العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

١٨٤ — كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المعتز

وطَفِقَ أَمْرُ الْمُسْتَعِينِ يَضْعُفُ ، وَالْمُعْتَزُّ يَقْوَى ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ كَاتِبَ الْمُعْتَزِّ ، وَجَنَحَ إِلَيْهِ ، وَمَالَ إِلَى الصَّلَاحِ عَلَى خَلْعِ

(١) لهوات جمع لهاة : وهي اللحمة المشرفة على الخاق .

المستعين ، وكانت عاقبة أمره أَنْ خَلَعَ نفسه من الخلافة وبايع المعتز (سنة ٢٥٢) فأخذ له ابن طاهر البيعة ببغداد ، وأشهد عليه الشهود من بني هاشم والقضاة والفقهاء والقواد ، وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ، ووجه ذلك مع أخيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر إلى المعتز بسامرا ، وكتب إليه :

« أما بعد ، فالحمد لله مُتِمَّ النعم برحمته ، والهادي إلى شكره بفضله ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله الذي جمع له مافرق من الفضل في الرسل قبله ، وجعل تراثه راجعا إلى من خَصَّه بخلافته وسلم تسليما .

كتابي إلى أمير المؤمنين ، وقد تَمَّ الله له أمره ، وتَسَامَتْ تراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان عنده ، وأنفذته إلى أمير المؤمنين سع عبيد الله بن عبد الله مَوْلى أمير المؤمنين وعبيده » .

(تاريخ الطبري ١١ : ١٣٧)

وجاء في مروج الذهب للمسعودي :

وقدِمَ على المعتز عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبردة والقضيب والسيف ويجوهر الخلافة ومعه شاهك الخادم ، وكتب محمد ابن عبد الله إلى المعتز في شاهك :

« إن من أتاك يارث رسول الله صلى الله عليه وسلم جديراً أَنْ لَا تُخْفَرَ

ذِمَّتُهُ ^(١) » : (مروج الذهب ٢ : ٤٢٠)

ثم أُخْدِرَ المستعين إلى « واسط » وقتل في شوال من سنة ٢٥٢ هـ

(١) أخفّره : قنص عهده وغدره .

١٨٥ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عمال النواحي

ولما أفضت الخلافة إلى المعتز ، أمر بالمقد لأنصاره على النواحي ، وأطلقهم في أسيار أعدائهم وأبشارهم^(١) ودماهم ، فلما بلغ محمد بن عبد الله ابن طاهر ما أمر به في النواحي أنشأ كتابا نسخته :

« أما بعد ، فإن زَيْغَ الهوى صَدَف^(٢) بكم عن حَزْمِ الرأى ، فَأَقْحَمَكُمْ^(٣) حَبَائِلَ الْخَطَأِ ، وَلَوْ مَلَكَتْكُمْ الْحَقُّ عَلَيْكُمْ ، وَحَكَمْتُ بِهِ فِيكُمْ ، لَأَوْرَدَكُمْ الْبَصِيرَةَ ، وَنَفَى عَنْكُمْ غَيَابَةَ^(٤) الْحَيَرَةِ ، وَالْآنَ فَإِنْ تَجَنَّحُوا^(٥) لِلْسَّلَامِ تَحَقَّنُوا دِمَاءَكُمْ ، وَتُرْعِدُوا عَيْشَكُمْ ، وَيَصْفَحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جَرِيرَةٍ^(٦) جَارِ مَكِّ ، وَأَخْلَى لَكُمْ ذُرْوَةَ سُبُوغِ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ مَضَيْتُمْ عَلَى غُلُوَائِكُمْ^(٧) ، وَسَوَّلَ لَكُمْ الْأَمَلُ أَسْوَأَ أَعْمَالِكُمْ ، فَأَذْنُوا^(٨) بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِمَدِّ نَبَذِ^(٩) الْمَعْذِرَةِ إِلَيْكُمْ ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ ، وَلَتُنْشُتِ الْغَارَاتُ ، وَشُبَّ ضِرَامُ^(١٠)

(١) أشعار: جمع شعر كشمس وسبب ، وهو معروف ، وأبشار: جمع بشر كسبب : وهو ظاهر الجلد جمع بشرة كرقبة ، والمعنى : أباح لهم ضر بهم وجلدهم .

(٢) صدَف عنه كضرب : أعرض ، وصدفه : صرفه .

(٣) أَى رَى بكم .

(٤) غَيَابَةُ كُلِّ شَيْءٍ : مَا اسْتَرَكَ مِنْهُ .

(٥) تَجَنَّحُوا : تَمِيلُوا .

(٦) الْجَرِيرَةُ : الذَّنْبُ ، وَجَرَمُ كَضَرْبٍ وَأَجْرَمُ : أَذْبَ ، وَسُبُوغُ النِّعْمَةِ : انْسَاعُهَا .

(٧) الْغُلُوَاءُ : الْغُلُوُّ .

(٨) أَى كُونُوا عَلَى عِلْمٍ بِهَا ، مِنْ أَذْنٍ بِالنِّسْبَةِ كَسَمْعٍ : عِلْمٌ بِهِ .

(٩) أَى تَقْدِيمٍ ، وَأَمْلَ النَّبَذِ : الطَّرْحُ .

(١٠) شَبَّ : أَوْقَدَ ، وَالضِّرَامُ : دِفَاقُ الْحَطَبِ الَّذِى يَسْرِعُ اشْتِمَالُ النَّارِ فِيهِ .

الحرب ، ودارت رحاها على قُطبها ، وحسّمت^(١) الصوارم أوصال حُماتها ،
واستجرت العوالي^(٢) من نهمها ، ودُعيت نزال^(٣) ، والتحم الأبطال ،
وكَلَحَت^(٤) الحرب عن أنيابها أشداقها ، وألقت للتجرّد عنها قِناعها ، واختلفت
أعناق الخيل ، وزحف أهل النجدة إلى أهل البغي ، لتعامن أيّ الفريقين أسمح
بالموت نفساً ، وأشدّ عند اللقاء بطشاً ، ولات حين مَعْدِرَةٍ ، ولا قبول
فِدِيَةٍ ، وقد أعذر من أنذر ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون .
(تاريخ الطبري ١١ : ١٤٩)

١٨٦ - رد الأثرak على كتاب ابن طاهر

فَبَلَغَ كتابُ محمد بن عبد الله الأثرak فكتبوا جواب كتابه :
« إِنِّ شَخْصَ الباطل تصوّر لك في صورة الحق ، فتخيّل لك النّفى
رُشْداً ، كسرّابٍ بَقِيْعَةٍ^(٥) يحسبه الظّمان ماءً حتّى إذا جاءه لم يجدْهُ شَيْئاً ،
ولو راجعت عُزُوبَ^(٦) عقلك ، أنارلك برهان البصيرة ، وحسم عنك مَوَادَّ

(١) حسمت : قطعت .

(٢) العوالي : جمع عالية : وهي أعلى الرمح ، والجرة بالكسر : ما يفيض به البعير من بطنه فيأكله
ثانية ، وقد اجتر وأجر ، ولم يرد في كتب اللغة استجر بهذا المعنى .

(٣) نزال : معدول عن المنازلة في الحرب ، ولذا أنت ، قال الشاعر :

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الدرع

وقال آخر :

* فدعوا نزال فسكنت أول نازل *

(٤) الكلوح : بدو الأسنان عند العبوس ، وفعله كنع .

(٥) السراب : ما تراه نصف النهار ، كأنه ماء ، والقيعة : جمع قاع : وهو أرض سهلة مطمّنة قد
انفجرت عنها الجبال والآكام .

(٦) العزوب : الغيبة والذهاب ، أي عقلك الذاهب .

الشبهة ، لكن حصت^(١) عن سنة الحقيقة ، ونكصت على عقبيك ، لما
ملك طباعك من دواعي الحيرة ، فكنت في الإصغاء لهتافه ، والتجرد
إلى وروده ، كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، ولعمرك يا محمد :
لقد ورد وعدك لنا ، ووعدك إيانا ، فلم يذنا منك ، ولم يئنا عنك ، إذ كان
فحص اليقين قد كشف عن مكنون ضميرك ، وألفاك كالمكتفي بالبرق نهجا
إذا أضاء له مشى فيه ، وإذا أظلم عليه قام ، ولعمرك لئن اشتد في البغي
شأوك^(٢) ، ومُتعت بصباة من الأمل ، ليكون أمرك عليك غمة^(٣) ،
ولنا تينك بجنود لا قبل لك بها ، ولنخرجك منها ذليلا وأنت من
الصاغرين ، ولولا انتظارنا كتاب أمير المؤمنين بإعلامنا ما نعمل في
شاكلته^(٤) ، بلقنا بالسياط النياط ، ونحمدنا السيوف وهي كالة^(٥) ، وجعلنا عاليها
سافلها ، وجعلناها مأوى الظلمان^(٦) والحيات والبوم ، وقد ناديناك من
كثب^(٧) ، وأسمعناك إن كنت حيا ، فإن تجب تفلح ، وإن تأب إلا
غيا نخزك به ، وعمّا قليل لتصبحن نادمين^(٨) . (تاريخ الطبري ١١ : ١٥٠)

(١) خاص عنه يحمي : عدل وحاد ، والسنة : الطريقة ، ونكص على عقبيه : رجع عما كان عليه من خير ، خاص بالرجوع عن الخير ، أو في الأمر نادر .

(٢) الشأو : السبق والغاية ، والصباة : البقية .

(٣) الشاكلة : الطريقة والمذهب ، والنياط : عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه .

(٤) الظلمان : جمع ظليم : وهو ذكر النعام .

(٥) أي من قرب .

١٨٧ - كتاب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمود الإسكافي

وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي^(١)
وزير المعتز بالله - وكان المعتز يختص به ويتقرب إليه قبل الوزارة - :
«مازلت - أيدك الله تعالى - أذمُّ الدهر بدمك إياه ، وأتظّر لنفسى ولك
عقباه ، وأتغنى زوال مَنْ لا ذنبَ له إلى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله ،
وأترك الإعذار فى الطلب ، على الاختلال الشديد ، ضنًا بالمعروف عندى إلا
عن أهله ، وجبَسًا لشِعْرى إلا عن مستحقِّه » .

١٨٨ - رد جعفر بن محمد بن عباد

فوقع فى كتابه :

« لم أؤخّر ذكرك ناسيا لحظّك ، ولا مُهمّلا لواجبك ، ولا مُوهنا لمهمّ
أمرك ، لكننى ترقبتُ اتساع الحال ، وانفساح الأعمال ، لأخصّصك بأسنانها
خطرًا ، وبأجلّها قدرا ، وأعوذ بها نفعا عليك ، وأوفّر بها رزقا لك ، وأقربها
مسافةً منك ، فإذا كنت ممن تحفّزه^(٢) الأعمال ، ولا يتسع له الإمهال ،

(١) انظر خبره فى الفخرى ص ٢٢١ ، وفى زهر الآداب أنه ابن محمد وهو تحريف ، وصوابه ابن محمود
كما فى الفخرى ، ويدل على ذلك ما جاء فيه ص ٢٢٢ : « واستوزره المعتز ثانية ، ولما تولى الوزارة
فى المرة الثانية قال بعض الشعراء :

يانفس لاتولى بتفنيد وعلى القلب بالمواعيد

واتظرى قدرايت مساقه الله إلى جعفر بن محمود

وفى تاريخ الطبرى أنه جعفر بن محمود أيضا - انظر ج ١١ : ص ١٦١ .

(٢) فى الأصل « تحقره » وهو تصحيف ، وصوابه « تحفّزه » كما أثبتته ، من حفّزه كضربه أى
دفعه وأعجله .

فسأختار لك خير ما يشير إليه الوقت ، وأنعم^(١) النظر فيه ، فأجمله أول ما أمضيه . (زمر الآداب ٣ : ١٦٨)

١٨٩ - كتاب ابن طاهر إلى عماله

وفي سنة ٢٥٣ هـ مات محمد بن عبد الله بن طاهر - وكانت علته التي مات فيها قروحا أصابته في حلقه ورأسه فذبحته - واستخلف محمد قبل موته أخاه عبيد الله على أعماله ، ووصى بذلك وكتب به إلى عماله ، ثم وجه المعتز الخلع وولاية بغداد إلى عبيد الله .

وهذه نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بن عبد الله إلى عماله باستخلافه أخاه عبيد الله بعده :

« أما بعد ، فإن الله عز وجل جعل الموت حتماً مقضياً جارياً على الباقيين من خلقه ، حسب ما جرى على الماضين ، وحقيق على من أعطى حظاً من توفيق الله أن يكون على استعدادٍ لحلول ما لا بد منه ، ولا يحيص^(٢) عنه في كل الأحوال .

وكتابي هذا وأنا في علة قد اشتد الإشفاق منها ، وكاد الإياس يغلب على الرجاء فيها ، فإن يُبل^(٣) الله ويُدفع فبقدرته وكريم عادته ، وإن يحدث بي الحدث الذي هو سبيل الأولين والآخرين ، فقد استخلفت عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، أخى الموثوق باقتفائه أثرى ، وأخذ به بسبيله من

(١) في لسان العرب : أنعم النظر في الشيء : إذا أطال الفكرة فيه ، وفيه أيضاً وفي القاموس : في الأمر بالغ .

(٢) أى لا مفر ولا مهرب منه .

(٣) أى يبرى ، من بل من مرضه إذا براً وأبل أيضاً .

سلطان أمير المؤمنين ، إلى أن يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه ، فاعلم
ذلك وأتمر فيما تتولاه بما ترُدُّ به كُتُبُ عبيد الله وأمره إن شاء الله .
وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة ٢٥٣ هـ .
(تاريخ الطبري ١١ : ١٥٥)

١٩٠ - رقعة المعتز بخلع نفسه

واضطرب أمر المعتز واضطره الأتراك أن يخلع نفسه ففعل ، وبايسوا
بالخلافة محمدا المهدي بالله بن الواثق بالله سنة ٢٥٥ ، ثم قتلوا المعتز ، وكانت
نسخة الرقعة المعتز نفسه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أشهد عليه الشهود المسمون في
هذا الكتاب ، شهدوا أن أبا عبد الله ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله
أقرّ عندهم وأشهدهم على نفسه ، في صحة من عقله ، وجواز من أمره ، طائعا
غير مُكره ، أنه نظر فيما كان تقلده من أمر الخلافة والقيام بأمر المسلمين ،
فراى أنه لا يصلح لذلك ولا يكمل له ، وأنه عاجز عن القيام بما يجب
عليه منها ، ضعيف عن ذلك ، فأخرج نفسه وتبرأ منها وخلعها من رقبته
وخلع نفسه منها ، وبرأ كل من كانت له في عنقه بيعة ، من جميع أوليائه
وسائر الناس ، مما كان له في رقابهم من البيعة والعهود والمواثيق والأيمان
بالطلاق والعناق والصدقة والحج وسائر الأيمان ، وخلعهم من جميع ذلك ،
وجملهم في سعة منه في الدنيا والآخرة ، بعد أن تبين له أن الصلاح له
والمسلمين في خروجه عن الخلافة والتبري منها ، وأشهد على نفسه بجميع

ما سُمِّيَ ووُصِفَ في هذا الكتاب جميعَ الشهود المسمَّين فيه وجميعَ مَنْ حضر ، بعد أن قُرِئَ عليه حرفاً حرفاً ، فأقرَّ بفهمه ومعرفته جميعَ ما فيه طائفاً غيرَ مُكرَّه ، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ هـ .
فوقع المعتبر في ذلك :

« أقرَّ أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطه » .

وكتب الشهود شهاداتهم : شهد الحسن بن محمد ، ومحمد بن يحيى ، وأحمد بن جناب ، ويحيى بن زكرياء بن أبي يعقوب الأصبهاني ، وعبد الله ابن محمد العامري ، وأحمد بن الفضل بن يحيى ، وحامد بن إسحاق ، وعبد الله ابن محمد ، وإبراهيم بن محمد . (تاريخ الطبري ١١ : ١٦٢)

١٩١ - كتاب الموالى بالكرخ والدور إلى المهتدي

وفي سنة ٢٥٦ هـ انتشر الخبر في العامة أن القوم على أن يخلعوا المهتدي ويفتكوا به ، فتحرك الموالى بالكرخ والدور^(١) ، ووجهوا إلى المهتدي وسألوه أن يوجه إليهم أحد إخوته ، فوجه إليهم أخاه أبا القاسم ، فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمير المؤمنين ، وأنه بلغهم أن موسى بن بغا وبايكباك وجماعة من قوادهم يريدونه على الخلع ، وأنهم يبدلون دماءهم دون ذلك ، وأنهم قد قرءوا بذلك رقاعاً أُلقيت في المسجد والطُرُقَات ، وشكوا مع ذلك سوء حالهم وتأخر أرزاقهم ، وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم التي قد أجهفت بالضِّياع والخراج ، وما صار لكبرائهم من المعاوين والزيادات من الرسوم القديمة ،

(١) الكرخ : محلة ببغداد ، ودور بغداد : موضع بها أيضا .

مع أرزاق النساء والدُّخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال الخراج ،
وكثر كلامهم في ذلك ، فقال لهم أبو القاسم : اكتبوا هذا في كتاب إلى
أمير المؤمنين أتولى إيصاله لكم ، فكتبوا ذلك .

١٩٢ - رد المهتدى عليهم

فكتب المهتدى جواب كتابهم بخطه وختمه بخاتمه ، وغدا أبو القاسم
إلى الكرخ فوافاهم بكتاب المهتدى فقرئ عليهم ، وإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله وصلى على محمد النبي وعلى آله وسلم
تسليماً كثيراً ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً ، فهيمت
كتابكم ، وسرّني ما ذكرتم من طاعتكم ، وما أتم عليه ، فأحسن الله
جزاءكم ، وتولى حياتكم ، فأما ما ذكرتم من خلّصكم^(١) وحاجتكم فعزّيزت
على ذلك فيكم ، ولو ددت والله أن صلاحكم يهتأ بأن لا آكل ولا أطعم
ولدى وأهلى إلا القوت الذى لا يَسَعُ شيء دونه ، ولا ألبس أحداً من ولدى
إلا ما ستر العورة ، ولا والله - حاطكم الله - ما صار إلى منذ تقلدت أمركم
لنفسى وأهلى وولدى ومتقدّمى غلمانى وخشمتى إلا خمسة عشر ألف دينار ،
وأتم تقفون على ما ورد ويرد ، وكل ذلك مصروف إليكم ، غيروا مدّخر
عنكم ، وأما ما ذكرتم مما بلغكم وقرأتم به الرقاع التى ألقيت فى المساجد
والطرق ، وما بذلتم من أنفسكم ، فأتم أهل ذلك ، وأين تعتذرون مما

ذَكَرْتُمْ ، وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ، فَنُزِّلُكُمْ مِنَ اللَّهِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ وَعَهْدُكُمْ وَأَمَاتُكُمْ خَيْرًا ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا بَلَّغْتُمْ ، فَعَلَى ذَلِكَ فَلْيَكُنْ عَمَلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْإِقْطَاعَاتِ وَالْمَعَاوِنِ وَغَيْرِهَا ، فَأَنَا أَنْظُرُ فِي ذَلِكَ وَأَصِيرُ مِنْهُ إِلَى مُحِبَّتِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ ، وَكَانَ لَنَا وَلَكُمْ حَافِظًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .
(تاريخ الطبري ١١ : ١٩٥)

١٩٣ - كتاب الموالي بالكرخ والدور إلى المهتدي

فَلَمَّا فَرَغَ الْقَارِئُ كَثْرَ الْكَلَامُ ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ اكْتُبُوا بِذَلِكَ كِتَابًا ، فَكُتِبُوا بَعْدَ أَنْ دَعَا اللَّهَ فِيهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :
« إِنْ الَّذِي يَسْأَلُونَ أَنْ تُرَدَّ الْأُمُورُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ مَعْتَرِضٌ ، وَأَنْ تُرَدَّ رُسُومُهُمْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ أَيَّامَ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى كُلِّ تِسْعَةٍ مِنْهُمْ عَرِيفٌ ، وَعَلَى كُلِّ خَمْسِينَ خَلِيفَةٌ ، وَعَلَى كُلِّ مِائَةٍ قَائِدٌ ، وَأَنْ تَسْقُطَ أَرْزَاقُ النِّسَاءِ وَالزِّيَادَاتِ وَالْمَعَاوِنِ ، وَلَا يَدْخُلَ سَوَّلَى فِي قَبَالَةٍ^(١) وَلَا غَيْرِهَا ، وَأَنْ يُوضَعَ لَهُمُ الْعَطَاءُ فِي كُلِّ شَهْرَيْنِ عَلَى مَا لَمْ يَزَلْ ، وَأَنْ تَبْطُلَ الْإِقْطَاعَاتُ ، وَأَنْ يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرِيدُ مِنْ شَاءٍ وَيَرْفَعُ مِنْ شَاءٍ » .

وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ صَائِرُونَ فِي إِثْرِ كِتَابِهِمْ إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُقِيمُونَ هُنَاكَ إِلَى أَنْ تُقْضَى حَوَائِجُهُمْ ، وَأَنَّهُ إِنْ بَلَّغَهُمْ أَنْ أَحَدًا اعْتَرِضَ

(١) قبل به كنصر وسمع وضرب قبالة : كفيل ، والقبيل : الكفيل والضامن .

على أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن يفا وبإيكباك ومفلح وياجور وبكالبا وغـيـرهم ، ودَعَوْا اللهَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ودَفَعُوا السَّكَّابَ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ فَنَصَرَ بِهِ حَتَّى أَوْصَلَهُ .

١٩٤ - كتاب المهتدى إليهم

فأخذ المهتدى كتابهم ، ووقعَ باجابتهم إلى ما سألوا ، ثم كتب كتاباً مُفْرَداً بخطه وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى أبي القاسم . وصار أبو القاسم إليهم بكتاب أمير المؤمنين ، فقرأ عليهم فإذا فيه .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

أَرْشَدَكُمْ اللَّهُ وَحَاطَكُمْ وَأَمْتَعَكُمْ ، وَأَصْلَحَ أُمُورَكُمْ وَأُمُورَ الْمُسْلِمِينَ بِكُمْ ، وَعَلَى أَيْدِيكُمْ ، فَهِمْتُ كِتَابَكُمْ وَقَرَأْتُهُ عَلَى رُؤَسَائِكُمْ ، فَذَكَّرُوا مِثْلَ الَّذِي ذَكَرْتُمْ ، وَسَأَلُوا مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُمْ ، وَقَدْ أَجَبْتُكُمْ إِلَى جَمِيعِ مَا سَأَلْتُمْ ، مَحَبَّةً لِصَلَاحِكُمْ وَالْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ كَلَّتِكُمْ ، وَقَدْ أَمَرْتُ بِتَقْرِيرِ أَرْزَاقِكُمْ ، وَأَنْ تَصِيرَ دَارَةٌ عَلَيْكُمْ ، فَلَيْسَتْ لَكُمْ حَاجَةٌ إِلَى حَرَكَةٍ ، فَطَيَّبُوا أَنْفُسًا وَالسَّلَامُ » .

١٩٥ - كتابهم إلى المهتدى

فتكلموا كلاماً كثيراً ، ثم كتبوا كتاباً يمتدرون فيه بمثل العذر الأول إلى أمير المؤمنين ، وذكروا فيه خِصالاً مما ذكروه في الكتاب الذي قبله ، ووصفوا أنه لا يُقْنِعُهُمْ إِلَّا أَنْ يُنْفِذَ إِلَيْهِمْ خَمْسَةَ تَوْقِيعَاتٍ : - تَوْقِيعاً بِحِطَّاتِ زِيَادَاتٍ ، وَتَوْقِيعاً بِرَدِّ الإِقْطَاعَاتِ ، وَتَوْقِيعاً بِإِخْرَاجِ الْمَوَالِي الْبَوَّابِينَ مِنَ الْخَاصَّةِ إِلَى عِدَادِ الْبَرَّانِينَ ^(١) ، وَتَوْقِيعاً بِرَدِّ الرُّسُومِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُ الْمُسْتَعِينِ ، وَتَوْقِيعاً بِرَدِّ التَّلَاجِي ^(٢) - حَتَّى يَدْفَعُوها إِلَى رَجُلٍ يَضْمُونُ إِلَيْهِ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الدُّوَرِ ، وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ سَامَرَّا يَتَنَجَّزُونَ مِنَ الدَّوَابِينَ ، ثُمَّ يَصِيرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَيْشَ إِلَى أَحَدِ إِخْوَتِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَرَى ، لَيْسَ فُرْ ^(٣) بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ بِأُمُورِهِمْ ، وَلَا يَكُونُ رَجُلًا مِنَ الْمَوَالِي ، وَأَنْ يُؤْتَصِرَ صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ فَيَحَاسِبَ هُوَ وَمَوْسَى بْنُ بَغَا عَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَأَنَّهُ لَا يُرْضِيهِمْ دُونَ مَا سَأَلُوا فِي كِتَابِهِمْ كُلِّهَا ، مَعَ تَعْجِيلِ الْعَطَاءِ وَإِدْرَارِ أَرْزَاقِهِمْ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ شَهْرَيْنِ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ كَتَبُوا إِلَى أَهْلِ سَامَرَّا وَالْمَغَارِبَةِ فِي مُوَافَقَتِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُنْجِزَ ذَلِكَ لَهُمْ ، وَودَّعُوا الْكِتَابَ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ .

(١) مِنْ قَوْلِهِمْ « مَنْ أَصْلَحَ جَوَانِيهِ أَصْلَحَ اللَّهُ بَرَانِيَّةً » أَيُّ مَنْ أَصْلَحَ سِرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ ، أَخَذَ مِنَ الْجَوِّ وَالْبَرِّ ، وَالْجَوُّ : كُلُّ بَطْنٍ غَامِضٍ ، وَالْبَرُّ : الْمَتْنُ الظَّاهِرُ ، فَهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ عَلَى النِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا بِالْأَلْفِ وَالنُّونِ ، وَأَصْلُ الْبَرَّانِيِّ مَنْ قَوْلُهُمْ خَرَجَ فُلَانٌ بَرًّا إِذَا خَرَجَ إِلَى الْبَرِّ وَالصَّحْرَاءِ ، وَلَيْسَ مِنْ قَدِيمِ السَّكَّامِ وَفَصِيحِهِ .

(٢) التَّلَاجِي : جَمْعُ تَلَجَةٍ ، وَهِيَ الْإِكْرَاهُ ، تَفْعَلُهُ مِنَ الْإِجْءِ .

(٣) سَفَرُ بَيْنَهُمْ كَضَرْبٍ وَنَصْرٍ : أَصْلَحَ .

١٩٦ - كتابهم إلى القواد

وكتبوا كتابا آخر إلى موسى بن بغا وبايكباك ومحمد بن بغا ومفلح
وياجور وبكالبا وغيرهم من القواد كتابا ذكروا فيه :

« أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا ، وأن أمير المؤمنين
لا يمنهم ما سألوا إلا أن يمترضوا عليه ، وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوه لم
يوافقوه على شيء ، وأن أمير المؤمنين إن شاكته شوكة أو أخذ من رأسه
شعرة ، أخذوا رؤوسهم جميعا ، وأنهم ليس يُقنمهم إلا أن يظهر صالح
ابن وصيف حتى يُجمع بينه وبين موسى بن بغا حتى ينظر أين موضع الأموال ،
فإن صالحا قد كان وعدهم قبل استتاره أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر .
ثم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى .

١٩٧ - كتاب المهتدى إليهم

فأمر المهتدى سليمان بن وهب^(١) بإنشاء الكتب على ما سألوا في خمسة
رقاع ، فأنفذها المهتدى في درج كتاب منه بخطه ، ودفعه إلى أخيه أبي القاسم ،
وكتب القواد إليهم جواب كتابهم ، ودفعوه إلى صاحب موسى ، فصار
إليهم أبو القاسم وقرأ عليهم كتاب المهتدى فإذا فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم : وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه ، فهمت

(١) وزر المهتدى بالله ، ثم من بعده المعتمد على الله ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢١٦:١ ،
والفخرى ص ٢٢٣ والأغانى ٢٠ : ٦٧ .

كتابكم - حاطكم الله - وقد أنفذت إليكم التوقيعات الخمس على ما سألتكم ، فوكلوا من يتنجزها من الدواوين إن شاء الله ، وأما ما سألتكم من تصيير أمركم إلى أحد إخواني ليوصل إلي أخباركم ، ويؤدي إلي حوائجكم ، فوالله إني لأحب أن أتفقد ذلك بنفسى ، وأن أطلع على كل أمركم وما فيه مصلحتكم ، وأنا مختار لكم الرجل الذى سألتكم من إخواني أو غيرهم إن شاء الله ، فاكثبوا إلي بحوائجكم وما تعلمون أن فيه صلاحكم ، فإني صائر من ذلك إلى ما تحببون إن شاء الله ، وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه .

(تاريخ الطبرى ١١ : ١٩٨)

١٩٨ - كتاب القواد إليهم

وأوصل إليهم رسول موسى كتاب موسى وأصحابه فإذا فيه .

« بسم الله الرحمن الرحيم : أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم ، فهمنا كتابكم ، وإنما أنتم إخواننا وبنو عمنا ، ونحن صائرون إلى ما تحببون ، وقد أمر أمير المؤمنين - أعزه الله - فى كل ما سألتكم بما تحببون ، وأنفذ التوقيعات به إليكم ، وأما ما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين وتغيرنا له ، فهو الأخ وابن العم ، وما أردنا من ذلك ما تكرهون ، فإن وعدكم أن يعطيكم أرزاق ستة أشهر فقد رفعنا إلى أمير المؤمنين رِقاعا نسأله مثل الذى سألتكم ، وأما ما قلتم من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض

الأمر إليه ، فنحن سامعون مطيعون لأمر المؤمنين ، والأمور مفوضة إلى الله ، وهو مولانا ونحن عبيده ، وما نعترض عليه في شيء من الأمور أصلاً ، وأما ما ذكرت أنا نريد بأمر المؤمنين سوءاً ، فمن أراد ذلك فجعل الله دائرة السوء عليه ، وأخزاه في دنياه وآخرته ، أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم . (تاريخ الطبري ١١ : ١٩٨)

١٩٩ - كتاب علي بن يحيى إلى سليمان بن وهب

ونالت علي بن يحيى جفوة من سليمان بن وهب ، فكتب إليه :

جفاني أبوأيوب ، نفسي فداؤه فعاتبته كيما يريع ويُعْتَبَا^(١)
فو الله لولا الظن مني بوده لكان سهيلاً من عتاييه أقربا^(٢)

٣٠٠ - رد ابن وهب عليه

فكتب إليه سليمان :

ذكرت جفائي وهو من غير شيمتي وإني لدان من بعيد تقرُّبا
فكيف بخلي لي أضن بوده وأصفيه وذا ظاهراً ومُعَيَّبا^(٣)
علي بن يحيى لا عَدِمْتُ إخاءه فما زال في كل الحِصَالِ مُهَذَّبَا

(١) راع يريع : رجع ، وأعتبه : أعطاه العتبي بالضم وهي الرضا .

(٢) سهيل : نجم .

(٣) أصفيه الود : أخلصته .

ولكن أشفالأعدت وتواترت فلما رأيت الشغل عاق وأتمباً
ركنت إلى عذر الأخلأ إنهم كرام وإن كان التواصل أوجباً
فإن يطلب منى عتابك أوبة ببر تجدنى بالإنبأ مقتباً^(١)
(الأغانى ٢٠ : ٧٠)

٢٠١ - كتاب ابن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر

وأهدى سليمان بن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلال رطب
من ضيعته ، وكتب إليه :

أذن الأمير بفضله وبجوده وبنيله
لوليّه في برّه بجنأه سكر نخله
فبعثت منه بسلة تحكى حلاوة عدله
(الأغانى ٢٠ : ٧١)

٢٠٢ - كتاب رجل إلى سليمان بن وهب

وكتب رجل إلى سليمان بن وهب وهو يتولى شيئاً من أعمال
الضبياع :

أطال الله إسماع دك في الآجل والعاجل
أما ترعى لمن أمّل فضلاً حرمة الآمل؟
وعندى عاجل من رشوة يتبعها آجل
وأنت العالم الشاهد أنى كاتب عامل

(١) فى الأصل « بالأمانة » وهو تحريف .

فَوَلَّ الكَافِلَ البَاذِلَ لَ دُونِ المَاجِرِ البَاخِلَ
فَمَا أَفْشَى لَكَ السَّرَّ فِعَالِ الأُخْرَقِ الجَاهِلِ

٣٠٣ - رده عليه

فضحك وكتب في رقعة له :

أَبْنُ لِي مَا الَّذِي تَخْطُبُ شَرْحًا أَيُّهَا الْبَاذِلُ ؟
وَمَا تُعْطِي إِذَا وُلِّيتَ تَعْجِيلًا وَمَا الْآجِلُ ؟
أَفِي الْإِسْلَامِ تَنْقِصُ أَمْ الْوِزْنَ لَهُ كَامِلٌ ؟
وَفِي الْمَوْقُوفِ تَضْمِينُ أَمْ الْوَعْدُ بِهِ حَاصِلٌ ؟
وَهَلْ مِيقَاتُهُ الْفَلَسَةُ فِي الْعَامِ أَوِ الْقَابِلِ ؟
أَبْنُ لِي ذَاكَ ، وَارْدُ رُقْعَتِي يَا كَاتِبًا عَامِلًا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الرَّجُلُ قَطَعَ مَا بَيْنَهُ ، وَرَدَّ الرُّقْعَةَ عَلَيْهِ ، وَوَلَّاهُ سُلَيْمَانَ مَا التَّمَسَّ .
(الأغانى ٢٠ : ٧١)

٣٠٤ - كتاب اعتذار لسليمان بن وهب

« أَنَا مُقَرَّرٌ مُعْتَرِفٌ ، فَمَا تُرَاكَ صَانِعًا بَعْنِ أَعْلَقِكَ زِمَامَهُ ، وَأَمَكْنَكَ مِنْ
قِيَادِهِ ، وَحَكْمَكَ فِي أَمْرِهِ ، مُعَاقِبًا لَهُ أَوْ مُتَفَضِّلًا عَلَيْهِ بِالْعَفْوِ عَنْهُ ؟ لَكِنِّي أَرْجُو
أَنْ أَسْتَقْبِلَ طَاعَةً لَا تَمْتَنِعُ مِنْ شُكْرِهَا ، وَاعْتِفَارِ كُلِّ تَقْصِيرٍ خَلَا فِي جَنْبِهَا ،
فَالْأَيَّامُ بِمَا تَحِبُّ أَمَامَكَ » . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٨٥)

٣٠ هـ - كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر إسماعيل بن بلبل

ولما ولى أبو الصقر إسماعيل^(١) بن بلبل الوزارة المعتمد^(٢) على الله ، خير أبا العيناء فيما يحبّه حتى يفعل به ، فقال : أريد أن تكتب إلى أحمد بن محمد الطائي تعرفه مكاني ، وتلزمه قضاء حقّ مثلي من خدمه ، فكتب إليه كتابا بخطه ، فوصله إلى الطائي ، فسَيِّب^(٣) له في مدة شهر مقدار ألف دينار وعشرة أئجل ، فانصرف بجميع ما يحبّه ، وكتب إلى أبي الصقر كتابا مضمّنهُ :

« أنا - أعزك الله - طَلَيْقُكَ من الفقر ، ونَقِيدُكَ^(٤) من البؤس ، أخذت بيدي عند عشرة الدهر ، وكَبَوَّةَ السَّكْبَرِ ، وعلى أية حال حين فقدت الأولياء^(٥) والأشكال ، والإخوان والأمثال ، الذين يفهمون في غير تعب ، وهم الناس الذين كانوا غِيَاثًا للناس ، فخللت عُقْدَةَ الخَلَّةِ^(٦) ، ورددت إلى بعد النفور النعمة ، وكتبت لي كتابا إلى الطائي ، فإنما كان منك إليك أثْبَتُهُ^(٧) ، وقد استصعبت^(٨) على الأمور ، وأحاطت بي النوائب ، فكثّر من بشره ، وبذل من يُشْره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومن برّه أحكمه ، مُكْرِمًا لي مدة

(١) انظر خبره في الفخرى ص ٢٢٩ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن التوكل ولى الخلافة سنة ٢٥٦ ومات سنة ٢٧٩ ، وكان مستضعفا ، وكان أخوه الموفق طامحة هو الغالب على أمره .

(٣) السيب : العطاء ، وسَيِّب هنا معناه : أعطاه .

(٤) النقيذ : المنقذ (بفتح القاف) .

(٥) الأولياء : جمع وليّ ، وهو النصير ، والأشكال : جمع شكل ، وهو المثل .

(٦) الخلة : الفقر والحاجة ، وفي المثل « الخلة تدعو إلى السلة » والسلة بالفتح : السرقة .

(٧) أثابته : رجعه ورده .

(٨) استصعب الأمر : صار صعبا كصعب وأصعب (واستصعبه : وجده صعبا ، فهو لازم متعدّ)

ما أقت ، ومُثَقِّلًا لى من فوائده لَمَّا وَدَّعْتُ ، حَكَمْنى فى ماله فتَحَكَمْتُ ،
وأنت تعرف جَوْرى إذا تَمَكَّنْتُ ، وزاد فى طَوِّله ^(١) فشكرت ، فأحسنَ
الله جزاك ، وأعظمَ حَمَاك ، وقَدَّمْنى أَمَامَكَ ، وأَعَاذْنى من فَقْدِكَ وَحَمَاكَ ،
فقد أنفقت علىِّ مما مَلَكَكَ اللهُ ، وأنفقتُ من الشكر ما يَسْرَهُ اللهُ لى ،
والله عز وجل يقول : « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ » فالحمد لله الذى جعل لك
اليَدَ العَالِيَةَ : والرُّتْبَةَ الشَّرِيفَةَ ، لَا أزالُ اللهُ عن هذه الأُمَّة مَا بَسَطَ فِيهَا مِنْ
عَدْلِكَ ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ رِفْدِكَ ^(٢) . (زهر الآداب ٣ : ٩٥)

٢٠٦ - كتاب أبي العيناء إلى بعض الرؤساء

وكتب أبو العيناء إلى بعض الرؤساء - وقد وعده بشيء فلم
يُنْجِزْهُ - :

« ثَقِّقْ بِكَ تَمَنُّعِى مِنْ اسْتِبْطَائِكَ ، وَعِلْمِى بِشُغْلِكَ يَدْعُونِى إِلَى
إِذْكَارِكَ ، وَلَسْتُ آمِنٌ - مع استحكام ثَقِّقِ بِطَوَّلِكَ ، والمعرفة بعِلْوِ هِمَّتِكَ -
اخْتِرَامَ الْأَجْلِ ، فَإِنَّ الْأَجَالَ آفَاتُ الْأَمَالِ ، فَسَحَّ اللهُ فى أَجْلِكَ ، وَبَلَّغَكَ
مُنْتَهَى أَمْلِكَ ، وَالسَّلَامَ » . (وفيات الأعيان ١ : ٥٠٥)

٢٠٧ - كتاب أبي العباس بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل

وكتب أبو العباس ^(٣) أحمد بن محمد بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل حين
صَاهَرَ النَّاصِرَ لِدِينِ اللهِ الْمُوَفَّقَ بالله :

(١) الطول والتطول : التفضل والامتنان .

(٢) الرغد : العطاء والصلة .

(٣) انظر هامش ص ٢٨٣ .

«بسم الله الرحمن الرحيم ، بلغني ، للوزير - أيده الله - نعمة زاد شكرها على مقادير الشكر ، كما أُرْبِي مقدارها على مقادير النعمة ، فكان مثلها قول إبراهيم بن العباس :

بَنُوكَ غَدَوَا آلَ النَّبِيِّ وَوَارِثُوا الْخِلاَفَةَ وَالْحَاوُونَ كِسْرِي وَهَاشِمًا
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا مَوْهَبَةً تَرْتَبِطُ مَا قَبْلَهَا ، وَتَنْتَظِمُ مَا بَعْدَهَا ،
وَتَصِلَ جَلَالَ الشَّرَفِ ، حَتَّى يَكُونَ الْوَزِيرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - عَلَى سَادَةِ الْوُزَرَاءِ
مُوفِيًا ، وَلِجَمِيلِ الْعَادَةِ مُسْتَحَقًّا ، وَلِحَمْدِ الْعَاقِبَةِ مُسْتَوْجِبًا ، وَأَنْ يُلْبِسَ خِدْمَتَهُ
وَأَوْلِيَاءَهُ مِنْ هَذِهِ الْحُلَلِ الْعَالِيَةِ مَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرًا بَاقِيًا وَشَرَفًا مُخَلَّدًا .
(معجم الأدباء ٤ : ١٥٧)

٢٠٨ - كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إلى عبيد الله بن سليمان

ولما ولي عبيد الله ^(١) بن سليمان بن وهب الوزارة للمعتمد ، كتب إليه
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتابا ، وفيه شعر له :

أَبَى دَهْرُنَا إِسْمَاعِفَنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نَحِبُ وَنُحْظِمُ
فَقُلْتُ لَهُ : نَعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَعَّ أَمْرَنَا إِنْ أَلْهَمَ الْمُقَدَّمُ
فَلَمَّا قَرَأَ عبيد الله هذا الشعر قال : ما أحسن ما احتال في شكوى حاله بين

(١) انظر خبره في الفخرى ص ٢٣١ ، وفي زهر الآداب : « ولما ولي سليمان بن وهب الوزارة . . . » .

أضعاف مدحه ، وأمر بإيصال رقاعه إليه ، وقضى كل حاجة كانت له :
(أدب الكتاب ص ٢٣٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢١٧ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٨)

٢٠٩ — كتاب سعيد بن عبد الملك

إلى عبيد الله بن سليمان

وحُجِبَ سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان .
فكتب إليه :

« سِرْتُ إِلَى بَابِكَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - عِنْدَ مَا حَدَّثَ مِنْ أَمْرِكَ ، فَلَمْ يُقْضَ
لِقَاؤُكَ ، وَعَاسَتْ أَنْ ثَقَّتْكَ بِمَا عِنْدِي قَدْ مَثَلَتْ لَكَ حَالِي مِنَ السَّرُورِ بِنِعْمَةِ
اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَأَرَّتْكَ مَوْضِعِي مِنَ الْاِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ وَوَصَلَ إِلَيْكَ ،
فَوَكَّلْتُ الْعَذْرَ إِلَى ذَلِكَ .

ثُمَّ إِنَّا نَأْتِيكَ مُتَيَمِّنينَ بِطَلْعَتِكَ ، مُشْتَاقِينَ إِلَى رَوْيَتِكَ ، فَيَحْجُبُنَا عَنْكَ
مِلَاحِظٌ ، وَهُوَ - كَمَا عَاسَتْ - كِنْ^(١) الصَّنِيعَةِ ، لَيْسَ الطَّبِيعَةِ ، يَحْجُبُ عَنْكَ
الْكَرَامَ ، وَيَأْذَنُ عَلَيْكَ لِلثَّامِ ، كَمَا نَجَمَتْ^(٢) لَهُ يَدُ بِيضَاءٍ ، أَتْبَعَهَا يَدًا سَوْدَاءَ ،
فَإِنْ رَأَيْتَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْ بَابِ مَكَارِمِكَ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

(زهر الآداب ٢ : ١٢١)

(١) كِنْ الشئ : ستره .

(٢) أى ظهرت .

٣١٠ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو العيناء إلى عبيد^(١) الله بن سليمان بن وهب وزير المقتدر :
 « أنا - أعزك الله تعالى - وولدي وعيالي زرعٌ من زرعك ، إن أسقيته
 راع^(٢) وزكا ، وإن جفوته ذبلٌ وذوي^(٣) ، وقد مسني منك جفاء بعد برّ ،
 وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم عدوّ ، وشمت حاسدٌ ، ولعبت بي ظنونُ رجال
 كنت بهم لاعبا ، ولهم مخرسا ، ولله درُّ أبي الأسود في قوله :
 لا تُهني بعد إذ أكرمتني وشديدٌ عادةٌ مُتَزَعَةٌ

(زهر الآداب ١ : ٢٩١ ، وعبون الأخبار ٨ : ١٩٥)

٣١١ - رد عبيد الله عليه

فوقع في رقعة :

« أنا - أسعدك الله - على الحال التي عهدت ، وميل إليك كما علمت ،
 وليس من أنسيناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ،
 واقتسامه زماننا ، وكان من حَقِّك علينا أن تذكّرنا بنفسك ، وتُعَامِنَا أمرُك ،
 وقد وقّعتُ لك برزق شهرين ، لتزيج عِلَّتِكَ ، وتعرفني مبلغ استحقاقك ،
 لأطلق لك باقي أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام . » (زهر الآداب ١ : ٢٩١)

(١) وفي عبون الأخبار « إلى أبي القاسم بن عبيد الله بن سليمان » والصواب « إلى أبي القاسم
 عبيد الله بن سليمان » .

(٢) راع يربع : نما وزاد ، وزكا يزكو : نما أيضا .

(٣) أي ذبل .

٢١٢ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان ، وقد نكبه وأباه المعتمد^(١) ،
وهما يطالبان بحال يبيعان له ما على كانه من عقارٍ وأثاثٍ وعَبْدٍ وأمةٍ ، وقد
أعطى بخادم أسود لعبيد الله خمسون ديناراً :

« قد علمت - أصلحك الله - أن الكريم المنكوب أجدى على الأحرار
من اللئيم الموفور ؛ لأن اللئيم يزيد مع النعمة لؤماً ، والكريم لا يزيد مع المحنة
إلا كرمًا ، هذا متكِل على رازقه ، وهذا يُسِيء الظن بحالقه ، وعَبْدُكَ
إلى ملك « كافور » فقيرٌ ، وثمنه - على ما اتصل بي - يسير ، لأنه
بخدمته السلطان ، يهرِّقني الرؤساء والإخوان ، ولست بواجدٍ ذلك في غيره
من الغلمان ، فإن سمَّحتَ به فتملكَ حادثُك ، وإن أمرتَ بأخذ ثمنه فإلَّا لك
مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك » .
فأمر له به . (زهر الآداب ١ : ٢٩١)

٢١٣ - جواب لأحمد بن سليمان بن وهب

وقال الحسين بن إسحق : كنت عند أحمد^(٢) بن سليمان بن وهب ،
ونحن على شراب ، فوافته رُقعةٌ فيها أبياتٌ مدح ، فكتب الجواب :

(١) قدمنا أن الموفق طلحة . كان هو الغالب على أمر أخيه المعتمد ، وجاء في الأغاني (ج ٢٠ ص ٧٢) « أن الموفق إنما استكتب سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ليَقِفَ منهما على ذخائر موسى بن بغا وودائعهما فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة ما لهما » وجاء في تاريخ الطبري (ج ١١ : ص ٢٥١) « وفي سنة ٢٦٤ خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا ، ومعه الحسين بن وهب ، فلما صار بسامرا غضب عليه المعتمد وخبسه وقيده وانتهب داره ودارى ابنه وهب وإبراهيم . . . » .
(٢) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٣ : ٥٤ .

« وَصَلْتُ رَقْعَتِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فَكَانَتْ كَوْصِلَ بَعْدَ هَجْرٍ ، وَغْنَى
 بَعْدَ فَقْرٍ ، وَظَفَرَ بَعْدَ صَبْرٍ ، أَلْفَاظُهَا دُرٌّ مَشُوفٌ ^(١) ، وَمَعَانِيهَا جَوْهَرٌ مَرْصُوفٌ ،
 وَقَدْ اصْطَحَبَا أَحْسَنَ صُحْبَةٍ ، وَتَأَلَّفَا أَقْرَبَ أَلْفَةٍ ، لَا تُعْجِبُهَا الْآذَانُ ، وَلَا تَتَعَبُ
 بِهَا الْأُذْهَانُ ، وَقَرَأْتُ فِي آخِرِهَا مِنَ الشَّعْرِ مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي أَنْ كَتَبْتُ
 - لَجَلَالَتِهِ عِنْدِي ، وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ مِنْ نَفْسِي - بِمَا لَا أَقْرُمُ بِهِ ، مَعَ تَحْيِيفٍ ^(٢)
 الصَّهْبَاءِ لِي ، وَشُرْبِهَا مِنْ عَقْلِ مِقْدَارِ شُرْبِي ، وَلَكِنِّي وَاثِقٌ مِنْكَ بِطَلَى
 سَيِّئَتِي ، وَلَنْ شَرِّ حَسَنَتِي :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ	وَإِنِّي كِتَابُكَ بَعْدَ طَوْلِ الْيَاسِ
وَإِنِّي ، وَكَانَتْ بَوَحْشَتِي مَتَفَرِّدًا	فَأَصَارُنِي لِلْجَمْعِ وَالْإِيْنَاسِ
وَقَرَأْتُ شَعْرَكَ فَاسْتَطَلْتُ لِحُسْنِهِ	نَخْرًا عَلَى الْخُلَطَاءِ وَالْجُلَاسِ ^(٣)
هَآيِنَتْ مِنْهُ عِيُونَ وَشَيْ سُدِّيَّتِ	بِيدَائِعٍ فِي جَانِبِ الْقِرَاطِ ^(٤)
فَاقَتْ دِقَاقَتَهُ وَجَلَّ لِحُسْنِهِ	عَنْ أَنْ يُحَدَّ بِفِطْنَةٍ وَقِيَاسِ
شَعْرُهُ كَجَرَى الْمَاءِ يَخْرُجُ لَفْظُهُ	مِنْ حُسْنِ طَبْعِكَ مَخْرَجَ الْأَنْفَاسِ
لَوْ كَانَ شَعْرُ النَّاسِ جِسْمًا لَمْ يَكُنْ	إِكْمَالُهُ إِلَّا مَكَانَ الرَّأْسِ

(معجم الأدباء ٣ : ٥٦)

(١) مشوف : مجلّو ، من شافه يشوفه شوفا : أى جلاء .
 (٢) تحييفه : تنقصه من حيفه ، والحيف كعنب : جمع حيفة بالكسر ، وهى الناحية .
 (٣) الخلطاء : جمع خليط ، وهو الخالط ، وفى الأصل « على الخلفاء » وأراه محرفا .
 (٤) الوشى : نقش الثوب ، سديت بیدائع : أى جعلت البدائع سدى لها ، والسدى بالفتح :
 الحیوط التى تمد طولاً فى النسيج (واللحمة بالضم والفتح : ما ينسج عرضاً) .

٢١٤ - كتابه إلى ابن أبي الأصمغ

وكتب أحمد بن سليمان بن وهب إلى ابن أبي الأصمغ^(١) :
 « لو أطعتُ الشوقَ إليك ، والنزاعَ^(٢) نحوكَ ، لكثُرَ قصدي لك ،
 وغشيانِي^(٣) إياك ، مع العلة القاطعة عن الحركة ، الحائلة بيني وبين الركوب ،
 فالعلة إن تخلفتُ مُخَلَّفَتِي ، وإيثارُ التخفيفِ يؤخِّرُ مكاتبتِي . فأما مودة القلب ،
 وخلصُ النية ، وتقاءُ الضمير ، والاعتدادُ بما يحدِّده الله لك من نعمة ،
 ويرفعك إليه من درجة ، ويبلغك إياه من رتبة ، فعلى ما يكون عليه الأخُ
 الشقيق ، وذو المودة الشفيق ، وأرجو أن يكون شاهدي على ذلك من
 قلبك أعدلَ الشهود ، ووافدي بإعلامك إياه أصدق الوُفود ، وبحسبِ
 ذلك انبساطِي إليك في الحاجة تعرِّض قبلك ، ويُقنِي بالنجاح منها عندك ،
 وعرضتُ حاجةً ليس تمنعني قَلَّتُها من كثير الشكر عليها ، والاعتدادِ بما
 يكون من قضائك إياها ، وقد حَمَلْتُها يحيى لتسميها منه ، وتقدِّمَ بما أحبُّ
 فيها ، جارياً على كرمِ سَجِيَّتِكَ ، وعادةِ تفضُّلك إن شاء الله . »

(معجم الأدباء ٣ : ٦٠)

٢١٥ - كتابه إلى أخيه عميد الله بن سليمان

وكتب إلى أخيه الوزير عميد الله بن سليمان - وقد سافر ولم يودعه - :

- (١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصمغ ، انظر الفهرست لابن النديم ص ١٨٤ ، وفي الأصل « ابن أبي الإصمغ » .
- (٢) نزاع إلى أهله كضرب نزاعة بالفتح ، ونزاعاً بالكسر ؛ ونزوعاً بالضم : اشتاق .
- (٣) غشيه غشياناً : جاءه .

« أطال الله بقاء الوزير، مُصْحِباً لَهُ السَّلامَةَ الشَّامِلَةَ ، وَالغِيْظَةَ الْمَتَكَامِلَةَ ،
وَالنِّعْمَ الْمَتَظَاهِرَةَ ، وَالْمَوَاهِبَ الْمَتَوَاتِرَةَ ، فِي ظَعْنِهِ وَمُقَامِهِ ، وَحَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ ،
وَحَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ ، وَلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَعَجَلِ إِيْلَانَا أَوْبَتِهِ ، وَأَقْرَبِ عِيُونِنَا بَرَجْعَتِهِ ،
وَمَتَّعِنَا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ .

كَانَ شَخْصُ الْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ بَغْتَةً أَعْجَلَ عَنْ
تَوْدِيْعِهِ ، فَزَادَ ذَلِكَ فِي وَلَهِي ، وَإِضْرَامِ لَوْعَتِي ، وَاشْتَدَّتْ لَهُ وَحْشَتِي ،
وَذَكَرْتُ قَوْلَ كَثِيرٍ :

كُتِمَ تَزِينُونَ الْبِلَادَ ففَارَقْتُمْ (عَشِيَّةَ بِنْتُمْ) زَيْنَهَا وَجَمَاهَا
فَقَدْ جَعَلَ الرَّاضُونَ إِذْ أَتْتُمْ لَهَا بِخِصْبِ الْبِلَادِ يَشْتَكُونَ وَبَاهَا
وَالْوَزِيرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - يَعْلَمُ مَا قِيلَ فِي يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ :

يَنْسَى صَنَائِعَهُ وَيَذْكُرُ وَعْدَهُ وَيَبْتَئُ فِي أَمْثَالِهِ يَتَفَكَّرُ «

(مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٣ : ٦١)

٢١٦ - كِتَابُهُ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ

وَكُتِبَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ :

« لَيْسَ عَنِ الصَّدِيقِ الْمَخْلِصِ ، وَالْأَخِ الْمَشَارِكِ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا
مَذْهَبٌ ، وَلَا وَرَاءَهُ لِلْوَاتِقِ بِهِ مَطْلَبٌ ، وَالشَّاعِرُ يَقُولُ :

وَإِذَا يُصِيبُكَ (وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ) حَدَّثْ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الْأَوْثَقِ^(١)

وَأَنْتَ الْأَخُ الْأَوْثَقُ ، وَالْوَلِيُّ الْمَشْفِيقُ ، وَالصَّدِيقُ الْوَصُولُ ، وَالْمَشَارِكُ

في المكروه والمحجوب ، قد عرفني الله من صدق صفائك ، وكرم وفائك ،
على الأحوال المتصرفة ، والأزمنة المتقلبة ، ما يستغرق الشكر ، ويستعبد
الحُر ، وما من يوم يأتي على إلا وثقتي بك تزداد استحكاماً ، واعتمادى عليك
يزداد توكلداً والتئاماً ، أنبسط في حوائجي ، وأثقت بنجح مسألتى ، والله
أسأل لك طول البقاء في أدوم النعمة وأسبغها^(١) ، وأكمل العوافى وأتمها ،
وَأَلَّا يسلب الدنيا نضرتها^(٢) بك ، وبهجتها ببقائك ، فما أعرف بهذا الدهر
المتنكر في حالاته ، حسنة سواك ، ولا حيلة غيرك ، فأعيدك بالله من
العيون الطامحة ، والألسنة القاذحة ، وأسأله أن يجعلك في حرزه الذي
لا يُرام ، وكنفه الذي لا يُضام ، وأن يحرسك بعينه التي لا تنام ، إنه ذو
المنِّ والإيعام . (معجم الأدباء ٣ : ٦٢)

٢١٧ - كتاب أبي العباس بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

ومن فصل لأبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان :
« لم يؤت الوزير من عدم فضيلة ، ولم أوت من عدم وسيلة ، وغلة
الصادى^(٣) تأبى له انتظار الوارد ، وتُعجل عن تأمل ما بين الفدير والوادی ،
ولم أزل أترقب أن يُخطرنى بباله ، ترقب الصائم لفطره ، وأتظره انتظار
السارى لفجره ، إلى أن يرح الخفاء^(٤) ، وكشف الغطاء ، وشمت الأعداء ،

(١) أى وأتمها . (٢) أى بهجتها ورواءها .

(٣) الغلة : حرارة العطش ، والصادى : العطشان .

(٤) أى انكشف الأمر ووضح ، أخذه من قول حسان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى مغلفة فقد برح الخفاء

وإنَّ في تَخْلُفِي وتَقَدُّمِ الْمُقْصِرِينَ ، لآيَةً لِلْمُتَوَسِّمِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
(معجم الأدباء ٤ : ١٤٧)

٢١٨ - كتاب له

ومن كلام أبي العباس :

« مِنْ حَقِّ الْمَكَاتِبَةِ أَنْ يَسْبِقَهَا أَنْسٌ ، وَيَنْقُدَ قَبْلَهَا وَدٌّ ، وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ أَجَلَتْ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَتَبْتُ كِتَابَ مَنْ يُحْسِنُ الظَّنَّ إِلَى مَنْ يَحْقِّقُهُ . »
(معجم الأدباء ٤ : ١٤٧)

٢١٩ - كتاب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر إليه من تركه مكاتبتك بالتفدية^(١) :

« اللَّهُ يَعْلَمُ - وَكَفَى بِهِ عِلْمًا - لَقَدْ أُرِدْتُ مَكَاتِبَتَكَ بِالتَّفْدِيَةِ ، فَرَأَيْتُ عَيْبًا أَنْ أَفْدِيَكَ بِنَفْسِي لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْفَنَاءِ ، وَلَا سَبِيلَ لَهَا إِلَى الْبَقَاءِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَكَ شَيْئًا يُضْمِرُ خِلَافَهُ فَقَدْ غَشَّ ، وَالْأَمْرُ إِذَا كَانَتْ الضَّرُورَةُ تَوْجِبُهُ ، وَتُحَقِّقُ أَنَّهُ مِلْكٌ لَا يَتَحَقَّقُ ، وَعَطَاءٌ لَا يَتَحَصَّلُ ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ مِثْلُكَ^(٢) ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ قَوْمٍ نِهَايَةٌ مِنْ نِهَايَاتِ التَّعْظِيمِ ، وَدَلِيلًا مِنْ دَلَالَاتِ الْاجْتِهَادِ ، وَطَرِيقًا مِنْ طَرِيقِ التَّقَرُّبِ » . (أدب الكتاب ص ١٥٥ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦)

(١) في زهر الآداب « في التعزية » .

(٢) في زهر الآداب « والأمر إذا كانت الضرورة توجب أنه ملك لا يحقق إعطاء ، ولا يتحصل لم يجب أن يخاطب به مثلك » وفي أدب الكتاب « فقد غش ، وألأم ، إذا كانت الضرورة توجب ، وتحقق أنه ملق لا يتحقق ، وعطاء لا يتحصل ، وإن كان عند قوم ... » وكلاهما محرف .

٢٢٠ — جواب عن تعزية لابن ثوابه

« وصل كتابك بالتعزية عن أخي وفهمته ، وقد جلت مصيبتى به وعظمت ، فكأت^(١) القلب ، وهدت الركن ، وأذهبت القوة ، ونقصت العيش ، وأزرت بالأمل ، فعند الله أحسبته ، وإياه أسأل تفضلاً عليه ، وصفحاً عنه ، وتعمداً^(٢) لذنوبه ، وصبراً على حادث قضائه فيه ، واستعداداً للموت وتأهباً له ، فإنه مضرع لا بد منه ، ومورد لا يحصى عنه وقد كنت استجفيت كتابك ، وأزكرت تأخر تعزيتك ، وعددت ذلك من هفوات الإخوان الذين يقع التقصير منهم ، وتصيح نياتهم وضمايرهم ، فرددت الزلل من فعلك ، إلى موقوفي به من نيتك وضميرك ، وأسأل الله ألا يُعِدَّ مِنَّا على أحوالك كلها ، ويعتصم بمواهبه فيك » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢١٣)

٢٢١ — تعزية له إلى ابني عمر

« أنا أستهجنُ وصفَ مشاركتكما عند كل حادث من نازلة بكما ، اكتفاءً بالحال ، ومتأكداً الوصل والأسباب ، وحدثت هذه المصيبةُ فالله يعلم ما أثرت بقلبي ، وهدت من قوتي ، ومثلت من قرب المنيّة لي ، فإن المصائب نوائب ، ومن رأى حُلُولها بغيره علم أنها حالة في نفسه ومن يتصل

(١) من نكا القرحة كنع : قشرها قبل أن تبرا فندبت .

(٢) أى سترنا وغفرانا لها .

به ، ولقد اشتد جزعى لذلك وَوَحْشَتِي منه ، وَمِنْ خُلُوِّ منازلكما من الأم
البرّة ، والأخت الطاهرة ، مع قِصَر أيام ، وقُرْب مدة ، وعدم سلوة ،
رضى الله عنكما ، ولا تقصّ لكما عددا .

وعزير عليّ أن أتخلف عن حقكما ، أو أصير يّازمى فيه ما يلزم كآفة
أهلكما ، لكنى فى حال قد عرفتكما^(١) ، فإن اتسع لى العذر مع ما نازعنى
فيه من أحوالكما ، وإلاّ فإنّ فى تفضلكما موضع احتمال الهفوة ، وتعمد الزلة ،
وإقالة العثرة ، والرجوع إلى نية قد صحّت ، وطويّة قد خلصت واستحكمت .
(اختيار المنظوم والمشور ٣)

٣٣٣ - عهد من الموفق إلى أحد الولاة

كتبه ابن ثوابة

« هذا^(٢) ما عهد به أبو أحمد الموفق بالله ولىّ عهد المسلمين ، إلى فلان ،
حين ولّاه الصلابة بأهل كورة الرّى ودُنباوند^(٣) ونواحيها والحرب
والأحداث فيها .

أمره بتقوى الله وطاعته ، وخشيته ومراقبته ، فى سرّه وعلايته ،
وظاهر أمره وباطنه ، والعمل بما أمر الله به ، والانتها عما نهى عنه فيما
وافق وخالفه ، وأرضاه وأسخطه ، فإنه من يتق الله يقّه ، ومن يعتصم به

(١) فى الأصل « قد عرفتكما » ، وربما كان الصواب « قد عرفتكما إياها » .

(٢) تأثّر فيه عهد المهدي السابق واقتبس منه - انظر ص ١٥٢ من الجزء الثالث .

(٣) جبل من نواحي الرى .

يَهْدِيهِ ، وَمَنْ يُطِيعْهُ يَتَوَلَّهِ وَيَكْفِهِ ، « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُشْعِرَ قَلْبَهُ خَيْفَةَ اللَّهِ وَهَيْبَتَهُ وَالتَّفْوِيضَ إِلَيْهِ ، وَالاعْتِمَادَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ كِتَابَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ لَهُ إِمَامًا ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثَالًا ، فَإِنْ فِيهِمَا دَلَالَةٌ وَتَبْيَانًا ، وَضِيَاءٌ وَنُورٌ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصَّدُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَا يُعْنَى بِهِ وَيُقَدَّمُ ، وَيُرَاعَى وَيُؤَثَّرُ ، إِقَامَةُ الصَّلَاةِ لِمَوَاقِيتِهَا ، بِإِتِمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا ، وَأَدَاءِ فَرَضِ اللَّهِ فِيهَا ؛ إِذَا كَانَتْ عِمَادَ الدِّينِ ، وَأَفْضَلَ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ ، وَكَانَ مِنْ أَضَاعِهَا وَقَصَرَ فِي وَاجِبِهَا ، أَشَدَّ تَضْيِيعًا لِمَا سِوَاهَا مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَفَرَائِضِهِ وَدِينِهِ وَشَرَائِعِهِ « وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ » .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُلْهِمَ نَفْسَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ حَالَاتِهِ ، وَصَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنْ أَمْرِهِ ، ذِكْرَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ ، وَقُدْرَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَلَّا يُخْضِيَ أَمْرًا إِلَّا بَعْدَ اسْتِخَارَةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فِيهِ ، وَاسْتِقْضَائِهِ فِي ذَلِكَ بِالذِّهْنِ هَوْلَهُ أَرْضَى ، وَعِنْدَهُ أَزْكَى ، فَإِنْ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ، وَإِنْ أَفْضَلُ الْأُمُورِ خَيْرُهَا عَاقِبَةً ، وَأَحْمَدُهَا مَغَبَّةً ، وَمَا التَّوْفِيقُ إِلَّا بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُحَسِّنَ الْوَلَايَةَ لِأَهْلِ عَمَلِهِ ، وَالسِّيَاسَةَ لِمَنْ اسْتُرْعِيَ أَمْرُهُ ، وَيُكْثِرَ الْجُلُوسَ لَهُمْ ، وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِهِمْ ، وَيُقْبِضَ الْعَدْلَ وَالنِّصْفَةَ فِيهِمْ ، وَيَكْفِيَ الْعَدُوَّ الظَّالِمَ عَنْهُمْ ، وَيَسُوِّيَ الْحَقَّ بَيْنَ كَافَّةِهِمْ ، وَلَا يَمِيلَ إِلَى شَرِيفٍ فِي شَرَفِهِ ، وَلَا عَلَى خَاسِرٍ لِسُقُوطِ مَنْزِلَتِهِ ، وَأَنْ يَخْتَارَ لَوَلَايَةِ أَعْمَالِهِ حَاضِرَهَا

ونائبيها ، وقريبها وبعيدها ، ذوى العفاف والشهامة والكفاية ، ويُوعز إليهم في الرفق بأهلها ، والتألف لمن حَسُنَتْ طاعته ، واستقامت طريقته ، والشدة على من خالف الحقَّ مذهبهُ ، ولا يكون لأحد عنده إغضاء عن ربيبةٍ يشتمل عليها ، وسبيل غير محمودٍ يسلكها ، فإن في إقامة الحق صلاحاً وخيراً كثيراً ، وفي التفريط ضرراً وخلاً عظيماً .

وأمره أن يتفقّد من معه من موالى أمير المؤمنين وأوليائه ، ويُحسِّن صُحبَتهم وعِشْرَتهم ، ويتفقّد أمورهم ومصلحتهم ، ويراعى أحوالهم في طاعتهم ومناصحتهم ومذاهبهم فيما يُصَرِّفهم فيه ، ويُهَيِّب^(١) بهم إليه ، ويُنزِلهم منازلهم على حسب ما يحمد ويدمّ منهم ، ليزداد محسِنهم في إحسانه ، وينزع مُقَصِّرهم عن تقصيره .

وأمره أن يقدِّم أهل الفضل والصلاح والمشايمة والمؤالاة والنصيحة للسلطان ويُدْنِيهم ويقرَّبهم ، ويسمع منهم ، ويعرف لهم ماسدوا ، ويظهر من نصائحهم ، ويحكم من حالاتهم ، حتى يدعو من فعله بهم غيرهم إلى سلوك مناهجهم ، والاقتداء بهم ، والالزام لهمديهم ، وأن يتخذ أهل العفة والرأى والسُنَّ والورع جُلساءه وبطائته ، ويشاورهم في أمره ، ويستعين بأرائهم فيما هو مُصْدِرُهُ ، حتى يكون ما يُعْضَى ويُفْقَد منه بحسب ما يجتمعون عليه ، ويرَوْنَهُ موافقاً للحق والعدل ، ومجانباً للظلم والجور .

وأمره أن تكون أحكامه فيما ينفرد بالنظر فيه ، وإقامته من الحدود وما أشبهها بما يجب لله عليه في ذلك ، من اتباع مُحْكَمِ تنزيل ، أو مأثورِ سُنَّةٍ ،

أورأى يتفق عليه نبيل^(١) مُحْسِنٌ ومن يليه من الفقهاء وذوى المعرفة ،
والأَيُّقَدِم على سَفْكَ دم ، ولا تخليّة سبيل محبوس ، ولا قَطْعٍ مستحقٍّ
للقطع ، حتى يكتبَ إليه باسمٍ مَنْ وَجَبَ ذلك عليه ، واسمُ أبيه وقِصَّتْه ، في
إقرارٍ إن كان منه ، أو يَدْنَةُ إن قامت عليه ، وأسماءُ تلك البيعة ، وما تُعرَف به
في أنسابها ومواضعها ، وما شهِدَتْ به ، وعدلُها فيمن هي منه ، ليأتيه الأَصْرُ
فيه يمتثلُ ، فإن هذين الحَدَيْنِ من أجلِّ الأحكام منزلةً ، وأعظمِها تبعَةً ،
وأولاهما بالحَظَر ، إلى أن يوقَف على حقيقة ما يجب فيها ، ويأمر السلطان
- أعزه الله - بما يوفقه الله في إقامتها إن شاء الله .

وأمرَه ألا يأخذ أحداً من الرّعية بقرّة^(٢) ولا إحنة ، ولا يعرض لأحد
من أهل البراءة والسلامة والاسْتقامة ، ولا يُلْحَق بهم جرائرُ أهل
النّطفِ^(٣) والرّيبة ، وأن يُشْرِف على أهل الدّعاة والفساد في عمله . ويقمّهم
ويردّعهم ، فيشرّد بهم ، ويعاقب مَنْ استحق العقوبة منهم بقدر جُرْمِهِ ،
وبحسَب ما حُدِّ في مثله ، من غير أن يبلغَ بأحدٍ ممن لا يجب عليه الحدُّ حدّاً ،
فإن لكل شيءٍ قدراً ، ولن يستطيع الرأى فيمن أشكلَ عليه مقدارُ تأديبه ،
ومن لا يُصلِحُه إلا المبالغةُ في عقوبته ، ويكتب بحاله وشرح جريمته ، ليأتيه
الرأى فيه بما يعمل به إن شاء الله .

وأمرَه أن يصرفَ عنايته إلى النواحي التي تصاقبُ^(٤) عمله ، من نواحي

(١) في الأصل « سبيل » وأراه محرفاً ، والنبيل : الذكى النجيب ، والواو في « ومن » للمية .

(٢) قرّفه بسوء : رماه به واتهمه ، والقرّة بالكسر : التهمة الإحنة : الحقد .

(٣) نطف كفرح وعنى نطقاً بالتحريك ونظافة ونطوفة : اتهم بريّة وتلطخ بغيب وفسد .

(٤) صاقبه : قاربه .

الأعداء المكتنفة له ، ويرتب بإزائها من يسدُّ خلفها ، ويرتق فتقها ، ويراعهم بإشرافه وتفقدده ، ويعاجل من يحتاج إلى مساجلته ممن نجم^(١) وينجم بها ، ويخاف عاديته وشركته ، ويناهضه بنفسه وبكافة الأولياء الذين معه ، ويستعمل في أمره ما يدفع الله به مكر وهه ومعرته ، مؤثراً في ذلك اليقظة على الغفلة ، والجِدَّة على الفُشُور ، فإن مراعاة أولئك الأعداء وكف عاديتهم ، من أهم الأمور التي يتقلدها ، ويؤمل عنده الكفاية لها ، وأن يتقدم إلى من قبله من التجار وغيرهم ألا يجاوزوا شيئاً من عمله إلى شيء من تلك النواحي بالمير^(٢) والأسلحة ، ولا يحملوا تلك المير إليها ، ويظهر النداء فيهم ، فمن تجاوز أمره وتمدها تقدم في حبسه وكتب باسمه واسم أبيه وإحصاء ما وجد معه من أصناف المير وغيرها ، ليأتيه الأمر بما يعتله إن شاء الله .

وأمره أن يتفقد طرف عمله ومسالحه^(٣) بالضبط لها ، وبذرة^(٤) السابلة المختلفة فيها ، ويبلغ في ذلك المبلغ الذي يرجو معه بإذن الله أمنها وسلامتها ، ويرتب فيها الثقات من أصحابه ، وأهل الجلد من جنده وأعوانه ، ويأمرهم بمراعاة ما يوكلهم به منها ، ورفع مئوناتهم عن مجتاز بها ، حتى لا يلزمهم جناية بسبب ثار ولا غيره ، وألا يحمل أحدا منهم كلفة ولا نائبة^(٥) ، فإن

(١) أى ثار ، من نجم النبات : إذا ظهر وطلع .

(٢) جمع ميرة بالكسر : وهى الطعام .

(٣) المسالـح جمع مسلحة بالفتح : وهى الثغر ، والقوم ذوو سلاح .

(٤) البذرة : الحفارة ، فارسية معربة ، والمبتروق : الحخير .

(٥) فى الأصل « يابه » والنائبة : ما ينوب الإنسان أى ينزل به من المهمات والحوادث

في ذلك رِقَقاً بهم ، وصلاً حالهم ، وعمارةً لطُرُقهم ، ودُرُوراً لتجاراتهم ،
ووصولاً للنفع إلى البلدان التي يقصِدونها للتجارات ، وأمناً من انقطاعها
عنها بإذن الله .

وأمره أن يُحَسِّنَ مَعُونَةَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، المتقلِّد لأعمال الخراج والضِّياع
قَبْلَهُ ، على ما استمانه عليه ، مما فيه زَجَاءُ^(١) الخراج ، ودُرُورُ جبايته ، ويُزِيحَ
عِلَّتَهُ^(٢) فيمن يحتاج إلى إشخاصه اليوم^(٣) من الممتنعين والمدافعين بما يجبُ
عليهم ، وفي سائر ما يَلْتَمَسُ منه المَعُونَةُ عليه ، وأن يَضُمَّ إليه من الأعوان
العِدَّة التي لم تَزَلْ تُضَمُّ إلى المتولَّى لما قُلِّدَهُ ، ويعمل على أن ذلك من أَوْلَى
ما قَدَّمَهُ وآثَرَهُ ، واستفرغ فيه وَسْعَهُ ، للصالح المأْدُبِ ، والحظَّ الراجع فيه
إن شاء الله .

وأمره أن يتفَقَّدَ مَنْ فِي الْحَبْسِ قَبْلَهُ ، وَيُكْثِرَ عَرْضَهُم والنظرَ في
أُمُورِهِم ، والأسباب التي حُبِسُوا بها ، ولا يَقْصِدَ لإطالة حَبْسٍ من لا يجب
ذلك عليه ، ولا لإطلاق ما يوجب الحقَّ تَخْلِيدَهُ ، ويعمل في أُمُورِهِمْ ومشاورَةِ
أَهْلِ الْفِقْهِ فِيهِمْ ، وإقامةِ التَّأْدِيبِ وَالْحُدُودِ عَلَيْهِمْ ، بما حُدِّدَ في أمثالهم
إن شاء الله .

وأمره ألاَّ يَقْسِمَ على أهل عمله قِسْمَةً بسببِ نُزُلٍ^(٤) ولا غيره ، مما كان

(١) زجا الخراج يزجو زجاء : تبسرت جبايته .

(٢) في الأصل « ويرتج عليه » وهو تصحيف .

(٣) كذا في الأصل ، والأظهر أنه « إلينا » .

(٤) النزل كعنتى وقفلى : ماهي للضيف أن ينزل عليه .

شِرَارُ الْعُمَالِ يوظفونه ويقسمونه على أهل أعمالهم ، ويتجنب الطَّعْمُ ^(١) الشائنة ، والمكاسب الرديئة ، ويحذر أن يعرض لشيء منها ، أو يطلقه لأحد من كفاته ، فيرد عليه من النكير ما هو حريٌّ بتوقيه والتصون عنه .

وأمره أن يتقدم في تعريف ما يوجد من الضوال ^(٢) في عمله والإشادة بذكرها ، فإن عَرَفَ أحد ضالَّةً منها ، وأوضح ملكة إياها بما يوضح به مثله ، سَأَمَتْ إليه ، وأشهد بها عليه ، وإن لم يحضر لها طالب ، وأشفق من ضياعها ، باعها في أسواق المسلمين بأقصى أثمانها ، وأحوط ما يُعمل به في أمرها ، وسَلَّمْ ثمنها إلى عامل الخراج قبله ، ليجمعه عزلاً ^(٣) في بيت المال ، فإن استحقته مستحقٌّ بعد ذلك دفعه إليه إن شاء الله :

وأمره أن يحبس مَنْ ظفرَ به من أباق ^(٤) أرقاء المسلمين والمعاهدين ويستوثق منهم ، ويسأل عن أسمائهم وأسماء مواليتهم ومواضعهم ، ويكتب بذلك إلى العمال الذين هم في أعمالهم ، ويدفع كل عبد منهم أو أمةٍ إلى مولاه ، إذا قامت البيئَةُ العادلة على أنه رِقٌّ له ، أبق منه ، ويُشهد بذلك عليه إن شاء الله .

وأمره أن يَخْتِيارَ للجِسبة على أهل الأسواق وسائر أصحاب الصناعات والبياعات ^(٥) في عمله ، مَنْ يُعَرِّفُ بالقصد في مذهبه ، والسَّتر في نفسه ،

(١) الطعم جمع طعمة بالضم : وهي وجه المكسب .

(٢) الضوال جمع ضالة : وهي الحيوان الضائع لا يعرف له رب ، وقد تطلق الضالة على المعاني .

(٣) العزل : ما يورد بيت المال تقدة غير موزون ولا منتقد .

(٤) جمع آبق : وهو الهارب .

(٥) البياعات جمع بياعة بالكسر وهي السلعة ، وفي الأصل « الساعات » وهو تحريف .

والعفاف في طعمته ، واستيفاء الحق فيما يُقلّده ويُستكفي القيام به ، ويتقدم إليه في أخذ كل طبقة من أهل الطبقات التي يقع في الحسبة فيها ، بتصحيح المعاملة ، ورفع الغش ، وتجنب كل ماعاد بمضرة على المسلمين وتحييف^(١) لهم ، وتعمير^(٢) المكاييل والموازين في سائر عمله ، وإقامتها على الوفاء والعدل ، وختمها بالرصاص ، وتحمل المتاعين فيها وغيرهم عليها ، والإشراف على ما يرسمه ويتقدم بامتناله في سائر وجوه الحسبة ، حتى لا يخالف شيء منه إلى غيره ، ومعاينة من عسى أن يقدم على مخالفته فيه ، يرذعه ويعط من سواه ، فإن الله عز وجل يقول : « أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَمْشُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِكِينَ » .

وأمره : إن كان فيما يؤدي إلى صلاح ما ولاه واستقامته ووقوع الاحتياط فيه ، موافقة أمر لم يعهد إليه فيه ، واحتاج إلى استئذنه في ذلك ، أن يتوقف عن إحداث حدث في شيء منه ، ويكتب إليه به ، ليأتيه الأمر في ذلك بما يعمل به ويقتصر عليه ، وإن كان مما سبيله أن يمضي فيه رأيه ، عمل فيه بما يوفقه الله له ، ممتثلاً في ذلك أعدل السير وأقصدها إن شاء الله . وأمره أن يقرأ عهده على أهل عمله ، ويعلمهم رأيه فيه ، وعنايته بما فيه صلاحهم ، والإحسان إليهم ، والعدل عليهم ، والتقرب إلى الله بذلك

(١) تحيفه : تنقصه من حيفه ، والحيف كمنب : النواحي جمع حيفة بالكسر .

(٢) قال في اللسان : « عبرت الدنانير : وهو أن تلقى ديناراً ديناراً ، فتوازن به ديناراً وديناراً ، وكذلك عبرت تعبيراً إذا وزنت واحداً واحداً ، يقال هذا في الكيل والوزن ، قال الأزهري : فرق الليث بين عايرت وعير ، فجعل عايرت في الكيل وعيرت في الميزان . . . » .

فِي أَمْرِهِمْ ، لِيَبْسُطَ أَمَالَهُمْ ، وَيُحْسِنَ ظُنُونَهُمْ ، وَيَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

هَذَا عَهْدِي إِلَيْكَ ، وَأَمْرِي إِيَّاكَ فِيمَا قَلَّدْتُكَ وَأَسْنَدْتُ إِلَيْكَ ، فَاْمْتِثْهُ
وَاْعْمَلْ بِهِ وَلَا تُجَاوِزْهُ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ فِيمَا غَلَبَكَ مِنْهُ يَقِيَّتُكَ ، وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ
يَصِلَى عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنْ يُوَفِّقَكَ وَيُحْسِنَ كِفَايَتَكَ ، وَالسَّلَامُ .
(اخْتِيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٤٦)

٢٣٣ - كتاب جعفر بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

وَكُتِبَ أَبُو الْحُسَيْنِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ ثَوَابَةَ إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ :
« قَدْ فَتَحْتَ لِلْمَظْلُومِ بَابَكَ ، وَرَفَعْتَ عَنْهُ حِجَابَكَ ، فَأَنَا أَحَاكِمُ الْأَيَّامَ
إِلَى عَدْلِكَ ، وَأَشْكُو صَرْفَهَا ^(١) إِلَى عَطْفِكَ ، وَأَسْتَجِيرُ مِنْ لُؤْمِ غَلَبَتِهَا بِكَرَمِ
قُدْرَتِكَ ، فَإِنَّهَا تَوَخَّرَنِي إِذَا قَدَّمْتُ ، وَتَحَرَّمُنِي إِذَا قَسَمْتُ ، فَإِنْ أَعْطَتْ
أَعْطَتْ يَسِيرًا ، وَإِنْ ارْتَجَعَتْ ارْتَجَعَتْ كَثِيرًا ، وَلَمْ أَشْكُهَا إِلَى أَحَدٍ قَبْلَكَ ،
وَلَا أَعْدَدْتُ لِإِنْصَافِهَا إِلَّا فَضْلَكَ ، وَدَفَعْتُ ذِمَامَ ^(٢) الْمَسْأَلَةِ وَحَقَّ الظُّلَامَةِ
حَقَّ التَّامِيلِ وَقَدَّمْتُ صَدَقَ الْمَوَالَةِ وَالْحَبَّةَ ، وَالَّذِي يَمْلَأُ يَدِي مِنَ النَّصْفَةِ ،
وَيُسْمِخُ الْعَدْلَ عَلَيَّ ، حَتَّى تَكُونَ إِلَيَّ مُحْسِنًا ، وَأَكُونَ بِكَ لِلْأَيَّامِ مُعْذِيًا ،
أَنْ تَخْلِطَنِي بِخَوَاصِّ خِدْمَتِكَ ، الَّذِينَ نَقَلْتَهُمْ مِنْ حَالِ الْفَرَاغِ إِلَى الشُّغْلِ ،
وَمِنَ الْجَمُولِ إِلَى النَّبَاهَةِ وَالذِّكْرِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُعْذِرَنِي ^(٣) فَقَدْ اسْتَعْدَيْتُ ،

(١) صرف الدهر : نوابه .

(٢) الذمام : الحق والحرمة .

(٣) أعداه : نصره وأعانه وقواه ، واستعداه : استعان به واستنصره .

وَتُجِيرَنِي فَقَدْ عُدْتُ بِكَ ، وَتَوَسَّعَ عَلَيَّ كَنَفُكَ فَقَدْ أُوتِيتُ إِلَيْهِ ، وَتَشَمَّلَنِي بِإِحْسَانِكَ فَقَدْ عَوَّلْتُ عَلَيْهِ ، وَتَسْتَعْمَلُ بَدَنِي وَلِسَانِي فِيمَا يَصْلُحَانِ لخدمَتِكَ فِيهِ ، فَقَدْ دَرَسْتُ كُتُبَ أَسْلَافِكَ ، وَهُمُ الْأُئِمَّةُ فِي الْبَيَانِ ، وَاسْتَضَاءْتُ بِرَأْيِهِمْ ، وَاقْتَنَيْتُ آثارَهُمْ اقْتِفَاءً جَعَلَنِي بَيْنَ وَحْشِيَّ كَلَامٍ وَأُنَيْسِهِ ، وَوَقَفَنِي مِنْهُ عَلَى جَادَّةٍ مَتَوَسِّطَةٍ ، يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْغَالِي ، وَيَسْمُو نَحْوَهَا الْمَقْصُرَ ، فَعَلْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . (معجم الأدباء ٧ : ١٨٨)

٣٢٤ - كتاب أحمد بن أبي طاهر إلى علي بن يحيى

وكتب أحمد^(١) بن أبي طاهر يشكر علي^(٢) بن يحيى :
«وصل إلى - وصل الله نعمتك بالمزيد - ما ابتدأت به من برك المتتابع ، وفضلك الواسع ، فصَادَفْنَا عَلَى حَالٍ مِنَ الْخَلَّةِ^(٣) قَدْ دَعَتْنَا ضَرُورَةُ الْحَاجَةِ بِهَا إِلَى ذَلِكَ الْمَسْأَلَةِ ، فَرَمَ^(٤) مَا تَلَّمَهُ الدَّهْرُ مِنْ مُرُوءَتِنَا ، وَسَدَّ مَا كَشَفَهُ مِنْ خَلَّتِنَا ، وَكَفَانَا مِثْلُونَ الْإِمْتِحَانِ لِلْإِخْوَانِ فِي مَوَدَّتِنَا ، وَسَتَرَ وَجُوهَنَا بِالصِّيَانَةِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ ، وَأَبْقَى جَاهَنَا عِنْدَ أَهْلِ الْمَوَدَّةِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَعْرِفٍ صَادَفَ حَاجَةً ، وَصَنِيعَةٍ كَانِ الْبَاسُ بِهَا بِالْإِذْلَةِ وَلَا بِذِلَّةٍ^(٥) ، وَمَعُونَةٍ جَاءَتْ

(١) هو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، صاحب كتاب المنظوم والشتور ، ولد ببغداد سنة ٢٠٤ وتوفي سنة ٢٨٠ - انظر ترجمته في الفهرست ص ٢٠٩ ومعجم الأدباء ٣ : ٨٧ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور النجم ، وكان من خاصة ندماء التوكل ، وخص به وبين بعده من الخلفاء إلى أيام المعتد ، وكان مقدما عندهم ، يفضون إليه بأسرارهم ، ويأمنونه على أخبارهم ، وكان راوية للأشعار والأخبار شاعرا محسنا ، وتوفي سنة ٢٧٥ - انظر الفهرست ص ٢٠٥

(٣) الخلة : الحاجة والفقر .

(٤) رمه : أصلحه .

(٥) البذلة : اسم من الابتذال : وهو امتحان النفس وعدم صيانتها .

بلا مَثُونَةٍ ، وغيثٍ جاء بلا عارضٍ ولا مُخِيلَةٍ^(١) ، وأملٍ أدرك بلا تعب ،
 وحقٍّ أوجب بلا حُرْمَةٍ ولا سَبَبٍ ؟ ما كان إلا كالقَطَرِ ، في الأرض
 القَفْرَ ، أغفلها الزمانُ ، وجفأها العمرانُ ، وكلُّ معروفٍ وإن كثرَ فأكثرُ
 منه فضلكَ ، وكل صنيعَةٍ وإن كبرتُ فأكبرُ منها الأملُ فيك ، وكل
 شكرٍ بلغ غايةً محمودَةً فأقلُّ كرمِكَ يستغرقُه ، وكبيرُه يَقْصُرُ عن تطوُّلكَ
 به ، فُتَّ واللهِ المادحِ المُنِيبِ ، وقصَّرَ عنك لسانُ الشاكرِ المَعْرِفِ ،
 والحامِدِ المجتهدِ ، وأنفَدَ فضلكَ المحاسنَ ، واستوفى أقلَّك جميعَ الفضائلِ ،
 وكلَّ دونك لسانُ الخطيبِ والشاعرِ ، وتزيَّنت بك الأيامُ ، وازدحمت
 عليك الآمالُ ، وامتثلَ مكارمُك الكرامُ ، وقصَّرَ عنك الجيادُ والأجوادُ ،
 فإلى الذي زَيْنَّا بِإِخَائِكَ ، نرغب في بقائك ، ونسأله أن يَهَبَكَ لِفِائِقَتِنَا إِلَيْكَ ،
 وَاتَّكَلْنَا بَعْدَهُ عَلَيْكَ . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٨٢)

٣٣٥ - كتابه إلى علي بن يحيى

وله إلى علي بن يحيى :

« إن أحقَّ معروفٍ بأن يُشْكَرَ ، ويدَّ بَارَةً بأن لا تُكْفَرَ ، وأحقَّ
 واجبٍ بأن يُؤدَّى ، وإحسانٍ وبرٍّ بأن يُجَازَى ، معروفُك - أعزُّكَ اللهُ -
 عندي ، ويدُّك قِبَلِي ، وحقُّك علي ، وإحسانك إليّ ، لأن المعروفَ يَحْسُنُ
 عند الأحرار موقِعُه ، ويجب عليهم شكرُه ونشرُه والإشادة بذكره ،

(١) العارض : السحاب المعترض في الأفق ، والسحابة الخيالة (ياء مشددة مكسورة) والخيالة
 (بكسر الخاء) : التي تحسبها ماطرة .

تتطوَّع مبتدئاً ، وتَشْفَع ما تُقَدِّم مُعَقِّباً ، وتُحَسِّن رَّبَّ ما أَسَدِيَّتُهُ مُتَفَضِّلًا ،
لا أخلاقك الله من برِّ وإحسان ، ولا أخلاقنا منك في حال .

(المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٠)

٢٢٦ - كتابه في ذم ابن ثوابه

ولأحمد بن أبي طاهر في ذم ابن ثوابه حين وَلِيَ طَسَاسِييَجَ^(١) الكوفة :
« أما بعد ، فإن فلانا قَدِم علينا شائِخاً بَأَنفِهِ ، عَاقِداً لِمُنَقِهِ ، ذاهباً
بِنَفْسِهِ ، يَرَى أن الجنة خُلِقَتْ لِمَن أَطاعَهُ ، والنارَ لِمَن عصاه ، وأن الملائكة
المُقَرَّبِينَ لَمْ تَنزِلْ على مَن تَرَلَّتْ عليه من الأنبياء إِلَّا بِتوكيدِ ذلك له ، فلا
يُعَذِّبُ الله العبادَ إِلَّا على مَعْصِيَتِهِ ، ولا يُثَبِّتُهُمْ إِلَّا على طاعته ، ولا أن
الصَّيِّحَةَ أَخَذَتْ قومَ ثمودَ إِلَّا لاعتراضِ كان منهم على أوْلِيَّةِ أَجداده ، ولم
يرسل الله الرِّيحَ العَقِيمَ على قوم عاد إِلَّا عن خِلافِ كان منهم لآبائِهِ ، وأن
الواجب على هذه الأُمَّة ، والفرض المحتوم الذي لا يُقْبَلُ منهم غيرُهُ ، طاعته
وقَلَّةُ الخِلافِ عليه ، بالاسْتِحْصاقِ منه لذلك في نَفْسِهِ ، وللوراثَةِ عن آبائِهِ
وأجداده ، كَأَنَّهُ قَدَّارٌ^(٢) عَاقِرُ نَاقَةٍ ثمودَ في خَلْقَتِهِ ، وفرعونُ ذُو الأوتادِ
في جَبَرِيَّتِهِ ، يَحْسِبُ الجُودَ ذُلًّا ، والبخلَ عِزًّا ، والجورَ عَدْلًا ، وأنَّ ما نَهَى
الله عنه من قَبِيحٍ فهو الجَمِيلُ الذي أَمَرَ به ، وما أَمَرَ به من جَمِيلٍ فهو القَبِيحُ

(١) طساسيج جمع طسوج (بفتح الطاء، وضم السين المشددة): وهو الناحية، وجاء في ترجمة ابن ثوابه
في معجم الأدباء « وكان عبيد الله بن سليمان الوزير قد صرف أحمد بن محمد بن ثوابه عن طساسيج
كان يتقلدها » .
(٢) هو قدار بن سالف .

الذي نهاه عنه ، لا يستكثر الخلافة فيحدث بها نفسه تيهًا ، ولا النبوة
 يتمناها على ربه مُحِبًّا ، وإذا قعد على فرشه وأخذ مجلسه ، ورعى بطرفه في
 منازل ، دخلته العزّة ، وعلته الأبهة ، وغلب عليه الكبر ، حتى يخيل إليه
 أن بيت الله الحرام بعض داره ، وأن صحنها هو الصرح الممرّد^(١) الذي ذكره
 الله في كتابه ، وأن مهبط الملائكة على ظهر كنيسته ، وبئر زمزم من بعض
 آباره ، وما بين الصفا والمروة مراغة لدوابه ، يضع من قدر نفسه ، ويرفع من
 قدر طعامه ، فيرى أن مائدته هي التي ذكر الله في كتابه^(٢) ، فن أكل منها
 كان رِقَاله بأكلته ، تجري عليه أحكامه ، وينفذ فيه أمره ، ضيفه أشدُّ
 الناس شبهًا بالملائكة : طعامه التسبيح ، وشعاره الصبر ، وكل حشمة طائفة
 من الجن ، مُبرَّحُون^(٣) بالشَّمِّ دون الأكل ، وبالمصّ دون الشرب ، ولولا
 ما كفى الله من غربته^(٤) ، بالغرب^(٥) الذي به ، لَضَجَّت الأرض إلى الله من
 تيهه ، ولتبدت الأئمة لله بالابهال إليه من تجبره ، يرى أن قارون^(٦) كان

(١) الصرح : القصر وكل بناء عال ، والممرّد : الملس ، يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ » .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَسْكُونُ لَنَا عَيْدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

(٣) برّح به الأمر تبريحاً : جهده واشتد عليه .

(٤) الغرب : الحدة .

(٥) بعينه عرب : إذا كانت تسيل فلا تنقطع دموعها .

(٦) قال تعالى : « إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ . وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ

مَا إِنَّ مَعَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ » كان ابن عم موسى وابن خالته ، والأكار بالتشديد الحرات ، جمعه أكرة ، كأنه جمع آكر في التقدير .

من بعض أكرته ، والخُضْرُ^(١) صلواتُ الله عليه من بعض فيُوجهه ، ولولا ما تقدّم من حقه ، وما سبق من مودته ، والذي أنا عليه من الميل إلى ناحيته ، والنُصرة لمذاهبه ، والحِيلة من ورائه ، والذّب عنه ، وأنّى لا أرى أن أصفه إلا بأحسن ما فيه ، ولا أستحلّ ذلك منه ، لأنطلق لسانى من وصفه عجائبه ، ولطيف بدائمه ، بما لم يخطر على قلب بشر .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٤١٩)

٢٢٧ — كتاب ابن أبي طاهر إلى أبي على البصير

وكتب أحمد بن أبي طاهر إلى أبي على البصير يعاتبه على مؤاخاة ابن مكرّم ، معددا سيئاته ومثالبه :

« وفرّ الله يا أخى من كل خيرٍ حظّك ، وأجزَلَ منه قسَمك ، وبلّغك غايةَ همَمك ، ونهايةَ طَلِبَتِكَ ، ومتّع إخوانك بما مَنَحهم منك ، وأعاذهم من الغيَر فيك ، إنه يقال - جعلنى الله فداءك - : أخوك من صدَقك ، وعدوك من نافَقك ، وعليك لأخيك مثلُ الذى عليه لك ، والعِتَابُ أمارَةُ الإِشفاق ، ودليلُ الضننِّ من الإخوان ، ومن جادل نفسه فى هواه ، عَرَف صوابه وخطأه ، وعلى النُصفَةِ ثباتُ المودة ، ومع المشاكاة تكبرن الموافقة^(٢) ، ولولا

(١) هو النبي الذي لقيه موسى عليه السلام ، وفتاه يوشع بن نون ، فى طريقهما ، وفى ذلك يقول تعالى : « فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا » والفيوج جمع فيج بالفتح : وهو رسول السلطان الذى يسمى بالكتب .
(٢) وربما كان « المرافقة » .

رجائي يا أخى أن تستميلك المعاتبة ، وترُجِّعَكَ^(١) المراقبة ، وعلمي أن فيما أعدد عليك ، وأذكرك به ، وأتقدم فيه إليك ، ما يثني أخلاقك ، إلى ما يشبه أعراقك^(٢) ، وأنى قد بلغت بك فى النظرة^(٣) الموضع الذى يتعذر مخرج العذر عليك منه ، إلا أن تعود بالإقرار ، بمقامك على الجفاء والإصرار ، وما أرجع إليه من الثقة بك ، وإخلاص المحبة والمقة لك ، وما أعرفه من صحة ودك ، وكريم عهدك ، وحسن اختيارك وتميزك ، ما عتبت عليك ولا استعبتك ، وخليتك وما اخترت ، ولم أنبئك على ما أضعت ، ولما وصلت ما قطعت ، حتى يشوب إليك حازم من رأيك ، وعاطف من ودك وإخائك ، ولكنى ما أمسكت عن المعاتبة ، وتأنيثك^(٤) بالمراقبة ، ورأيتك قد رضيت بالمهنة^(٥) التى تلزمك فى المهجنة ، وكنت إلى لين استعطافك ، وحسن إنصافك ، أحوج منى إلى قطع أسبابك ، والمقام على ترك عتابك ، وكنت مستعداً لاحتمال ما يضيمنى منك ، ويتناهى إلى عنك ، ليل النفس بالرغبة إليك ، وإقبالها - وإن أدبرت عنها - عليك ، لأن العدوان فى المعاملة ، من شأن من يحظر عليه فى المواصلات ، سيما من قد أخلق عندك إخاؤه ، ورث فى نفسك وفاءه ، ودعاك طول عهده إلى ملالة وده ، لم أجد بداً من ردك ، باستعتابك إلى ما هو أولى بك ، ردك الله إلى أجل العادة ، وما هو أولى بك فينا من النصفة .

(١) فى الأصل « وتوجعك » وهو تحريف .

(٢) أى أصلك وفى الأصل « إلى ما لا يثبه » .

(٣) أى الإمهال والتأخير .

(٤) تأناه : انتظره .

(٥) المهنة : الخدمة ، وامتنه : ابتذله واحتقره ، والمهجنة : ما يعب .

الأخى - أقبل الله بك إلى الواجب - أنا الخليل الذى لا يُزِيلُهُ عن ودِّك
وقديم عهدك سَكْرٌ^(١) ، ولا يُغَيِّرُ مَنْ قَدْ بَلَاكَ وَبَلَوْتَهُ^(٢) ، وامتنحك
فاختارك واخترتَه ، أولئك عنده حميد ، وآخرُك^(٣) عنده جديد ، مودَّتُهُ لك
غيرُ مدخولة ، وعِشْرَتُهُ غيرُ مملولة ، لم تَنْبُ^(٤) عنك خلائقُهُ ، ولم تنشعب
عنك طرائقُهُ ، يَغْضُ من نفسه ليرفحاك ، ويضرّها لينفعاك ، فحين نطقتُ
بلسانك فيما ضرّنى ، وتقدّمتُ لك فيما أخّرنى ، وأخدمتُ^(٥) مودّتكَ نفسى
وعرضى ، وهتكتُ لك أدبى ومروءتى ، فودّدتُ بودّك ، وصدّدتُ
بصدّك ، ووقفتُ بك حيث وقفتَ بنفسك ، وانقذتُ لك حيث سلكتُ
بى محبّتك ، ولم أجشّمك الوقوفَ عند هَوَاىَ ، ولم أَسْمُك الانصرافَ إلى
رضائى ، إلا فى أمر تسلّم عاقبته ، ولا تسوؤك مغبّته ، أوثرُ على محبّتى ما سرّك ،
وأقدّم على أمرى أمرك ، لا أوازنك المعاملة ، ولا أقارِضك المشاغلة ، ماتحبّ
فضمونُك لك عندى ، وماتكره ففصروفُك عنك منى ، أحملُ عنك الثقيلَ ،
وأثوّرُ ليسهل لك السبيلُ ، أوسّعُ لك فى الدّنب المنهَج ، إذا ضاق عليك
من العذر المخرجُ ، أطلّيك على مكنون سِرِّى ، وأظْهِرك على باطن أمرى ،
لا أقول هذا تمنّئاً ، ولا أعتدّ به تبجّجاً^(٦) ، ولا أقتضيك عليه سُكْراً ،

(١) فى الأصل « شكر » وهو تحريف ، والسكر بالتحريك : الغضب والغليظ ، وربما كان
الأصل « شكوى » .

(٢) بلاه : اختبره .

(٣) فى الأصل « وأجرك » .

(٤) أى لم تنضق .

(٥) أخدمت فلانا : أعطيته خادماً يخدمه ، أى جعلت نفسى وعرضى خادمين لمودتك .

(٦) تبجج به : نفخ .

إذ كنت أرى أني أودّي به فرضا واجبا ، وأقضي به حقا لازما ، ولكنني
أذكرك ما نسبته ، وأنبئك على ما أضمت ، وأحتج عليك إذ قصرت ،
وقدّمت عليّ في إخائك ، من ليس من أ كفائي ولا أ كفائك : المقلّي المذمّم ،
المهين « ابن مكرّم » ، العاق لأبيه ، والمستفي من أخيه ، والقاذف لأمه ،
والقاطع لرحمه ، المهتوك الحرمة ، الوضع الهمة ، الضيق الصدر ، القريب
القعر ، السريع إلى الصديق ، البطيء عن الحقوق ، المشهور بالزنا^(١) ،
المعروف بالبناء^(٢) ، العاكف على ذنبه^(٣) ، الصادف^(٤) عن ربه ، الوضع
في خلائقه ، العاتي^(٥) على سائقه ، الدائم البطنة ، النطيف^(٦) الدين والجيب ،
الدنس العرض والثوب ، عدوه آمن من غائلته ، وصديقه خائف من بائقته ،
جهله جهل الصبيان ، وضعفه ضعف النسوان ، سهك^(٧) الرّيح ، ثقل الروح ،
خفيف العقل والوزن ، خبيث الفرج والبطن ، جليسه بين نتن وأذى ، وقذر
وبذي^(٨) ، من استخفّ به أكرمه ، ومن وصله صرّمه ، غث الخلقة ، رث الهيئة ،
ومسخ المروءة ، يحلف ليختمت ، ويعهد لينكث ، ويعيد ليخلف ، ويحدث
ليكذب ، إن تكلم ملأ الأسماع عيا ، والأنف نتنا ، وإن سكنت قرى^(٩)

(١) في الأصل « المشهور إليه » هكذا . والزنا والزنا بالقصر والمد .

(٢) حذفنا فقرتين هنا لما فيهما من البذاءة .

(٣) في الأصل « على دينه » وهو تصحيف .

(٤) أي المعرض .

(٥) عتا : استكبر وجاوز الحد .

(٦) نطف كفرح وعنى : تلتطخ بعيب وانهم بريئة .

(٧) السهك محرّكة : ريح كريهة ممن عرق ، سهك كفرح فهو سهك .

(٨) البذاء : السفه والإفحاش في المنطق وقد قصّره من مدّ .

(٩) أي قدم إليها ، من قرى الضيف يقرّيه إذا أحسن إليه — وهو تهكم .

العيون قبحا ، والقلوب مَقْتًا ، إسناده عن الخنثيين ، وبلاغته في ذم الصالحين ،
وطرفه قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ^(١) ، وسَمْعِيَّةُ فِي كَسْبِ السَّيِّئَاتِ ، وَخَلَوَاتُهُ لاقتراف
السَّوْءَاتِ ، وَتَمَنَّى الشَّهَوَاتِ ، أَحْسَنُ عِنْدَهُ مِنْ مَدْحِهِ الْأَفْرَاطُ فِي ذَمِّهِ ،
كَمَا أَنَّهُ أَجْمَلُ مِنْ وَصْلِهِ الْمَقَامُ عَلَى صَرْمِهِ^(٢) .

هذا قليل من كثير ما أعرف عنه ، ويسير في (جنب ما^(٣)) يوصف
منه ، فَأَنَّى يَا أَخِي اخْتَرْتَهُ ؟ وَلَأَيَّ شَيْءٍ عَلَى آثَرْتَهُ ؟ وَأَيَّ^(٤)
أُمُورِهِ اسْتَمْتَنْتَ ؟ أَتَنْدِيدُهُ بِالْإِخْوَانِ^(٥) ، أَمْ مَحَافِظَتُهُ عَلَى الْخَوَانِ^(٦) ، أَمْ أَنْسَهُ
بِالْخِيَانَةِ ، أَمْ شَتَمَهُ الصَّحَابَةَ ، أَمْ مَوَاكَلَتَهُ الْكَلَابَ ، أَمْ مُقَامَتَهُ عَلَى
الْإِغْتِيَابِ ، أَمْ نَتَنَ رَأْيُكُتَهُ ، أَمْ سُوءَ مَعَاشِرَتِهِ ، أَمْ مَلَالَةَ وَضَجَرِهِ ، أَوْ وَضَرَهُ
وَبَخَرَهُ^(٧) ؟ أَمْ وَصَلْتَهُ حِينَ قَطَعْتُهُ ، وَاخْتَرْتَهُ حِينَ اطَّرَحْتَهُ ؟ .

وإن مما حقق ظني بك فيه ، أنك لم تكن له زَوَّارًا فَوَاطَبْتَ عَلَيْهِ ،
وَكُنْتَ عَنْهُ مَتَشَاقِلًا فَاسْرَعْتَ إِلَيْهِ ، وَلَهُ ذَائِمًا فَلَسَانُكَ رَطْبٌ بِمَدْحِهِ ، حَتَّى
كَأَنَّكَ إِلَى غَايَةِ مَكْرُوهِ أَجْرِيَتْ فِي أَمْرِهِ ، وَإِلَّا فَكَيْفَ أَنْسْتَ بِالْجَانِبِ
الْوَحْشِيِّ مِنَ الشُّقَّةِ ، وَأَوْحَشْتَ الْجَانِبَ الْمَعْمُورَ لَكَ بِالْأَنْسِ وَالْمِقَّةِ ، وَقَدْ

(١) الخَصْنَةُ : العَفِيفَةُ أَوْ الْمَتَزَوِّجَةُ ، قَالَ ثَعْلَبٌ : كُلُّ امْرَأَةٍ عَفِيفَةٍ فَهِيَ مُحْصَنَةٌ يَفْتَحُ الصَّادُ وَكُسْرُهَا
وَكُلُّ امْرَأَةٍ مَتَزَوِّجَةٍ فَهِيَ مُحْصَنَةٌ بِالْفَتْحِ لِغَيْرِ .

(٢) أَى قَطَعَهُ .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ بَيَاضٌ بِالْأَصْلِ ، وَقَدْ تَمَتَّ بِهِ الْجُمْلَةُ .

(٤) بَيَاضٌ بِالْأَصْلِ .

(٥) نَدَّدَ بِهِ صَرَّحَ بِعُيُوبِهِ وَشَهَّرَهُ وَسَمَّعَ بِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « أَتَنْدِيدًا عَلَى الْإِخْوَانِ » وَالَّذِي فِي
كُتُبِ اللُّغَةِ تَعْدِيَةُ هَذَا الْفِعْلِ بِالْبَاءِ .

(٦) الْخَوَانُ : كُفْرَابٌ وَكُتَابٌ : مَا يُؤْكَلُ عَلَيْهِ الطَّعَامُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ الطَّعَامُ .

(٧) وَضَرَهُ : أَى وَسَخَهُ وَقَدَّرَهُ ، وَأَصْلُ الْوَضَرِ : وَسَخَ الدِّسَمِ وَاللِّبَنِ ، وَابْخَرُ : تَنَّى الْفَمَ .

تظاهرت عليه بما قلت الشهادة ، وهتفت به الألسن من كل ناحية ،
وتحاماه كل ذى دين ومروءة ، فأعطيت المودة غير أهلها ، ومنحت الجفوة
غير مستحقها ، ووصلت من قطعك ، وقطعت من وصلك .

فبادر يا أخى فى يومك منه بترك ما لا ينفعك فى غدٍ معرفته ، وتوقع
هجاءه^(١) لك عن قليل ، ونبو^(٢) أخلاقه عنك عن قريب « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٤٢٣)

٢٢٨ - كتاب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب عبد الله بن المعتز^(٣) إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب فى
يوم عيد .

« أَخَرَتْنِي الْعِلَّةُ عَنِ الْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فَحَضَرْتُ بِالْدَّاءِ فِي كِتَابِي
لَيْنُوبَ عَنِّي ، وَيَمُورُ مَا أَخْلَتَهُ الْعَوَائِقُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا
الْعِيدَ أَكْثَرُ الْأَعْيَادِ السَّالِفَةِ بَرَكَةً عَلَى الْوَزِيرِ ، وَدُونَ الْأَعْيَادِ الْمُسْتَقْبَلَةِ فِيمَا يُحِبُّ
وَيُحِبُّ لَهُ ، وَيَقْبَلُ مَا تَوَسَّلَ بِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، وَيَضَاعِفُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ عَلَى الْإِحْسَانِ

(١) فى الأصل « حجاب » وأرى أنه محرف .

(٢) من نبا الطبع عن الشيء : أى نشر ولم يقبله ، ونبأ الشيء عنى : تحافى وتباعد ، ونبأ فلان
عن فلان : لم ينقله ، وفى الأصل « ونبو أخلاقه عليك » وربما كان : « وتبوأ خلافه عليك »
أى مخالفته لك .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن التوكل العباسى ، كان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً سهلاً
اللفظ حسن الإبداع المعانى ، وفى خلافة المقتدر (الذى ولى الخلافة من سنة ٢٩٥ إلى سنة ٣٢٠)
اتفق مع ابن المعتز جماعة من رؤساء الأجناد ووجوه الكتاب ، تفلعوا المقتدر سنة ٢٩٦ وباعوا
ابن المعتز ، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوه ، وأعادوا المقتدر
إلى الخلافة ، واختفى ابن المعتز ثم أخذ وقتل ، وأقام فى الخلافة يوماً وليلة - انظر ترجمته فى وفيات
الأعيان ١ : ٢٥٨ ونزهة الألبا ص ٢٩٩ وكتب التاريخ .

منه ، ويمتعه بصُحبة النعمة ولباس المافية ، ولا يُريه في سيرة نقصا ، ولا يقطع عنه مزيدا ، ويحملني من كل سوء فداءه ، ويصرف عيون النير^(١) عنه وعن حظي منه . (زهر الآداب ١ : ٢٠٧)

٢٢٩ - كتابه إلى عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدمه

وكتب عبد الله بن المعتز إلى الوزير عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدمه :
« الحمد لله على ما امتنَّ به على الوزير - أعزه الله - من جميل السلامة ،
وحسن الإياب^(٢) ، حمدا مستمداً من مزيده^(٣) ، وإخلاصاً مستدعياً لقبوله ،
وبارك الله له في قدميه ومسيره ، وفي جميع أموره ، وجعل له منة وافية على
نعمه ، وأبقاه لملك يحرم سسه ، ومؤمل ينحسه ، وعائر يرفعه ، وحفظ له
ما خوله^(٤) ، كما حفظ له ما استراحه ، ووقفه فيما طوَّقه ، وزاده كما زاد منه .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٨٨)

٢٣٠ - كتابه إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه

وكتب إليه يعزيه عن ابنه أبي محمد :
« عِلِّمُ الوزير - أيده الله - بذخائر الأجر يُغني عن نزعتيه فيه ، وسبقته

(١) الغير : حوادث الدهر المائرة .

(٢) في الأصل « وحسن الإيابة » والذي في كتب اللغة : الأوب ، والإياب ، والأوبة ، والأية والإيبة والتأويب والتأيب والتأوب ، أي الرجوع ، وليس فيها الإيابة .

(٣) في الأصل « حمداً يستمد أمر مزيده » وأراه محرفاً .

(٤) أي ملكه .

إلى الصبر يكفيني تذكيرةً به ، لكن لوليِّ الوزير - أيده الله - موضعٌ إن أخلاه دخل في جُهْلَةِ المضيِّعين لحَقُّه ، اللّاهين عما عناه ، وقد كان من قضاء الله في أبي محمد - رضى الله عنه - ما خَصَّت به المصيبةُ مواقعَ نِعَمِ الوزير ، وآثارِ إحسانه ، حاش لله إقراراً بالحق ، وتنجِزًا للوعد منه ، وعظّم الله أيُّها الوزيرُ أجرك ، ووفّر ذُخْرَكَ ، وعمرَ بقيَّتِكَ ، وكثّر عدَدَكَ ، وسرَّكَ ولا ساءَكَ ، وزادَكَ ولا نقصَكَ ، ووَصَلَ بِسَلامِ الزمانِ نِعَمَتَكَ ، وَوَلِيكَ بما تحبُّ فيما خَوَّلَكَ ، وكلُّ مصيبةٍ وإن عظُمتُ صغيرةٌ في ثوابِ الله عليها ، ضئيلةٌ بين نِعَمِ الله قبلها وبعدها ، وما زال أولياءُ الله يُعْرَضُونَ على المِحْنِ ، فيستقبلونها بالصبر ، ويتبعمونها بالشكر ، وتنقُذُ بصائرُهم مَذْمُومَ أوائِلِها إلى محمودِ عواقِبِها ، ويعدُّونها مَرِاقِي إلى شرفِ الآخرةِ ، ومراتبَ لأهل السعادةِ ، في دارٍ لا تلجُّها الهمومُ ، ولا يزول فيها النعيمُ .

وإذا تأملَ الوزير ما تجاوزتْ هذه الحادثةُ عنده من النِّعمِ ، في ولده أبي الحسين ، الذي قد نهضَ بما حمَّله ، وَوَفَّى آمالَه ، وأقرَّ عينَه ، وغازَ حاسِدَه ، واكتسَى لباسَ كرامتِه ، وقام للخلافةِ بخلافتهِ ، عَلِمَ أَنه رَاعٍ على الدهرِ ، حَقِيقٌ بتجاوزِ الصبرِ إلى الشكرِ ، فجعلَ اللهُ الخلفَ للوزيرِ من الماضي ، طُولَ عمرِ الباقي ، وحَرَسَه من المكارِهِ كُلِّها ، وكفاه وكفانا فيه .

٢٣١ - وله فصل من تعزية بولد

« لئن حُرِمَ الأجرَ بِرِّكَ ، لقد كُفِيَ الإثمَ بِعُقُوقِكَ ، وَلئن فُجِئَتْ بِفَقْدِهِ ،
لقد أُمِنَتْ الفِتْنَةُ بِهِ » . (الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٠)

٢٣٢ - وله تعزية

« عَارِيَّةٌ سَرَّكَ اللهُ بِمَدَّتِهَا ، وآثَرَكَ بِشَوَابِهَا ، وَأَثَابَكَ عَنْ ارْتِجَاعِهَا ،
فَأَبَشَرَ بِعَاجِلٍ مِنْ صُنْمِهِ ، وَآجِلٍ مِنْ جَزَائِهِ وَمَثُوبَتِهِ .
عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكَ ، وَجَعَلَ الثَّوَابَ عَوَضَكَ ، وَوَفَّقَكَ لِنَيْلِ مَرْضَاتِهِ
عَنْكَ ، وَإِنَّا لِلَّهِ ، قَوْلًا بِمَا عَلَّمَ ، نَتَنَجَّزُ بِهِ مَا وَعَدَ » .
(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٤)

٢٣٣ - وله تعزية أخرى

« الْخُلُودُ فِي الدُّنْيَا لَا يُؤْمَلُ ، وَالْفَنَاءُ لَا يُؤْمَنُ ، وَلَا سُخْطُ عَلَى حَكَمِ اللهِ ،
وَلَا وَحْشَةٌ مَعَ خِلَافَتِهِ ، وَالْأَنْسُ بِطَاعَتِهِ ، فَأَدِّ مَا اسْتَرَدَّ صَابِرًا ، وَأَصْبِحْ
لِمَا اسْتَرْجَعَ مُسَلِّمًا ، فَإِنْ مَنَّ عَلِمَ أَنَّ النِّعْمَةَ تَفْضِلُ مِنَ وَاهِبِهَا ، شَكَرُهَا
مُقْبِلَةٌ ، وَصَبْرُهَا مُوَلِّيَةٌ ، جَعَلَكَ اللهُ مُحْتَمِلًا لِلنِّعْمَةِ ، مُؤَدِّيًا لِلشُّكْرِ ، صَابِرًا
عِنْدَ الْحُكْمَةِ ، مُحْفُوظًا مَوْفُورًا أَجْرَهَا ، وَالْفُوزَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا » .
(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٤)

٣٣٤ - وله تهنئة بمولود

« اتَّصَلْ بِي خَيْرُ مَوْلُودِكَ ، فَسَرَّني لَكَ مَسَرُّكَ ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُتَبَّعَ
النِّعْمَةُ بِهِ عَلَيْكَ بِبِقَائِهِ لَكَ ، وَأَنْتَ يَعْصِرُكَ حَتَّى تَرَى زِيَادَةً إِلَيْهِ مِنْهُ ،
كَمَا رَأَيْتَهَا بِهِ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٣٣٥ - وله فصل في قبول عذر

« كَيْفَ أَرَدْتُ عُذْرَ مَنْ لَا تَهْتَدِي إِلَيْهِ الْمَوْجِدَةُ ^(١) ، وَلَا تَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ
الشُّمَّةُ ، وَوَاللَّهِ مَا عَرَضْتُ لَكَ وَحَرَّكَتُ مِنْكَ إِلَّا بِخُلَا بِمَا ذَخَرْتُهُ مِنْ
مُودَتِكَ ، وَاعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِكَ ، أَخَوْفِي مَعَ ذَلِكَ أَنْ تُصِيرَ غَفْلَتُكَ
تَغَافِلًا ، وَزَلَّتْكَ تَعَمُّدًا ، وَهَذَا مَا لَا أَحِبُّهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ أَحْتَمِلُهُ مِنْكَ ،
وَمَا أَعْتَذِرُ مِنْ مَطَالِبَتِكَ بِمَا جَعَلْتَ أَهْلًا لِلْمَعْرِفَةِ بِهِ ، وَجَسَّانِي بِوَدِّكَ
مُسْتَحِقًّا لَهُ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

٣٣٦ - وله فصل في حاجة

« مُوَصَّلُ كِتَابِي فَلَان ، وَقَدْ جَسَلْتُ الثِّقَةَ بِكَ مَطِيئَتَهُ إِلَيْكَ ،
فَلَا تُنْضِهَا ^(٢) بِمَطْلِكَ ، وَأَسْرِعْ رَدَّهَا بِسَابِقِ إِنْجَازِكَ ، وَتَصْدِيقِ الْأَمَلِ فِيكَ
وَالظَّنِّ بِكَ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

(١) الموجدة : الغضب .

(٢) أنضاهها : هزلها .

٢٣٧ - وله فصل

« قَدْ مِلْتُ إِلَيْكَ فَمَا أَعْتَدِلُ ، وَنَزَلْتُ بِكَ فَمَا أُرْتَحِلُ ، وَوَقَفْتُ عَلَيْكَ
فَمَا أُنْقِلُ » .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

٢٣٨ - وله فصل

« لَوْلَا أَنْ الْإِطْنَابَ فِي وَصْفٍ مَطِيَّةً لِمُتَخَرِّصٍ^(١) ، وَتِهْمَةً لِمُخْلِصٍ^(٢) ،
لَأَطَلْتُ بِهِ كِتَابِي ، وَكُنِيَ بِعُقَاسَةِ ذِي النِّقْصِ مُذَكَّرًا بِأَهْلِ التَّمَامِ ، وَقَدْ
لَبِثْتُ بَعْدَكَ بِقَلْبٍ يُوَدُّ لَوْ كَانَ عَيْنًا لِي رَأَيْتُكَ ، وَعَيْنٌ تُوَدُّ لَوْ كَانَتْ قَلْبًا فَلَا تَخْلُو
مَنْ ذَكَرَكَ » .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

٢٣٩ - وله فصل

« كَيْفَ يَنْقَطِعُ ذِكْرِي لَكَ بِغَيْرِ خَافٍ مِنْكَ ، وَيَنْصَرِفُ قَلْبِي عَنْكَ
وَالْتِجَارِبُ تَرْوِي^(٣) إِلَيْكَ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ خِيَالَكَ شَمْسُ نَفْسِي إِذَا نَمَتْ ،
وَذِكْرُكَ سِرَاجُهَا إِذَا انْتَبَهَتْ ، وَإِنْ لَكَ لِأَقْلُ حَقْوِكَ ، وَلَا ظَلَمْتُ غَيْرَكَ
بِكَ ، وَلَا مِلْتُ عَلَيْهِ لَكَ » .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

(١) تخرص عليه : افترى .

(٢) في الأصل « المتخلص » وأراه محرفاً .

(٣) زواه : نهاء ، أي تصرفني إليك ، وتوجهني نحوك .

٢٤٠ - وله فصل

ذكرت حاجة فلان ، لا فصلها الله بالنجاح ، ولا يسر بابها بالافتتاح ،
ووصفت عذرا له نصح به غير نفسه ، وما نصح عنها ، ولكنه نصح عليها ،
وأنا والله أصونك عنه ، وأنصح لك فيه ، فإنه خبيث النية ، فاسد الطوية ،
جائر المعاتب ، طالب للمعائب ، مقلب لسانه بالملق ، سائر بالتخلق وجه
الخلق ، موجود عند الرجاء . مفقود مع البلاء ، فأتى عقلك باختياره ،
ولا توحش نعمتك باصطناعه . (الأوراق للصوى ٢ : ٢٩٢)

٢٤١ - وله فصل في الشوق

« إني لآسف على كل يوم فارغ منك ، وكل لحظة لا تؤنسها
رؤيتك ، وسقياً لدهر كان موسوماً بالاجتماع معك ، معموراً بلقائك ،
جمع الله شمل سرورى بك ، وعمر بقائى بالنظر إليك » .
(الأوراق للصوى ٢ : ٢٩٢)

٢٤٢ - وله شفاعاة في شغل

« من عظمت النعمة عليه ، كثرت الرغبة إليه ، فاستجلب بالإنعام منك
إنعام الله عليك ، واستزد بما تهب^(١) منك ما يهب لك ، واجعل حظى من
ولايتك قبول اختيارى لك هذا الرجل ، واخبطه بأوليائك القائلين^(٢)

(١) فى الأصل « واستزد ما تهب منك » وهو تحريف .

(٢) قال يعقل : نام فى القائلة ، وهى نصف النهار .

فِي ظِلِّكَ ، فَقَدْ أَفْرَدَكَ بِرَغْبَتِهِ ، وَصَرَفَ إِلَيْكَ وَجْهَ رَجَائِهِ ، وَلَيْسَ فِيهِ فَضْلٌ
لِلاتِّظَارِ ، وَلَا بَقِيَّةٌ لِلإِذْكَارِ ، فَمَجَّلْ إِنْ نَوَيْتَ جُودًا ، وَبَادِرْ إِنْ نَوَيْتَ
صُنْعًا ، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ وَلَا يَتُّهُ وَيُعَدُّ ، وَصَرَفَهُ اعْتِذَارٌ .

(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٣)

٢٤٣ - وَلَهُ فَصْلٌ فِي فِرَاقِ

« كَأَنَّ الدَّهْرَ أَجْلَلُ مِنْ أَنْ يُعَلِّينِي ^(١) بِكَ ، وَأَنْكَدُ مِنْ أَنْ يُسَوِّغَنِي ^(٢)
قُرْبَكَ ، وَإِنِّي لَهُ لَصَابِرٌ إِلَّا عَلَى فَقْدِكَ ، وَرَاضٍ إِلَّا بِبَعْدِكَ » .

(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٣)

٢٤٤ - وَلَهُ فَصْلٌ

« تَوَلَّى اللَّهُ عَنِّي مَكَافَاتِكَ ، وَأَعَانَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ نَيْتَكَ ، وَأَصْحَبَ
بِقَاءَكَ عِزًّا يَبْسُطُ يَدَكَ لَوْ لِيَّكَ ، وَعَلَى أَعْدَائِكَ ، وَكِلَاءَةٍ ^(٣) تَذُبُّ عَنِ وَدَائِعِ
مِنْنَتِهِ عِنْدَكَ ، وَزَادَ فِي نِعَمِكَ وَإِنْ عَظُمَتْ ، وَبَلَغَتْ آمَالَكَ وَإِنْ انْفَسَحَتْ » .

(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٤)

٢٤٥ - وَلَهُ فَصْلٌ

« لَا أَزِلُ اللَّهَ عَنَّا ظِلِّكَ ، وَأَعْلَى فِي شَرَفِ الْمَنَازِلِ مُرْتَقَاكَ ، وَلَا أَعْدَمُنَا

(١) مَلَأَهُ اللَّهُ حَبِيبَهُ : مَتَعَهُ بِهِ وَأَعَاشَهُ مَعَهُ طَوِيلًا .

(٢) سَوَّغَهُ إِيَّاهُ : تَرَكَهُ لَهُ خَالصًا .

(٣) كَلَامُهُ كُنْهَهُ كَلَامُهُ بِالْكَسْرِ : حَرَسَهُ .

فِيكَ إِحْسَانًا بَاقِيًا ، وَمَزِيدًا مُتَّصِلًا ، وَيَوْمًا مُحْمَدًا ، وَغَدًا مَأْمُولًا ، وَعِزًّا يَمَكِّنُ
قَبْضَتَكَ ، وَيَعِدُّ بِسَطَاتِكَ .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٤)

٢٤٦ - وله فصل

« لَنْ تَكْسِبَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - الْحَامِدَ ، وَتَسْتَوْجِبَ الشَّرَفَ ، إِلَّا بِالْحَمَلِ
عَلَى النَّفْسِ وَالْحَالِ ، وَالنَّهْوِ بِحَمْلِ الْأَثْقَالِ ، وَبَذْلِ الْجَاهِ وَالْمَالِ ، وَلَوْ كَانَتْ
الْمَكَارِمُ ثَنَالًا بِغَيْرِ مُؤَنَّةٍ ، لَاشْتَرَكَ فِيهَا السُّفْلُ وَالْأَحْرَارُ ، وَتَسَاهَمَهَا الْوُضْعَاءُ
مِنْ ذَوِي الْأَخْطَارِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ الْكَرَمَاءَ الَّذِينَ جَمَعَهُمْ أَهْلُهَا ،
خَفَّفَ عَلَيْهِمْ حِمْلَهَا ، وَسَوَّغَهُمْ فَضْلَهَا ، وَحَظَّرَهَا عَلَى السُّفْلَةِ لِصِغَرِ أَقْدَارِهِمْ عَنْهَا ،
وَبُعَدَ طِبَاعَهُمْ مِنْهَا ، وَنَفَّوَرَهَا عَنْهُمْ ، وَاقْشَعَرَّ أَرْهَا مِنْهُمْ » .

(زهر الآداب ٣ : ٣١٣)

٢٤٧ - وله في وصف البيان

« الْبَيَانُ تَرْجُمَانُ الْقُلُوبِ ، وَصَيْقَلُ الْعُقُولِ ، وَمُجَلِّ الشُّبْهَةِ ، وَمُوجِبُ
الْحِجَّةِ ، وَالْحَاكِمُ عِنْدَ اخْتِصَامِ الظُّنُونِ ، وَالْمُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ ، وَهُوَ
مِنْ سُلْطَانِ الرُّسُلِ الَّذِي انْقَادَ بِهِ الْمُسْتَضْعِبُ ، وَاسْتَقَامَ الْأَصِيدُ^(١) ، وَبُهِتَ
الْكَافِرُ ، وَسَلَّمَ الْمَمْتَنِعُ ، حَتَّى أَشْبَ^(٢) الْحَقُّ بِأَنْصَارِهِ ، وَخَلَا رَبْعُ الْبَاطِلِ
مِنْ عُمَارِهِ .

(١) الأصيد : المائل العنق .

(٢) من أشب الشجر كفرح : أى التف .

وخيرُ البيان ما كان مصرّحاً عن المعنى ، ليسرّح إلى الفهم تلقّيه ،
وموجزاً ليخفّ على اللفظ تماطيه ، وفضلُ القرآن على سائر الكلام معروف
غير مجهول ، وظاهرٌ غير خفيّ ، يشهد بذلك عجزُ المتعاطين ، ووهنُ
المتكلّفين ، وتحيرُ الكذابين ، وهو المبلغ الذي لا يكلّ ، والجديد الذي
لا يخلق ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والمآجي لظلم الضلال ، ولسان
الصدق النافي للكذب ، ونذيرُ قَدَمَتِهِ الرحمة قبل الهلاك ، وناعي
الدنيا المنقولة ، وبشيرُ الآخرة المخلّدة ، ومفتاحُ الخيرة ، ودليلُ الجنة ، إن
أوجزَ كان كافياً ، وإن أكثرَ كان مذكّراً ، وإن أوماً كان مُقنِعاً ، وإن أطال
كان مُفهِماً ، وإن أمرَ فناصحاً ، وإن حكّمَ فمادِلاً ، وإن أخبرَ فصادقاً ،
وإن بيّنَ فشافياً ، سهل على الفهم ، صعب على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد
المرام ، سراجٌ تستضيء به القلوبُ ، حلوى إذا تذوّقته العقول ، بحر العلوم ،
وديوان الحكيم ، وجوهر الكليم ، ونزهة المتوسّمين ، ورُوح قلوب المؤمنين ،
نزل به الرُّوحُ الأمين ، على محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله
الطيبين ، فخصمَ الباطل ، وصدّع بالحق ، وتألّف من النفرة ، وأنقذ من
الهلكة ، فوصلَ الله له النصر ، وأضرع^(١) به خدّ الكفر .

(زهر الآداب ١ : ١١٤)

٢٤٨ - وله في وصف الكتاب والقلم

« الكتابُ والُجُ الأُبوابُ ، جَرىءٌ على الحُجَّابِ ، مُفهِمٌ لا يَفْهَمُ ، وناطقٌ لا يشكُمُ ، به يشَخَّصُ المشتاقُ ، إذا أقعده الفِراقُ ^(١) .

والقلمُ مَجْهَزٌ لجيوشِ الكلامِ ، يَخْدُمُ الإرادةَ ، ولا يَمَلُّ الاستزادةَ ، يسكُتُ واقفاً ، وينطقُ سائِراً ^(٢) ، على أرضٍ بياضها مُظْلِمٌ ، وسوادُها مُبْضِءٌ ، وكأنَّه يَقْبَلُ بِسَاطِ سُلْطَانٍ ، أو يَفْتَحُ نُورَ بَسْتَانٍ ^(٣) » .

(زهر الآداب ٢ : ٣٢ ، والعقد الفريد ٢ : ١٨١ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٢)

٢٤٩ - كتاب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب - وقد نال رتبةً فنَقَصَ إخوانه في الدعاء - :

« الكَبِيرُ - أعزَّكَ اللهُ - مَعْرِضٌ يَسْتَوِي فِيهِ النَبِيَّةُ ذِكْرًا ، وَالْخَامِلُ قَدْرًا ، ليس أَمَامَهُ حِجَابٌ يَمْنَعُهُ ، ولا حَاجِزٌ يَحْظَرُهُ ، والناسُ أَشَدُّ تَحْفَظًا على الرئِيسِ المحْظُوظِ ، وأَكْثَرُ اجْتِلَاءٍ لأَفْعَالِهِ ، وتَتَبَّعُا لِمَعَايِبِهِ ، وتَصْنِفُهَا لِأَخْلَاقِهِ ، وتنْقِيرا ^(٤) عن خِصَالِهِ ، منهم ، عن خَامِلٍ لا يُعْبَأُ بِهِ ، وسَاقِطٍ لا يُكْثَرُ لَهُ فَيَسِيرُ عَيْبُ الْجَلِيلِ يَقْدَحُ فِيهِ ، وصَغِيرُ الذَّنْبِ يَكْبُرُ مِنْهُ ، وقليلُ الذَّمِّ يُسْرِعُ إِلَيْهِ .

(١) وفي كتاب الأوراق للصولي « ومنه يداوى الفراق » .

(٢) وفي العقد « يسكت وأكفا ، وينطق ساكتا » .

(٣) النوار : الزهر أو الأبيض منه .

(٤) قر الشيء وعنه : بحث عنه ، وفي الأصل « وتنقيرا » بالفاء ، وهو تصحيف .

والحال التي جدّدها الله لك - وإن كنت أراها دون حَقِّكَ ، وناقصةً
عن هَمَّتِكَ ، وأرضاً عند سمائك - حالٌ : الحاسِدُ عليها كثيرٌ ، وآمالُ
المنافِسِينَ إليها تَسِيرُ ، والمودَّةُ تقتضي النصيحة ، واليقظة^(١) تدعو إلى صدق
المشورة ، وليس يجرُسُ النعمة ويحوطُها ، ويحسِمُ الأطماعَ ويصرفُها ،
ويستجيب القلوبَ النافرةَ ويُطلقُها ، إلا تركُ ما أراك تستعمله في ترتيب
المكاتبة ، وتمييزِ المخاطبة والمُحَاصَّة^(٢) في ألفاظ الدماء ، والبخل يسير الشاء ،
وتطبيق^(٣) إخوانك ومعامليكَ في ذلك ، حتى صار عندك كأنه نَسَبٌ
لا تتمدّداه ، ونَعْتٌ لهم لا تخطّاه ، فأما إخوانك فليس من حَقِّكَ أن تخطّهم
حالَ رفعتك ، وأن تَمْنَحَهم دولةً زادتك ، كما ليس من حَقِّكَ عليهم أن
يُعَالَطوكَ ، فيُمَسِّكوا عن خطابك ، ويتجاهوا عن عتابك .
(أدب الكتاب ص ١٠٥)

٣٥٠ - كتاب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له نقصه في دعائه ، وحن في كتابه :
« وما أنا والكتابُ إلى صديقٍ أدِينُ من الوفاء بغير دينه ؟
أعظمه ويحقّرُنِي ، وأدعو له باللفظ يدعو لي بدونه !
ويَنقُصُنِي ولم أنقصه حقاً ويَحْشُنُ لفظه من بعد لينه ! »

(١) المقة : الحجة .

(٢) يقال : تحاصّوا وحاصّوا : أى اقتسموا حصصاً ، وفي الأصل « والمحاضة » وهو تصحيف .

(٣) أى تعميم وتسوية .

فقام كتابه بالردّ عني لكثرة ما تَضَمَّن من لُحُونِه»
(أدب الكتاب ص ١٦١)

٢٥١ — كتاب أحمد بن يحيى الأسدي إلى الحسين بن سعد

وقال أحمد بن يحيى الأسدي : كتب إلى الحسين بن سعد ، فنقصني في الدعاء ، فكتبت إليه :

« قد علمت - أعزك الله - أن السبب في العداوة بين محمد بن عبد الملك

الزيات وإبراهيم بن العباس الصولي ، أنه لما ولي وزارة المعتضد^(١) نقص إبراهيم عما يستحقه من الدعاء ، فلم تحتمل ذلك نفسه ورياسته وموضعه من الصناعة والدولة ، فمات به في ذلك فلم يعتبه ، فألهب له نار هجاء لا يُطفئها الدهر ، وعلامة ذلك قوله في كلام منشور قد ذكره : « ولي هذا الأمر فما ظن أن الرياسة تنجذب إليه ، ولا أن العز يتحصل له ، إلا بحطّ إخوانه عن منزلتهم ، ونقصهم عن مرتبتهم ، فبخسني^(٢) في المسكينة ، وساءني في المعاملة » في كلام له طويل ، ثم نظم ذلك في شعر فقال :

مَنْ رَأَى فِي الْأَنَامِ مِثْلَ أَخِي ؟ كَانَ عَوْنِي عَلَى الزَّمَانِ وَخِلِّي
رَفَعْتُهُ حَالًا ، فَاوَلَّ حَطِّي وَأَبَى أَنْ يَعِزَّ إِلَّا بِذُلِّي

وكان هذا الخطاب في أول الأمر ، ثم أنحى عليه بالهجاء ، فافتقد -

(١) هكذا في الأصل ، وهو خطأ ، فإن ابن الزيات إنما وُزِرَ للمعتصم والوائق والتوكل ، ثم نكبه التوكل وقتله سنة ٢٣٣ ، وأما المعتضد فإنه ولي الخلافة سنة ٢٧٩ وتوفي سنة ٢٨٩ ، والصواب أنه « الوائق » .

(٢) أي نقصني .

أَعَزَّكَ اللَّهُ - إِنْصَافَ إِخْوَانِكَ ، وَتَجَنَّبَ ظُلْمَهُمْ ، يَصْنَفُ لَكَ غَدِيرٌ وَدُهُمٌ .
(أدب الكتاب ص ١٥٩)

٢٥٢ - كتاب أحمد بن علي المازراني إلى ابن بشر المرثدي

وروى الصولي أيضا في أدب الكتاب قال :
لما ولي ابن بشر المرثدي كتابة الموفق بالله ، نَقَصَ أحمد بن علي
المازرائي في الدعاء حين كاتبه ، فكتب إليه :

كَلِمَاتُ رُمْتُ أَنْ أُخَلِّفَ مَنْ كَانَتْ أُمَامِي خَلَفَتْ عَنْ وَرَائِي ^(١)
أَنْقَصْتُ الدَّعَاءَ لِي مِنْكَ لَمَّا زَادَكَ اللَّهُ رِفْعَةً فِي دَعَائِي ؟
فَلَنْ تَمَّ مَا أَرَاهُ وَأَصْبَحْتُ وَزِيْرًا لَتَطْعَمَنَّ جَزَائِي ^(٢)
فاعتذر إليه وزاده في الدعاء .

وكان هذا في كلام منشور لمن كان قبل المازرائي : « وَكُنْتُ آمُلُ لَكَ
الرِّفْعَةَ ، وَلَمْ أَدْرَ أَنَّهَا تُكْسِبُنِي الضُّعْفَ ، وَأَرْجُو لَكَ الثَّرْوَةَ وَلَمْ أَدْرَ أَنَّهَا تُؤَدِّينِي
إِلَى الْإِضَاقَةِ ، فَكَانَ الْمُنَى طَرْدَ الْعَنَاءِ ، وَالِدَّعَاءُ سَبَبُ الثَّرَاءِ » .
(أدب الكتاب ص ١٦٠)

٢٥٣ - فصل لعبد الله بن أحمد في الشكر

« إِنْ مِنْ حَقِّ النِّعْمَةِ أَنْ تُذَكَّرَ وَتُنْشَرَ ، وَمِنْ كُفْرِهَا أَنْ تُنْسَى »

(١) يقال : خلفه وراءه أي جملة وراءه فتخلف عنه : أي تأخر عنه ، ويقال أيضا : خاف
عن أصحابه : أي تخلف .

(٢) لتطعمن : أي لتذوقن ، وفي الأصل « لتطعمني » وهو تحريف .

وَتُسْتَر ، وما أَحَبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ بِنِعْمَتِكَ وَأَكُونَ عُطْلًا^(١) مِنْ شُكْرِكَ ، وَلَا أَنْ
تَكُونَ مِنْكَ مُوَفَّرَةً عِنْدِي وَأَنَا نَاقِصُ الْحِظِّ مِنْ رِعَايَةِ مَا أَوْلَيْتَنِي ، لِنِعْمِ
إِذْنِ مَا أَتَيْتَ إِلَيَّ ، إِذْ صَرَفْتَ أَفْضَلَ نَظَرِكَ لِيَحْوِيَ ، وَلِيَتَّسِ مَا اخْتَرْتُ
لِنَفْسِي ، إِذْ حَرَمْتُمَا فَضْلَ الشُّكْرِ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ ، فَجَعَلْتُ حِظِّي فِي قَضَاءِ حَقِّ
النِّعْمَةِ ، وَمَا فِي الشُّكْرِ مِنْ اسْتِجَابِ الزِّيَادَةِ .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٠)

٣٥٤ - كتاب ابن عبد كان عن أحمد بن طولون إلى ابنه العباس

وكتب ابن عبد كان^(٢) عن أحمد بن طولون إلى ابنه العباس حين عصى
عليه بالإسكندرية^(٣) ، مُنْذِرًا لَهُ وَمُؤَبِّخًا لَهُ عَلَى فِعْلِهِ .

- (١) من قولهم : امرأة عاطل وعطل : إذا لم يكن عليها حلى .
(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان ، كان على المكاتبات والرسائل في عهد الدولة
الطولونية ، وكان بليغا مترسلا فصيحاً - انظر الفهرست لابن النديم ص ١٩٧ ومعجم الأدباء ٦ : ٨٥ .
(٢) كان الخليفة المعز قد ولي بانيكباك مصر ، فولى عليها بانيكباك من قبله أحمد بن طولون سنة
٢٥٤ ، ثم استقل ابن طولون بمصر سنة ٢٥٧ في عهد الخليفة المعتمد ، ثم أراد أن يوسع نطاق
ملكه فأغار على الشام سنة ٢٦٤ ، وفي أثناء غيابه بها عصى عليه ابنه العباس ، وجاء في تاريخ الكامل
لابن الأثير في هذا الصدد (ج ٧ : ص ١٠٧) : « كان أحمد بن طولون قد خرج إلى الشام واستخلف
ابنه العباس على مصر ، فلما أبعد عن مصر حسن للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال والانسراح
إلى برقة ، ففعل ذلك ، وأتى برقة في ربيع الأول سنة ٢٦٥ ، وبلغ الخبر أباه فعاد إلى مصر ،
وأرسل إلى ابنه ولاطفه واستعطفه ، فلم يرجع إليه ، وخاف من معه فأشاروا عليه بقصد إفريقية ،
فسار إليها وكتب وجوه البربر ، فأتاه بعضهم ، وامتنع بعضهم ، وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يقول :
إن أمير المؤمنين قد قلدني أمر إفريقية وأعمالها ، ورحل حتى أتى حصن « بلدة » ففتح أهله له ،
فاعلمهم أسوأ معاملة ونهبهم ، فضى أهل الحصن إلى إلياس بن منصور رئيس الأباضية هناك ،
فاستعانوا به ، فغضب لذلك وسار إلى العباس ليقاتله ، وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل
طرابلس جيشاً وأمره بقتال العباس ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديداً ، قاتل العباس فيه يده ، فلما كان

« من أحمد بن طولون مَوَّلَى أمير المؤمنين ^(١) ، إلى الظالم لنفسه ، العاصي
لربه ، الملمّ بذنبه ، المفسد لكسبه ، المادي ^(٢) لطورِه ، الجاهل لقدره ،
الناكس على عقبه ، المركوس ^(٣) في فتنته ، المبخوس من حظ دنياه وآخرته .
سلام على كل مُنيب مستجيب ، تائب من قريب ، قبل الأخذ
بالكظم ^(٤) ، وحلول الفوت والندم .

وأحمدُ الله الذي لا إله إلا هو محمدَ معترفٍ له بالبلاء الجليل ، والطَّوْل
الجليل ، وأسأله مسألة مُخلصٍ في رجائه ، مجتهد في دُعائه ، أن يصلّي على محمد
المصطفى ، وأمينه المرتضى ، ورسوله المجتبي ، صلى الله عليه وسلم .

أما بعدُ ، فإن مثلك مثل البقرة تُشيرُ المذبة بقرّنيها ، والنملة يكون حثفها
في جناحيها ، وستعلم - هَبْلَتِكَ ^(٥) الهَوَايلُ ! أيها الأحقُّ الجاهل ، الذي تنى
على الغنى عطفه ، واغترَّ بضجاج المواكب خلفه - أيَّ مَوْرِدَةٍ هَلَكَةٍ

الغد واقم إلياس بن منصور الأباضي في اثني عشر ألفاً من الأباضية ، فاجتمع هو وعامل طرابلس على
قتال العباس فقتل من أصحابه خلق كثير ، وانهمز أقبح هزيمة ، وكاد يؤسر غلصه مولى له ، ونهبوا
سواده وأكثر ما حمله من مصر وعاد إلى برقة أقبح عود ، وشاع بمصر أن العباس انهمز فاغتم والده
حتى ظهر عليه ، وسير إليه المساكر لما علم سلامته ، فقاتلوه قتالا صبر فيه الفريقان ، فانهمز العباس
ومن معه ، وكثر القتل في أصحابه ، وأخذ العباس أسيراً وحمل إلى أبيه فحبسه في حجرة في داره ، إلى
أن قدم باقي الأسرى من أصحابه ، فلما قدموا أحضرهم أحمد عنده والعباس معهم ، فأمره أبوه أن يقطع
أيدي أعيانهم وأرجلهم ففعل ، فلما فرغ منه وبخه أبوه وذمه ، ثم أمر به فضرب مائة مفرعة ، ودموعه
تجري على خده رقة لولده ، ثم رده إلى الحجرة واعتقله وذلك سنة ٢٦٨ « ومات ابن طولون
سنة ٢٧٠ » .

(١) يعني المعتمد على الله .

(٢) عدا الأمر وعنه : جاوزه ، والطور : القدر .

(٣) الركس : قلب أول الشيء على آخره .

(٤) الكظم : مخرج النفس .

(٥) هبلته أمه كفرح : ثكلته ، وامرأة هابل وهبول .

بِإِذْنِ اللَّهِ تَوَرَّدْتُ ، إِذْ عَلَى اللَّهِ جَلٌّ وَعِزٌّ تَمَرَّدْتُ وَشَرَّدْتُ ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
قَدْ ضَرَبَ لَكَ فِي كِتَابِهِ مِثْلًا : « قَرِيَّةٌ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .

وإنا كنا نقرُّ بك إلينا ، وَنَسِيبُكَ إِلَى يَوتِنَا ، طَمَعًا فِي إِبَاتِكَ ، وَتَأْمِيلًا
لِفَيْئَتِكَ ^(١) ، فَلَمَّا طَالَ فِي الْغَيِّ انْهَمَا كُكٌ ، وَفِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ ارْتَبَا كُكٌ ،
وَلَمْ نَرَ الْمَوْعِظَةَ تَلِينَ كِبِدَكَ ، وَلَا التَّذْكِيرَ يُقِيمُ أَوْدَكَ ^(٢) ، لَمْ تَكُنْ لِهَذِهِ النِّسْبَةِ
أَهْلًا ، وَلَا لِإِضَافَتِكَ إِلَيْنَا مَوْضِعًا وَمَحَلًّا ، بَلْ لَا تُكْنَى بِأَبِي الْعَبَّاسِ إِلَّا
تَكْرُّهَا ، وَطَمَعًا بِأَنْ يَهَبَ اللَّهُ مِنْكَ خَلْفًا تَقْلُدُهُ اسْمُكَ ، وَتُكْنَى بِهِ دُونَكَ ،
وَنَعْدُكَ كَمَنْتَ نِسْبًا مَنَسِيًّا ^(٣) ، وَلَمْ تَكْ شَيْئًا مَقْضِيًّا ، فَانْظُرْ - وَلَا نَظَرَ
بِكَ - إِلَى عَارٍ نِسْبَتِهِ تَقْلُدْتَ ، وَسَخَطٍ مِنْ قِبَلِنَا تَعَرَّضْتَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَلَاءَ
بِإِذْنِ اللَّهِ قَدْ أَظْلَمَكَ ، وَالْمَكْرُوهَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكَ ، وَالْعَسَاكَرَ بِحَمْدِ اللَّهِ
قَدْ أَتَتْكَ كَالسَّيْلِ فِي اللَّيْلِ ، تُؤْذِنُكَ بِحَرْبٍ وَبَوِيلٍ ، فَإِنَا نُقَسِمُ - وَنَرْجُو
أَنْ لَا تَجُورَ وَنَظْمٍ - أَلَا تَتَنَبَّأُ عَنْكَ عِنَانَا ، وَلَا نُؤَثِّرُ عَلَى شَانِكَ شَانَا ، وَلَا
تَتَوَقَّلُ ^(٤) ذِرْوَةَ جَبَلٍ ، وَلَا تَلْجِ بِطْنٍ وَادٍ ، إِلَّا تَبِعْنَاكَ ^(٥) بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ
فِيهِمَا ، وَطَلَبْنَاكَ حَيْثُ أَمَمْتَ مِنْهُمَا ، مُنْفِقِينَ فِيكَ كُلَّ مَالٍ خَطِيرٍ ،

(١) الفَيْئَةُ : الرُّجُوعُ .

(٢) الْأَوْدُ : الْأَعْوَجُاجُ .

(٣) النَّسْبُ : مَا نَسَبَ .

(٤) وَقَلَ فِي الْجَبَلِ كَوَعْدٍ وَتَوَقَّلَ : صَعَدَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ « جَعَلْنَاكَ » وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُحَرَّفٌ ، وَصَوَابُهُ « تَبِعْنَاكَ » كَمَا ذَكَرَهُ مَصْبُوحٌ

ومستصغرين بسببك كل خطب جليل ، حتى تستمر من طعم العيش
ما استحليت ، وتستدفع من البلاء ما امتدعت ، حين لا دافع
بحول الله عنك ، ولا مزحزح لنا عن ساحتك ، وتعرف من قدر
الرخاء ما جهلت ، وتود أنك هبلت ولم تكن بالمعصية عجبت ، ولا رأى من
أضالك من غوائلك قبلت ، فينشد تفرى^(١) لك الليل عن مسبحه ،
ويسمر لك الحق عن محضه ، فتنظر بعينين لا غشاة عليهما ، وتسمع بأذنين
لا وق^(٢) فيهما ، وتعلم أنك كنت متمسكا بجبال غرور ، متناديا في مقابح
أمور ، من عقوق لا ينال طالبه ، وبغي لا يخو هاربه ، وغدر لا ينتعش
صريه ، وكفران لا يؤدى^(٣) قتيله ، وتقف على سوء رويتك ، وعظم
جريرتك ، في تركك قبول الأمان ، إذ هولك مبذول ، وأنت عليه محمول ،
وإذ السيف عنك مغمود ، وباب التوبة إليك مفتوح ، وتلطف والتلف
غير نافعك ، إلا أن تكون أجبت إليه مسرعا ، وانقذت إليه منتصحا .

وإن مما زاد في ذنوبك عندي ما ورد به كتابك على بعد نفوذى على
الفسطاط من التمويمات والأعالي^(٤) ، والهدات بالأباطيل ، من مصيرك -
بزعمك - إلى إصلاح ما ذكرت أنه فسد على ، حتى ملت إلى الاسكندرية

(١) تفرى : انشق ، والمعنى هنا ينكشف ، وسفر الصبح كضرب وأسفر : أضاء وأشرق .

(٢) الوقر : الصمم .

(٣) ودى القتل كوعى : أعطى دية .

(٤) أخذها من قول الإمام على كرم الله وجهه في بعض خطبه : « أعالي بأضاليل » وفي كتب اللغة
« العلالة بالضم والتعالة كتحية والعللة بالفتح : ما يمل به » ولم أجد فيها كلمة أعالي ولا مقردها ، ولا
بد أن تكون جمع أعلولة بالضم ، كأعاجيب وألاعيب ... الخ . والأباطيل : جمع أبطولة بالضم أو
لبطالة بالكسر أو باطل على غير قياس .

فَأَقَمْتَ بِهَا طَوْلَ هَذِهِ الْمُدَّةِ ، وَاسْتَظْهَرَا عَلَيْكَ بِالْحُجَّةِ ، وَقَطَعَا لِمَنْ عَسَى أَنْ يَتَمَلَّقَ بِهِ مَعْدِرَةَ عِلْمٍ أَنَّ الْأَنَاءَ غَيْرُ صَادَّةٍ ، وَلَا أَنَّهُ خَالَجَنِي شَكٌّ وَلَا عَارَضَنِي رَيْبٌ فِي أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ التَّزْوِجَ^(١) وَالْاِحْتِيَالَ لِلرَّبِّ وَالتَّزْوِجَ إِلَى بَعْضِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَعَلَّ قَصْدَكَ إِيَّاهَا يُؤَدِّيكَ^(٢) ، وَلَعَلَّ مَصِيرَكَ إِلَيْهَا يَكْفِينِيكَ ، وَيُبَلِّغُكَ إِلَى أَكْثَرِ مِنَ الْإِرَادَةِ فِيكَ ، لِأَنَّكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا تَقْصِدُ مَوْضِعًا إِلَّا تَلَوَّطُكَ ، وَلَا تَأْتِي بِلَدٍّ إِلَّا قَفَوْتُكَ ، وَلَا تَلُودُ بِعَصْمَةٍ تَظُنُّ أَنَّهَا تُنْجِيكَ إِلَّا اسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَدِّ^(٣) حَبْلِهَا ، وَفَضَمَّ عُرْوَتَهَا ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يُؤْوِي مِثْلَكَ وَلَا يَنْصُرُهُ إِلَّا لِأَحَدٍ أَمْرَيْنِ مِنْ دِينِ أَوْ دُنْيَا ، فَأَمَّا الدِّينُ فَأَنْتَ خَارِجٌ مِنْ جَمَلَتِهِ ، لِمُقَامِكَ عَلَى الْعُقُوقِ ، وَمُخَالَفَةِ رَبِّكَ وَإِسْخَاطِهِ ، وَأَمَّا الدُّنْيَا فَمَا أَرَاهُ بَقِيَ مَعَكَ مِنَ الْخَطَامِ الَّذِي سَرَقَتْهُ وَحَمَلَتْ نَفْسُكَ عَلَى الْإِيثَارِ بِهِ ، مَا يَنْتَهِيَا لَكَ مَكَثَرَتُنَا بِمِثْلِهِ ، مَعَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَنَا مِنْ جَزِيلِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَسْتَوْدِعُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاهَا ، وَنَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي إِنْعَائِهَا ، إِلَى مَا أَنْتَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ مِنَ الْبَغْيِ الَّذِي هُوَ صَارِعُكَ ، وَالْعُقُوقِ الَّذِي هُوَ طَالِبُكَ .

وَأَمَّا مَا مَنِّتُنَاهُ مِنْ مَصِيرِكَ إِلَيْنَا فِي حُسُودِكَ وَجُوعِكَ وَمَنْ دَخَلَ فِي طَاعَتِكَ ، لِإِصْلَاحِ عَمَلِنَا ، وَمُكَافَأَةِ أَعْدَائِنَا ، بِأَمْرٍ أَظْهَرَ وَافِيهِ الشَّمَاتَةُ بِنَا ، فَمَا كَانَ إِلَّا بِسَبَبِكَ ، فَأَصْلَحَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ الْأَخْرَقُ أَمْرَ نَفْسِكَ قَبْلَ إِصْلَاحِكَ عَمَلِنَا ، وَاحْزَمَ فِي أَمْرِكَ قَبْلَ اسْتِعْمَالِكَ الْحَزْمِ لَنَا ، فَمَا أَحْوَجَنَا اللَّهُ

(١) التَّزْوِجُ : الْبَعْدُ .

(٢) الَّذِي كَتَبَ فِي اللَّفْظَةِ « أَوْدَى الرَّجُلُ : مَلَكَ ، وَأَوْدَى بِهِ الْمَوْتُ : أَهْلَكَ .

(٣) الْجِدُّ : الْقَطْعُ . وَالنَّصَمُ : الْقَطْعُ وَالْكَسْرُ أَيْضًا .

- وله الحمد - إلى نصرتك وموازرتك ، ولا اضطررنا إلى التكاثر بك على شقاقك ومصيبتك «وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا» .

وليت شعري على من تهوّل بالجنود ، وتُخْرِقُ^(١) بذكر الجيوش ؟ ومن هؤلاء المستخرون لك ، الباذلون دماءهم وأموالهم وأديانهم دونك ، دون رِزْقِ تَرْزُقُهُمْ إياه ، ولا عطاء تُدِرُّهُ عليهم ؟ فقد علمت - إن كان لك تمييز ، أو عندك تحصيل - كيف كانت حالك في الواقعة التي كانت بناحية أطرابلس^(٢) ، وكيف خذلك أولياؤك والمرترقة معك حتى هُزِمْتَ ، فكيف تفتربن معك من الجنود الذين لا اسم لهم معك ، ولا رِزْقَ يجري لهم على يدك ؟ فإن كان يدعوهم إلى نصرتك هيبتك والمداراة لك ، والخوف من سلطانك ، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منا ، ووجودهم من البذل الكثير والعطاء الجزيل عندنا ما لا يجدونه عندك ، وإنهم لأخسرى بخذلك ، والميل إلينا دونك ، ولو كانوا جميعا معك ، ومقيمين على نصرتك ، لرَجَوْنَا أَنْ يُمَكِّنَ اللَّهُ مِنْكَ ومنهم ، ويجعل دائرة السوء عليك وعليهم ، ويُجَرِّبُنَا من عادته في النصر وإعزاز الأمر على ما لم يزل يتفضل علينا بأمثاله ، ويتطوّل بأشباهه ، فما دعاني إلى الإرجاء لك ، والتسهيل من خِصْصِكَ^(٣) ، والإطالة من عِناكَ ، طول هذه المدة إلّا أمران : أغلبهما كان على احتقار أمرك واستصغار وقلة الاحتفال والاكتراث به ، وأنى اقتصرت من عقوبتك على ما أحلته^(٤)

(١) المخرقة : التمزيع ، والمخرق : الممزع .

(٢) يقال فيها : طرابلس وأطرابلس كما جاء في معجم ياقوت .

(٣) الخِصْص : الحبل ينحني به .

(٤) في الأصل « ما أخلفته » وأراء محرفا ، والصواب ما ذكرته ، والإبقاء : الهرب .

بنفسك من الإياب إلى أقاصى بلاد المغرب ، شريداً عن ، نزلك وبلدك ،
 فريداً من أهلك وولدك ، والآخراً أنى عامت أن الوحشة دعيتك إلى الانحياز
 إلى حيث انحزت إليه ، فأردت التسكين من يفارك ، والطمانينة من
 جأشك^(١) ، وعملت على أنك تحن إلينا حين الولد ، وتتوق إلى قربنا توقان
 ذى الرِّحم والنسب ، فإن فى رفقنا بك ما يطفئك إلينا ، وفى تأخينا إياك
 ما يردك علينا ، ولم يسمع منا سامع فى خلأ ولا ملائ^(٢) انتقاصاً بك ،
 ولا غصاً منك ، ولا قدحاً فيك ، رقة عليك ، واستتماماً لليد عندك ، وتأميلاً
 لأن تكون الراجع من تلقاء نفسك ، والموفق بذلك لرشدك وحظاك ، فأما
 الآن مع اضطرابك إياى إلى ما اضطرتنى إليه من الانزعاج نحوك ، وحسبك
 رُسلى النافذين بمهد كثير إلى ما قبلك ، واستعمالك المواربة والخداع فيما
 يجرى عليه تدبيرك ، فما أنت بموضع للصيانة ، ولا أهل للإبقاء والمحافظة ،
 بل اللئنة عليك حالة ، والذمة منك بريئة ، والله طالعك ومؤانذك بما
 استعملت من العقوق والقطيعة ، والإضاعة لرحم الأبوة ، فعليك من ولد
 عاقٍ مُشاقٍ^(٣) لمنة الله ولجنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، ولا قبلَ
 الله لك صرفاً ولا عدلاً^(٤) ، ولا ترك لك منقلباً ترجع إليه ، وخذلك خذلان
 من لا يؤنبه^(٥) له ، وأثكلك ولا أمهلك ، ولا حاطك ولا حفظك ، فوالله

(١) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع .

(٢) الملا : الجماعة .

(٣) أى مخالف ، وفى الأصل « شاق » وهو تحريف .

(٤) الصرف : التوبة ، والعدل : الفدية .

(٥) أى لا يحتفل به لحقارته .

لَأَسْتَعْمِلَنَّ لَعْنَكَ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ، والدعاء عليك في آناء الليل والنهار ،
والغدو والآصال ، وَلَا كُتِبَنَّ إِلَى مِصْرَ وَأَجْنَادِ الشَّامَاتِ وَالشُّغُورِ وَقَدَسَرِينَ
وَالْعَوَاصِمِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْحِجَازِ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، كُتِبَا تُقْرَأُ عَلَى مَنَابِرِهَا فَيْكَ ،
بِاللَّعْنِ لَكَ ، والبراءة منك ، والدَّلَالَةِ عَلَى عَقُوقِكَ وَقَطِيعَتِكَ ، يَتَنَاقَلُهَا آخِرٌ
عَنْ أَوَّلٍ ، وَيَأْتِيُهَا^(١) غَابِرٌ عَنْ مَاضٍ ، وَتُخَلَّدُ فِي بَطُونِ الصَّحَائِفِ ، وَتَحْمِلُهَا
الرُّكْبَانُ ، وَيَتَحَدَّثُ بِهَا فِي الْآفَاقِ ، وَتُلْحِقُ بِكَ ، وَبِأَعْقَابِكَ عَارًا ، مَا اطَّرَدَ
الليل والنهار ، واختلف الظلام والأنوار .

فحينئذ تعلم أيها المخالفُ أَمْرَ أَبِيهِ ، القاطعُ رَحْمَةَ ، العاصي رَبَّهُ ، أَىَّ
جَنَايَةٍ عَلَى نَفْسِكَ جَنَيْتَ ، وَأَىَّ كَبِيرَةٍ اقْتَرَفْتَ وَاجْتَنَيْتَ ؟ وَتَمَنَّى لَوْ كَانَتْ
فَيْكَ مُسْكَةٌ^(٢) ، أَوْ فَيْكَ فَضْلٌ إِنْسَانِيَّةٌ ، أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ وُلِدْتَ ، وَلَا فِي الْخَلْقِ
عُرِفْتَ ، إِلَّا أَنْ تُرَاجِعَ مِنْ طَاعَتِنَا ، وَالْإِسْرَاعِ إِلَى مَا قَبَلْنَا ، خَاضِعًا ذَلِيلًا
كَمَا يَلِزُكَ ، فَتُقِيمَ الْاسْتِغْفَارَ مُقَامَ اللَّعْنَةِ ، وَالرَّقَّةَ مُقَامَ الْغِلْظَةِ ، وَالسَّلَامَ عَلَى
مَنْ سَمِعَ الْمَوْعِظَةَ فَوَعَاهَا ، وَذَكَرَ اللَّهَ فَاتَّقَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(صَبْحُ الْأَعَشَى ٧ : ٥)

٢٥٥ - كتاب بمذهب القرامطة

قال الطبري :

وفي سنة ٢٧٨ هـ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ بِحَرَكَةِ قَوْمٍ يَعْرِفُونَ بِالْقَرَامِطَةِ بِسَوَادٍ

(١) أى ينقلها وبرويها .

(٢) المسكة : ما يمسك به .

الكوفة^(١) ، وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاءوا بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة : إنه داعية إلى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصوّر له في جسم إنسان ، وقال له : إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك

(١) قال الطبري : فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة ، ومقامه بموضع منه يقال له النهرين ، يظهر الزهد والتقشف ، ويسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، ويكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة ، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين ، وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، حتى فشا ذلك عنه بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك يقعد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما يلقى بقلوبهم ، وكان يقعد إلى يقال في القرية . . . » إلى أن قال : « ثم مرض فمكث مطروحا على الطريق وكان في القرية رجل يحمل على أثواره ، أحمر اللونين شديدة حمرة ، وكان أهل القرية يسمونه « كرميته » حمرة عينيه ، وهو بالنبطية « أهراميين » ، فسكاهم البقال كرميته هذا في أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، وبوصى أهله بالاشراف عليه والعناية به ، ففعل وأقام عنده حتى برى ، ثم كان يأوى إلى منزله ، ودعا أهل القرية إلى أمره ووصف لهم مذهبه ، فأجابته أهل تلك الناحية وكان يأخذ من الرجل إذا دخل بيته ديناراً ، ويضع أنه يأخذ ذلك للإمام ، فسكاهم بذلك يدعو أهل تلك القرية فيجيبونه ، واتخذ منهم اثني عشر تقياً أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينهم ، وقال لهم : أتم كحواري عيسى بن مريم ، فاشتغل أكره تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الحسنة صلاة ، التي ذكر أنها مفترضة عليهم ، وكان الهيصم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير أكرته في العبادة ، فسأل عن ذلك فأخبر أن إنساناً طراً عليهم فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أن الذي افترسه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم واليلة ، فقد شغلوا بها عن أعمالهم ، فوجه في طلبه فأخذ وجى به إليه ، فسأله عن أمره ، فأخبره بقصته ، خلف أن يقتله ، فأمر به فحس في بيت وأقفل عليه الباب ووضع المفتاح تحت وسادته وتماغل بالشرب ، وسمع بعض من في داره من الجوارى بقصته فرقت له ، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب وأخرجته ، وأقفلت الباب وردت المفتاح إلى موضعه ، فلما أصبح الهيصم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجد ، وشاع بذلك الخبر ، ففتن به أهل تلك الناحية ، وقالوا : رفع ، ثم ظهر في موضع آخر ، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم ، فسألوه عن قصته فقال : ليس يمكن أحداً أن يبذلني بسوء ، ولا يقدر على ذلك مني ، فغظم في أعينهم ، ثم خاف على نفسه فرج إلى ناحية الشام فلم يعرف له خبر ، وسمى باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الأثوار كرميته ، ثم خفف فقالوا قرمط . »

الناقة ، وإنك الذّابة ، وإنك روح القدس ، وإنك يحيى بن زكرياء ، وعرفه
أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ،
وأن الأذان في كل صلاة أن يقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر
الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد
أن نوحا رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول
الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأشهد أن
أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ، وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ،
وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة إلى بيت المقدس ،
والحج إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، والشّورة
الحمد لله بكامله وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه ، قل إن الأهلة موافقة
للناس ، ظاهرها ليُعلم عدد السنين والحساب والأشهر والأيام ، وباطنها
أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي ، اتقون يا أولى الألباب ، وأنا الذي
لا أسأل عما أفعل ، وأنا المليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي ، وأمتحن
خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنّي واختباري ألقيته في جنتي ، وأخلدته في
نعمتي ، ومن زال عن أمري وكذب رُسلي ، أخلدته مُهاناً في عذابي ، وأتمت
أجلي ، وأظهرت أمري على السّنة رُسلي ، وأنا الذي لم يسلُ على جبارٍ إلا
وضعتُه ، ولا عزيرٍ إلا أذلّته ، وليس الذي أصرّ على أمره ، وداوم على
جَهالته ، وقالوا لن نبرح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين ، أولئك هم الكافرون .
ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربّي رب العِزة وتعالى عما يصف

الظالمون ، يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلى الله أعلى ، الله أعظم الله أعظم .

ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة ، وهما المهرَجان والنَّورُوز ، وأن النبيذ حرام ، والخمر حلال^(١) ، ولا غُسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن من حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه اخذت منه الجزية ، ولا يؤكل^(٢) كل ذى ناب ، ولا كل ذى مخلَب [ويشترك في المرأة جماعة من الرجال^(٣)] . (تاريخ الطبرى ١١: ٣٣٩ ، وغرر الخصاص الواضحة ص ٢١٣)

٣٥٦ - من كتاب عن المعتضد إلى خمارويه بن أحمد

ابن طولون

ولما حُملت قَطْرُ النَّدَى بنت خُمارَوِيه بن أحمد بن طولون إلى المعتضد^(٤) ، تب معها أبوها يذكِّره بخدمة سلفها^(٥) ، ويدكِّر ما ترد عليه من أبهة الخلافة ، وجلالة الخليفة ، وسأل إيناسها وبسطها ، فبلغت من قلب المعتضد لما زُفَّت إليه مبلغا عظيما ، وسرَّ بها غاية السرور ، وأمر الوزير

(١) وفي غرر الخصاص « وأن النبيذ والخمر غير حرام .

(٢) وفيه « ويؤكل » .

(٣) ما بين القوسين وارد في غرر الخصاص .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المنوكل ، ولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ ، وتوفى سنة ٢٨٩ هـ وولى خمارويه ملك مصر بعد وفاة أبيه سنة ٢٧٠ هـ وقتل سنة ٢٨٢ هـ .

(٥) كان جدها طولون مملوكا للمأمون ، وأصله من بخارى من قبائل التركستان ، أهداه إلى المأمون عامه ابن أسد الصامى فى جملة من أرسلهم إليه سنة ٢٠٠ هـ ، وقد أعجب به المأمون فألحقه بجاشيته ، وما زال يرقيه حتى جعله رئيس حرسه ، ولقبه بأبى السر . وهو منسوب لم يكن يناله إلا من كان للخليفة منه خاصة بأمانته وإخلاصه ، ليكون محافظا على حياته الشخصية . وكان فى عهد المعتصم رئيس بطانته من المماليك .

أبا القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب بالجواب، عن الكتاب ، فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو الحسين بن ثوبة أن يؤثِّره بذلك ففعل وغاب أياما ، وأتى بنسخة يقول في فصل منها :

« وأما الوديعةُ فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها ، وحياطة عليها ، ورعاية لمودَّتِكَ فيها » .

ثم أقبل على عبيد الله يعجب من حسن ما وقع له من هذا ، وقال : تسميتي لها بالوديعة نصف البلاغة ، فقال عبيد الله : ما أقبح هذا ! تفاءلت لامرأة زُفَّت إلى صاحبها بالوديعة ، والوديعةُ مستردَّة ، وقولك : من يمينك إلى شمالك أقبح ، لأنك جعلت أباهما اليمين ، وأمير المؤمنين الشمال ، ولوقلت على حال :

« وأما الهديةُ فقد حسن موقعها منا ، وجلَّ خطرُها عندنا ، وهي - وإن بُدِّتْ عنك - بمنزلة ما قرَّبَ منك ، لتفقُّدنا لها ، وأنسنا بها ، ولسرورها بما وردت عليه ، واغترابها بما صارت إليه » لكان أحسن ، فننذَرُ الكتاب » . (زهر الآداب ٢ : ٢٨٩)

٢٥٧ - كتاب عن المعتضد بلعن معاوية بن أبي سفيان

وروى الطبري قال :

وفي سنة ٢٨٤ هـ عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرأ على الناس .

وذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه
 بعن معاوية ، فأخرج له من الديوان ، فأخذ من جوامعه نسخة هذا
 الكتاب ، وكانت نسخة الكتاب الذي أنشأه المعتضد بالله :

« بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله العلي العظيم ، الحليم الحكيم ،
 العزيز الرحيم ، المنفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته ،
 الذي يعلم سوابق الصدور وضمائر القلوب ، لا يخفى عليه خافية ، ولا
 يعزب عنه مثقال ذرة في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى ، قد أحاط
 بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، وضرب لكل شيء أمدا ، وهو
 العليم الخبير ، والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفة ، على
 سابق علمه في طاعة مطيعهم ، وماضى أمره في عصيان عاصيهم ، فبين لهم
 ما يأتون وما يتقون ، ونهج لهم سبل النجاة ، وحذرهم مسالك الهلكة ، وظاهر
 عليهم الحجّة ، وقدم إليهم المذرة ، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم
 وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبّله والتمسّكين برؤوته أولياءه وأهل
 طاعته ، والمائدين^(١) عنه والمخالفين له أعداءه وأهل معصيته : « لِيَهْلِكَ مَنْ
 هَلَكَ عَنْ يَدَيْهِ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَدَيْهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » والحمد لله
 الذي اصطفى محمدا رسوله من جميع برّيته ، واختاره لرسالته ، وابتعته بالهدى
 والدين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ،
 وتأذن له بالنصر والتمكين ، وأيده بالعز والبرهان المتين ، فاهتدى به من
 اهتدى ، واستنقذ به من استجاب له من العمى ، وأضل من أدبر وتولى ،

حتى أظهر الله أمره ، وأعز نصره ، وقهر من خالفه ، وأنجز له وعده ،
 وختم به رسله ، وقبضه مؤدياً لأمره ، مبلِّغاً لرسالته ، ناصحاً لأُمته ، مرضياً
 مُهتدياً إلى أكرم مآب المنقلين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين ، وعباده
 الفائزين ، فصلَّى الله عليه أفضل صلاةٍ وأتمَّها ، وأجملها وأعظمها ، وأزكَّها
 وأطهرها ، وعلى آله الطيبين ، والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين وسلفه
 الراشدين المهتدين ، ورثةَ خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، والقائمين بالدين ،
 والمؤمنين لعباده المؤمنين ، والمستحفظين ودائع الحكمة وموارث النبوة ،
 والمستخلفين في الأمة ، والمنصورين بالعرز والمنعة ، والتأييد والخلعة ، حتى
 يُظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من السائمة ، من شبهة قد
 دخلتهم في أديانهم ، وفساد قد كَانَهُمْ في معتقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها
 أهواؤهم ، ونطقت بها ألسنتهم ، على غير معرفة ولا روية ، وقلدوا فيها قادة
 الضلالة بلا بينة ولا بصيرة . وخالفوا الشئن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة ،
 قال الله عز وجل : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ
 اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » خروجاً عن الجماعة ، ومسارعة إلى الفتنة ،
 وإثارة للفرقة ، وتشتيثا للكلمة ، وإظهاراً لمؤالاة من قطع الله عنه الموالاة ،
 وبتراً منه العصمة ، وأخراجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن
 صفر الله حقه ، وأوهن أمره ، وأضعف رُكنه . من بنى أمية الشجرة
 الملعونة ، ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة ، وأسبغ عليهم به النعمة ، من
 أهل بيت البركة والرحمة ، قال الله عز وجل : « يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» فَأَعْظَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَى فِي تَرْكِ إِنْكَارِهِ حَرَجًا عَلَيْهِ فِي الدِّينِ ، وَفَسَادًا لِمَنْ قَلَّدهَ اللَّهُ أَمْرَهُ مِنَ الْمَسَامِينِ ، وَإِهْمَالًا لِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ تَقْوِيمِ الْمُخَالَفِينَ ، وَتَبْصِيرِ الْجَاهِلِينَ ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الشَّاكِكِينَ ، وَبَسْطِ الْيَدِ عَلَى الْمَانِدِينَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُخْبِرُكُمْ مَعَاشِرَ الْمَسَامِينِ ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا ابْتَعَثَ مُحَمَّدًا بِدِينِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْدَعَ بِأَمْرِهِ ، بِدَأْ بِأَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى رَبِّهِ وَأَنْذَرَهُمْ وَبَشَّرَهُمْ ، وَنَصَحَ لَهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ ، فَكَانَ مَنْ اسْتَجَابَ لَهُ وَصَدَّقَ قَوْلَهُ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ تَفَرَّقَ يَسِيرٌ مِنْ بَنِي أَبِيهِ ، مِنْ بَيْنِ مُؤْمِنٍ بِمَا آتَى بِهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَبَيْنَ نَاصِرٍ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَتَّبِعْ دِينَهُ ، إِعْزَازًا لَهُ وَإِشْفَاقًا عَلَيْهِ ، لِمَاضِي عِلْمِ اللَّهِ فِيمَنْ اخْتَارَ مِنْهُمْ ، وَنَفَذَتْ مَشِيئَتَهُ فِيمَا يَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ مِنْ خِلَافَتِهِ وَإِرْثِ نَبِيِّهِ ، فَهُمْ مُؤْمِنُهُمْ مُجَاهِدٌ بِبَصِيرَتِهِ ، وَكَافِرُهُمْ مُجَاهِدٌ بِنُصْرَتِهِ وَحِمِيَّتِهِ ، يَدْفَعُونَ مَنْ نَابَدَهُ ، وَيَقْهَرُونَ مَنْ عَارَاهُ ^(١) وَعَانَدَهُ ، وَيَتَوَثَّقُونَ لَهُ مِمَّنْ كَانَتْهُ وَعَاصِدَهُ ، وَيَبَايِعُونَ لَهُ مَنْ سَمَحَ بِنُصْرَتِهِ ^(٢) ، وَيَتَجَسَّسُونَ لَهُ أَخْبَارَ

(١) عَارَاهُ مَعَارَاةٌ وَعَرَارًا : قَاتَلَهُ وَأَذَاهُ ، وَفِي شَرْحِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « عَارَاهُ » بِالزَّيِّ ، يَقَالُ : عَارَتْنِي فَعَزَزْتَهُ أَيْ غَالِبَنِي فَغَلِبْتُهُ ، وَكَانَتْهُ : عَاوَنَهُ وَسَاعَدَهُ .

(٢) يَعْنِي بِذَلِكَ جَدُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي بَيْعَةِ الْعُقَيْبَةِ الثَّانِيَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَبْلَ هِجْرَتِهِ مِنْ مَكَّةَ) كَانَ قَدْ تَوَاعَدَ مَعَ أَنْصَارِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِدَعْوَتِهِ (فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ) أَنْ يَجْتَمِعَ بِهِمْ عِنْدَ الْعُقَيْبَةِ لِلْإِخْفِيَةِ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَوَفَّاهُمْ هُنَاكَ وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَحْبَبَ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ ، فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مَتَكَلِّمِ الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْحَزْرَجِ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ لِنَعْمَا يَسْمُونَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ الْحَزْرَجِ ، خَزَرَجُهَا وَأَوْسُهَا - إِنْ مُحَمَّدًا مَنَاحِيثٌ قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعْتَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ ، فَهُوَ فِي عِزِّ مَنْ قَوْمُهُ وَمَنْعَةٍ فِي بِلَادِهِ ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْأَنْخِيَازَ إِلَيْكُمْ وَالْحَقُّ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَاقِفُونَ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ ، وَمَانَعُوهُ مِنْ خَالْفِهِ ، فَأَتَمُّ وَمَا تَحْمِلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَمَنْ الْآنَ فَدَعُوهُ ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبِلَادِهِ ... الخ - انْظُرْ تَارِيخَ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٢٣٨ ، وَسِيرَةَ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ٢٦٦

أعدائه^(١) ، ويكيدون له بظهور الغيب كما يكيدون له برأى العين ، حتى بلغ المدى ، وحان وقت الأمتداء ، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به ، بأثبت بصيرة ، وأحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة ، وأهل بيت الدين ، أذهب عنهم الرجس^(٢) وطهرهم تطهيراً ، ومعدن الحكمة ، وورثة النبوة ، وموضع الخلافة ، وأوجب لهم الفضيلة ، وألزم العباد لهم الطاعة .

وكان ممن عانده ونابذته وكذبه وحرّبه من عشيرته المدد الأكثر ، والسواد الأعظم ، يتآمرنه بالكذب والتريب^(٣) ، ويقصدونه بالأذية والتخريف ، ويبازرونه بالسداوة ، وينصبون له الحاربة ، ويصدّون عنه من قصده ، وينالون بالتعذيب من اتبعه ، وكان أشدّ بدّهم في ذلك عداوة . وأعظمهم له مخالفة ، أولهم في كل حرب ومناصبة ، ورأهم في كل إجلاب^(٤) وفتنة ، لا يُرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كل مواطن الحرب ، من بدر وأحد والخندق والفتح ، أبو سفيان ابن حرب وأشياعه من بني أمية الملمونين في كتاب الله ، ثم المأمونين على

(١) يعني ما كان من العباس في عزوة أحد ، وذلك أن جيش المشركين كان قد خرج من مكة لخاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم - اتفاقاً لما أصابهم يوم بدر - حتى نزلوا مقابل المدينة ، وبلغ الخبر رسول الله من كتابه بحث به إليه عه العباس مع رجل استأجره لذلك ولم يخرج معهم في هذه الحرب ، محتجاً بما أصابه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء (وقد قدمنا في ص ٩٥ من الجزء الثالث أنه كان يخرج من المشركين يوم بدر وأسر وأخذ رسول الله منه التدية) وكان بكّة يكتب إلى رسول الله بأخبار المشركين ، وقيل : إنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يكتم إسلامه - انظر أسد الغابة ١١٠ : ٣ والسيرة الحلبية ٢ : ٢٣٠ .

(٢) الرجس : كل ما استغفر من العمل .

(٣) التريب : اللوم .

(٤) الجلبة بالتحريك : الخلط الأصوات ، وفعله كضرب وخسر ، وقد أجلبوا وجلبوا .

لسان رسول الله في عِدَّة مواطن وعدة مواضع ، لِسَائِق علم الله فيهم ، وماضى حُكْمِهِ في أمرهم وكفرهم ونفاقهم ، فلم يَزَلْ - لَعَنَهُ اللهُ - يُحَارِبُ مجاهداً ، ويدافع مُكَايِداً ، وَيَجْلِبُ مُنَابِذاً ، حتى قهره السيوفُ ، وعلا أمرُ الله وهم كارهون فتَقَوَّلَ^(١) بالإسلام غيرَ مُنْطَوٍ عليه ، وأَسَرَ الكُفْرَ غيرَ مُقْلَعٍ عنه ، فصرَفَه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وقَبِلَه وقَبِلَ ولَدَه على عِلْمٍ منه بِحَالِهِ وحَالِهِمْ ، وميزَلَه المؤلِّفَةُ قُلُوبُهُمْ^(٢) .

فَمَا لَعَنَهُمُ اللهُ بِهِ على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأنزل به كتاباً قوله « وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُحَوِّفُهُمْ فَسَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُفْيَانًا كَبِيرًا » ولا اختلاف بين أحدي أنه تبارك وتعالى أراد بها بني أمية^(٣) ، ومما ورد من

(١) وفي شرح ابن أبي الحديد « فتعوذ » .

(٢) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتصر على هوازن وثقيف وجموعهم يَحْنِين سنة ٨ هـ (وحنين بصيغة التصغير : واد بين مكة والخائف) غنم منهم سبياً وغانم كثيرة ، فأعطى المؤلِّفَةُ قُلُوبَهُمْ (وهم من أسلم من أهل مكة) وكانوا أشرفاً من أشرف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فكان أولهم أبا سفيان بن حرب ، أعطاه أربعين أوقية من الفضة ومائة من الإبل ، قال : وابن يزيد ، فأعطاه كذلك ، قال : وابن معاوية ، فأعطاه كذلك . فأخذ أبو سفيان ثمانين من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة ، وقال : بأبي أنت وأُمِّي يارسول الله ، لأنت كريم في الحرب وفي السلم - انظر السيرة الحلبية ٣ : ١٣٧ ، وتاريخ الطبري ٣ : ١٣٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٠ وميزله : أى لأجله : وميز الشيء : فصل بعضه من بعض ، والمعنى أنه أفرد المؤلِّفَةُ قُلُوبَهُمْ بفضله من العطاء امتازوا به على من سواهم .

(٣) لا . بل قد اختلفوا في هذه الشجرة ، فلا أكثرون قالوا : إنها شجرة الزقوم المذكورة في القرآن في قوله . « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ » وقوله : « أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَأَلْتُونَهَا الْبُطُونُ » والمراد بانها لمن طاعها على الاسناد المجازي ، وكان أبو جهل لما سمع يذكرها قال : يزعم محمد أن نار جهنم تخرق الحجارة حيث قال « وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » ثم يقول بأن في النار شجراً ، والنار

ذلك في السنة ، ورواه ثقات الأمة ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ،
وقد رآه مقبلاً على حمار ، ومماوية يقود به ، ويزيد ابنه يسوق به : لمن الله
الراكب والقائد والسائق^(١) . ومنه ما روته الرواة عنه من قوله يوم بيعة
عثمان : « يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكفرة ، فها هناك جنة ولا نار »
وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله ، كما لحقت الذين كفروا من
بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون . ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره^(٢)
وقوله لقائده : ها هنا رمينا^(٣) محمدا وقتلنا أصحابه . (ومنه الكلمة التي قالها
للعباس قبل الفتح ، وقد عرضت عليه الجنود : لقد أصبح ملك ابن أخيك

أكل الشجر ، فكيف يولد فيها ! . وقال ابن عباس : الشجرة بنو أمية ، يعني الحكم بن أبي العاص
قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أن ولد الحكم يتناولون منبره (وسيرد ذكر هذه
الرؤيا في تلك الرسالة بعد) ففس رؤياه على أن بكر وعمر وقد خلا في بيته معه ، فلما تفرقا سمع
رسول الله الحكم يخبر برؤيا رسول الله ، فاستد ذلك عليه ، وانهم عمر بإفشاء سره ، ثم ظهر أن
الحكم كان يسمع لإيهم ، ففناه رسول الله ولعنه ، قل الواحدى : هذه القصة كانت بالمدينة ،
والسورة مكية ، فبعد هذا التفسير ، إلا أن يقال : هذه الآية مدنية ، ولم يقل به أحد ، ومما
يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضى الله عنها لمروان بن الحكم : أما أنت يا مروان فأنتهد أن
رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه ، فأنت ففضض من لعنة الله (وفضض كجبل : أى قطعة)
وروى عن عائشة أيضا أنها قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبيك
وجسدك : إنكم الشجرة المنعونة في القرآن - انظر تفسير الفخر الرازى ، مغانيب الغيب ٥ : ٦٠٩
وروح المعاني للألويسى ٤ : ٥٤٦ وغيرهما من التفسير .

(١) وجاء في مناقبة بين الحسن بن علي رضى الله عنه وبين معاوية أن الحسن قال له : « وأشدك
الله يا معاوية ، أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ،
فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : « اللهم لعن الراكب والقائد والسائق » - انظر شرح
ابن أبي الحديد ٣ : ص ١٠١ .

(٢) الثنية : الطريق في الجبل ، وكان أبو سفيان قد فقت عينه يوم الطائف ، وفقت عينه
الأخرى يوم اليرموك - وقد شهد اليرموك ، وكانت هو القاس في جيش المسلمين يخرضهم ويختمهم على
القتال - ولما عمى كان يقوده مولى له - انظر أسد الغابة ٣ : ١٢ وصبح الأعشى ١ : ٤٤٨ .

(٣) وفي تاريخ الطبرى « ذبنا محمدا » .

عظيماً ! فقال له العباس : وَيَحْكُ إِنَّهُ لَيْسَ بِمَلِكٍ ، إِنَّهَا النُّبُوءَةُ . ومنه قوله يوم
الفتح ، وقد رأى بلالاً على ظهر الكعبة يؤذّن ويقول : أشهد أن محمداً
رسول الله ، لقد أسعد الله عبته^(١) بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد^(٢) ، ومنه
الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم فَوَجَّهَ^(٣) لها ، فما رُئي ضاحكاً بملها ،
فأنزل الله : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » فذكروا أنه
رأى تقرأ من بني أمية يَنْزُرُونَ^(٤) على منبره . ومنه طَرَدُ رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحكم بن أبي العاص لمحا كآته إياه في مشيته ، وأسلقه الله - بدعوة
رسوله - آفة باقية ، حين التفت إليه فرآه يتخلج يحكيه ، فقال له : كن كما
أنت ، فبقي على ذلك سائر عمره^(٥) ، هذا إلى ما كان من مروان ابنه في افتتاحه
أول فتنة كانت في الإسلام^(٦) ، واحتقابه^(٧) لكل دمٍ حرامٍ سُنِّفِكَ فيها ،

(١) هو حمو أبي سفيان ، وجد معاوية لأمه عند

(٢) ما بين القوسين وارد في رواية ابن أبي الحديد ، ساقط من طبعة الطبري التي بأيدينا .

(٣) وجهم كوعده . سكت على غيظ .

(٤) نرا يزور : وثب ، جاء في كتب التفسير : روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى قوماً من بني

أمية يترنون منبره وينزرون عليه نزول القردة ، فقال : هذا حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم .

(٥) كان الحكم يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته وبعض حركاته ، وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم في مشيته ، فالتفت يوماً فرآه وهو يتخلج في مشيته (أي يضطرب) فقال : كن كذلك ، فلم يزل يرتعش في مشيته من يومئذ ، وطرده رسول الله ولعنه وأخرجته إلى الطائف وقال له : لا تسكنني في بلد أبداً ، وصار مشهوراً بأنه طريد رسول الله ، ولم يزل منغياً حياة النبي ، فلما ولي أبو بكر الخلافة قيل له في الحكم ليرده إلى المدينة فقال : ما كنت لأحل عقدة عندهما رسول الله ، وكذلك عمر ، فلما ولي عثمان الخلافة - والحكم عمه - رده وقال : كنت قد شفعت فيه إلى رسول الله فوعدني برده - انظر أسد الغابة ٢ : ٣٤ .

(٦) هي الفتنة التي نجمت في أواخر خلافة عثمان ، وانضت إلى قتله ، ثم إلى اشتقاق عصا المسلمين ، وكان مروان غالباً على أمر عثمان ، وقد طلب الثوار إليه أن يسلم إليهم مروان ، إذ اتهموه بأنه أفتعل ، عليه كتاباً إلى عامل مصر ، وبعثه مع غلام عثمان ، يأمره فيه بقتل المصريين منهم ، فأبى عثمان أن يسلمه والفصصة مشهورة .

(٧) احتقب الراكب الحفوية : شدها من خلف ، ثم توسعوا في اللفظ حتى قالوا : احتقب فلان الإثم : إذا اكتسبه ، كأنه شيء محسوس جمعه واحتقبه من خلفه .

أو أريق بعدها ، ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » قالوا : مُلِكَتْ بَنِي أُمِيَّة ^(١) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا معاوية ليكتب بين يديه ، فدافع بأمره واعتل بطعامه ، فقال النبي : « لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بِطَنِهِ ^(٢) » فَبَقِيَ لَا يَشْبَعُ ، وهو يقول : وَاللَّهِ مَا أَتْرَكُ الطَّعَامَ شَبْعًا ، وَلَكِنْ إِعْيَاءً ^(٣) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَطْلُعُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ^(٤) رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يُحْشَرُ عَلَى غَيْرِ مَا تِي » فطَمَعَ معاوية ^(٥) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا رَأَيْتُمْ مَعَاوِيَةَ عَلَى مِئْبَرِي فَاقْتُلُوهُ » ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال : « إِنْ مَعَاوِيَةَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنْ جَهَنَّمَ يَنَادِي : يَا حَنَانُ يَا مَنَانُ ، فَيَقَالُ لَهُ : آلَا نَ

(١) مما ذكره المفسرون في تفسيرها ، ما جاء في تفسير الفخر الرازي (٨ : ٦٣٠) قال : « روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال : قلت للحسن بن علي عليه السلام : يامسود وجوه المؤمنين ، صعدت إلى هذا الرجل فبايعت له ا - يعني معاوية - فقال : إن رسول الله رأى في منامه بني أمية يطئون منبره واحداً بعد واحد ، وفي رواية : ينزون على منبره نزو الفردة ، فشق ذلك عليه ، فأمر الله تعالى : « إِنَّا أَرْكَنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، إِلَى قَوْلِهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » يعني ملك بني أمية . قال القاسم « خُشِبْنَا مَلِكَ بَنِي أُمِيَّةٍ فَإِذَا هُوَ أَلْفُ شَهْرٍ » اه ، وذكر ذلك أيضاً الألويسي في روح المعاني (٩ : ص ٢٢) وأرى أن الخبر موضوع ، وأن ذلك التأويل لا ينهض عليه دليل ، على أن ملك بني أمية ليس « أَلْفُ شَهْرٍ لَا يَزِيدُ يَوْمٌ وَلَا يَنْقُصُ يَوْمٌ » كما يقول القاسم بن فضيل ، فقد قامت الدولة الأموية سنة ٤١ هـ وسقطت سنة ١٣٢ هـ ، فولابتها أكثر من ألف شهر .

(٢) روى ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٤ : ص ٣٨٦) قال : « عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كنت ألعب مع الصبيان ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال : فجاء خطائي حطاة (والخطو : تحريك الشيء مزعزعا) وقال : اذهب فادع لي معاوية ، فجئت فقلت : هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لي معاوية ، فجئت فقلت : هو يأكل ، فقال : لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بِطَنِهِ ، أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية .

(٣) أعيا إعياء : سكل .

(٤) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٥) أرى أن هذا الحديث والحديثين بعده موضوعا .

وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ! » ومنه انبرأؤه بالمحاربة لأفضل
المسلمين في الإسلام مكاناً ، وأقدمهم إليه سبقاً ، وأحسنهم فيه أثراً وذِكْراً :
علي بن أبي طالب ، يُنازعه حقه بباطله ، ويجاهد أنصاره بضلاله وغَوَايته ،
ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه « وَيَأْتِي
اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » ويستهوِي أهل الغباوة ، ويُعوِّه
على أهل الجهالة ، بمكره وبغيه اللذين قدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخبرَ عنهما ، فقال لعمار^(١) بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية ، تدعوهم إلى الجنة
ويدعونك إلى النار^(٢) » مؤثراً للمعالجة ، كافرّاً بالآجلة ، خارجاً من ربقة

(١) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المشركون في بدء الدعوة
الإسلامية فاحتمل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ، فربهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : « صبرا آل ياسر فوعدكم الجنة ، اللهم اغفر لآل ياسر » .

(٢) روت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما بنى رسول الله مسجده بالمدينة أمر
بالبن أن يضرب وما يحتاج إليه ، ثم قام فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا
أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك لاذن لعمل مضلل

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلاً نظيفاً منظفاً ، فكان يحمل اللبنة ويحافى بها عن ثوبه فإذا وضعها
نفض كفيه ، ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نقضه ، فنظر إليه على رضى الله عنه فأشدد :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها راكعاً وساجداً

وقائماً طوراً وطوراً قاعداً ومن يرى عن التراب حائداً

فسمعها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعنى ، فسمعه عثمان فقال : يا بن سمية
(وسمية أمية) ما أعرفنى بمن تعرض ومعه جريدة ، فقال : لتكفن أو لأعترضن بها وجهك ، فسمعه
النبي وهو جالس في ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأنتى ، فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ منى »
وأشار بيده فوضعها بين عينيه ، فكشف الناس عن ذلك وقالوا لعمار : إن رسول الله قد غضب عليك ،
ونخاف أن ينزل فينا قرآن ، فقال : أنا أرضيه كما غضب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مالى
ولأصحابك ؟ قال : مالك ولهم ؟ قال : يريدون قتلى ، يحملون لبنة ويحملون على لبنين ، فأخذ به
وظاف به في المسجد ، وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول : « يا بن سمية ، لا يقتلك أصحابي ،
ولكن تقتلك الفئة الباغية » فلما قتل بصفين - وكان من أصحاب علي - وروى هذا الحديث عبد الله
ابن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال :
ونحن قتلنا أيضاً حجة لأننا أخرجناه ! - انظر المقدم انفرید ٢ : ٢٣٧ .

الإسلام ، مستحلاً للدم الحرام ، حتى سُفِكَ في فتنته ، وعلى سبيل غوايته وضلالته ، مالا يُحصى عـددُهُ من خيار المسلمين الذَّايِّين عن دين الله ، والناصرين لحقه ، مجاهداً في عداوة الله ، مجتهداً في أن يُعصى الله فلا يُطاع ، وتَبْطُل أحكامه فلا تُقام ، ويخالف دينه فلا يُدان^(١) ، وأن تملو كلمة الضلالة ، وترتفع دعوة الباطل « وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا » ودينه المنصور ، وحُكْمُهُ النافذ ، وأمرُهُ الغالب ، وكَيْدُهُ من عاداه وحاده^(٢) المغلوب الداحض ، حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما تبعها وتطوّق تلك الدماء وما سُفِكَ بعدها ، وسَنَّ سُنَنَ الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأباح المحارم لمن ارتكبها ، ومنع الحقوق أهلها ، واغترَّه الإملاء^(٣) ، واستدرجَه الإمهال ، والله له بالمرصاد .

ثم مما أوجب الله له به اللعنة ، قَتْلُهُ مَنْ قَتَلَ صَـبْرًا^(٤) من خيار الصحابة والتابعين ، وأهل الفضل والدين ، مثل عمرو بن الحمق الخزاعي ، وحُجْر بن عديّ الكِنْدِي^(٥) فيمن قتل من أمثالهم ، في أن تكون له العزة والمُلك والقُلبة ، والله العزة والمُلك والقُدرة ، والله عز وجل يقول « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادِّعَاؤُهُ زِيَادَ بْنَ سُمَيَّةَ

(١) أي فلا يدان به .

(٢) حاده : غاضبه وعاداه وخالفه ، داحض : أي باطل .

(٣) أملى له الله : أمهله ، وفي ابن أبي الحديد « وغرته الآمال » .

(٤) صبر الإنسان على القتل : أن يحبس ويرمى حتى يموت .

(٥) انظر خبرهما فيما قدمنا في الجزء الثاني (ص ٤٦ و ٦٣)

أخاه ، ونسبته إياه إلى أبيه جُرأةً على الله ، والله يقول « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ، هُوَ أَقْسَطُ ^(١) عِنْدَ اللَّهِ » ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَلْعُونٌ مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ اتَّمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ » ويقول : « الولد للفراش وللعاهر الحجر ^(٢) » نَخَالَفَ شُكْرَمَ الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم جهارا ، وجعل الولد لغير الفراش ، والحجر لغير العاهر ^(٣) ، فأحلَّ بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة ^(٤) زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرَّمه الله ، وأثبت بها قرْبى قد باعدها الله ، وأباح بها ما قد حَظَره الله ، مما لم يدخل على الإسلام خَلالٌ مثله ، ولم ينل الدين تبديلٌ شبيهه ، ومنه إثاره لخلافة الله على عباده أبنه يزيد السكِّير الخُمَيْر ، صاحب الديوك والفهود والقروود ، وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعد والإخافة والتهدد والرهبة ، وهو يعلم سَفَهه ، ويطلع على خُبثه ورَهَقه ^(٥) ، ويمأين سكرانه ^(٦) وفجوره وكفره ، فلما تمكن - قاتله الله - فيما مكَّنه منه ، ووطَّأ له ، وعصى الله ورسوله فيه ، طلبَ بشارات المشركين وطوائِلهم ^(٧) عند المسلمين ، فأوقع بأهل المدينة في وقعة الحرَّة ^(٨)

(١) أى أعدل .

(٢) انظر ص ٣٧ من الجزء الثانى .

(٣) وفى الطبرى « والعاهر لا يضره غيره » .

(٤) هى بنت أبى سفيان ، وسفرت المرأة كضرب سفورا : كشفت عن وجهها .

(٥) الرهق : السفة والحق والحقة وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم .

(٦) أى سكره .

(٧) الطوائل : جمع طائلة ، وهى الثأر .

(٨) انظر الجزء الثانى ص ٩٧ .

الوقعة التي لم يكن في الاسلام أشنع منها ، ولا أخش مما ارتكب من الصالحين فيها ، وشفى بذلك عبداً^(١) نفسه وغليته ، وظن أنه قد انتقم من أولياء الله ، وبلغ النوى^(٢) لأعداء الله ، فقال مجاهراً بكفره ، ومُظهراً لشركه :

ليت أشياخي يبدؤ شهادوا جزع الخزعرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتل^(٣)
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل^(٤)
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٥)
لقت هاشم الملك ، فلا خبر جاء ولا وحي نزل^(٦)

هذا هو المروق من الدين ، وقول من لا يرجع إلى الله ، ولا إلى دينه ، ولا إلى كتابه ، ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله ، ثم من أغلظ ما انتهك ، وأعظم ما اجترم ، سفك دَم الحسين بن علي ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع موقعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ، ومنزله من الدين والفضل ، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة ، اجتراء

(١) العبد : الغضب .

(٢) النوى . الحاجة والوجه الذي تنويه وتقصده ، وفي ابن أبي الحديد « وبلغ النار » .

(٣) القرم : السيد .

(٤) هذا البيت والبيتان بعده من قول يزيد .

(٥) خندف : هي أم مدركة وطابخة وقعة (كرقبة) أبناء إلياس بن مضر بن نزار بن معد

ابن عدنان .

(٦) اتفن كفرج : حفظ بالجملة . وفي الأصل « تاريخ الطبري » « لعنت هاشم بالملك » وهو تشريف

وقد أصابته كما ترى ، وربما كان « ولعت هاشم بالملك » « بدون صرف » .

على الله ، وكفرا بدينه ، وعداوة لرسوله ، ومجاهدة لعيرته ، واستهانة بحُرْمَتِهِ ،
فكأنما يَقْتُلُ منه ومن أهل بيته قوماً من كُفَّار أهل التُّرك والذِّيلَمَ ،
لا يخاف من الله نِقْمَةً ، ولا يَرْقُبُ منه سَطْوَةً ، فَبَتَرَ^(١) الله عمره ، واجتثَّ
أصله وفرعه ، وسلبه ما تحت يده^(٢) ، وأعدَّ له من عذابه وعقوبته ما استحققه
من الله بعصيته .

هذا إلى ما كان من بني مروان ، من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه ،
واتخاذ مال الله دُولاً^(٣) بينهم ، وهَدْمُ بيته ، واستحلال حرامه ، ونَصْبِهِمُ
الجانِيقَ عليه ، وَرَمْيَهُمُ إِيَّاهُ بالنيران ، لا يَأْلُونَ^(٤) له إحراقاً وإخراباً ، ولما
حرَّم الله منه استباحةً وانتهاكاً ، وَلَمَن لَّجَأَ إليه قتلاً وتنكيلاً ، وَلَمَن أَمَّنْهُ
الله به إخافةً وتشريداً ، حتى إذا حَقَّتْ عليهم كلمةُ العذاب ، واستحقَّوا من الله
الانتقامَ ، وملئوا الأرضَ بالجورِ والعُدوانِ ، وعمَّوا عبادَ الله بالظلم والافتسار^(٥) ،
وحلَّتْ عليهم السَّخَطَةُ ، ونَزَلَتْ بِهِمُ مِنَ السَّطْوَةِ ، أتاح الله لهم من
من عِترَةِ نبيه وأهل وراثته مَنْ استخلصهم منهم لخلافته ، مثل ما أتاح الله من
أَسلافهم المؤمنين ، وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين ، فسَفَكَ الله بهم
دماءَهم مرتدِّين ، كما سفك بآبائهم دماءَ آباء الكفرة المشركين ، وقطَعَ الله
دابرَ القوم الظالمين ، والحمدُ لله رب العالمين ، ومكَّن الله المستضعفين ،

(١) بتره : قطعه ، والمعنى أماته حدثاً في شرح شبابه ، فقد مات وهو ابن بضع وثلاثين سنة ،
وفي ابن أبي الحديد « فبتر » والتبتر : الكسر والإهلاك ، واجتثته : قطعه .

(٢) فقد انتقلت الخلافة بعده إلى ابنه معاوية الثاني الذي لم يلبث في الخلافة إلا أربعين يوماً ثم مات
وانتقلت الخلافة إلى البيت الرواني .

(٣) جمع : دولة بالضم ، أى متداولاً بينهم دون سائر المسلمين .

(٤) لا يألون : أى لا يقصرون .

(٥) الافتسار : القهر .

وَرَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ الْمُسْتَحْقِقِينَ ، كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » .

واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل إنما أمرَ لِيُطَاعَ ، وَمَثَلٌ لِيُتِمَّلَ ، وَحَكْمٌ لِيُقْبَلَ ، وَالزَّمَّ الْأَخْذَ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَتَّبَعَ ، وَأَنْ كَثِيرًا مِمَّنْ ضَلَّ فَالْتَوَى وَانْتَقَلَ مِنْ أَهْلِ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَاهِ ، مِمَّنْ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عز وجل : « قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ » وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا » وَقَالَ : « أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ » فَانْتَهُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ عَمَّا يُسْخِطُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَرَاجِعُوا مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ ، وَارْضُوا مِنَ اللَّهِ بِمَا اخْتَارَكُمْ ، وَالزَّمُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَجَانِبُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَاتَّبِعُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَالْحُجَّةَ الْبَيِّنَةَ ، وَالسُّبُلَ الْوَاضِحَةَ ، وَأَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ الَّذِينَ هَدَاكُمْ اللَّهُ بِهِمْ بَدِيئًا ^(١) ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِمْ مِنَ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ أَخِيرًا ، وَأَصَارَكُمْ إِلَى الْخَفْضِ وَالْأَمْنِ وَالْعِزِّ بِدَوْلَتِهِمْ ، وَشَمَلِكُمُ الصَّلَاحُ فِي أَدْيَانِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ فِي أَيَّامِهِمْ ، وَالْعَنُوا مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَفَارِقُوا مَنْ لَا تَنَالُونَ الْقُرْبَةَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بِعَفَاكَتِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنُ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَعَاوِيَةَ ابْنَهُ وَيَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَوَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنُ أُمَّةَ الْكُفْرِ ، وَقَادَةَ الضَّلَالَةِ ، وَأَعْدَاءَ الدِّينِ ، وَمُجَاهِدِي الرِّسُولِ ، وَمَغْيِرِي الْأَحْكَامِ ، وَمُبَدِّلِي الْكِتَابِ ، وَسَفَّاكِي الدِّمِ الْحَرَامِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَبَرَأُ إِلَيْكَ مِنْ مَوَالَاةِ أَعْدَائِكَ ، وَمِنْ الْإِغْمَاضِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ كَمَا قُلْتَ : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »

يَأْيِسُهَا النَّاسُ ، اعْرِفُوا الْحَقَّ تَعْرِفُوا أَهْلَهُ ، وَتَأَمَّلُوا سَبِيلَ الضَّلَالَةِ تَعْرِفُوا سَابِلَهَا ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُبَيِّنُ عَنِ النَّاسِ أَعْمَالَهُمْ ، وَيُلْحِقُهُم بِالضَّلَالِ وَالصَّلَاحِ آبَاؤُهُمْ ، فَلَا يَأْخُذُكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ . وَلَا يَحِيلَنَّ بِكُمْ عَنِ دِينِ اللَّهِ اسْتِهْوَاءُ مَنْ يَسْتَهْوِيكُمْ ، وَكَيْدٌ مِنْ يَكِيدُكُمْ ، وَطَاعَةٌ مِنْ تُخْرِجُكُمْ طَاعَتِهِ إِلَى مَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ ، بَنَاهَذَا كَيْمُ اللَّهِ ، وَنَحْنُ الْمُسْتَحْفَظُونَ فِيكُمْ أَمْرُ اللَّهِ ، وَنَحْنُ وَرَثَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَالْقَائِمُونَ بِدِينِ اللَّهِ ، فَتَقَفُوا عِنْدَ مَا تَقِفُكُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنْفُذُوا لِمَا نَأْمُرُكُمْ بِهِ ، فَإِنَّكُمْ مَا أَطَعْتُمْ خُلَفَاءَ اللَّهِ وَأَعْمَةَ الْهُدَى ، عَلَى سَبِيلِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَعِصِمُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَيَسْأَلُهُ تَوْفِيقَكُمْ ، وَيَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ فِي هِدَايَتِكُمْ لِرُشْدِكُمْ ، وَفِي حِفْظِ دِينِكُمْ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى تَلْقَوْهُ مُسْتَحَقِّينَ طَاعَتِهِ ، مُسْتَحَقِّينَ ^(١) لِرَحْمَتِهِ ، وَاللَّهُ حَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْهُ ، وَبِاللَّهِ عَلَى مَاقَلَدَهُ مِنْ أُمُورِكُمْ اسْتِعَانَتُهُ ، وَلَا حَوْلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة ٣٨٤ ^(٢) .

(تاريخ الطبري ١١ : ٣٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ٤٤٢)

(١) أي حاملين .

(٢) قال الطبري : « نخوفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة ، وأنه لا يأمن أن تكون فتنة ، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله . وقال : « وذكر أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف ابن يعقوب القاضي وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد ، فضى يوسف بن يعقوب فكلم المعتضد في ذلك ، وقال له : يا أمير المؤمنين إني أخاف أن تضطرب العامة ، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة ، فقال : إن تحركت العامة أو نطقت وضعت سيفي فيها . فقال : يا أمير المؤمنين ، فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون ويميل إليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول وماثرهم ، وفي هذا الكتاب إطراؤهم ، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل ، وكانوا هم أبسط السنة وأثبت حجة منهم اليوم ، فأمسك المعتضد فلم يرد عليه جواباً ، ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء . »

٢٥٨ - كتاب أم الشريف إلى ابن أخيها محمد

ابن أحمد بن عيسى

وفي سنة ٢٨٦ هـ أناخ المعتضد بجنده على « آمِد^(١) » ، وقد تحصَّن بها محمد بن أحمد بن عيسى ، فبثَّ المعتضدُ جيوشه حولها وحاصرها ، ووجه شُعلة ابن شهاب اليشكريّ إليه ، ليأخذ بالحجة عليه ، فسار إليه ، واتصل الخبر بأم الشريف عمّة محمد بن أحمد ، فتحدثت إليه في أمر ابن أخيها ، ثم كتبت معه إليه كتاباً لطيفاً حسناً ، أجزلت فيه الموعظة ، وأخلصت فيه النصيحة . وكتبت في آخره هذه الأبيات :

إَقْبِلْ نصيحةَ أمِّ قلبها وَجِيعُ	عليك خوفاً وإشفاقاً وَقُلْ سَدَدًا ^(٢)
وَاسْتَعْمِلِ الْفَكْرَ في قولي ، فَإِنَّكَ إِن	فَكَرَّتْ أَلْفَيْتَ في قولي لك الرِّشْدَا
وَلَا تَتَّقْ بِرِجَالٍ في قلوبِهِمْ	ضغائنٌ تُبْعَثُ الشَّنَّانَ وَالْحَسَدَا ^(٣)
مِثْلَ النَّعَاجِ تُخَوَّلُ في بيوتِهِمْ	حَتَّى إِذَا أَمِنُوا أَلْفَيْتَهُمْ أُسْدَا
وَدَاوِ ذَٰلِكَ والأدواءَ مِمَكِنَةٍ	وَإِذْ طَيِّبُكَ قَدْ أَلْقَى إِلَيْكَ يَدَا
أَعْطِ الْخَلِيفَةَ مَا يُرْضِيهِ مِنْكَ ، وَلَا	تَنْعَمْ مَالاً وَلَا أَهْلًا وَلَا وَلَدَا
وَارْدُدْ أَخَا يَشْكُرُ رَدًّا يَكُونُ لَهُ	رِدِّهَا مِنْ الشَّوْءِ ، لَا تُشْمِتْ بِهِ أَحَدَا
فَأَخَذَ شُعْلَةَ الْكِتَابِ وَسَارَ بِهِ إِلَى مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ رَمَى بِهِ إِلَيْهِ ،	

(١) آمِد : مدينة من مدن ديار بكر .

(٢) السدد والسداد : الاستقامة .

(٣) الشَّنَّانُ يسكون النول وفتحها : البغض .

ثم قال : يا أخا يشكر ، مابآراء النساء تُساس الدول ، ولا بعقولهن يساس الملك ، ارجع إلى صاحبك ، فرجع إلى المعتضد وأخبره الخبر وأراه كتاب أم الشريف فأعجبه شعرها وعقلها . (مروج الذهب ٢ : ٤٦٨)

٢٥٩ - كتاب أم الشريف إلى المعتضد

فلما عضت الحرب وجهه إلى المعتضد يطلب الأمان فأجابه إليه ، ثم وجه المعتضد شُعلة بن شهاب في طلب أم الشريف ، فلما رآته بكت وضربت بيدها على الأخرى وقالت : يا شهاب ، كَأَنِّي والله كنت أرى ما أرى ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ! فقال لها : إن أمير المؤمنين قد وجهني إليك ، وما ذاك إلا لحسن رأيٍ منه فيك ، فقالت له : فهل لك أن توصل إليه كتابي هذا بما قلت فيه ؟ قال : نعم ، فكتبت إليه بهذه الأبيات :

قل للخليفة والإمام المرتضى	رأس الخلائق من قریش الأبطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها	بعد الفساد وطالما لم تصلح ^(١)
وترحزحت بك قبة العز التي	لولاك بعد الله لم تترحزح
وأراك ربك ما تحب ، فلا ترى	مالاتحِبُّ ، فجُدْ بعفوك واصفح
يا بهجة الدنيا وبدّر ملوكها	هَبْ ظالمِي ومُفسِدِي مُصلِح

فسار بالكتاب إلى المعتضد فأعجبه الأبيات ، وأمر أن يحمل إليها نُحُوت^(٢) من الثياب وجلة من المال ، وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك ،

(١) أي من قریش التي تسكن أبطح مكة ، وهو مسيل واديه .

(٢) النحوت : جمع تحت بالفتح ، وهو وعاء تصان فيه الثياب .

وشفعها في كثير من أهلها ، ممن عَظُمَ جُرمُه ، واستحق العقوبة عليه .

(مروج الذهب ٢ : ٤٦٩)

٣٦٠ - كتاب صاحب الشامة إلى بعض عماله

ومن كتب صاحب الشامة الحسين بن زكرويه القرمطي^(١) إلى بعض عماله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الحاكم بحكم الله ، الداعي إلى كتاب الله ، الذاب عن حرم الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسامين ، ومُذِلّ المنافقين ، خليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومُبيد الملّحين ، وقاتل القاسطين^(٢) ، ومُهْلِك المفسدين ، وسراج

(١) كان داعية قرمط رجلا يسمى زكرويه بن مهرويه ، فلما تتابع من المعتضد توجيه الجيوش إلى من بسواد الكوفة من القرامطة ، وألح في طلبهم ، وأنخن فيهم القتل ، ورأى زكرويه أنه لادفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولاغناء ، سعى في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب أسد وطي وقيم وغيرهم من قبائل الأعراب ، ودعاهم إلى رأيه ، وزعم لهم أن من بالسواد من القرامطة يطاقونهم على أمره إن استجابوا له ، فلم يستجيبوا له .

وكانت جماعة من « كلب » تخفر الطريق على البر بالسماوة ، فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها ، وتحمل الرسل وأمتعة التجار على إهابها ، فأرسل زكرويه أولاده إليهم ، فبايعوهم وخالطوهم وانتموا إلى علي بن أبي طالب ، وإلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وذكروا أنهم خائفون من السلطان ، وأنهم ملجئون إليهم ، فقبأوهم على ذلك ، ثم دبوا فيهم بالدعاء إلى رأى القرامطة فلم يقبل ذلك أحد من الكلبيين إلا الفخذ المعروفة ببني العليص بن ضمضم بن عدى بن جناب وموائهم خاصة ، فبايعوا في آخر سنة ٢٨٩ بناحية السماوة ابن زكرويه المسمى يحيى ، ثم قتل في بعض الوقعات ، فنصبوا أخاه الحسين بن زكرويه ، وزعم لهم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ، وأظهر شامة في وجهه ذكر أنها آيته ، فعرف بصاحب الشامة ، وظهر على جند حمص وغيرها من أرض الشام ، وتسمى بأمرة المؤمنين على منابرهما ، وكان ذلك سنة ٢٨٩ و سنة ٢٩٠ - انظر تاريخ الطبري ١١ : ٣٧٧ .

(٢) أي الجائرين .

المُبْصِرِينَ ، وضيَاءَ الْمُسْتَضِيئِينَ ، وَمُسْتَدْتِ الْمَخَالِفِينَ ، وَالْقِيَمَ بِسُنَّةِ سَيِّدِ
الْأَرْسَالِينَ ، وَوَلَدَ خَيْرِ الْوَصِيِّينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ ، وَسَلِّمْ
كَثِيرًا ، إِلَى جَمْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَرْدِيِّ :

سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يُصَلِّيَ عَلَى جَدِّي مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَمَا بِهِدُ : فَقَدْ أَتَيْنَا إِلَيْنَا
مَا حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكَافِرَةِ ، وَمَا فَعَلُوهُ بِنَاحِيَتِكَ ، وَأَظْهَرُوهُ
مِنَ الظُّلْمِ وَالْعَيْثِ^(١) وَالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ ، فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ ، وَرَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ إِلَى
مَا هُنَاكَ مِنْ جِيُوشِنَا مَنْ يَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ يَسْمَعُونَ فِي
الْأَرْضِ فُسَادًا ، وَأَنْفِذْنَا «عُظَيْرًا» دَاعِيَتَنَا . وَجَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ
رَحْمَصَ ، وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِالْعَسَاكِرِ ، وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ ، وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْمَصِيرِ
إِلَى نَاحِيَتِكَ ، لِحُلْمَلَبِ أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا ، وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجَرِّبَنَا اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى
أَحْسَنِ عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَشُدَّ قَلْبَكَ وَقُلُوبَ مَنْ مَعَكَ
مِنَ أَوْلِيَائِنَا ، وَتَثِقَ بِاللَّهِ وَبِنَصْرِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَعُودُ دُنَاهُ فِي كُلِّ مَنْ مَرَّقَ عَنِ
الطَّاعَةِ ، وَانْحَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ ، وَتُبَادِرْ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ وَمَا يَتَجَدَّدُ فِيهَا ،
وَلَا تُخَفِّ عَنَا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا
سَلَامٌ ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى جَدِّي مُحَمَّدٍ
رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَسَلِّمْ كَثِيرًا . (تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ١١ : ٣٨٤)

٣٦١ - كتاب بعض عماله إليه

وهذه نسخة كتاب عاملٍ له إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله أحمد الإمام المهدي المنصور بالله (ثم
الصدْرُ كله على مثال صدر كتابه السابق إلى قوله : وعلى أهل بيته الطيبين
ومسلم كثير) ثم بعد ذلك :

من عامر بن عيسى العنقائي .

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : أطال الله بقاء
أمير المؤمنين ، وأدام الله عزّه وتأييده ، ونصره وسلامته ، وكرامته ونعمته
وسعادته ، وأسبغ نعمه عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وفضله لديه .

فقد كان وصل كتاب سيدي أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - يُعلمني
فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد من قوّاده إلى ناحيتنا ،
لمجاهدة أعداء الله بنى النصيص ، والختائن ابن دُحيم ، وعلمهم حيث كانوا ،
والإيقاع بهم وبأسبابهم وضياعهم ، ويأمرني - أدام الله عزّه - عند نظري
في كتابه ، بالنهوض في كلّ مَنْ قَدِرت عليه من أصحابي وعشائري ،
للقائهم ومكانفة الجيش ومعاضدتهم ، والمسير بسيرهم ، والعمد إلى كلّ
ما يؤمّنون إليه ويأمرّون به ، وفهمته ، ولم يصل إلى هذا الكتاب - أعزّ الله
أمير المؤمنين - حتى وافق الجيوش المنصورة ، فنالت طرفاً من ناحية
ابن دُحيم ، وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسرور بن أحمد الداعية ،

ليلقوه بمدينة «أفامية»^(١) ثم ورد على كتاب مسرور بن أحمد في درج^(٢) الكتاب الذي اقتضت ما فيه في صدر كتابي هذا ، يأمرني فيه بجمع من تهيأ من أصحابي وعشيرتي ، والنهوض إلى ما قبله ، ويحذرنى التخلف عنه ، وكان ورود كتابه على وقت صبح عندنا نزول المارق سُبُك عَبْد مُفْلِح مدينة «عِرقة»^(٣) في زهاء ألف رجل ، ما بين فارس وراجل ، وقد شارف بلدنا ، وأطل على ناحيتنا ، وقد وجه أحمد بن الوايد عبد أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - إلى جميع أصحابه ، ووجهت إلى جميع أصحابي ، فجمعناهم إلينا ، ووجهنا العيون إلى ناحية «عِرقة» لنعرف أخبار هذا الخائن ، وأين يريد ؟ فيكون قصدنا ذلك الوجه ، ونرجو أن يُظفر الله به ، ويُمكن منه ، بمنه وقدرته ، ولولا هذا الحادث ، ونزول هذا المارق في هذه الناحية ، وإشرافه على بلدنا ، لما تأخرت في جماعة أصحابي عن النهوض إلى مدينة «أفامية» لتكون يدي مع أيدي القواد المقيمين بها ، لمجاهدة من بتلك الناحية ، حتى يحكمكم الله يديننا وهو خير الحاكمين ، وأعلمت سيدي أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - السبب في تخلفي عن مسرور بن أحمد ، ليكون على علم منه ، ثم إن أمرني - أدام الله عزه - بالنفوذ إلى «أفامية» ، كان نفوذي برأيه ، وامتثلت ما يأمرني به إن شاء الله ، أتم الله على أمير المؤمنين نعمه ، وأدام

(١) أفامية : مدينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص .

(٢) درج الكتاب : طيه وداخله ، يقال في درج الكتاب كذا وكذا .

(٣) عِرقة : بلدة في شرقي طرابلس الشام ، بينهما أربعة فراسخ . وهي آخر عمل دمشق ، في

عزه وسلامته ، وهنأه كرامته ، وألبسته عفوه وحافيته ، والسلام على
أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد
النبي وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار» . (تاريخ الطبري ١١ : ٣٨٤)

٣٦٢ - كتاب محمد بن سليمان الكاتب إلى القاسم بن عبيد الله

وفي سنة ٢٩١ هـ وجه القاسم^(١) بن عبيد الله وزير المكتفى بالله^(٢) ، محمد
ابن سليمان الكاتب - وكان إليه ديوان الجيش - وضم جميع القواد إليه
لناهضة ذى الشامة وأصحابه ، فالتقوا به قرب « حمة » ، وهزم أصحاب
القرمطي وقتلوا ، وأسر من رجالهم بشر كثير ، وتفرق الباقيون في البوادي .
وكتب محمد بن سليمان إلى الوزير بالفتح :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قد تقدمت كتبتي إلى الوزير - أعزه الله -
في خبر القرمطي اللعين وأشياعه ، بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله » .
(تاريخ الطبري ١١ : ٣٨٦)

٣٦٣ - كتاب ابن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله

وكتب عبد الله بن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله يعتذر .
« ترفع - أعزك الله - عن ظلمي إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعمو عني إن

(١) استوزره المعتض بعد وفاة أبيه عبيد الله بن سليمان بن وهب سنة ٢٨٨ ، انظر خبره في
الفخرى ص ٢٣٢ ، ومروج الذهب .

(٢) هو أبو محمد علي بن المعتض ، ولي الخلافة بعد موت أبيه سنة ٢٨٩ ، وتوفي سنة ٢٩٥ .

كنتُ مسيئاً ، فواللهِ إني لأطلبُ غفرَ ذنبٍ لم أجُنِّه ، وألتمسُ الإقالةَ مما لا أعرفُه ، لتزدادَ تطوُّلاً ، وأزدادَ تدلُّلاً ، وأنا أعيذُ حالي عندك بكرمك من وَّاشٍ يَكِيدُها ، وأحرُسُها بوفائِكَ من باغٍ يحاولُ إفسادها ، وأسألُ اللهَ تعالى أن يجعلَ حظِّي منك بقدرِ ودِّي لك ، ومحلي من رجائك بحيث أستحقُّ منك .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٨ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٢)

٢٦٤ - كتاب ابن المعتز إلى القاسم

وله إليه :

« لو كان في الصَّمتِ موضعٌ يَسْمَعُ حالي ، لخَفَّفْتُ عن سَمْعِ الوَزيزِ ونَظَرِهِ ، ولم أَشْغَلْ وجهها من فِكْرِهِ ، وما زالت الشكوى تُعْرِبُ عن لسانِ البُلوى ، ومن اختَلَّتْ حالته ، كان في الصمتِ هَلَكته ، وقد كان الصبرُ ينصرني على سِتْرِ أَمْرِي حتَّى خَذَلَنِي . » (زهر الآداب ١ : ٢٠٨)

٢٦٥ - كتابه إلى بعض الرؤساء

وله إلى بعض الرؤساء :

« لا تَشِنْ حُسْنَ الظَّفَرِ بِقُبْحِ الانتقام ، وتجاوزَ عن مُذنبٍ لم يَسْلُكْ بإقرارٍ طريقاً ، حتَّى اتَّخِذَ من رجاء عفوِكَ رفيقاً . »

(زهر الآداب ١ : ٢٠٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٣٦٦ - كتابه إلى عليل

وكتب إلى عليل .

« أَذِنَ اللَّهُ فِي شِفَائِكَ ، وَتَلَقَّى دَاعَكَ بِدَوَائِكَ ، وَمَسَّحَ بِيَدِ الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ ،
وَوَجَّهَ وَافِدَ السَّلَامَةِ إِلَيْكَ ، وَجَمَلَ عِلَّتَكَ مَا حِيَةً لَذُنُوبِكَ ، مَضَاعِفَةً لثَوَابِكَ . »
(زهر الآداب ١ : ٢٠٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

٣٦٧ - كتاب ابن المعتز إلى بعض الوزراء

وكتب إلى بعض الوزراء :

« مَا زَالَ الْحَاسِدُ لَنَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ يَنْصِبُ الْخُبَائِلَ ، وَيَطْلُبُ الْغَوَائِلَ ،
حَتَّى اتَّهَزَ فِرْصَتَهُ ، وَأَبْلَغَكَ شَيْئًا زَخْرَفَهُ ، وَكَذَّبَا زَوْرَهُ ، وَكَيْفَ الْإِحْتِرَاسُ
مِمَّنْ أَحْضَرُوهُ وَيَغِيبُ ؟ وَيَقُولُ وَأُمْسِكْ ؟ مَرَّتَصِدٌ لَا يَغْفُلُ ، وَمَا كَرُّ لَا يَفْتُرُ ،
وَرَبْعًا اسْتَنْصَحَ الْغَاشُّ ، وَصُدِّقَ الْكَاذِبُ ، وَالْحُظُوءَةُ لَا تُدْرِكُ بِالْحِيلَةِ ، وَلَا
يَجْرِي أَكْثَرُهَا عَلَى حَسَبِ السَّبَبِ وَالْوَسِيلَةِ . »

٣٦٨ - رده عليه

فأجابه :

« حَصُولُ الثِّقَةِ بِكَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - يُغْنِي عَنْ حَضُورِكَ ، وَصَدَقُ حَالَتُكَ
يَحْتَاجُ عَنْكَ ، وَمَا تَقَرَّرَ عِنْدَنَا مِنْ نَيْتِكَ وَطَوِيلَتِكَ يُغْنِي عَنْ اعْتِدَارِكَ . »
(زهر الآداب ٣ : ٢٠٤)

٢٦٩ - كتاب قينة إلى ابن المعتز

قال أبو العباس بن المعتز: كان لنا مجلس حظّ ، أرسلتُ بسببه غادمةً إلى قينة^(١) ، فأجابت ، فلما مرت في الطريق وجدت فيه حارساً حرامياً^(٢) ، فرجعت ، فأرسلتُ أعاتبها . فكتبتُ إلى :

« لم أتخلف عن المسير إلى سيدي في عشتي أمس ، لأرى وجهه المبارك ، وأجيب دعاءه . إلا لعلّ قد عرفتُها فلانة ، ثم خفتُ أن يسبق إلى قلبه الطاهر أني قد تخلفتُ بغير عذر ، فأحببتُ أن تقرأ عذري بخطي ، ووالله ما أقدرُ على الحركة ، ولا شيء أسرُّ إلى من رؤيتك والجلوس بين يديك ، وأنت يامولاي جاهي وسندي ، لا فقدت سندي ، ورأيتك في بسط العذر مؤقفاً » وكتبت في أسفل الكتاب .

أليس من الحرمان حظُّ سلبته وأحوجني فيه البلاء إلى العذر؟
فصبراً ، فما هذا بأوّل حادثٍ رمّتي به الأقدار من حيث لا أدري

٢٧٠ - رده عليها

فأجبتها:

« كيف أردُّ عذر من لا تتسلط التهمة عليه ، ولا تهدي الموجدة^(٣) إليه ،

(١) القينة : الجارية المغنية أو أعم .

(٢) نسبة إلى حرام : وهي قبيلة من بني سليم ، وقبيلة من بني سعد بن بكر .

(٣) الموجدة : الغضب .

وكيف أعلمه قبول المعاذير ، ولا آمنُ بعضَ جواهره إلى يسيرٍ إلى انتهاء فرصة فيما عاد إلى الفرطة^(١) ، فإن سلمتُ من ذلك ، فمن يجبرني من تواكله على تقديم العذر ، ووقوعه موقع التصديق في كل وقت ، فتتصل أيام الشغل والملة ، وتنقضي أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة الغيبة ، وتدرس آثار المودة » وكتبت آخر الرقعة .

إذا غبت لم تعرف مكانى لذة ولم يلق نفسى طوفا وسرورها
وبدلت سمعا واهيا غير مسك لقول ، وعينا لا يرانى ضميرها
(زهر الآداب ٣ : ٢٠٣)

٢٧١ - كتاب ابن المعتز إلى بعض إخوانه

يصف سر من رأى

وكتب عبد الله بن المعتز إلى بعض إخوانه يصف سر من رأى ،
ويذكر خرابها ، ويذم بغداد وأهلها ، ويفضل سامرا^(٢) :

« كتبت إليك من بلدة قد أنهض^(٣) الدهر سكانها ، وأقعد جدرانها ،
فشاهد اليأس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، فكان عمرانها يطوى ،
وكان خرابها ينشر ، وقد وكلت إلى المهجر نواحيها ، واستحيث باقيها
إلى فانيها ، وقد تمزقت بأهلها الديار ، فما يجب فيها حق جوار ، فالظاعن^(٤) »

(١) الفرطة : اسم للخروج والتقدم ومجازة الحد .

(٢) لغة في سر من رأى ، وقد قدسنا كلمة هنا في ص ١٥٠ .

(٣) أى أنهضهم للرحيل .

(٤) أى المسافر الراحل .

منها تَمْحُو الْأَثَرَ ، والمقيمُ بها على طَرْفِ سَفَرٍ ، نهارُهُ إِزْجَافٌ ^(١) ، وسروره
أحلام ، ليس له زاد فيَرْحَلَ ، ولا مرعى فيرتَعَ ، فخالها تصيف للديون
الشكوى ، وتُشير إلى ذم الدنيا ، بعد ما كانت بالمرأى القريبِ جَنَّةَ
الأرض ، وقرار الملك ، تَفِيضُ بالجنود أقطارُها ، عليهم أرديةُ السيوف ،
وغلائل ^(٢) الحديد ، كأن رماحهم قُرُونُ الوُؤُولِ ، ودروعهم زبدُ السُّيُولِ ،
على خيل تأكل الأرضَ بجوافرها ، وتمُدُّ بالنَّقْعِ ^(٣) مُرَادِقَهَا ، قد نُشِرَتْ
في وجوهها غُرَرٌ ^(٤) كأنها صحائفُ البرق ، وأمسكها تحجِيلٌ كأنه أسورةُ
اللَّجَيْنِ ، وقرطٌ ^(٥) عذراً كالشنوف ، في جيش يتلقفُ الأعداءَ أرائلهُ ،
ولم تنهض أواخرُهُ ، وقد صُبَّ عليه وقارُ الصبر ، وهبَّتْ له روائحُ النصر ،
يصرِّفه مَلِكٌ يملأُ العيونَ جمالاً والقلوبَ جلالاً ، لا تُخْلِفُ نَحِيَّتُهُ ^(٦) ،
ولا تُنْقِضُ مَرِيرَتُهُ ، ولا يُخْطِئُ بسهمِ الرأى غَرَضَ الصواب ، ولا يَقْطَعُ
بمطايا اللهو سَفَرَ الشَّبَابِ ، قابضاً بيد السياسة على قِطَارٍ ^(٧) مُلْكٌ لا ينتشر
حَبْلُهُ ، ولا تَقْشَطِي عصاه ، ولا تُطْفَأُ جمرته ، في سِنِّ شبابٍ لم يَجْنِ مأثماً ،

(١) أرجفوا : خاضوا في أخبار الفتن ونحوها .

(٢) الغلائل جمع غلالة بالكسر : وهي الشعار الذي يلبس تحت الثياب مما يلي الجسد ، والوعول

جمع وعل كشمس وكنف : وهو نيس الجبل .

(٣) النقع : الغبار .

(٤) الغر جمع غرة بالضم : وهي بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم ، والتحجيل : بياض في قوائم

الفرس ، واللجين : الفضة .

(٥) العذر جمع عذار ككتاب : وهو من اللجام ماسال على خد الفرس : وقرط الجارية :

ألبسها القرط ، والشنوف جمع شنف بالفتح : وهو القرط الأعلى .

(٦) الخيلة : الظن ، والمريرة : العزيمة .

(٧) القطار في الأصل : أن تقطر الإبل بعضها إلى بعض على نسق واحد ، وتشطى العود : تطاير

شظايا جمع شظية كغنية : وهي الفلقة (بالكسر) من العصا ونحوها .

وَشَيْبٌ لَمْ يُرَاهِقْ^(١) هَرَمًا ، قَدْ فَرَشَ مِهَادَ عَدْلِهِ ، وَخَفَضَ جَنَاحَ رَحْمَتِهِ ،
رَاجِمًا بِالْعَوَاقِبِ الظُّنُونِ ، لَا يَطِيشُ ، عَنْ قَلْبِ فَاضِلِ الْحَزْمِ ، بِمِيدِ الْعَزْمِ ،
سَاعِيًا عَلَى الْحَقِّ يَعْمَلُ بِهِ ، عَارِفًا بَأَنَّهُ يَقْصِدُ إِلَيْهِ ، مُقَرًّا لِلْحِلْمِ وَيُبْذُلُهُ ، قَادِرًا
عَلَى الْعِقَابِ وَيَمْدُلُ فِيهِ ، إِذِ النَّاسُ فِي دَهْرٍ غَافِلٍ ، قَدْ أَطْمَأْنَنْتَ بِهِمْ سِيرَةً^(٢)
لَيْسَتْ بِالْحَوَاشِي ، خَشِيتُ الْمَرَامَ ، تَطَايُرُهَا أَجْنَحَةُ السَّرُورِ ، وَيَهْبُ فِيهَا نَسِيمُ
الْحُبُورِ^(٣) ، فَالْأَطْرَافُ عَلَى مَسَرَّةٍ ، وَالنَّظَرُ إِلَى مَبْرَّةٍ ، قَبْلَ أَنْ تَحْبُ^(٤) طَيَايَا الْغَيْرِ ،
وَتُسْفِرَ وَجْهَهُ الْخَذَرُ ، وَمَا زَالَ الدَّهْرُ مَلِئًا بِالنَّوَائِبِ ، طَارِقًا بِالْمَجَائِبِ ،
يَوْمَ مَنْ يَوْمُهُ ، وَيَعْدِرُ غَدُهُ .

عَلَى أَنَّهَا - وَإِنْ جُفِيتْ - مَعْشُوقَةُ السُّكْنَى ، حَبِيبَةُ الْمَثْوَى^(٥) ، وَكَبْهًا
يَقْظَانُ ، وَجَوْهَا عُرْيَانُ^(٦) ، وَحَصْبَاؤُهَا جَوْهَرٌ ، وَنَسِيمُهَا مُعْطَرٌ ، وَتَرَابُهَا
مِسْكٌ أَذْفَرُ^(٧) ، وَيَوْمُهَا غَدَاةٌ ، وَلَيْلُهَا سَحَرٌ ، وَطَعَامُهَا هَنِيءٌ ، وَشَرَابُهَا مَرِيءٌ ،
وَتَاجِرُهَا مَالِكٌ ، وَفَقِيرُهَا فَانِكٌ^(٨) ، لَا كِبْدَادِيكُمْ الْوَسِخَةُ السَّمَاءُ ، الْوَمِدَةُ^(٩)
الْهَوَاءُ ، جَوْهَا نَارٌ ، وَأَرْضُهَا خَبَارٌ^(١٠) ، وَمَوَاطُهَا حَمِيمٌ ، وَتَرَابُهَا سِرْجِينٌ ،

(١) أى ولم يقارب الهرم والشيوخوخة ، يقال : دخل مكة مراهقاً : أى مقارباً لآخر الوقت حتى كاد يفوته التعريف ، وراهق الغلام : قارب الحلم .

(٢) السيرة بالكسر : اسم من السير أى الذهاب .

(٣) الحبور : السرور .

(٤) الحب بالتحريك : ضرب من العدو وإبه رد ، وسفرت المرأة كضرب : كشفت عن وجهها .

(٥) المثوى : المنزل .

(٦) أى صحو خلو من الغيوم .

(٧) مسك أذفر وذفر كفرج : جيد إلى الغاية ، من الذفر بالتحريك : وهو شدة ذكاء الريح ، والغداة : البكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

(٨) فنك بالمكان كفسر : أقام به ، أى أنه لا يرحل عنها إلى سواها ، إذ يجد بها ما يسد عوزها .

(٩) الومد بالتحريك : أن تسكن الريح مع شدة الحر .

(١٠) الخبار : ملان من الأرض واسترخى ، والخبي : الماء الحار ، وفى رواية « ومواطها طين »

والسرجين والسرقتين بكسرهما : الزيل .

وحيطانها تُرْوَز^(١) ، وتشرينها تُمُوز ، فكم من شمسها من محترق ، وفي ظلها من غرق ، ضيقة الديار ، قاسية الجوار ، ساطعة الدخان ، قليلة الضيفان ، أهلها ذئاب ، وكلامهم سباب ، وسائلهم محروم ، ومالههم مكتوم ، لا يجوز إنفاقه ، ولا يحل خناقه^(٢) ، حشوشهم مسايل ، طرقهم زایل ، وحيطانهم أخصاص ، ويوتهم أقفاص ، ولكل مكروه أجل ، وللبقاع ذول ، والدهر يسير بالمقيم ، ويمزج البؤس بالنعيم ، وبعد اللجاجة انتهاء . واللهم إلى فرجة ، ولكل سائلة قرار ، وبالله أستعين . وهو المحمود على كل حال .

غَدَتْ سُرْمَنُ رَا فِي الْعَفَاء ، فIALHA

« قَفَانَبُكْ مِنْ ذَكْرِي حَبِيب وَمَنْزِل^(٣) »

وَأَصْبَحَ أَهْلُهَا شَبِيهَا بِحَالِهَا « لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ^(٤) »

إِذَا مَا أَرَوْهُ مِنْهُمْ شَكَا سَوَاءَ حَالِهِ « يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجْمَلِ »

(معجم البلدان ٥ : ١٨ و ٢ : ٢٤١ وزهر الآداب ١ : ٢٠٧)

(١) النز بالفتح ويكسر : ما يجلب من الأرض من الماء ، وتشرين وتموز : شهران من الشهور الرومية ، وتشرين من أشهر البرد (يتبدى تشرين الثاني من ١٤ نوفمبر) وتموز من أشهر الحر (يتبدى من ١٤ يوليو) .

(٢) الخناق : الحبل ينحق به ، والحشوش جمع حش مثل الحاء : وهو السكين وموضع قضاء الحاجة .

(٣) الأشطار الثانية في الأبيات الثلاثة مقتبسة من معلقة امرئ القيس المشهورة ، والعفاء : الدروس والاحياء .

(٤) الشمال : ربيع الشمال .

٢٧٢ - كتاب ابن المعتز إلى أحمد بن سعيد الدمشقي

وكتب ابن المعتز إلى أحمد^(١) بن سعيد الدمشقي جواباً عن كتاب استزاده فيه :

« قِيدُ نَعْمَتِي عِنْدَكَ بِمِثْلِ مَا كُنْتَ اسْتَدْعَيْتَهَا بِهِ ، وَذُبَّ عَنْهَا أَسْبَابُ سُوءِ الظَّنِّ ، وَاسْتَدِمُّ مَا تَحِبُّ مِنِّي بِمَا أَحِبُّ مِنْكَ » .

(معجم الأدباء ٣ : ٤٩ وزهر الآداب ٢ : ١٨١)

٢٧٣ - كتاب آخر إليه

وكتب إليه جواباً عن اعتذار كان من الدمشقي ، في شيء بلغ ابن المعتز عنه :

« وَاللَّهِ لَا قَابِلَ إِحْسَانِكَ مِنِّي كُفْرٌ ، وَلَا تَبِعَ إِحْسَانِي إِلَيْكَ مَنْ ، فَلَكَ عِنْدِي يَدٌ لَا أَقْبِضُهَا عَنْ نَفْعِكَ ، وَأُخْرَى لَا أَبْسُطُهَا إِلَى ظُلْمِكَ ، فَتَجَنَّبَ مَا يُسْخِطُنِي ، فَإِنِّي أَصُونُ وَجْهَكَ عَنْ ذُلِّ الْعِذَارِ » .

(معجم الأدباء ٣ : ٤٩ وزهر الآداب ٢ : ١٨١)

٢٧٤ - كتاب إلى عبد الله بن شبيب من صديق له

وحدث عبد الله بن شبيب قال : كتب إلى بعض إخواني من البصرة - وقد تأخر كتابي عنه - كتاباً أوجز فيه ، وملح :

« أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ كَمَا أَطَالَ جَفَاءَكَ ، وَجَعَلَنِي فِدَاءَكَ إِنِّ كَانَ فِي فِدَاؤِكَ :

(١) كان مؤدب ولد المعتز ، واختص بعبد الله بن المعتز ، مات سنة ٣٠٦ ، انظر ترجمته في معجم الأدباء ٣ : ٤٦ ، وفي زهر الآداب « أحمد بن محمد » وهو تحريف .

كُتِبَتْ وَلَوْ قَدَّرْتُ هَوًى وَشَوْقًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الْكِتَابِ^(١) .
(أدب الكتاب ص ١٥٣)

٢٧٥ - كتاب إلى محمد بن طيفور من بعض إخوانه

وورد على محمد بن طيفور ، وهو عامل على أصفهان كتاب من بعض إخوانه في شأن رجل استماحه له في منزلة :

« أنت - أعزك الله تعالى - أجلُّ من أن يُتوسَّلَ بغيرك إليكَ ، وأن يستماحَ جودُكَ إلا بك ، غيرَ أني أذكرك بكتابي في أمرٍ حامِله ما شرَّعَ كرمُكَ ، وزرعَ إحسانِكَ ، من الأجرِ قبلَ الصادرين والواردين ، فهناكَ اللهُ تعالى ذلك ، ولا زالت يدُ اللهِ بجميلِ إحسانه ونعمته متواترةً عليك » .

فقال محمد للرجل : احتكم لك وله ، فأخذ منه ألف دينار ولمن كتب إليه فيها مثلها . (زهر الآداب ٣ : ٢٩٦)

٢٧٦ - كتاب إلى محمد بن طيفور من بعض خاصته

وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بمال كثير وصلَّه به ، فكتب الرجل إليه :

« قد استغرقتُ نعمتُكَ وجوّهَ الشكر لك ، وغرَّرتُ الحمد فيما سَلَفَ ، ولولا فرطُ عجزٍ مِن عَجَزَ عَنْ كُفِّ مَا يَجِبُ لَكَ مِنَ الْحَمْدِ ، لَقَبَلْتُ مَا أَنْفَذْتَهُ » .

٢٧٧ - رده عليه

فكتب إليه محمد :

« قد صَغُرَ شُكْرُ لَنَا مَا أَسْلَفْنَاهُ إِلَيْكَ ، نَحْذُ مَا أَنْفَضْنَاهُ ، ثَوَابًا عَنْ
مَعْرِفَتِكَ بِشُكْرِ مَا أَسْدَيْنَاهُ ، وَإِلَّا سَمَحَ شُكْرُكَ بِمَا رَأَيْنَاكَ لَهُ أَهْلًا ، إِلَى أَنْ
يَسَعَ قَبُولُ مِثْلِكَ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ جَمِيلُ الدُّعَاءِ ، وَجَزِيلُ الشُّنَاءِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
(زهر الآداب ٣ : ٢٩٧)

٢٧٨ - كتاب صاحب البريد بالدينور

قال الطبري : وفي سنة ٣٠٠ هـ ورد كتاب صاحب البريد بالدينور^(١)
يذكر أن بغلة هناك وضعت فُلُوَّةً^(٢) ، ونسخة كتابه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَوْضِعِ بِعَبْرَةِ قُلُوبِ الْغَافِلِينَ ، وَالْمُرْشِدِ
بِآيَاتِهِ أَلْبَابَ الْعَارِفِينَ ، الْخَالِقِ لِمَا يَشَاءُ بِلَا مِثَالٍ ، ذَلِكَ اللَّهُ الْبَارِئُ الْمَصُورُ
فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ ، وَإِنْ الْمَوْكَلُ بِخَبَرِ التَّطَوُّافِ بِقَرْمَاسِينَ رَفَعَ يَدَهُ أَنْ
بَغْلَةً لِرَجُلٍ يُعْرِفُ بِأَبِي بُرْدَةَ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمُرِّيِّ وَضَعَتْ فُلُوَّةً ،
وَيَصِفُ اجْتِمَاعَ النَّاسِ لَذَلِكَ ، وَتَعْجُبُهُمْ لِمَا عَايَنُوا مِنْهُ ، فَوَجَّهَتْ مِنْ أَحْضَرَنِي
الْبَغْلَةَ وَالْفُلُوَّةَ ، فَوَجَدَتْ الْبَغْلَةَ كَمْتَاءً^(٣) خُلُوقِيَّةً ، وَالْفُلُوَّةَ مَسْوِيَّةً

(١) دينور : مدينة من أعمال الجبل بفارس ، بقرب قرماسين .

(٢) الفلوة بالكسر وكعدو وسمو : المهر .

(٣) الكمة بالضم : لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل والابل وغيرهما ، والكيت من
الخيل كزبير يستوى فيه الذكر والمؤنث ، قال في اللسان : والجمع كمت بالضم كسروه على مكبره التوهم
وإن لم يلفظ به ، لأن الملوثة يغلب عليها هذا البناء الأحمر والأشقر ، قال طفيل :

الخلق^(١) ، تامة الأعضاء ، مُنسدلة الذنب ، سبحان الملك القدوس ،
لأُمُتَقَّبِ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » .

(تاريخ الطبري ١٢ : ٢١)

٢٧٩ - كتاب علي بن الفرات عن المقتدر في المواريث

وفي سنة ٣١١ مات أحمد بن محمد بن خالد الكاتب - وكان من مشايخ
الكتاب ورؤسائهم - وخلف ورثة أحداثا ، فأُنْهِيَ^(٢) كثرة ماخلف
من المال إلى المقتدر^(٣) ، فأمر بالتوكيل بخزائنه وداره ، فسار بعض الورثة
إلى الحسن بن علي بن الفرات ، وضمنوا له مالا ، على إزالة التوكيل وحلّ
الاعتقال ، فكلم الحسن أباه في ذلك (وكان أبوه وزير^(٤) المقتدر) فركب إلى
المقتدر فقال له : إن المعتضد والمكتفي قد كَانَا قَطْعَا الدخول على الناس في
المواريث ، وأنا أرى لمولاي أن يُخَيَّرَ رسومهما ، وأنت يأمر بإثبات عهد
الآل يُتَعَرَّضُ لأحد في ميراث ، فأجابه المقتدر إلى ذلك ، إذ ظن أنها نصيحة
منه ، فسأمت الدار إلى ورثة الكاتب ، وأنشأ ابن الفرات كتابا عن
المقتدر ، نسخته :

وكتا مدماة كأت متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب
والخلقية : نسبة إلى الخلق كصبور : طيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه
الحمرة والصفرة ، والمعنى : تشبه الخلق في لونه .

(١) أي مستوية الخلق معتدلة .

(٢) أنهى الشيء : أبغاه .

(٣) ولى أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد خلافة سنة ٢٩٥ وقتل سنة ٣٢٠ .

(٤) وزير أبو الحسن علي بن الفرات المقتدر ثلاث مرات وقتل سنة ٣١٢ - انظر ترجمته في الفخرى

ص ٢٣٩ وتاريخ الطبري ١٢ : ٢٠ .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أما بعدُ ، فإن أمير المؤمنين المقتدر بالله يُؤثر في الأمور كلها ما قرَّبه من الله عز وجل ، واجتَلَبَ له جزيلَ مَثُوبَةٍ ، وواسِعَ رحمته وحَسَنَتَه ، العائدة على كافَّة رعيته ، كما جعل الله في طبعه ، وأولجَ في بيته ، من التعطف عليها ، وإيصالِ المنافع إليها ، وإبطالِ رسوم الجور التي كانت تُعاملُ بها ، جاريًا مع أحكام الكتاب والسنة ، عاملاً بالآثار عن الأفاضل من الأئمة ، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين ، وإليه يفوض ، وبه يستعين » . (تاريخ الطبري ١٢ : ٦٠)

٢٨٠ - كتاب الوزير ابن مقلة إلى القواد والعمال

ومن حوادث سنة ٣١٨ الإيقاع بجند الرِّجَالَةِ المَصَافِيَّةِ ^(١) ببغداد ، وقد كتب الوزير محمد بن علي بن مُقْلَةَ فيهم بعد قهرهم نسخة أنفذت إلى القواد والعمال ، وهي :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قد جرى - أعزك الله - من أمر لِرَجَالَةِ المَصَافِيَّةِ بالحُضرة ما قد اتصل بك ، وعرفتُ جملته وتفصيله ، وجهته وسبيله ، وقد خار الله عز وجل لسيدنا أمير المؤمنين وللناس بعده ، بما تهماً من قمعهم وردتهم ، خيرة ظاهرة متصلة بالكفاية الشاملة التامة ، بمن الله

(١) نسبة إلى المصاف جمع مصف : وهو الموقف في الحرب الذي يكون فيه الصفوف ، وقد كان هؤلاء الرجال في صفوف حرس الخلافة ، وتدلل قوادهم على الخليفة وعلى الوزير حتى كان لا يقدر أن يجنب عن واحد منهم في أي وقت جاء من ليل أو نهار ، ولا يرد عن حاجة كائنة ما كانت ، وتحكموا على القضاة ، وطلبوهم بحل الجاسات وإخراج الوقوف من أيديهم ، واكنفوا الجنادة ، وعطوا الأحكام ، واستطالوا على المسلمين .

وفضله ، ولم يرَ سيدنا - أيده الله - استصلاحَ أحد من هذه المصيبة إلا
السودان ، فإنهم كانوا أخفَّ جنايةً ، وأيسرَ جريرةً ، فرأى - أعلى الله
رأيه - إقرارهم على أرزاقهم القديمة ، وتصفيتهم بالعرض على المحنة ، لعله
أن المساكر لا بد لها من رجالة ، وأمر - أعلى الله أمره - أن يستخدم
بحضرة من تؤمن بآفته ، وتخف مؤنته ، وترجى استقامته ، وبالله ثقة
أمير المؤمنين وتوفيته ، وقبلك وقبل مثلك رجالة أنت أعلم بمن مرصت
طاعته منهم ، ومن يعود إلى صحة وصلاح ، فإن قنع من رضاه منهم بأصل
الجاري عليه ، فتمسك به ، وأقره على جاريه ، ومن رأيت الاستبدال به
فأمره إليك ، والله المستعان » . (تاريخ الطبري ١٢ : ٧٧)

٢٨١ - كتاب أحمد بن الضحاك إلى صديق له

يصف شعب بوان

وكتب أحمد بن الضحاك^(١) الفلكي إلى صديق له يصف
شعب بوان^(٢) :

« بسم الله الرحمن الرحيم : كتبت إليك من شعب بوان ، وله عندي

(١) جاء في تاريخ بغداد ج ٤ : س ٢١١ : « حدثنا أبو عبد الله أحمد بن الضحاك الواسطي
ببغداد سنة ٣١١ ... الخ » وربما كان هو صاحب هذا الكتاب .

(٢) شعب بوان : بأرض فارس بين أرجان والنوبندجان ، وهو أحد متزهات الدنيا ، موصوف
بالحسن وكثرة الأشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الأطيوار ، وقد وصفه المتنبي في قصيدته التي مطلعها :

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

(انظر ديوان المتنبي س ٦٣ : ، ومعجم البلدان ٢ : ٢٩٨) .

يدُ يعضاء مذكورة ، ومنّة غراء مشهورة ، بما أولانيه من منظر أعدي^(١)
 على الأحزان ، وأقال من صروف الزمان ، وسرح طرقي في جداول تطرد بماء
 معيني^(٢) منسكب ، أرق من دموع العشاق ، مررتها لوعة الفراق ، وأبرد
 من ثغور الأحباب ، عند الالتام والاكتماب ، كأنها - حين جرى آذيها^(٣)
 يترقرق ، وتدافع تيارها يتدفق ، وارتجح حبابها يتكسر ، في خلال زهر
 ورياض ترنو^(٤) بحديق موله - قُضِب^(٥) لجين في صفائح عقيان ، ومُموط
 در بين زبرجد ومرجان ، أثر على حكمة صانعه شهيد ، وعلم على لطف
 خالقه دليل ، إلى ظل سجسج أخوي ، وخضيل ألمي^(٦) ، قد غنت عليه أغصان
 فينانة ، وقُضِب غيدانه^(٧) ، تشورت لها القدود المهفهفة خجلا ، وتقيلتها^(٨)
 الخصور المرفهة تشبها ، يستقيدها النسيم فتتقاد ، ويعديل بها فتتعديل ، فمن

(١) أعداء عليه : نصره وأعان وقواه .

(٢) تطرد : تجري ، والعين : الماء الجاري على وجه الأرض . من من الماء ككرم ومنع :
 أي جرى ، أو من عان الماء بعين : أي جرى أيضا .

(٣) الآذي : الموج ، وحباب الماء : الفقاع التي تطفو فوقه كأنها القوارير .

(٤) رنا : أدام النظر ، والموله : الداهب العقل وفي الأصل « تولد » .

(٥) في الأصل « نصب » وهو تصحيف ، واللجين : الفضة ، والعقيان : الذهب ، ومموط جمع ممط
 بالسكسر : وهو القلادة .

(٦) أرض سجسج : ليست بصلبة ولا سهلة ، ويوم سجسج : لآخر مؤذ ولا فر ، وكل هواء
 معتدل طيب : سجسج ، وأحوى : وصف من الحوة بالضم : وهي سواد إلى الخضرة ، أو حرة إلى
 السواد ، والحضل : كل شيء ند يترشف نداء ، وألمى : وصف من ألمى ، وألمى مثلثة اللام : سيرة
 في الشفة .

(٧) امرأة فينانة : كثيرة الشعر طويته ، والفيد بالتحريك : النعومة ولين الأعطاف ، والوصف
 منه على أفعال فعلا ، فالأغيد من النبات : الناعم المثني ، والغيداء : المرأة المثنية من اللين ، وقد جاء
 بالوصف منه هنا على فعلا ، ولم أجده في كتب اللغة .

(٨) تشورت : خجلت ، يقال : شورت الرجل وبالرجل فتشور . إذا خجلته فحجل ، وجارية
 مهفهفة : أي ضامرة البطن دقيقة الخصر ، وتقيلتها : أشبهه ، والمرفهة : الرقيقة اللطيفة .

متورّد يروق منظره ، ومُرْتَجّ يَهْدَل مُثْمِرُه ، مشتركة فيه مُهْرَةٌ نُضِجَ
الثمار بنفحة^(١) نسيم النّوّار .

وقد أقتُ به يوماً وأنا لخِيالِكَ مُسامِرٌ ، ولشَوْقِكَ منادِمٌ ، وشربت لك
تذكّاراً ، وإذا تفضّل الله بإتمام السلامة إلى أن أوافي شيراز ، كتبتُ إليك
من خبري بما تَقِف عليه إن شاء الله تعالى . (معجم البلدان ٢ : ٢٩٩)

٢٨٢ - كتاب عن الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم

وكتب الإخشيد^(٢) محمد بن طُغْج صاحب الديار المصرية ، ومأمعها من
البلاد الشاميّة ، والأعمال الحجازيّة ، إلى أرمانوس ملك الروم ، وقد أرسل
أرمانوسُ إليه كتاباً يذكر من جملة ما أنّه كاتبه وإن لم تكن عاداته أن يكتُبَ
إلا الخليفةَ ، فأصر بكتابة جوابه ، فكتب له الكتابُ عدة أجوبة ،
ورفموا نُسخها إليه ، فلم يرتض منها إلا ما كتبه إبراهيم بن عبد الله
التَّجِيرِي^(٣) - وكان عالماً بوجوه الكتابة - ونسخته :

« من محمد بن طُغْج مَوْلى أمير المؤمنين إلى أرمانوس عظيم الروم

ومَن يَلِيه :

(١) في الأصل « ينفحه » .

(٢) ولى حكم مصر سنة ٣٢٣ في خلافة الراضى بالله أحمد بن المقتدر (الذى ولى الخلافة سنة ٣٢٢ ومات سنة ٣٢٩) وتوفى الإخشيد سنة ٣٣٥ (وقد استولى بنو بويه على بغداد سنة ٣٣٤ في خلافة المستكن بن المكنى بن المعتضد) .

(٣) نسبة إلى نجيم ، قال ياقوت في معجم البلدان : « بفتح أوله وثانيه وياء ساكنة وراء مفتوحة » ، ويروى بكسر الجيم . بليدة مما إلى البصرة على جبل هناك على ساحل البحر ، وقد نسب إليها قوم من أهل الأدب والحديث ، منهم إبراهيم بن عبد الله التجيرى »

سلامٌ بقَدْرِ ما أنتم له مستحقُّون ، فإنَّا نحمدُ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو ،
ونسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .
أما بعد ، فقد تُرجمَ لنا كتابُك الواردُ مع نقولا وإسحاق رسوليك
فوجدناه مفتتحاً بذكر فضيلة الرحمة ، وما نُحْي^(١) عنا إليك ، وصَحَّحَ من
شَيْمَنا فيها لديك ، وبما نحن عليه من المعدلة وحُسن السيرة في رعايانا ،
وما وصلتَ به هذا القولَ من ذِكرِ الفِداء ، والتوصُّلِ إلى تَخْلِيسِ الأسرى ،
إلى غير ذلك مما اشتمل عليه وتفهمناه .

فأمَّا ما أَطْنَبْتَ فيه من فضيلة الرحمة ، فمن سديد القول الذي يليق
بذوى الفضل والنُّبل ، ونحنُ - بحمدِ الله ونعمه علينا - بذلك عارِفون ،
وإليه راغبون ، وعليه باعِثون ، وفيه - بتوفيقِ الله إيانا - مجتهدون ، وبه
مُتَوَاصِلون وعاملون ، وإياه نسأل التوفيقَ لِمَراشِدِ الأمور ، وجوامِعِ
المصالح ، بِمَنَّةٍ وَقُدْرَةٍ .

وأما ما نسبته إلى أخلاقنا من الرحمة والمعدلة ، فإننا نرغب إلى الله
جل وعلا ، الذي تفرَّدَ بِكُلِّ هذه الفضيلة ، ووهبها لأوليائه ، ثم أثابهم
عليها ، أن يُوفِّقنا لها ، ويحسِّننا من أهلها ، ويُيسِّرنا للاجتهاد فيها ، والاعتصام
من زَيْغِ الهوى عنها ، وعُرَّةِ^(٢) القَسْوَةِ بها ، ويجعل ما أودعَ قلوبنا من ذلك
موفقاً على طاعته ، وموجباً مَرْضاتِهِ ، حتى نكونَ أهلاً لما وصفتنا به ،
وأحقَّ حقاً بما دَعَوْتنا إليه ، وممن يستحقُّ الزُّلْفَى من الله تعالى ، فإننا فقراء

(١) نَحْيَ الحديث : رفعته .

(٢) العرة بالفتح : المرة والحلة القبيحة ، وبالضم : القدر ، وتستمر للمساوى والمعايب .

إلى رحمته ، وحُقَّ لمن أنزله الله بحيث أنزلنا ، وحمله من جسيم الأصر ما حملنا ،
وجمع له من سعة الممالك ما جمع لنا بمولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
أن يتَهَلَّ^(١) إلى الله تعالى في معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده ، فإن ذلك إليه
ويده « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » .

وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هودون الخليفة في
المكاتبة ، لما يقتضيه عظم ملككم ، وأنه الملك القديم الموهوب من الله ،
الباقى على الدهر ، وأنتك إنما خصصتنا بالمكاتبة لما تحققت من حالنا
عندك ، فإن ذلك لو كان حقاً ، وكانت منزلتنا - كما ذكرته - تقصّر عن منزلة
من شكائبه ، وكان لك في ترك مكاتبتنا غنم ورشد ، لكان من الأصر البين
أن أحظى وأرشد وأولى بمن حلّ محلك ، أن يعمل بما فيه صلاح رعيته ،
ولا يراه وصمة ولا نقيصة ولا عيباً ، ولا يقع في معاناة صغيرة من الأمور
تعقبها كبيرة ، فإن السائس الفاضل قد يركب الأخطار ، ويخوض الغمار ،
ويعرض مَهْجَتَه فيما ينفع رعيته ، والذي تجشمت من مكاتبتنا إن كان كما
وصفته ، فهو أمر سهل يسير ، لأمر عظيم خطير ، وجلُّ نفعه وصلاحه
وعائده^(٢) تخصكم ، لأن مذهبنا انتظار إحدى الحسنيين ، فمن كان منافي
أيديكم فهو على بينة من ربه ، وعزيمة صادقة من أمره ، وبصيرة فيما هو
بسبيله ، وإن في الأسارى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر ، وشدة البأساء ،
على نعيم الدنيا وخيرها ، لحسن منقلبه ، وحميد عاقبته ، ويعلم أن الله تعالى

(١) الابتهاال : الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه .

(٢) العائدة . المنفعة .

قد أعاده من أن يفتنه ، ولم يُعذه من أن يبتليه ، هذا إلى أوامر الإنجيل الذي هو إمامكم ، وما توجب عليكم عزائم سياستكم ، والتوصل إلى استنقاذ أسرائكم ، ولولا أن إيضاح القول في الصواب ، أوتى بنا من المسامحة في الجواب ، لأضربنا عن ذلك صفحا ، إذ رأينا أن نفس السبب الذي من أجله سما إلى مكاتبة الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم ، أوعدا عنهم إلى من حل محلنا في دولتهم ، بل إلى من نزل عن مرتبتنا هو ، أنه لم يثق من منعه ، ورد ملتصقه من جاوره ، فرأى أن يقصده الخلفاء الذين الشربنت كلّه في إجابتهم ، ولا عار على أحد وإن جال قدره في ردّهم ، ومن وثق في نفسه محب جاوره ، وجد قصده أسهل السبيلين عليه ، وأدناها إلى إرادته ، حسب ما تقدّم لها من تقدّم ، وكذلك كاتب من حل محلّك من قصر عن محلنا ، ولم يقرب من منزلتنا ، فمالكنا عدّة ، كان يتقلّد في سالف الدهر كل مملكة منها ملك عظيم الشأن :

فنها ملك مصر الذي أطنى فرعون ، على خطر أمره . حتى ادعى الإلهية ، وافتخر على نبي الله موسى بذلك .

ومنها ممالك اليمن التي كانت للتبابعة ، والأقوال العباهلة^(١) ، ملوك حمير ، على عظم شأنهم ، وكثرة عددهم .
ومنها أجناد الشام ، التي :

(١) العباهلة : الذين أقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه (بالبناء المجهول) انظر الجزء الأول ص ٨ .

منها جُندٍ خُص ، وكانت دارهم ودار هرقل عظيم الروم ومن قبله من عظمائها .

ومنها جند دِمَشْقَ على جلالته في القديم والحديث ، واختيار الملوك المتقدمين له .

ومنها جند الأَرْدُنَّ على جلالته قدره ، وأنه دار المسيح صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والحواريين .

ومنها جند فلسطين ، وهي الأرض المقدسة ، وبها المسجد الأقصى ، وكُرسى النّصرانية ، ومثقب غيرها ، ومحبج النصارى واليهود طُرًا ، ومقر داود وسليمان ومسجدهما ، وبها مسجد إبراهيم وقبره ، وقبر إسحاق ويعقوب ويوسف وإخوته وأزواجهم عليهم السلام ، وبها مولد المسيح وأمه وقبرها . هذا إلى ما نتقلده من أمر مكة المحفوفة بالآيات الباهرة ، والدلالات الظاهرة ، فإننا لو لم نتقلد غيرَها ، لكانت بشرتها ، وعظم قدرها ، وما حوت من الفضل ، تُوفي على كل مملكة ، لأنها محبج آدم ، ومحبج إبراهيم وارثه ومهاجره ، ومحبج سائر الأنبياء ، وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام ، وداره وقبره ^(١) ومنبت ولده ، ومحبج العرب على مرّ الحقب ^(٢) ، ومحلّ أشرافها وذوى أخطارها ، على عظم شأنهم ، ونخامة أمرهم ، وهو البيت العتيق المحرّم المحجوج إليه من كل فجٍّ عميق ، الذى يعترف بفضله وقدمه

(١) كذا في صبيح الأعشى ، وقد جاء في هامشه : « كذا في المغرب في أخبار المغرب أيضا - وهو الذى قال عنه الفقه شدى هذا الكتاب - ويظهر أنه مقدم على ما بعده - أى ومنبت ولده - ويكون الضمير فيه عائدا على سيدنا إسماعيل ، فإن مكة كانت داره ومنبته » .
(٢) الحقب : جمع حقبه بالكسر ، وهى مدة من الدهر لا وقت لها ، والسنة .

أهل الشرف ، مَنْ مَضَى وَمَنْ خَلَفَ ، وهو البيت المعمور ، وله الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المقدسة بترابته ، وأنها مهبط الوحي ، ويُمَيِّضُهُ هذا الدين المستقيم الذي امتد ظلُّه على البر والبحر ، والسَّهْل والوعر ، والشرق والغرب ، وصحارى العرب على بُعد أطرافها ، وتنازح^(١) أقطارها ، وكثرة سكانها في حاضرتها وباديتها ، وعظمتها في وفودها وشذتها ، وصدق بأسمها ونجدتها ، وكبر أحلامها^(٢) وبُعد مرامها ، وانعقاد النصر من عند الله براياتها ، وأن الله تعالى أبداً خضراء^(٣) كسرى ، وشرّد قيصر عن داره ومحلّ عزّه ومجده بطائفة منها .

هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا ، وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كراسيٍّ من أعظم كراسيكم : بيت المقدس ، وأنطاكية ، والإسكندرية ، مع ما إلينا من البحر وجزائره ، واستظهارنا بأئمة العتاد^(٤) ، وإذا وفيت النظر حقه ، علمت أن الله تعالى قد أصفانا^(٥) بجُلِّ الممالك التي ينتفع الأنامُ بها ، وبشرف الأرض المخصوصة بالشرف كله دُنْياً وآخرةً ، وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك فوق كل منزلة ، والحمد لله وليّ كل نعمة .

وسياستنا لهذه الممالك قريبها وبعيدها ، على عظمتها وسعتها ، بفضل الله

(١) أى تباعد ، وهو تفاعل من ترحت الدار كنع وضرب : أى حدث .

(٢) الأحلام : العقول ، جمع حلم بالكسر .

(٣) الخضراء : سواد القوم ومعظمهم ، وفي حديث الفتح « أريدت خضراء قريش » أى دهاؤهم وسوادهم .

(٤) استظهر به : استعان ، والعتاد : العدة .

(٥) أصفاه بكذا : آثره به .

علينا ، وإحسانه إلينا ، ومهونته لنا ، وتوفيقه إيانا كما كتبت إلينا ، وصحَّ عندك من حُسن السيرة ، وبما يؤلِّف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية ، ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ، ويوسعها الأمن والدعة في المعيشة ، ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً ، على نعمه التي تفوت عندنا عدد العادين ، وإحصاء المجتهدين ، ونشر النافرين ، وقول القائلين ، وشكر الشاكرين ، ونسأله أن يجعلنا ممن تحدّث بنعمته عليه شكرًا لها ، ونشراً لما منحه الله منها ، ومن رضى اجتهاده في شكرها ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وكان سعيه مشكورا ، إنه حميد مجيد .

وما كنت أحبُّ أن أباهيك بشيء من أمر الدنيا ، ولا أتجاوز الاستيفاء لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذي كرّمه وأظهره ، ووعدنا في عواقبه الغلبة الظاهرة ، والقدرة القاهرة ، ثم الفوز الأكبر يوم الدين ، لكنك سلكت مسلكا لم يحسن أن تعدل عنه ، وقلت قولا لم يسعنا التقصير في جوابه ، ومع هذا فإننا لم نقصد بما وصفناه من أمرنا مكائرتك ، ولا اعتمدنا تعيين فضلنا نعوذ به ، إذ نحن نكرّم عن ذلك ، ونرى أن نكرّمك عند محلك ومنزلتك ، وما يتصل بها من حسن سياستك ومذهبك في الخير ومحبتك لأهله ، وإحسانك لمن في يدك من أسرى المسلمين ، وعطفك عليهم ، وتجاوزك في الإحسان إليهم جميع من تقدّمك من سلفك ، ومن كان محمودا في أمره رُغب في محبته ، لأن الخير أهل أن يُحبَّ حيث كان ، فإن كنت إنما تؤهل لمكاتبتك وممائلتك ، من اتسعت مملكته ، وعظمت

دولته ، وحسنت سيرته ، فهذه ممالك عظيمة ، واسعة بجهة ، وهي أجل الممالك التي ينتفع بها الأنام ، وسر الأرض المخصوصة بالشرف ، فإن الله قد جمع لنا الشرف كله ، والولاء الذي جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - مخصوصين بذلك ، إلى مالنا بقديعنا وحديثنا وموقعينا ، والحمد لله رب العالمين الذي جمع لنا ذلك بمنه وإحسانه ، ومنه نرجو حسن السعي فيما يرضيه بلطفه ، ولم ينطو عنك أمرنا فيما اعتمدناه . وإن كنت تجرى في المكاتب على رسم من تقدمك ، فإنك لو رجعت إلى ديوان بلدك ، وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل محلتنا ، ولا أغنى غنائنا^(١) ولا ساس في الأمور سياستنا ، ولا قلده مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ما قللنا ، ولا فوض إليه ما فوض إلينا ، وقد كُتب أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، وآخر من كُتب تكين مؤلى أمير المؤمنين ، ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها .

ونحن نحمد الله كثيراً أولاً وآخراً ، على نعمه التي يفوت عندنا عددها عدّ العادين ، ونشر النافرين ولم نرد بما ذكرناه المفاخرة ، ولسكننا قصدنا بما عدّنا من ذلك حالات : أولها التحدث بنعمة الله علينا ، ثم الجواب عما تضمنته كتابك من ذكر المحل والمنزلة في المكاتب ، ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا في هذه المسالك ، وعندنا قوة تامة على المكافأة على جميل فعلك بالأسارى ، وشكر واف لما توليهم وتوخواه من مسرتهم ، إن شاء الله تعالى وبه الثقة ، وفقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة ، والتوفيق

للسَّداد في الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذي يحبه ويرضاه
ويُثيب عليه ، ويرَفَع في الدنيا والآخرة أهله ، بمنّته ورحمته .

وأما المُلْك الذي ذُكرت أنه باق على الدهر ، لأنه موهوب لكم من الله
خاصةً ، فإنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَإِنَّ
الْمُلْكَ كُلَّهُ لله ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ
يَشَاءُ ، وَيَذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ، وَإِنَّ اللهَ عز وجل نسَخَ مُلْكَ الملوك ، وَجَبَرِيَّةَ الجبارين ، بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين ، وشفَعَ نبوتَه بالإمامة ، وحازها إلى
العِرة الطاهرة من المنصُر الذي منه أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
والشجرة التي منها غُصْنُهُ ، وجعلها خالدةً فيهم يتوارثها منهم كابرٌ عن كابر ،
ويُلْقِيها ماضٍ إلى غابر ، حتى نَجَزَ أَمْرُ الله ووعدُهُ ، وبَهَرَ نَصْرُهُ وكلمته ،
وأظهر حجّته ، وأضاء عمود الدين بالأئمة المهتدين ، وقَطَعَ دَابِرَ الكافرين ،
لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، حَتَّى يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ
وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ .

وَإِنَّ أَحَقَّ مُلْكٍ - أَنْ يَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَأَوْلَاهُ وَأَخْلَقَهُ أَنْ
يَكُنْفَهُ ^(١) اللهُ بِحِرَاسَتِهِ وَحِمَايَتِهِ ، وَيُحَفِّظَهُ بِعِزِّهِ وَأَيْدِهِ ^(٢) ، وَجُجِّلَهُ بِهَاءِ
السَّكِينَةِ فِي بَهْجَةِ الْكَرَامَةِ ، وَجُجِّلَهُ بِالْبَقَاءِ وَالنَّجَاءِ ^(٣) ، مَالِحَ جُزْءٍ ،

(١) كنفه كنصره : صانه وحفظه .

(٢) الأيد : القوة .

(٣) النجاء : النجاة .

وكره دهر^١ - مُلْكُ إِمَامَةٍ عَادِلَةٍ ، خَلَفَتْ نَبُوَّةً جَرَتْ عَلَى رِسْمِهَا وَسُنَنِهَا ،
وَارْتَسَمَتْ أَمْرُهَا ، وَأَقَامَتْ شَرَائِعَهَا ، وَدَعَتْ إِلَى سُبُلِهَا ، مُسْتَنْصِرَةً بِأَيْدِهَا ،
مُنْتَجِزَةً لَوَعْدِهَا ، وَإِنْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ إِمَامَةِ عَادِلَةٍ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عُمْرِ
الدُّنْيَا تَمْلِكًا وَجَبَرِيَّةً .

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ نِعْمَهُ عَلَيْنَا ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْنَا ، بِشَرَفِ
الْوِلَايَةِ ، ثُمَّ يُحَسِّنَ الْعَاقِبَةَ بِمَا وَفَّرَ عَلَيْنَا نَفْرَهُ وَعُلَاهُ ، وَتَجَدُّهُ وَإِحْسَانَهُ ، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ ، وَبِهِ الثِّقَةُ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَأَمَّا الْفِدَاءُ وَرَأْيُكَ فِي تَخْلِيصِ الْأَسْرَى ، فَإِنَّا وَإِنْ كُنَّا وَاثِقِينَ لِمَنْ
فِي أَيْدِيكُمْ بِأَحَدِي الْحُسَيْنَيْنِ ، وَعَلَى يَتْنَةٍ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَثَبَاتٍ مِنْ حُسْنِ
الْعَاقِبَةِ وَعِظَمِ الْمَثُوبَةِ ، عَالِمِينَ بِمَا لَهُمْ ، فَإِنْ فِيهِمْ مَنْ يُؤْثِرُ مَكَانَهُ مِنْ ضَنْكَ
الْأَسْرِ وَشِدَّةِ الْبَأْسَاءِ ، عَلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا ، سَكُونًا إِلَى مَا يَتَحَقَّقُهُ مِنْ
حُسْنِ الْمُنْقَلَبِ ، وَجَزِيلِ الثَّوَابِ ، وَيَسْلَمُ أَنْ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَهُ مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُ ،
وَلَمْ يُعِذْهُ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَهُ^(١) ، وَقَدْ تَبَيَّنَّا مَعَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا شَرَعَهُ لَنَا
الْأَعْمَةُ الْمَاضُونَ ، وَالسَّلَفُ الْمَصَالِحُونَ ، فَوَجَدْنَا ذَلِكَ مُوَافِقًا لِمَا التَّمَسَّتْهُ ،
وغيرَ خَارِجٍ عَمَّا أَحْبَبْتَهُ ، فَسُرَرْنَا بِمَا تَبَسَّرَ مِنْهُ ، وَبَعَثْنَا الْكِتَابَ وَارْسَلْنَا
إِلَى عَمَّالِنَا فِي سَائِرِ أَعْمَالِنَا ، وَعَزَّمْنَا عَلَيْهِمْ فِي جَمْعِ كُلِّ مَنْ قَبْلَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ
بِمَا وَفَّرَ الْإِيمَانَ فِي إِنْفَاقِهِمْ ، وَبَدَّلْنَا فِي ذَلِكَ كُلِّ مَمَكْنٍ ، وَأَخَّرْنَا إِبَاجَاتِكَ عَنْ
كِتَابِكَ ، لِيَتَقَدَّمَ فِعْلُنَا قَوْلُنَا ، وَإِنْجَازُنَا وَعِدَّتُنَا ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَهَرَ
لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ مِنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وأما ما ابتدأنا به من المواصله ، واستشعرته لنا من الموده والمحبة ، فإن عندنا في مقابلة ذلك ما توجب به السياسة التي تجمعننا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذي يؤلفنا على تباين النحل ، فإن ذلك من الأسباب التي تخصنا وإياك ، ورأينا من تحقيق جميل ظنك بنا إيناس رؤسك وبسطهم ، والاستماع منهم ، والإصغاء إليهم ، والإقبال عليهم ، وتلقينا انبساطك إلينا ، وإلطفك^(١) إيانا ، بالقبول الذي يحق علينا ، ليقع ذلك موقعه ، وزدنا في تأكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك في هذا الوقت - على استقلالنا إياه - من طرائف بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بعدله وحكمته أودع كل قرية صنفا ، ليتشوف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سببا لعمارة الدنيا ومعاش أهلها ، ونحن نفردك بما سامناه إلى رسوك لتقف عليه إن شاء الله .

وأما ما أنفذته للتجارة ، فقد أمكنا أصحابك منه ، وأذننا لهم في البيع ، وفي ابتياع ما أرادوه واختاروه ، لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دين ولا سياسة ، وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة ما بدأنا به ورعايته ، ورب^(٢) ما غرسته ، أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك ، والله يعين على ما تنويه من جميل ، ونعتقه من خير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتدأ بحميل لزمه الجري عليه والزيادة ، ولا سيما إذا كان من أهله

(١) أطفه بكذا : أحفه وبره به .

(٢) رب النعمة كنصر : حفظها وراعاها وراها كما يربي الرجل ولده .

وخليقابه ، وقد ابتدأنا بالمواساة والمباينة ، وأنت حقيقٌ بعمارة ما بيننا ،
وباعتمادنا بحوائجك وعوارضك قبلنا فأبشر بتيسير ذلك إن شاء الله .
والحمد لله أحق ما ابتدئ به ، وختم بذكره ، وصلى الله على محمد نبي
الهدى والرحمة ، وعلى آله وسلم تسليماً . (صبح الأعشى ٧ : ١٠)

٢٨٣ - كتاب أبي الطيب المتنبي إلى أحد إخوانه

وكتب أبو الطيب المتنبي بعد أن أبل^(١) من مرض إلى أحد إخوانه :
« وصلتني - أعزك الله - مُعتلاً ، وقطعتني مُبلاً ، فإن رأيت ألا تكدر
الصحة عليّ ، وتحبب العلة إليّ ، فعلت » . (مفتاح الأفكار ٣٧٣)

٢٨٤ - كتاب الراضي إلى المتقي

وكتب الراضي إلى أخيه المتقي^(٢) - وكان قد جرى بينهما كلام بحضرة
المؤدّب ، وكان المتقي قد اعتدى على الراضي - :
« أنا معترف لك بالعبودية فرضاً ، وأنت معترف لي بالأخوة فضلاً ،
والعبد يُذنب ، والمولى يعفو ويغفر ، وقد قال الشاعر :
إذا الذي يغضب في غير شيء أعتب فعتبك حبيب إلى^(٣)
أنت (على أنك لي ظالم) أعز خلق الله طراً عليّ
فضى إليه المتقي راضياً ، وأكب عليه باكياً . (غرر الحقائق الواضحة ص ٣٨٣)

(١) أبل من مرضه : صح .

(٢) هو أبو إسحق إبراهيم بن المقدر ، ولي الخلافة بعد أخيه الراضي من سنة ٣٢٩ إلى سنة ٣٣٣

(٣) أعتبه : أعطاه العتي ، وهي الرضا .

التوقيعات

في العصر العباسي الأول

السفاح

كتب إلى السَّفَاح جماعة من أهل الأنبار^(١) يذكرون أن منازلهم أُخِذَتْ منهم ، وأُذْخِلَتْ في البناء الذي أمر به ، ولم يُعْطَوْا أَثْمَانَهَا ، فَوَقَّعَ :
« هذا بناؤه أُسِّسَ على غيرِ تَقْوَى » .

ثم أمر بدفع قِيمِ منازلهم إليهم .
وَوَقَّعَ في كتاب أبي جعفر ، وهو يحارب ابن هُبَيْرَةَ بواسِطَ^(٢) :
« إِنِّ حَامِلُكَ أَفْسَدَ عِلْمَكَ ، وَتَرَاخَيْكَ أَثَّرَ في طَاعَتِكَ ، نَفْذُ لِي مِنْكَ ،
وَلَاكَ مِنْ نَفْسِكَ » .

وَوَقَّعَ إليه في ابن هُبَيْرَةَ بعد أن راجعه فيه غيرَ مرَّةٍ : « لستُ منك
ولستَ مِنِّي إِن لم تَقْتُلْهُ »^(٣) .

وجاءه كتاب من أبي مُسْلِمٍ يَسْتَأْذِنُهُ في الحج وفي زيارته ، فَوَقَّعَ إليه :
« لَا أَحُولُ بَيْنَكَ وبين زيارة بيت الله الحرام وخليفته ، وَإِذْنُكَ لَكَ » .
وَوَقَّعَ في كتاب جماعةٍ من بَطَانَتِهِ يَشْكُونَ احتباسَ أَرْزَاقِهِمْ :
« مَنْ صَبَرَ في الشَّدَّةِ ، شُورِكَ في النِّعْمَةِ » .

(١) الأنبار : مدينة على الفرات في غربي بِنْدَاد ، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ذوالأكتاف ملك الفرس ، ثم جددوها أبو العباس السفاح ، وبني بها قصورا ، وأقام بها إلى أن مات .

(٢) انظر ص ٢ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٦ من الجزء الثالث .

ثم أمر بأرزاقهم .
ووقع إلى عامل تظلم منه : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا » .
وفي قوم شكوا غرق^(١) ضياعهم في ناحية الكوفة :
« وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

ووقع إلى أبي سلمة الخلال^(٢) ، وقد كتب إليه يستأذنه في تولية قوم
من الحاشية والشيعة :

« يَا أَبَا سَلَمَةَ ، مَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ تَكُونَ لَنَا الدُّنْيَا ، وَأَوْلِيَاؤُنَا خَالُونَ مِنْ
حَسَنِ آثَارِنَا ! »

ووقع إلى سابع : « تَقَرَّبْتُ إِلَيْنَا بِمَا بَاعَدَكَ عَنْ اللَّهِ ، وَلِأَثْوَابَ لِمَنْ
خَالَفَ اللَّهَ » .

ووقع إلى أخيه في بعض الجناة : « إِذَا كَانَ الْحِلْمُ مَمْسُودًا ، كَانَ الْعَفْوُ
مَعْجَزَةً » .

المنصور

ووقع المنصور في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه^(٣) :

(١) في الأصل « حرق » وأراه محرفا .
(٢) هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال ، أول وزير وزير لأول خليفة عباسي ، وقد فوض
السفاح إليه الأمور ، وبسلم إليه الدواوين ، وكان يقال له وزير آل محمد (كما كان يقال لأبي مسلم :
أمين آل محمد) ثم اتهم بانحرافه عن بني العباس ، فتنكر له السفاح ، وكتب مع أخيه المنصور إلى
أبي مسلم بخراسان ، يعلمه بما عزم عليه أبو سلمة من نقل الدولة عنهم ، وما يتخوف منه ، فبعث
أبو مسلم قوما من أهل خراسان قتلوه وقالوا قتله الخوارج - انظر تاريخ الطبري ٩ : ١٤٠ والفخرى
ص ١٣٦ .

(٣) انظر ص ١٨ من الجزء الثالث .

« لا تجملن للأيام فيّ وفيك نصيباً من حوادثها .
ووقع إليه أيضا :

« ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌ
حميمٌ ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظٍ عظيمٍ » فاجمل
الحظ لك دوني ، يكن لك كله .

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان :
« شكوت فأشكيناك^(١) ، وعتبت فأعتبناك^(٢) ، ثم خرجت عن العامة ،
فتأهّب لفراق السلامة .

ووقع إلى أهل الكوفة - وشكوا عاملهم - :
« كما تكونوا يؤمّرُ عليكم^(٣) » .

(١) أشكاه : أزال شكايته (وأشكاه أيضا : زاده أذى وشكاية ، ضد) .

(٢) أعتبه : أَرْضاه .

(٣) أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم : « عاملكم كأعمالكم ، وكما تكونوا يولى عليكم »
- انظر نهاية الأرب ٣ : ٣ - ذكروا أن بعض النحويين أعمل ما المصدرية حملا على أن المصدرية ،
وخرج عليه هذا الحديث ، وقيل : لاجابة إلى جمل ما هنا ناصبة ، بل الفعل بعدها مرفوع ، ونون
الرفع محذوفة للتخفيف ، وقد سمع حذفها نثرا ونظما ، جاء في الحديث : « والذي نفس محمد بيده
لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » وقال الشاعر :

أبيت أسرى وتبقي تدلّكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

وقيل : الكاف مختصرة من كي ، فهي الناصبة ومازائدة .

(انظر حاشية الصبان ٣ : ١٨٧ باب إعراب الفعل ، وحاشية الخضرى على ابن عقيل ٢ : ١٠٠)
وجاء في حاشية يس على التصريح ٢ : ٢٣٢ : « في فتاوى الجلال السيوطى : مسألة : هل ورد في
الحديث « كما تكونون يولى عليكم » ؟ الجواب : نعم ، رواه ابن جميع في مجمعه من حديث الحسن
ابن أبى بكرة ، وفيها بعد ذلك : أنه سئل عن لفظ حديث « كما تكونوا يولى عليكم » حذف النون
من تكونوا دون ناصب وجازم ، فأجاب : بأن هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ كما
تكونوا بلا نون ، وقد خرج على ثلاثة أوجه : أحدها أنه على لغة من يحذف النون دون ناصب
وجازم ، الثانى : وهو رأى الكوفيين والمبرد أنه منصوب وأوردوه شاهدا على مذهبهم أن ما تنصب ،
الثالث : أنه من تعبيرات الرواة .

وإلى قوم تظلموا من عاملهم : « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » .

وفي قصة رجل شكَا عَيْلَةً^(١) : « سَلِ اللَّهَ مِنْ رِزْقِهِ » .

وفي قصة رجل سألَه أَن يَبْنِي بَقْرِيَّةً مَسْجِدًا : « فَإِنْ الصَّلَاةُ عَلَى بُعْدِ ذَلِكَ ، أَعْظَمُ لثَوَابِكَ » .

وفي رواية أخرى :

ورفع رجل من العامة إليه رُقْعَةً فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ فِي مَحَلَّتِهِ ، فَوَقَعَ :
« إِنْ مِنْ أَشْرَاطٍ^(٢) السَّاعَةِ أَنْ تَكْثُرَ الْمَسَاجِدُ ، فَزِدْ فِي خُطَاكَ يُرَدُّ فِي أَجْرِكَ » .

وفي قصة رجل قُطِعَتْ عَنْهُ أَرْزَاقُهُ :

« مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ، وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وفي قصة رجل شكَا الدِّينَ :

« إِنْ كَانَ دِينُكَ فِي مَرَضَةٍ اللَّهِ قَضَاهُ » .

وإلى صَرُورَةٍ^(٣) سألَه أَن يُجِجَ :

« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نُقْصَانَ النِّيلِ .

« طَهَّرْ عَسْكَرَكَ مِنَ الْفَسَادِ ، يُعْطَاكَ النِّيلُ الْقَيَّادُ » .

(١) العيلة : الفقر ،

(٢) أشراط : جمع شرط كسبب ، وهو العلامة ، والساعة : القيامة ، ورواية الطبري : « مَنْ

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ كَثُرَ الْمَسَاجِدُ ، فَزِدْ فِي خُطَاكَ تَرُدُّ مِنَ الثَّوَابِ » .

(٣) رجل صرور وصرورة : أى لم يجج .

وإلى عامله على خمص - وجاءه منه كتاب فيه خطأ - :

« استبدل بكاتبك ، وإلا استبدل بك » .

وإلى صاحب أرمينية :

« إن لي في قفاك عينا ، وبين عينيك عينا ، ولهما أربع آذان » .

وإلى رجل استوصله^(١) : « لا مانع لما أعطاه الله » .

وفي كتاب أتاه من صاحب الهند ، يخبره أن الجند شغبوا^(٢) عليه ،

وكسروا أفعال بيت المال ، فأخذوا أرزاقهم منه :

« لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم ينتهبوا » .

وشكا إليه رجل من بعض عماله ، فوقع في قصته إلى العامل .

« اكفني أمره ، وإلا كفيتُه أمرك » .

وكتب سوار^(٣) بن عبد الله القاضي إليه : « إن عندنا رجلا شديدا

الترفُّض^(٤) يدعى السيد الحميري^(٥) » فوقع في كتابه :

(١) أي طالب مسئله .

(٢) شغبهم وبهم وعليهم كنع وفرح : هيج الشر عليهم .

(٣) ولاء المنصور قضاء البصرة منذ سنة ١٣٨ وتوفي سنة ١٥٧ - انظر تاريخ الطبري ج ٩ :

١٧١ حوادث سنة ١٣٨ وما بعدها .

(٤) أي القول بالرفض ، والرافضة : فرقة من الشيعة ، وكان زيد بن علي قد تابعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين ، فلما استعرج القتال بينه وبين يوسف ، قالوا له : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن نخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظالما جدك علي بن أبي طالب ، فقال زيد : إني لا أقول فيهما إلا خيرا ، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين ، وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر النجنيق والنار . فقارقه عند ذلك ، حتى قال لهم : رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة - انظر الفرق بين الفرق ص ٢٥ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٢١٩ .

(٥) كان السيد الحميري من شيعة محمد بن الحنفية ، وكان يعتقد أن ابن الحنفية لم يمت ، وأنه في

« إنا بمثنالك قاضياً لاساعياً » .

ووقع في كتاب بليغ استمache^(١) :

« إن البلاغة والغنى إذا اجتماعا في رجل أطغياهُ ، وقد رُزقت إحداهما ، فاكْتَفَ بها ، واقتصرَ عليها » .

وكتب إليه عبد الله بن زياد بن الحرث رقعة بليغة يستمنحه فيها ، فكتب عليها :

« إن الغنى والبلاغة إذا اجتماعا في بلد أبطراه ، وأمير المؤمنين مشفق عليك ، فاكْتَفَ بالبلاغة^(٢) » .

ورفع رجل إليه يشكو عامله أنه أخذ حداً من ضيعة ، فأضافه إلى ماله ، فوقع إلى عامله في رُقعة المتظلم :

« إِنْ آثَرْتَ الْعَدْلَ صَحَّتْ السَّلَامَةُ ، فَأَنْصِفْ هَذَا الْمُتَظَلِّمَ مِنْ هَذِهِ الظَّالِمَةِ » .

وتظلم رجل من أهل السواد من بعض العمال في رقعة رفعها إليه ، فوقع فيها :

« إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَجِئْ بِهِ مَلِيئاً^(٣) ، فَقَدْ أَذِنَّا لَكَ فِي ذَلِكَ » .

جبل رضوى (جبل بالحجاز) بن أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاخان تجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً انظر الملل والنحل ١ : ١٥٥ .
(١) استمache : سأله العطاء .

(٢) كان المنصور يرمى بالبخل ، وكان يلقب أبا الدوايق (والدائق بكسر النون وفتحها والدائق : سدس الدرهم) لقب بذلك لأنه لما بنى بغداد كان ينظر في العمارة بنفسه ، فيحاسب الصنائع والأجراء ، فيقول لهذا : أنت نمت الفائلة ، ولهذا : أنت لم تبكر إلى عملك ، ولهذا : أنت انصرفت لم تكمل اليوم : (٣) لب الرجل : جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ثم قبضه وجره ، ويقال أيضاً : أخذ بتليبه وتلايبه : إذا جمع عليه ثوبه الذي هو لابس عند نحره وصدره وقبض عليه يجره .

المهدي

ووقع المهدي في قصة متظلمين شكوا بعض عماله :
« لو كان عيسى حاملكم قدناه إلى الحق ، كما يُقاد الجمل المخشوش^(١) » .
يريد عيسى ولده .

ووقع إلى صاحب أرمينية - وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه - :
« خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَرْضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .
وإلى صاحب خراسان في أمر جاءه : « أنا ساهرٌ وأنت نائمٌ » .
وفي قصة قوم أصابهم قحطٌ :

« يقدّر لهم قوتُ سنة القحطِ والسنة التي تليها » .
وإلى شاعر^(٢) : « أسرفت في مديحك ، فقصرنا في حباثك^(٣) » .
وفي قصة رجل من الغارمين^(٤) :

« خذ من بيت مال المسلمين ما يُقضى به دينك ، وتقر به عينك » .
وفي قصة رجل شكا الحاجة : « أتاكَ الغوثُ » .
وإلى رجل من بطانته استوصل :

فيعطى كل واحد منهم بحسب ما عمل في يومه ، فلا يكاد يعطى أجرة يوم كامل - اقرأ حكايات بخاه في غرر الخصائص الواضحة ص ٢٩٢ .

(١) الخشاش ككتاب : ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد ، وخششت البعير : جعلت في أنفه الخشاش .

(٢) قال صاحب القند الفريد : « أظنه مروان بن أبي حفصة » وهو شاعر عباسي مشهور .

(٣) الجباء : العطاء .

(٤) الغارمون : هم المدينون في غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء ، وهم ممن تصرف لهم الزكاة كما جاء في القرآن الكريم .

« ليت إسرائعنا إليك يقوم بإبطائنا عندك ^(١) » .

وفي قصة قوم تظاهروا من عاملهم ، وسألوا إشخاصه إلى يابه :

« قد أنصف القارة من راماهما ^(٢) » .

وفي قصة رجل حبس في دم :

« وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ^(٣) » .

وإلى صاحب خراسان - وكتب إليه يُخبره بفلاء الأسعار - :

« خذهم بالعدل في المكيال والميزان » .

وإلى يوسف الرومي حين ظفر ^(٤) به بخراسان :

« لك أمانى ، وموَّ كدُّ أيمانى » .

وكتب إليه سلم ^(٥) بن قتيبة يسأله أن يُشرِّفه بالإذن له في تقبيل يده ،

فوقع إليه :

« يا أبا قتيبة ، إنا نصونك عنها ، ونصونها عن غيرك »

(١) ويروى أن هذا القول قاله عتبة بن أبي سفيان لأعرابي استأجده في موسم الحج سنة ٤١ هـ - انظر

جمهرة خطب العرب ٢ : ٢١١ .

(٢) هو مثل ، والقارة : قبيلة ، وهم قوم رماة ، ويزعمون أن رجلين التقيا ، أحدهما فارى ، فقال

الفارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقةك ، وإن شئت راميتك ، فقال الآخر : قد اخترت

الراماة ، فقال الفارى : قد أنصفتنى ، وأنشأ يقول :

قد أنصف القارة من راماهما إنا إذا مافئة نلقاها

* نردأ أولاهما على أخراها *

ثم انتزع له بسهم فشك به فؤاده .

(٣) وفي خاص الخاص أن هذا التوقيع ليحيى بن خالد البرمكى .

(٤) في الأصل « حين ظفر بخراسان » وأراه محرفا كما يدل عليه معنى التوقيع .

(٥) هو سلم بن قتيبة الباهلي ، وكان والى البصرة في عهد النصور - انظر تاريخ الطبرى ٩ :

٢٦٠ حوادث سنة ١٤٥ .

الهادى

وكتب موسى الهادى إلى الحسن بن قحطبة فى أمر راجعه فيه :
« قد أنكرناك منذُ لزمْتَ أبا حنيفة ، كفانا الله » .

وإلى صاحب إفريقية فى أمر فرط منه :
« يابن اللّخناء^(١) أنى تتمرّس ؟ »

هرون الرشيد

ووقع هرون الرشيد إلى صاحب خراسان :
« دَاوِ جُرْحَكَ لَا يَتَّسِعَ » .

وإلى عامله على مصر :
« احذِرْ أَنْ تُخْرِبَ خِزَانَتِي^(٢) وَخِزَانَةَ أَخِي يُوسُفَ ، فَيَأْتِيَكَ مِنْهُ
مَالًا قَبِيلَ لَكَ بِهِ ، وَمِنْ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْهُ » .

ووقع فى قصة البرامكة :
« أَنْبَتَتْهُمْ الطَّاعَةُ ، وَحَصَدَتْهُمْ الْمَعْصِيَةُ » .

وإلى عامله على فارس :

(١) اللخن بالتحريك : قبح ربح الفرج ، وامرأة لئناء ، ويقال اللخناء : التى لم تحتن ، وهى من شتم العرب ، كأنهم يقولون : يادنى الأصل ، أو يالقيم الأم ، وتمرّس بالشئ : احتك به .
(٢) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام حين قال لملك مصر : « قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا » .

« كُنْ مَنْى عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الْبَيَّاتِ ^(١) » .

وإلى حامل خراسان :

« إِنْ الْمُلُوكُ يُؤْثَرُ مِنْهَا الْحِظُّ » .

وإلى خُزَيْمَةَ بْنِ خَازِمٍ ^(٢) إِذْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَضَعَ السِّيفَ حِينَ دَخَلَ
أَرْضَ أَرْمِينِيَّةَ :

« لَا أُمٌّ لَكَ ^(٣) ، تَقْتُلُ بِالذَّنْبِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ؟ » .

وفي قصة محبوبس : « مَنْ جَاءَ إِلَى اللَّهِ نَجَا » .

وفي قصة متظلم : « لَا يُجَاوِزُ بَكَ الْمَدْلُ ، وَلَا يَقْصُرُ بِكَ دُونَ
الْإِنْصَافِ » .

وإلى صاحب السُّنْدِ إِذْ ظَهَرَتِ الْعَصَبِيَّةُ ^(٤) :

« كُلُّ مَنْ دَعَا إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ ، تَعَجَّلَ إِلَى الْمُنِيَّةِ » .

وفي رواية أخرى : وَكَتَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ السُّنْدِ بِظُهُورِ الْعَصَبِيَّةِ ،
فَوَقَعَ : « مَنْ أَظْهَرَ الْعَصَبِيَّةَ فَعَاجِلُهُ بِالْمُنِيَّةِ » .

وإلى عامله على خراسان :

« كُلُّ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ فَازَلَهُ عَنْ بَدَنِهِ » .

وفي رقعةٍ مَتَظَلَمٍ مِنْ عَامِلِهِ عَلَى الْأَهْوَازِ - وَكَانَ بِالْمُتَظَلِّمْ عَارِفًا - :

(١) بَيَّتَتِ الْعَدُو : أَوْقَعَ بِهِمْ لَيْلًا ، وَالْأَسْمُ الْبَيَّاتِ .

(٢) وَلَهُ خَبَرٌ فِي فِتْنَةِ الْأَمِينِ - انْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ١٠ : ١٩٢ .

(٣) لَا أُمٌّ لَكَ : شَتْمٌ وَسَبٌّ ، مَعْنَاهُ : لَيْسَ لَكَ أُمٌّ حُرَّةٌ - وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي الْإِمَاءِ عِنْدَ الْعَرَبِ مَذْمُومُونَ
لَيْسُوا بِمَرْضِيَيْنَ وَلَا لَاحِقِينَ بِبَنِي الْحُرِّائِثِ - وَقِيلَ مَعْنَاهُ : أَنْتَ لَقِيطٌ لَا تَعْرِفُ لَكَ أُمٌّ ، وَلَا يَقُولُ الرَّجُلُ
لصَاحِبِهِ لَا أُمٌّ لَكَ إِلَّا فِي غَضَبِهِ عَلَيْهِ مَقْصُرًا بِهِ شَأْنًا لَهُ (وَرَبَّمَا وَضَعَ مَوْضِعَ الْمَدْحِ ، بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنْهُ)

(٤) فِي الْأَصْلِ « الْمَعْصِيَّةُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ - انْظُرْ مَا بَعْدَهُ .

« قد ولّيناك موضِعَه . فتَنَكَّبْ ^(١) سِرَّتَه » .

وفي كتاب بَكَارِ الزَّيْبَرِي إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ بِسَرٍّ مِنْ أَسْرَارِ الطَّالِبِيِّينَ :
« جَزَى اللَّهُ الْفَضْلَ ^(٢) خَيْرَ الْجَزَاءِ فِي اخْتِيَارِهِ إِيَّاكَ ، وَقَدْ أَثَابَكَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَائَةَ أَلْفٍ بِحُسْنِ نَيْتِكَ » .

وإلى محفوظ صاحب خراج مصر :
« يا محفوظ ، اجْعَلْ فَرْعَ ^(٣) مَصْرَ فَرْعًا وَاحِدًا وَأَنْتَ أَنْتَ » .
وإلى صاحب المدينة :

« ضَعِ رَجْلَيْكَ عَلَى رِقَابِ أَهْلِ هَذَا الْبَطْنِ ^(٤) ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَطَالُوا لَيْلِي
بِالشَّهَادِ ، وَتَفَوَّا عَنْ عَيْنِي لَذِيذَ الرُّقَادِ » .
ووقع إلى السَّنْدِي ^(٥) بن شاهك :
« خَفِ اللَّهَ وَإِمَامَكَ ، فَهُمَا نَجَاتُكَ » .

وإلى سليمان بن أبي جعفر في كتابٍ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْهُ يَذْكُرُ وُثُوبَ
أَهْلِ دِمَشْقَ :

« اسْتَحْيَيْتُ لَشَيْخٍ وَلَدَهُ الْمَنْصُورُ أَنْ يَهْرُبَ عَمَّنْ وَلَدَهُ كِنْدَةُ وَطِيِّ ،
فَهَلَّا قَابَلَتْهُمْ بِوَجْهِكَ ، وَأَبْدَيْتَ لَهُمْ صَفْحَتَكَ ^(٦) ، وَبَذَلْتَ لَهُمْ مِنْحَتَكَ ،

(١) أى اعمل عنها .

(٢) يعنى الفضل بن يحيى البرمكى .

(٣) فى الأصل العقد الفريد « اجعل فرع مصر فرحا واحدا » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه
« اجعل فرع مصر فرعا واحدا » والفرع : المال الطائل المعد ، أو صوابه « اجعل خراج مصر
خراجا واحدا » والمعنى : ابعت بخراج مصر دفعة واحدة ، وأنت قارٌّ فى مكانك دون أن تحضر برفقته
(٤) البطن من الأرض : المطن .

(٥) كان صاحب الحرس ، وله خبر فى فتنة الأيمن أيضا - انظر تاريخ الطبرى ١٠ : ١٩٧ .

(٦) أبدى لهم صفحته : جاهرهم بالعداوة .

وكنْتَ كَرُواناً^(١) ابنَ عَمِّكَ ؟ إِذْخَرَجَ مُصَلِّتاً^(٢) لِسَيْفِهِ ، مَتَمَثِّلاً بِبَيْتِ
الْجَعْفَانِ بْنِ حَكِيمٍ :

مَتَقَلَّدِينَ صَفَاءِ حَا هِنْدِيَّةً يَتَرَكْنَ مَنْ ضَرَبُوا كَمَنْ لَمْ يُولَدِ^(٣)
فِجَالِدَبِهِ حَتَّى قُتِلَ ، إِمَّا بِدُعَا ، وَإِمَّا خَلَّةً ، أَشَدَّ هِرَاشاً^(٤) ، وَأَخْشَنَ مِرَاساً ،
وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ . . . لَقُلْتُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، اللَّهُ أُمَّ تَنْدُبُهُ ، وَأَبُ أَنْهَضَهُ !

وَكُتِبَ مَتَمَلِّكُ الرُّومِ إِلَى هِرُونَ الرَّشِيدِ : « إِنِّي مَتَوَجَّهٌ نَحْوَكَ بِكُلِّ
صَلِيبٍ فِي مَمْلَكَتِي ، وَكُلِّ بَطَلٍ فِي جَنْدِي » فَوَقَعَ فِي كِتَابِهِ :
« سَيَتَلَمُّ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ^(٥) » .

وَكُتِبَ إِلَيْهِ نَقْفُورُ مَلِكِ الرُّومِ يَتَهَدَّدُهُ ، فَوَقَعَ فِي كِتَابِهِ : « الْجَوَابُ
مَا نَرَاهُ لَا مَا تَقْرُؤُهُ^(٦) » .

وَوَقَعَ إِلَى صَاحِبِ النُّصْرَانِيَّةِ بِالرُّومِ : « إِنَّا بِالْأَثَرِ ، وَعَلَى اللَّهِ الظَّفَرُ » .
وَكُتِبَ إِلَيْهِ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ مِنَ الْحُبَسِ حِينَ أَحْسَسَ بِالْمَوْتِ : « قَدْ تَقَدَّمَ
الْخَصْمُ إِلَى مَوْقِفِ الْفَضْلِ ، وَأَنْتَ بِالْأَثَرِ ، وَاللَّهُ الْحَكَمَ الْعَدْلُ ، وَسَتَقَدَّمَ فَتَعَلَّمْ » .
فَوَقَعَ فِيهِ الرَّشِيدُ :

« الْحَكَمُ الَّذِي رَضِيَتْهُ فِي الْآخِرَةِ هُوَ أَعْدَى الْخُصُومِ عَلَيْكَ ، وَهُوَ
مَنْ لَا يُرَدُّ حُكْمُهُ ، وَلَا يُصْرَفُ قِضَاؤُهُ^(٧) » :

(١) يعنى مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية .

(٢) أصلت السيف : سله وجرده .

(٣) الصفائح : السيوف المريضة ، واهندية : المطبوعة بالهند .

(٤) الخلعة : الخلصة ، وهراشا : أى تقانلا .

(٥) انظر ص ٣٢٦ من الجزء الثالث .

(٦) انظر ص ٣٢٥ من الجزء الثالث .

(٨) انظر ص ٢٢٣ من الجزء الثالث .

ووقع إلى علي بن عيسى بن ماهان ، وقد كتب إليه بقتل العُمري^(١) :
« بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ »

المأمون

ووقع المأمون في قصة متظلم من علي^(٢) بن هشام :
« يَا أَبَا الْحُسَيْنِ ، الشَّرِيفُ^(٣) مَنْ يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ ، وَيَظْلِمُهُ مَنْ دُونَهُ ،
فَانْظُرْ أَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَنْتَ ؟ » .

وإلى هشام : « لَا أَذْنِيكَ وَلَكِ بِيَابِي خَصَمٌ » .
وإلى الوُثُمِيُّ وَقَدْ تَظَلَّمَ مِنْهُ غَرِيمٌ^(٤) لَهُ :
« لَيْسَ مِنَ الْمَرْوَةِ أَنْ تَكُونَ أَوَانِيكَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَجَارُكَ
طَاوٍ^(٥) ، وَغَرِيمُكَ خَاوٍ » .

وفي قصة متظلم من عمرو بن مَسْعَدَةَ :
« يَا عَمْرُو ، عَمَّرَ نِعْمَتُكَ بِالْعَدْلِ ، فَإِنَّ الْجَوْرَ يَهْدِمُهَا »
وفي قصة متظلم من أَبِي عَبَّادٍ :
« يَا ثَابِتَ ، لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قَرَابَةٌ » .

(١) نسبة إلى عمرك منحوتا من عمر كسكر (كما قالوا حضرمي في النسب إلى حضرموت) وكسكر
كجعفر : كورة واسعة كانت قصبتها واسط التي بين البصرة والكوفة ، والعمر بالضم : الدير
للنصارى ، وهذا العمر في شرق واسط ، يحيط به بساتين نخيل بينه وبين دجلة .

(٢) انظر ص ٥٢٩ من الجزء الثالث .

(٣) وفي رواية العقد : « من علامة الشريف أن يظلم .. » .

(٤) الغريم : الدائن .

(٥) أي جائع ، من الطوى : وهو الجوع ، وفي رواية العهد : « وغريمك خاو » .

وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه :

« فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ » :

وفي قصة متظلم من حميد الطوسي :

« يَا أَبَا غَنَمٍ ، لَا تَغْتَرَّ بِمَوْضِعِكَ مِنْ إِمَامِكَ ، فَإِنَّكَ وَأَخْسُ عبيده

في الحق سيِّان » .

وفي رواية أخرى : « يَا أَبَا حَامِدٍ ، لَا تَتَكَلَّ عَلَى حَسَنِ رَأْيِي فِيكَ ،

فإِنَّكَ وَأَحَدَ رَعِيَّتِي عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ » .

وإلى طاهر^(١) صاحب خراسان :

« اِحْتَمَدَ ، أَبَا الطَّيِّبِ ، إِذَا أَحْلَاكَ خَلِيفَةُ مَحَلِّ نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، فَمَا لَكَ

مَوْضِعٌ تَسْمُو إِلَيْهِ نَفْسُكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَوْقَهُ عِنْدَهُ » .

وفي كتاب بشر بن داود^(٢) :

« هَذَا أَمَانٌ عَاقَدْتُ اللَّهَ فِي مَنَاجَاتِي إِيَّاهُ » .

وفي كتاب قثم بن جعفر في فدك حين أمره بردها^(٣) :

« قَدْ أَرْضَيْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي فَدَكٍ ، كَمَا أَرْضَى اللَّهُ خَلِيفَتَهُ فِيهَا » .

وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي :

« قَدْ احْتَمَلْنَا بَدَاءَكَ^(٤) وَشَكَاسَةَ خُلُقِكَ ، فَأَمَّا ظُلْمُكَ لِلرَّعِيَةِ فَإِنَّا

لَا نَحْتَمِلُهُ » .

(١) هو طاهر بن الحسين وكنيته أبو الطيب .

(٢) انظر تاريخ الطبري ١٠ : ٢٨١ .

(٣) انظر ص ٥٠٩ من الجزء الثالث وفي الأصل « لإبراهيم بن جعفر » وصوابه « قثم بن جعفر » .

(٤) البذاء والبذاءة : السفه والفحش في النطق ، وقد بذؤ ويشك فهو بنى ، وشكس ككرم

فهو شكس كصعب وكنف ورجل (بفتح فضم) أى صعب الخلق .

ووقع إلى بعض عماله :

« طالع كل ناحية من نواحيك ، وقاصية من أقاصيك ، بما فيه استصلاحها » .

وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : « إن غفرت فيفضلك ، وإن أخذت فيحققك » فوقع في كتابه :

« القدرة تذهب الحفيظة ^(١) ، والندم جزء من التوبة ، وبينهما عفو الله » .

ووقع في رقعة موئى طلب كسوة :

« لو أردت الكسوة ، للزمت الخدمة ، ولكنك آثرت الرقاد ، فظلك الرؤيا » .

ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه - وقد وافته الأموال - :

« يؤمر له بخمسمائة ألف لطول همته ، ولثمامة بن أشرس بثلاثمائة ألف لتركه مالا يعنيه ، ولأبي محمد اليزيدي يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره ، وللمعلمي بخمسمائة ألف لصحيح سنته ^(٢) ، ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لصديق لهجته ، وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه ، ولأحمد ^(٣) بن أبي خالد بألف ألف لمخالفته شهوته ، ولإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعه ، وللمريسي بثلاثمائة ألف لإسباغ وضوئه ^(٤) ، ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه » .

(١) الحفيظة : الغضب ، ويروى أن قول ابن المهدي ورد المأمون عليه كان مشافهة لا مكتوبة - انظر جهرة خطب العرب ٣ : ١٢٦ .

(٢) في الأصل « سنه » وأراه محرفا .

(٣) أحد وزراء المأمون - انظر خبره في الفخرى ص ٢٠٥ .

(٤) أسبغ الوضوء : أبغاه مواضعه ووفى كل عضو حقه .

ووقع إلى الواقدي وقد كتب يذكر ديننا عليه ويستمنح :

« فيك خصلتان : سخاء وحياة ، أما السخاء فهو الذي أطلق يدك فيما ملكت ، وأما الحياة فهو الذي حملك على أن ذكرت بعض دينك دون كله ، وقد أمرت لك بضعف ما كتبت ، فزد في بسط يدك ، فإن خزائن الله مفتوحة ، ويده بالخير مبسوطة » .

ووقع إلى عامل شكاه أهل عمله :

« إن آثرت العدل حصلت على السلامة ، فأنصف رعيتك من هذه الظلّامة » .

ووقع إلى نصر بن سيار^(١) .

« يا أبا رافع ، إني رافِعُكَ إلىَّ ومُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا^(٢) » .

ورفع إليه أهل السواد قصة في إتيان الجراد على غلاتهم ، فوقع فيها :

« نحن أولى بضيافة الجراد ، من أهل السواد ، فليحطّ عنهم نصفُ

الخراج » .

وكتب إليه عبد الله بن طاهر يشكو إليه بُعدَه عن حضرته ، ويسأله

الإذن له في الإمام^(٣) بها ، فوقع في كتابه :

(١) كنّا جاء في خاص الخاص ، وهو خطأ ، فإن نصر بن سيار مات في ساوة بالقرب من همدان سنة

١٣١ — انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢ في خلال ترجمة أبي مسلم ، وتاريخ الطبري ٩ : ١١٢ —

وقد قدمنا لك في ص ٣٣٣ من الجزء الثالث أن رافع بن ليث بن نصر بن سيار خرج على الرشيد بسمرقند وخلفه سنة ١٩٠ ، فالظاهر أن الذي كتب إليه المأمون هذا التوقيع هو ابن رافع هذا .

(٢) اقتبس من الآية السكرية : « إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ إِلَيَّ » .

وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا » .

(٣) ألم به : نزل .

« قُرْبَكَ يَا أبا العباس إِلَى حَيْبٍ ، وَأَنْتَ مِنْ قَلْبِي حَيْثُ كُنْتُ قَرِيبٌ ،
وَأِنَّمَا بَعْدَتْ دَارُكَ ، نَظَرًا بِكَ ، وَرَغْبَةً إِلَيْكَ ، مَعَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
« رَأَيْتُ دُنُوَّ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَا بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعِيدٌ »
وَلَمَّا مَاتَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ رُفِعَتْ إِلَى الْمَأْمُونِ رُقْعَةٌ أَنَّهُ خَلَفَ ثَمَانِينَ
أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَوَقَعَ فِي ظَهْرِهَا :
« هَذَا قَلِيلٌ لِمَنْ اتَّصَلَ بِنَا ، وَطَالَتْ خِدْمَتُهُ لَنَا ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَوْلَدِهِ فِيمَا
خَلَفَ ، وَأَحْسَنَ لَهُمُ النَّظَرَ فِيمَا تَرَكَ » .

الوائق

وَكُتِبَ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ يَمْرُؤُ فِي حَاجَةٍ لَهُ يَبْتَغِي شِعْرًا إِلَى الْوَائِقِ يَقُولُ :
جَذَبَتْ دَوَاعِيَ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَنَى وَقَلَّتْ لَهَا كُفَى عَنِ الطَّلَبِ الْمُزْرَى
فَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَفِّهِ مَدَارُ رَحَى بِالرِّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرَى
فَوَقَعَ تَحْتَهُمَا : « جَذَبْتُكَ نَفْسَكَ عَنْ امْتِهَانِنَا بِالسَّأَلَةِ دَعَانِي إِلَى صَوْنِكَ
بِسَعَةِ فَضْلِي عَلَيْكَ ، نَخَذُ مَا طَلَبْتَ هَنِيئًا » .

أبو مسلم الخراساني

وَوَقَعَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ فِي كِتَابِ سُلَيْمَانَ^(١) بْنِ كُثَيْبٍ الْخَزَاعِيِّ :
« لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٍّ وَسَوْفَ تَهَامُونَ » .

(١) أَحَدُ دَعَاةِ الْعَبَّاسِيِّينَ — انْظُرِ الْجُزْءَ الثَّانِي ص ٥٥٧ — وَبَعْدَ أَنْ تَمَّ الْأَمْرُ لِلِسَفَاحِ اتِّهَمَ أَبُو مُسْلِمٍ
سُلَيْمَانَ بْنَ كُثَيْبٍ فَقَتَلَهُ — انْظُرِ تَارِيخَ الطَّبْرِيِّ ٩ : ١٤٢ .

وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هبيرة :
« قَلَّ طَرِيقٌ سَهْلٌ تُلْقَى فِيهِ الْحَجَارَةُ إِلَّا عَادَ وَعَرَا ، وَاللَّهُ لَا يَصْلُحُ طَرِيقُ
فِيهِ ابْنُ هَبِيرَةَ أَبَدًا ^(١) » .

وإلى محمد بن صُول - وكتب إليه بسلامة أطرافه - :
« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »
وإلى عامله ببَلَخ : « لَا تَوَخَّرْ عَمَلُ يَوْمٍ لَعْدٌ » .
وإلى أبي سَلَمَةَ الْخَلَّالِ حِينَ أَنْكَرَ نِيَّتَهُ :
« وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ
قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ » .

عمر و بن عبید

وكتب أبو جعفر المنصور إلى عمرو ^(٢) بن عبید .
« أبا عثمان ، أعني بأصحابك ، فإنهم أهل العدل ، وأصحاب الصدق ،
والمؤثرون له » فوق في كتابه : « ارفع علم الحق يتبعك أهله » .

أبو عبید الله

وكتب إلى أبي عبید الله كاتب المهدي رجل يعتذر ولا يُحْسِنُ ،
فوقع في كتابه .

(١) انظر ص ٥ من الجزء الثالث .

(٢) هو أحد أئمة المعتزلة ، وكانت أخته زوجة واصل بن عطاء ، توفي سنة ١٤٤ ، انظر ترجمته
في وفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ والنية والأمل ص ٢٢ .

« ما رأيتُ عُذْرًا أَشْبَهَ بِاسْتِثْنَائِ ذَنْبٍ مِنْ هَذَا » .

الفيض بن أبي صالح

ووقع الفيض^(١) بن أبي صالح في رُقعة معتذر تائب :
« التوبة للمُذْنِبِ كالدواء للمريض ، فَإِنْ نَصَحْتَ^(٢) تَوْبَتُهُ ، أَتَمَّ اللَّهُ شِفَاءَهُ ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى أَدَامَ اللَّهُ دَاءَهُ » .

يحيى بن خالد البرمكى

ووقع يحيى بن خالد البرمكى في جواب رُقعة لابنه الفضل « ما أهونَ التدبيرَ بالوصف » .

وفي رُقعة متظلم ليعرض التوقيع على من شكاه : « أَنْصِفْ مَنْ وَلِيْتَ أَمْرَهُ ، وَإِلَّا أَنْصَفَهُ مِنْكَ مَنْ يَلِي أَمْرَكَ^(٣) » .
وإلى رجل استبطأه واستزاره : « أَجْنَحُ إِلَيْكَ بِغَالِبِ الْفَضْلِ ، وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ بِصَادِقِ النِّيَّةِ » .

جعفر بن يحيى البرمكى

ووقع جعفر بن يحيى البرمكى في قصة محبوس التمس الإطلاَقَ :
« لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ »^(٤) .

(١) وزر للهدى ، وتوفى سنة ١٧٣ - انظر ترجمته في الفخرى ص ١٦٩ .

(٢) أى خلصت .

(٣) ويعزى هذا التوقيع إلى ابنه جعفر .

(٤) وفي خاص الخاص أن هذا التوقيع لأبيه يحيى بن خالد .

ووقع في مثله : « السدلُ أوقعه ، والتوبة تُطْلِقُه » .
 وفي قصة مُتَنَصِّح^(١) : « بعضُ الصدق قبيح » .
 وأكثرَ الناسُ شكِيَّةً عاملَ فوقع إليه في قصتهم :
 « يا هذا ، قد كُتِرَ شاكوكُك ، وقلَّ شاكروك ، فإِذَا اعتدلت ،
 وإِذَا اعترَلت »^(٢) .

وفي قصة رجلٍ شكَا بعضَ خَدَمِهِ :
 « خذْ بِأُذُنِهِ ورَأْسَهُ ، فهو مَالِكٌ »
 وإِلى عاملٍ فارسٍ في رَجُلٍ كَتَبَ إِلَيْهِ بِالْوَصَاةِ :
 « كُنْ لَهُ كَأَيِّهِ وَلَوْ كَانَ مَكَانَكَ »
 وإِلى عاملٍ مصرٍ في رجلٍ مِنْ بَطَانَتِهِ يوصِيهِ :
 « إِنَّهُ رَغِبَ إِلَى شِعْبِكَ^(٣) ، فارغب في اصطناعه »
 وفي قصة متظلمٍ من بعضِ عماله : « إِنِّي ظَلَمْتُكَ دُونَهُ » .
 وفي قصة محبوبٍ : « الجناية حبستهُ ، والتوبة تُطْلِقُه » .
 وإِلى قومٍ : « عَيْنُ الْخَلِيفَةِ تَكَلَّوْكُمْ^(٤) ، وَنَظَرُهُ يَمُوتُكُمْ » .
 وفي رقعة صرُورةٍ استأذنه في الحج : « مَنْ سَافَرَ إِلَى اللَّهِ أَنْجَحَ »^(٥) .

(١) تنصح : تشبه بالناصح .
 (٢) وفي رواية السكامل للمبرد : « وقل حامدوك ، فإِذَا عدت ... » وفي نهاية الأرب :
 « وكتب محمد إلى يحيى بن هرمة - وكان عاملاً على أصفهان - وقد تظلم منه أهلها : « يا يحيى ... »
 ولا ندرى من محمد المذكور ، إذ لم يرد بعده ما يعينه ، وجاء في شرح نهاية الأرب عن يحيى بن هرمة :
 « كذا في الأصل ، ولم تقف على هذا الاسم فيمن تولى عمل أصفهان ، ولعل صوابه « هرمة » .
 (٣) الشعب بالكسر : ما انفرج بين جبلين ، يعني به وادي النيل .
 (٤) أي تحرسكم .
 (٥) أنجح : صار ذا نَجَحٍ .

وفي قصة رجل شكَا عُرْبَةً^(١) : « الصوم لك وَجَاءَ »^(٢)
 وفي رقعة رجل سأل ولاية : « لَا أَوَّلَىٰ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا
 وفي قصة رجل سأل أَنْ يُقْفَلَ^(٣) ابْنَهُ ، فَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنْهُ
 « غَيْبَةُ يُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ أَطْوَلَ »
 وفي قصة رجل تظلم من أحد عماله : « إِنَّ^(٤) لِيْثْلَهُ حَتَّى يُنْصَفَكَ »
 وفي قصة قوم شكوا سُوءَ جِوَارٍ بَعْضِ قَرَابَتِهِ : « يَرْحَلُ عَنْكُمْ »
 وفي قصة مستمنح كان قد وصله مراراً :
 « دَعِ الضَّرْعَ يَدِرْ لِفَيْرِكَ كَمَا دَرَّ لَكَ »^(٥)
 وإلى الفضل بن الربيع ، وجاءه منه كتاب غمّه وأَكْرَبَهُ .
 « كَثْرَةُ مُلَاحَاةِ^(٦) الرِّجَالِ ، رَبَّيَا أَرَاقتَ الدِّمَاءَ »
 وإلى منصور بن زياد في أصر عاتبه فيه : « لَمْ تَزِرْ عَاثَكَ لِنَحْصُودِكَ »
 وإلى بعض عماله : « اجْعَلْ وَسِيلَتَكَ إِلَيْنَا مَا يَزِيدُكَ عِنْدَنَا » .
 وكتب إليه رجل يستبطنه ، فوقع في ظهر كتابه :
 « أُحْتَجُّ عَلَيْكَ بِغَالِبِ الْقَضَاءِ ، وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ بِصَادِقِ النِّيَّةِ »^(٧)

(١) العزبة : العزوبة .

(٢) أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » والباءة : النكاح ، ووجأ : التيس وجئا ووجاء : إذا دق عروق خصيتيه بين حجرين من غير أن يخرجهما ، أى أن الصوم يقطع الشهوة للنكاح كما يقطعها الوجاء ، إذ أن الوجوء لا يضرب .

(٣) أقفل الجند : ردهم من الغزو إلى وطنهم .

(٤) أى بث شكواك وتوَجَّع ، أمر من أن يئن : أى تأوه من الوجع .

(٥) وفي خاص الخاص أن هذا التوقيع لأبيه يحيى .

(٦) الملاحاة : المنازعة ، وفي العقد « ملاحاة الدماء » وأراه محرفاً .

(٧) انظر ص ٤٤٤

وإلى بعض ندمائه : « لَا تُبْعِدْ مَنْ ضَمَّكَ » .

ووقع إلى متنصل من ذنب : « حُكْمُ الْفَلَتَاتِ خِلَافُ حَكْمِ الْإِصْرَارِ » .
وكتب إليه أن صاحب الطريق قد اشتطَّ فيما يطلب من الأموال
فوقع : « هذا رجل منقطع عن السلطان ، وبين ذؤبان^(١) العرب ، بحيث
العدوُّ والمُدَّة ، والقلوبُ القاسيةُ ، والأنوفُ الحميَّةُ ، فلمُمدد من المال
بما يستصلح به من معه ، ليدفع به عدوه ، فإن نفقات الحروب يُستظهر لها ،
ولا يُستظهر عليها » .

ووقع في رقعة معتذر من ذنب :
« قَدْ تَقَدَّمَتْ طَاعَتُكَ ، وَسَبَقَتْ^(٢) نَصِيحَتُكَ ، فَإِنْ بَدَرْتَ مِنْكَ
هَفْوَةٌ فَلَنْ تَغْلِبَ سَيِّئَةُ حَسَنَتَيْنِ » .

ووقع - وقد قرأ كتابا فاستحسن خطه - :
« الْخَطُّ خِيَطُ الْحِكْمَةِ ، يُنْظَمُ فِيهِ مَشْوَرُهَا ، وَيَفْصَلُ فِيهِ شُدُورُهَا^(٣) » .
ووقع : « الْخَرَجُ عَمُودُ الْمُلْكِ ، وَمَا اسْتَغْزَرَ^(٤) بِمِثْلِ الْعَدْلِ ، وَمَا اسْتَنْزَرَ
بِمِثْلِ الْجَوْرِ » .

وكتب عمر بن مَسْعُودٍ إِلَى ضَمْرَةَ الْحَرْوَرِيِّ^(٥) كتابا ، فنظر فيه جعفر
ابن يحيى فوقع في ظهره :

-
- (١) ذؤبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم .
(٢) وفي زهر الآداب « وظهرت » .
(٣) الشذر (بالفتح) : قطع من الذهب ، خرز يفصل بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار ، واحده شذرة .
(٤) استغزر : كثر ، واستنزر : قلل .
(٥) كان الخوارج يسمون « الحرورية » نسبة إلى حروراء ، وهي قرية بظاهر الكوفة نزلوها حين اعتزلوا عليا بعد رجوعه من صفين .

« إذا كان الإكثار أبلغَ كان الإيجاز مقصراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً » .

ويروى أن جعفر بن يحيى قال لكتّابه : « إن قدّرتُم أن تجعلوا كتُبكم كلها توقيعاتٍ فافعلوا^(١) » .

وقال ابن خلدون في مقدمته^(٢) : « وقد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ، ويرمى بالقصة إلى صاحبها ، فكانت توقيعاته يتنافس البلاء في تحصيلها ، للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها ، حتى قيل إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار » .

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان^(٣) : « ويقال إن جعفر بن يحيى وقع ليلةً بحضرة هرون الرشيد زيادةً على ألف توقيع ، ولم يخرج في شيء منها عن موجب الفقه » .

وقال الجاحظ في البيان والتبيين^(٤) : « وخبرني جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال : ذكرت لعمر بن مسعدة توقيعات جعفر ابن يحيى قال : قد قرأت لأُم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها ، فوجدتها أجود اختصاراً ، وأجمع للمعاني » .

(١) انظر الكامل للمبرد ١ : ١٤٤ وأدب الكتاب ص ١٣٤ وص ٢٢٨ والصناعتين ص ١٦٦ وجاء في الصناعتين أيضاً (ص ١٨١) أنه مع إعجابه بالإيجاز قال : « متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيباً ، ومتى كانت الكناية في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيراً » .

(٢) انظر باب ديوان الرسائل والكتابة ص ٢٧٤ .

(٣) انظر ج ١ : ص ١٠٥ .

(٤) انظر ج ١ : ص ٥٩ .

الفضل بن يحيى

ووقع أخوه الفضل : « بنس الزاد إلى المعاد ، التمدى على المباد » .

الفضل بن سهل

وكتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن :

« احمَدِ اللهَ يا أخى ، فما يبيدُ خليفةُ اللهِ إلا على ذِكْرِكَ » .

وإلى طاهر بن الحسين : « تخيّر ما اصطنفت » .

وإليه أيضا : « لشرٍّ ما سموت » .

وإلى هرة ثمة - وأشار عليه برأي - : « لا يُحلُّ ما عقدت » .

وفي قصة متظلم : « كفى بالله المظلوم ناصرا » .

وفي قصة من نقب بيت المال : « يُدْرَأُ^(١) عنه الحدُّ إن كان له فيه سهم » .

ووقع إلى حاجبه : « تمهل وتمهل » .

وإلى صاحب الشرطة : « ترفق ترفق » .

وفي قصة متظلم : « طيب نفسك ، فإن الله مع المظلوم » .

وإلى رجل شكَا غلبة الدين :

« قد أمرنا لك بثلاثين ألفا ، وسندفمها بمثلها ، ليرغب المستصيحون^(٢) »

(١) يدفع .

(٢) اتصح : قبل النصيح .

وإلى رجل شكّا إليه الدّين :

« الدّينُ سوءٌ يهَيِّضُ^(١) الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه »

وفي قصة قوم قطعوا الطريق :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .

وفي امرئ قاتلٍ شهيد عليه المدّولُ فشَفِّعَ فيه : « كَتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ » .

وفي قصة رجلٍ شهيد عليه أنه شتم أبا بكر وعمر : « يُضْرَبُ دُونَ الْحَدِّ وَيُسْهَرُ^(٢) ضَرْبُهُ » .

وفي رقعة ساع :

« نَحْنُ نَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرًّا مِنْهَا ، لِأَنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ وَأَخْبَرَ بِهِ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ ، فَاتَّقُوا السَّاعِيَ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سَعَايَتِهِ صَادِقًا ، لَكَانَ فِي صَدَقَةِ آثِمًا ، إِذْ لَمْ يَحْفَظِ الْحُرْمَةَ ، وَيُسْتُرُ الْعَوْرَةَ ، وَالشَّيْءُ يُقَرَّنُ مَعَ جَنْسِهِ » .

ووقع إلى تميم بن خزيمة^(٣)

« الْأُمُورُ بِتَمَامِهَا ، وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا ، وَالصَّنَائِعُ بِاسْتِدَامَتِهَا ، وَإِلَى

(١) هاض العظم يهَيِّضُه : كسره بعد الجبور .

(٢) شهره كمنعه ، وشهره . أظهره في شناعة .

(٣) وفي كتاب بغداد لابن طينور والمقد الفريد : ووقع طاهر بن الحسين إلى خزيمة بن خازم :

« الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا ، وَالصَّنِيعَةُ بِاسْتِدَامَتِهَا ، وَإِلَى الْغَايَةِ مَا جَرَى الْجَوَادُ ، فَحَمْدُ السَّابِقِ ، وَذَمُّ السَّاقِطِ » .

الغاية يجري الجوادُ ، فهناك كشفتِ الخِبرة قِنَاعَ الشكِّ ، فُحِمدَ السابق ،
وَدُمَّ الساقطُ » .

الحسن بن سهل

ووقع الحسن بن سهل في قصة متظلم :
« يُنظر فيما رَفَعَ ، فإن الحق متَّبِع ، وإلَّا فشانُ السَّليم دواء السَّقِيم » .
وفي قصة قوم تظلموا من واليهم :
« الحقُّ أولى بنا ، والمدلُّ بُعِثنا ، وإن صَحَّ ما ادَّعيتم عليه صَرَفناه
وعاقبناه » .

وفي قصة امرأة حُبِس زوجها : « الحقُّ يحبسُه والإِنصافُ يُطْلِقُه » .
وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له :
رَأَيْتُ فِي النُّومِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِي دَنَانِيرُ^(١)
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ فَهْمٌ وَمَعْرِفَةٌ : رَأَيْتَ خَيْرًا وَلِلْأَحْلَامِ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسَّرْ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ فِي الْحَلْمِ دُرًّا وَفِي النُّومِ التَّبَاشِيرُ
فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : « أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ^(٢) وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ، وَالْحَقُّ لَهُ مَا التَّمَسُّهُ^(٣) » .

(١) الوصيف : الخادم والخادمة .

(٢) أضغاث أحلام : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها .

(٣) وفي رواية أخرى لصاحب العقد : « عن البعلين الشاعر قال : قدمت على بن يحيى الأرمني ،
فكُتبت إليه ... » والبيت الثالث :

رُؤْيَاكَ فَسَّرْ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ تَعْبِيرُ ذَلِكَ وَفِي الْفَالِ التَّبَاشِيرِ

وَبَعْدَهُ : فَجِئْتُ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشْعِرًا فَرِحَا وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِالْفِعْلِ تَبْشِيرِ

وكتب إليه رجل يتوسل بسالف إحسانه ، فوقع :
« مرحباً بمن توسل إلينا بنا » وأمر له بصلة

طاهر بن الحسين

ووقع طاهر بن الحسين في رقعة متصحح : « سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ » .

وفي رقعة مستبطن إياه في الجواب : « تَرَكُ الْجَوَابَ جَوَابٌ »
ورفع إليه مستمنح وكذب في عدد عياله - وكان طاهر يعرفهم - فوقع :
« لَا جَوَابَ لِكَذَّابٍ » ثم حاود وصدق في عددهم ، فوقع : الْآنَ
جِئْتَ بِالْحَقِّ » وأمر له بصلة .

ووقع في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شبث (١) :
« طلبت الحق في دار الباطل » .

ووقع في قصة قهرمان (٢) له شكاء سوء معاملة :
« ائْتِمْحْ يُسْمِخْ لَكَ » .

ووقع في قصة رجل طلب قبالة (٣) بعض أعماله :
« الْقِبَالَةُ مِفْتَاحُ الْفَسَادِ ، وَلَوْ كَانَتْ صَلَاحًا مَا كُنْتَ لَهَا مَوْضِعًا » .
وإلى السُّنْدِيِّ بْنِ شَاهَكَ - وجاءه منه كتاب يسأله الأمان - :
« عِشْ مَا لَمْ أَرَكْ » .

(١) القعد « نصر بن شبث » وهو تحريف ، وقد تقدم .

(٢) هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمر الرجل بلغة الفرس ، معرب .

(٣) القبالة : الكفالة ، قبل به كنصر وسمع وضرب فهو قبيل : أى ضامن وكفيل .

وإلى العباس بن موسى الهادي - واستبطأه في خراج الكوفة - :
 وليس أخو الحاجاتِ مَنْ باتَ نائماً ولكنْ أخوها مَنْ يَبِيتُ على وَجَلٍ
 ووقع في قصة رجل شكاً أنَّ بعض قواده نزل في دارله وفيها حُرْمَةٌ^(١) :
 « إذا رأيتَه في ناحيةِ دارِكَ فقد حلَّ لك قتله » .
 ووقع في قصة رجل ذكر أنَّ أخاه قُتل في طاعة المأمون :
 « سالكُ طاعةِ الله ، واللهُ وَلِيُّ جزائه » .
 ووقع في قصة رجل ذكر أنه قتل في يوم واحدٍ عشرةً من أصحاب
 المخلوع « الأمين » :

« لو كنتَ كما وصفتَ لم يخفَ علينا ما ذكرتَ » .
 ووقع في قصة رجل ذكر أن منزله أُحرق بالنار :
 « أخطأك مَنْ قَصَدَكَ » .

ودخل على طاهرٍ كاتبُ العباسِ بن موسى - وكان ركيكاً - فقال :
 أخيك ابنُ موسى يُقرئك السلام ، قال : وما تلي من أمرِه ؟ قال : أنا كاتبه
 الذي أطعمه الخبز ، فوقع :

« يُعزَلُ العباسُ ، بسوء اختياره للكفاء^(٢) » .

ووقع في قصة محبوبس : « يُخْرِجُ ولا يُخَوِّجُ » .

ووقع في قصة آخر : « يُطْلَقُ ويُعْتَقُ »

ووقع في قصة مستمنح : « يُبَلِّغُ^(٣) حاله »

(١) حرم الرجل : نسأؤه وما يحى .

(٢) الكفاء والأ كفاء جمع كفء ، وربما كان الأصل « للكفاءة » بضم الكاف ، جمع كاف

(٣) بله كنصره : نداء ، وبَلَّ رجمه : وصلها ، استعاروا البَلَّ بمعنى الوصل كما استعاروا اليأس

ووقع في رقعة مستوصِل : « يُقَامُ أَوْدُهُ ^(١) »
ووقع في قصة مستجير : « أَنَا جَارُهُ »
ووقع في قصة مستأمن : « يَأْمَنُ سِرْبُهُ ^(٢) »
ووقع في قصة قاتِل : « لَا يُؤَخَّرُ قَتْلُهُ »
ووقع في قصة شاعر : « يَجْجَلُ نَوَابُهُ »
ووقع في قصة لصٍ : « يَنْفَذُ حُكْمُ اللَّهِ فِيهِ »
ووقع في قصة ساعٍ : « لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ »
ووقع في قصة قوم شغبوا على عاملهم :
« الشَّغَبَ لِفَرْقَةٍ سَبَب ، فَلْتُمَحَّ أَسْمَاؤُهُمْ ، وَتُحَسِّنَ آدَابُهُمْ ، وَتُقَطَّعَ
بِالنِّفَى آثَارُهُمْ »

عبد الله بن طاهر

وأدب عبد الله بن طاهر بعض قواده فمات ، فرفع إليه أن الناس
يقولون : إنه قتله ، فوقع : « إِنَّمَا أَدْبُنَا فَوَافِقَ الْأَدَبِ الْأَجَلِ » .
وأهدى نصر بن شيبث ^(٣) إليه هدايا كثيرة فردّها ، فزاد فيها وبعثها
ليلا مع رقعة في معناها ، فردّها ووقع في الرقعة :

لمعنى القطيعة ، وفي الحديث « بلوا أرحمكم ولو بالسلام » أى نذوها بالصلة ، وربما كان الأصل « يبلى
حاله » من بلاء يبلوه إذا اختبره .

(١) الأود : الاعوجاج .

(٢) السرب : النفس والقلب .

(٣) في خاص الخاص « نصر بن شيبب » أيضا ، وهو تحريف .

« لو قِيلَتُ الهدية ليلاً لَقَبِلَتْهَا نهاراً ، وما آتَانِي اللهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ ،
بَلْ أَنْتُمْ بِهِدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ^(١) » .

ووقع إلى عمّال له شكاهم الرعية :

« قد قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ الإِعْذَارَ ، واحتججتُ إِلَيْكُمْ بالإِنْذار ، وليت العتابَ
بالفأ ما أُرِدْتُ ، ولقد هَمَمْتُ أَنْ أَجْعَلَ مَعَاقِدَتِي لَكُمْ مِمَّا قَبْلَهُ ، فإِنْ تَبَهُوا مِنْ
سِيئَتِكُمْ ^(٢) ، وانظُرُوا لأنفُسِكُمْ ، وَأَحْسِنُوا بِالْأَكْرَةِ ^(٣) ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يَجْعَلُ أَيْدِيَهُمْ لَنَا طَعَاماً ، وَأَلْسِنَتَهُمْ سَلَاماً ، وظلّهم حَرَاماً ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَى ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ »

وكتب إليه بعض قواده يسأله حَظَّ خِراجِهِ والزِيَادَةَ فِي أرْزَاقِهِ ، فوقع
فِي كِتَابِهِ :

« أَفَى النُّومِ أَبْصَرْتَ ذَا كَلِّهِ ؟ خَيْرٌ أَرَأَيْتَ ، وَخَيْرٌ أَيْكُونُ ! »

يوسف بن القاسم

ووقع يوسف ^(٤) بن القاسم - والد أحمد بن يوسف - إلى طاعل :
« إِنْ كُنْتَ مُنْصِيفاً مِنْ نَفْسِكَ فَلِمَ تَعْظِمُ لغيرِكَ ؟ وَإِنْ ظَلَمْتَ لغيرِكَ
فَكَيْفَ تَنْصِيفُ مِنْ نَفْسِكَ ؟ » .

ووقع فِي رَقْعَةٍ رَجُلٌ قَدْ اسْتَمَاحَهُ :

(١) وفي رواية أخرى أَنَّ تِلْكَ الْقِصَّةَ كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ طَاهِرٍ مَعَ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ السَّرِيِّ بِمِصْرَ - انظر
ما قدمناه فِي ص ٥٠٤ من الجزء الثالث .

(٢) السنة : الناس .

(٣) الأكار : الحرات وجمعه أكرّة ، كأنه جمع آكر فِي التقدير

(٤) روى الصولي فِي كتاب الأوراق ١ : ١٥٦ أَنَّ يَوْسُفَ بْنَ الْقَاسِمِ كَانَ يَخْلِفُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ عَلَى
التَّوْقِيعِ فِي دَارِهِ وَدَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

« قد أمرنا لك بشيء هودونَ قدرك على الاجتهاد ، وفوق كفايتك مع الاقتصاد^(١) » .

ولما ولى الرشيد على بن عيسى بن ماهان خراسان ، سأل الرشيد أشياء ثقّلت عليه ، فقال ليوسف ، عرفه مقدار ما فعلتُ به ، فأني أظنّه جهّله ، فوقّع إليه :

« قد كفيناك بما ولّيناك ، وخراسانُ تسعك ما وسّعك عمرٌ » .
ووقع إلى بعض ولده :

« إذا لم يكن معروفك إلاّ عند من تعرفُ ، لم يجزُ معروفك رواق بيتك » .

ووقع : « من جور الدنيا أنها لا تُعطي أحدا ما يستحق ، إما أن تزيد وإما أن تنقصه » :

ووقع إلى بعض ولده :

« إياك وصحبة فلان ، وإن كان قريبَ النسب منك ، فإنه بعيد الشبهة بك ، فقد يفسد على الإنسان بعضُ جسده فيقطعه وهو أولى به وأقرب » .

ووقع : « إن إساءة المحسن أن يكفّ عنك إحسانه ، وإحسان المسيء أن يكفّ عنك إساءته ، وأبعد ما بينهما ! » .

ووقع إلى رجل كذبه في شيء :

(١) ورد في العقد الفريد أن الحسن بن سهل كتب هذا التوقيع في قصة رائد ، وفيه « في الاستحقاق » محل قوله « على الاجتهاد » .

« لو صُوِّرَ الصِّدْقُ لَكَانَ أَسَدًا ، وَلَوْ صُوِّرَ الْكَذِبُ لَكَانَ ثَعْلَبًا ، وَمَا صَاحِبَاهُمَا بِبَعِيدَيْنِ مِنْ هَاتَيْنِ الصُّورَتَيْنِ » .

أحمد بن يوسف

ووقع أحمد بن يوسف إلى عامل ظالم :
« الْحَقُّ وَاضِحٌ لِمَنْ طَلَبَهُ ، تَهْدِيهِ مَحَجَّتُهُ ، وَلَا تُخَافُ عَثْرَتُهُ ، وَتُؤَمِّنُ
فِي السَّرِّ مَعْبَتَهُ ، فَلَا تَتَّقِلَنَّ مِنْهُ ، وَلَا تَعْدِلَنَّ عَنْهُ ، فَقَدْ بَالَفْتُ فِي مَنَاصِحِكَ ،
فَلَا تُحَوِّجْنِي إِلَى مَسَاوِدَتِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ التَّقْدِيمَةِ إِلَيْكَ ، إِلَّا سَطْوَةٌ
الْإِنْكَارِ عَلَيْكَ »



ووقع في كتاب رجل يحثه على استتمام صنائعه عنده :
« مَسْتَبْتُمُ الصَّنِيعَةَ مَنْ صَابَرَهَا ، فَعَدَّلَ زَيْغَهَا ، وَأَقَامَ أَوْدَهَا ، صِيَانَةٌ
لِمَعْرُوفِهِ ، وَنُصْرَةٌ لِرَأْيِهِ ، فَإِنَّ أَوَّلَ الْمَعْرُوفِ مَسْتَخَفٌّ ، وَآخِرُهُ مَسْتَثْقَلٌ ،
تَكَادُ أَوَائِلُهُ تَكُونُ لِلْهَوَى ، وَأَوَاخِرُهُ تَكُونُ لِلرَّأْيِ ، وَلِلذَلِكَ قِيلَ : رَبُّ^(١)
الصَّنِيعَةِ أَشَدُّ مِنْ إِبْتِدَائِهَا »



ووقع في عناية بإنسان إلى بعض العمال :
« أَنَا بِفُلَانٍ تَامٌ الْعَنَايَةِ ، وَلَهُ شَدِيدُ الرِّعَايَةِ ، وَكَانَتْ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ

(١) رب الصنعة كنصر: نَمَاهَا وَزَادَهَا وَأَتَمَّهَا وَأَصْلَحَهَا ، وَفِي زَهْرِ الْآدَابِ « تَتِمُّ الصَّنِيعَةُ ... »

ما أَرَعَيْتُهُ طَرَفَكَ مِنْ أَمْرِهِ فِي كِتَابِي ، مُسْتَوْدَعًا سَمْعَكَ مِنْ خُطَابِي ، فَلَا تَعْدِلَنِّي بِعَنَائِتِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَا تَمْنَحَنِّي تَفَقُّدَكَ سِوَاهُ ، حَتَّى تُثْبِلَهُ إِرَادَتَهُ ، وَتَجَاوِزَ بِهِ أُمْنِيَّتَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



وَوَقَعَ إِلَى رَجُلٍ غَضَبَ رَجُلٍ عَلَى ضَيْعَةٍ وَكَانَ غَائِبًا نَاسْتَغْلَهَا سَنِينَ ، وَقَدِمَ الرَّجُلُ فَطَالَبَهُ فَقَالَ : الضَّيْعَةُ لِي وَفِي يَدِي ، فَوَقَعَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ :
« الْحَقُّ لَا تَخْلُقُ^(١) جِدَّتُهُ ، وَإِنْ تَطَاوَلْتَ بِالْبَاطِلِ مَدَّتُهُ ، فَإِنْ أَنْطَقْتَ حُجَّتَكَ بِإِفْصَاحٍ ، وَأَزَلْتَ مُشْكِلَهَا بِإِيضَاحٍ - غَيْرَ « لِي وَفِي يَدِي »
فَكثِيرًا مَا أَرَاهَا ذَرِيعَةَ الْغَاصِبِ ، وَحِجَّةَ الْمَغَالِبِ - وَفَرَّقَ حَقَّكَ عَلَيْكَ ، وَسَبَّحَ
بِلا كَدٍّ إِلَيْكَ ، وَإِنْ رَكَنْتَ مِنَ الْبَيَانِ إِلَيْهَا ، وَوَقَفْتَ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ
عَلَيْهَا ، كَانَتْ حُجَّتُهُ بِالْبَيِّنَةِ أَعْلَى ، وَكَانَ بِمَا يَدَّعِيهِ أَوْلَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



وَمِنْ تَوْقِيعَاتِهِ :

« مَا عِنْدَ هَذَا فَائِدَةٌ وَلَا عَائِدَةٌ^(٢) ، وَلَا لَهُ عَقْلٌ أَصِيلٌ ، وَلَا فَعْلٌ جَمِيلٌ .



وَوَقَعَ إِلَى عَامِلٍ قَدْ أَخَّرَ حَمَلَ مَالٍ :
« قَدْ اسْتَبْطَأَكَ الْإِغْفَالُ ، وَأَبْطَرَكَ الْإِهْمَالُ ، فَمَا تُصْحِبُ قَوْلَكَ فَعَلًا ،

(١) خَلَقَ الثَّوْبَ كَنَصْرٍ وَكَرَمٍ وَسَمِعَ : بَلَى .

(٢) الْعَائِدَةُ : الْمَنْفَعَةُ وَالْمَعْرُوفُ .

وَلَا تُتَّبِعْ وَعْدَكَ إِنْجَازًا ، وَقَدْ دَافَعْتَ بِمَالِ نَجْمٍ^(١) لَزِمَكَ سَحْلُهُ ، حَتَّى
وَجَبَ عَلَيْكَ مِثْلُهُ ، فَاحْمِلْ مَالَ ثَلَاثَةِ أَنْجُمٍ ، لِيَكُونَ مَا يَتِمَّ جَلَّ مِنْكَ أَدَاءُ
مَا آخَرَ عَنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



ووقع إلى رجل استباحه :

« وَدِدْتُ لَوْ مَلَكَتُ بَغِيَّتَكَ ، لَبَلَّغْتُكَ أَمْنِيَّتَكَ ، وَلَسَكُنِي فِي عَمَلٍ
قَصِدْتُ فِيهِ اتِّخَاذَ الْحَامِدِ ، وَعَدَلْتُ عَنْ اقْتِنَاءِ الْفَوَائِدِ ، نَفْسٌ^(٢) نَصِيصِي مِنْ
الْوَفْرِ ، وَوَفَّرَ حَظِّي مِنَ الشُّكْرِ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمَا يَجِلُّ عَنْهُ قَدْرُكَ ، غَيْرَ
مُخْتَارٍ لَهُ ، بَلْ مُضْطَرًا إِلَيْهِ ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ عُذْرٌ فِيهِ ، وَشُكْرٌ عَلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »

عمرو بن مسعدة

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ : كُنْتُ أَوْقَعَ بَيْنَ يَدَيِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ ،
فَرَفَعَ إِلَيْهِ غِلْمَانَهُ وَرَقَةً يَسْتَزِيدُونَهُ فِي رَوَاتِبِهِمْ ، فَرَمَى بِهَا إِلَيَّ ، وَقَالَ : أَجِبْ
عَنْهَا ، فَكَتَبْتُ : « قَلِيلٌ دَائِمٌ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مُنْقَطِعٌ » فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى
ظَهْرِي وَقَالَ : « أَيُّ وَزِيرٍ فِي جِلْدِكَ ! »^(٣)

(١) النجم والقيسط : الحصة ، وكانت العرب تؤقت بطالوع النجوم ، لأنهم ما كانوا يعرفون الحساب ،
ولأنهم يحفظون أوقات السنة بالألواء ، وكانوا يسمون الوقت الذي يحل فيه الأداء نجما تجوزا ، لأن
الأداء لا يعرف إلا بالنجم ، ثم توسعوا حتى سمو ما يؤدى نجما لوقوعه في الأصل في الوقت الذي يطلع
فيه النجم ، واشتقوا منه فقالوا : نجمت الدين تنجما إذا جعلته نجوما .

(٢) في الأصل « غسن » وأرى أنه محرف وصوابه نفس وهو ما يقتضيه المقام ، والوفر : الغنى .

(٣) وفي خاص الخاص : « ورفع إلى يحيى بن خالد قوم من حشمه يستزيدونه في أرزاقهم ، فأمر
أنس بن أبي شيخ بالتوقيع في قصبتهم ، فوقع بين يديه « قليل دائم خير من كثير منقطع » فأعجب به
يحيى فقال : قد فاحت منك رائحة الوزارة . »

محمد بن يزداد

ومن توقيعات محمد بن يزداد^(١) :

« أَبْوَابُ الْمُلُوكِ مَعَادِنُ الْحَاجَاتِ^(٢) ، وَمَوَاطِنُ الطَّلِبَاتِ ، وَلَيْسَ لَاسْتِنْجَاحِهَا وَاسْتِنْجَازُهَا كَالصَّبْرِ وَالْمُلَازِمَةِ ، وَالْمُعَادَاةِ وَالْمِرَاوَحَةِ » .
ومنها : « مَا اسْتَحَالَ لِي فِيكَ نِيَّةٌ ، وَلَا تَغَيَّرَتْ عَقِيدَةٌ ، فَكَيْفَ أَخْلَفْتُ وَعْدَكَ ، وَأَحْلَلْتُ نَقْدَكَ ، وَأَنْقَضْتُ عَهْدَكَ ، وَأَنْسَى رِفْدَكَ؟^(٣) »

عبد الله بن محمد بن يزداد

ووقع عبد الله بن محمد بن يزداد إلى بعض أصحابه :

« يَا أبا العباس ، لَيْسَ عَلَيْكَ بَاسٌ ، مَا لَمْ يَكُنْ مِنْكَ بَاسٌ » .

ووقع إلى عامل اغتر^(٤) بكفايته وزاد :

« يَا هَذَا : أَشْرَفْتَ وَمَا أَنْصَفْتَ ، وَأَوْجَفْتَ^(٥) حَتَّى أَعْجَفْتَ ، وَأَدْلَلْتَ

حَتَّى أَمَلَلْتَ ، فَاسْتَصْغِرْ مَا فَعَلْتَ تَبْلُغْ مَا أَمَلْتَ » .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد آخر وزراء المأمون - انظر خبره في الفخرى

ص ٢٠٨ - .

(٢) قدما لك في ص ٤٣٤ من الجزء الثالث أن المأمون وقع في كتاب لأحمد بن يوسف : « الخير متبع ، وأبواب الملوك مغان لطالبي الحاجات ... » وفيه روايتان أخريان ، انظرها هناك .

(٣) الرfid : العطاء والصلة .

(٤) في الأصل « خاص الخاص » « اعتذر » وأرى أنه محرف ، وأن صوابه « اغتر » أو « اعتز » أو « اعتد » .

(٥) وجف الفرس والبعر كوعد وجيفا : عدا ، وأوجفه : أعداه ، وعجفت الدابة كتعب : هزلت ، وعجفها كنصر وضرب وأعجفها : هزلها ، وأدل عليه وتدل : انبسط ووثق بمحبته فأفرط عليه .

إبراهيم بن العباس

وورد كتاب بمض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بمدح رجل وذم آخر ، فوقَّع في كتابه :

« إذا كان للمحسن من الجزاء ما يُقْنِعُهُ ، وللمُسِيء من النَّكال ما يَقْمَعُهُ ^(١) ، بَدَلِ المحسن الواجب على رغبة ، وانقاد المسيء للحق رَهْبَةً .
فوثب الناس يقبلون يده .

ووقع لرجل مَتَّ ^(٢) إليه بِحُرْمَةٍ :
« قد مَتَّتْ بِحُرْمَةٍ مألوفة ، ووسيلة معروفة ، أقوم بواجبها ، وأرعاها من
جميع جوانبها » .

محمد بن عبد الله بن طاهر

ووقع محمد بن عبد الله بن طاهر إلى الكتاب ، وقد ضاقت بهم
الكواغِدُ ^(٣) في أيام فتنة المستمين والمعتز .
« دَقَّقُوا الأَقْلَامَ ، وَأَوْجِزُوا الكلام ، فَإِنَّ القَرَّاطِيسَ لَا تُرَامُ ،
والسلام » .

واعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه ، فرأى
خطه قبيحا فوقَّع في رقعته .

(١) قعه كمنعه : قهره وذلك .

(٢) أي توسلت .

(٣) الكواغِد جمع كاغد بالفتح : وهو القراطيس ، معرب .

« أَرَدْنَا قَبُولَ عُذْرِكَ ، فَاقْتَطَعْنَا عَنْهُ مَاقَابِلَنَا مِنْ قَيْسِحِ خَطِّكَ ، وَلَوْ كُنْتَ صَادِقًا فِي اعْتِدَارِكَ ، لَسَاعَدَتَكَ حَرَكَةُ يَدِكَ ، أَوْ مَا عَامَتَ أَنْ حَسُنَ الْخَطُّ يَنَاضِلُ عَنْ صَاحِبِهِ بِوُضُوحِ الْحُجَّةِ ، وَيُمْكِنُ لَهُ دَرَكُ الْبُعْثَةِ (١) »

عبيد الله بن سليمان بن وهب

وَرَفَعَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ عَامِلٍ مِنْ عَمَالِهِ : « إِنْ فِي بَيْتِ النَّارِ كَانُونًا مِنْ آثَارِ الْأَكَاْسَةِ ، وَفِيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ رطل فضةٍ ، وَفِي فَضَّتِهِ تَوْفِيرٌ لِبَيْتِ الْمَالِ » فَوَقَعَ :

« حِرْصُكَ عَلَى تَقْفِيَةِ آثَارِ الْأَوَائِلِ ، يَدُلُّ عَلَى لَوْمِ أَصْلِكَ ، فَبُعْدًا وَسُحْقًا (٢) لَكَ » .

وَوَقَعَ فِي كِتَابِ مَتَنَجَزٍ إِيَّاهُ وَعَدَا : « الشَّرْطُ أُمْلَكُ ، وَالْوَعْدُ كَأْخَذٍ بِالْيَدِ ، وَالْوَفَاءُ مِنْ سَجَايَا الْكِرَامِ »

وَفِي كِتَابِ مِثْلِهِ : لَيْسَ كُلُّ مَنْ أَنْسَيْنَاهُ أَهْمَلْنَاهُ ، وَلَا مَنْ أَخَرْنَاهُ تَرَكْنَاهُ ، مَعَ اقْتِطَاعِ الشَّغْلِ إِيَّانَا ، وَاقْتِسَامِهِ زَمَانَنَا (٣) »

وَوَقَعَ فِي شَأْنِ عَامِلٍ : « أَنَا قَادِرٌ عَلَى إِخْرَاجِ هَذِهِ النَّعْرَةِ (٤) مِنْ رَأْسِهِ ،

(١) السَّحْقُ بِالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ : الْبَعْدُ .

(٢) انْظُرْ مَاقَدِمَتَهُ فِي ص ٣٢٦ .

(٣) النَّعْرَةُ بِضَمِّ فَتْحٍ وَكَرْبَةٍ : الْخِيَلُ وَالْكَبَرُ ، يُقَالُ : إِنْ فِي رَأْسِهِ نَعْرَةٌ : أَيْ كِبَرٌ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ الْخِمَارَ إِذَا نَعَرَ (كَفَّرَحَ) رَكِبَ رَأْسَهُ ، فَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ رَكِبَ رَأْسَهُ : فِيهِ نَعْرَةٌ ، وَفِي خَاصِّ الْخَاصِّ « النَّعْرَةُ » وَهُوَ تَصْخِيفٌ .

والوَحْرَةَ^(١) من صدره ، والنَّخْوَةَ^(٢) من نفسه »

ووقع إلى ابن طولون . « اتق الله في الأرصاد ، فإن الله بالمِرْصادِ »

عبد الله بن المعتز

وكتب إلى عبد الله بن المعتز قَهْرَ مَائِهِ^(٣) يَنْسُبُ وكياله إلى الخيانة والسرقة ، ويستأمره في الاستدلال به ، فوقع في رقعة : «

أَغْنِ مَنْ وَلِيَّتَهُ عَنِ السَّرِقَةِ ، فَلَيْسَ يَكْفِيكَ مَنْ لَمْ تَكْفِهِ » .

وكتب إليه بعض مواليه يذكرك جِدَّةً في خدمته وتوقعه زيادة نظره له ، فوقع : « مَنْ نَصَحَ الخِدْمَةَ نَصَحَتْهُ المَجَازَةُ » .

علي بن عيسى

وكتب إلى علي بن عيسى^(٤) بعض العمال في ذكر أموال متخيرة ، وتفاصح في كتابه :

(١) الوحرة في الأصل : وزغة تكون في الصحارى أصغر من العطاء (بكسر العين) وهي على شكل سم أبرص ، وقيل : ضرب من العطاء ، وهي صغيرة حمراء تعدو في الجبالين ، لها ذنب دقيق تنصع به إذا عدت ، وهي أخبت المطاء ، لا تغطأ طعاما ولا شرابا إلا شتمته ، ولا يأكله أحد إلا أخذه قىء ، وربما هلك آكله ، والوحر بالتحريك أيضا : غش الصدر وبلابله والغيط والحقد ، قالوا : وأصل هذا من تلك الدويبة التي يقال لها الوحرة ، شبهوا العداوة ولزوقها بالصدر بالتزاق الوحرة بالأرض ، وفي خاص الخاص « والوغرة » وهو تحريف .

(٢) النخوة : السكبر والعظمة ، وفي زهر الآداب « والنخوة » وهو تحريف .

(٣) القهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والفائم بأمر الرجل بلغة الفرس .

(٤) هو علي بن عيسى بن الجراح ، ولي الوزارة للمقتدر مرارا ، وكان هو وعلي بن الفرات

يتناوبان الوزارة - انظر خبره في الفخرى ص ٢٤١ .

« دَعْنِي مِنْ تَشْدِيدِكَ وَتَقْهِيرِكَ ، وَتَقَاصُحْ عَلَيَّ نَظِيرَكَ ، خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قُلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يُحِلَّ » .

وكتب إليه ابن الفُرات يستشهد به على زُور فوقه في رقعة :
« لَا تَلْمَنِي عَلَى نُكُوصِي عَنِ الشَّهَادَةِ لَكَ بِالزُّورِ ، فَإِنَّهُ لَا بَقَاءَ لِاتِّفَاقٍ عَلَى نِفَاقٍ ، وَلَا وِفَاءَ لِمَنْ هَيَّئَ (١) وَاخْتَلَقَ (٢) ، وَأُخْرِجِي بَيْنَ تَعَدِّي الْحَقِّ فِي مُوَافَقَتِكَ إِذَا رَضِيَ ، أَنْ يَخْطِي إِلَى الْبَاطِلِ فِي مُخَالَفَتِكَ إِذَا سَخِطَ . وَبَيْنَ كَذَبِكَ لَكَ ، أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْكَ » .

« العقد الفريد ١ : ٨٧ ، ٢ : ١٦٥ ، ١٨٧ - ١٩١ وزهر الآداب ١ : ٢٣٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٣٤ و ٢ : ٤٣ و ٣ : ١٩٩ ، ٣٥٤ وخامس الخالص للشمالي ص ٦٨ - ٧٢ ووفيات الأعيان ١ : ١٠٥ ، ٣٩٠ والكامل المبرد ١ : ١٤٣ ونهاية الأرب ٧ : ٢٦١ ومقدمة ابن خلدون ص ٢٧٤ وعيون الأخبار م ٣ : ص ١٠٠ وتاريخ الطبري ٩ : ٣١٥ وكتاب الأوراق لأبي بكر الصولي ١ : ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ومعجم الأدباء ٦ : ٩٠ (طبع هندية) وأدب الكتاب ص ٥٣ وغرر الحقائق الواضحة ص ٣٥ ، ص ٢٩٥ وكتاب بغداد لابن طيفور ٦ : ١٢٧ - ١٢٩ » .

(١) المين : الكذب .

(٢) في الأصل « واختلاف » وهو تصحيف .

استدراك

فاتننا أن نورد هذه الرسالة في موضعها من الجزء الثالث ، وهما هي ذى :

رسالة الإمام مالك في

السُّنن والمواعظ والآداب

كتبها

إلى أمير المؤمنين
هارون الرشيد
ووزيره يحيى بن
عبد البر بن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فَإِنِّي كُتِبْتُ إِلَيْكَ بِكِتَابٍ لَمْ آلُكَ فِيهِ رُشْدًا ، وَلَمْ أَدْخِرْكَ فِيهِ نُصْحًا ، تَحْمِيدًا لِلَّهِ ، وَأَدْبًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَدَبَّرْهُ بِعَقْلِكَ ، وَرَدِّدْ فِيهِ بَصَرَكَ ، وَأَرْعِ سَمْعَكَ ، ثُمَّ اعْقِلْهُ بِقَلْبِكَ ، وَأَحْضِرْهُ فَهْمَكَ ، وَلَا تُغَيِّبَنَّ عَنْهُ ذَهْنَكَ ، فَإِنَّ فِيهِ الْفَضْلَ فِي الدُّنْيَا ، وَحَسَنَ ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ ، أَذْكَرُ نَفْسِكَ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَكُرْبَةٍ ، وَمَاهُونَ نَازِلَ بِكَ مِنْهُ ، وَمَا أَنْتَ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، مِنَ الْعَرَضِ عَلَى اللَّهِ مَسْجَانَهُ ، ثُمَّ الْحِسَابِ ، ثُمَّ الْخُلُودِ بَعْدَ الْحِسَابِ ، وَأَعِدَّ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مَا يَسْهُلُ بِهِ عَلَيْكَ أَهْوَالُ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ وَكُرْبَاهَا ، فَإِنَّكَ لَوَرَأَيْتَ أَهْلَ سُخْطِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ ، وَشِدَّةِ نِقْمَتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَسَمْتِ زَفِيرِهِمْ فِي النَّارِ وَشَهيقِهِمْ ، مَعَ كُلُّوْحٍ^(١) وَجُوهِهِمْ ، وَطُولِ غَمِّهِمْ وَتَقَلُّبِهِمْ فِي دَرَكَاتِهَا عَلَى وَجُوهِهِمْ ، لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يُبْصِرُونَ ، وَيَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ^(٢) - وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ حَسْرَةً إِعْرَاضِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وَانْقِطَاعِ رَجَائِهِمْ ، وَإِجَابَتِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ طَوْلِ

(١) كلج كنج كلوفا وكلافا : تكسر في عبوس .

(٢) الشُّبُور : الهلاك .

الغم بقوله : « اِخْسَسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » - لم يتعاطفكم^(١) شيء من الدنيا
 إن أردت النجاة من ذلك ، ولا أَمْنَك من هوله ، ولو قدّمت في طلب النجاة
 منه جميع ما مَلَكَ أهل الدنيا ، كان في معاينتك ذلك صغيرا ، ولو رأيت أهل
 طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلتهم مع قُربهم
 من الله عز وجل ، ونَصْرَة وجوهمهم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ،
 والنظر إليه ، والمكانة منه ، لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به صغيرا ما عند
 الله ، ولصغر في عينك جسيم ما طلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على
 نفسك حذرا غير تغرير ، وبادر بنفسك قبل أن تُسَبِّق إليها ، وما تخاف
 الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل ، وأنت تقدر بإذن
 الله على جرّ المنفعة إليها ، وصرف الحُجَّة عنها ، قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم
 لا تقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك انفسك نصيبا بالليل
 والنهار ، وصلّ من النهار اثنتي عشرة ركعة ، واقرأ فيهن ما أحببت ، إن شئت
 فصلهن جميعا ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله تعالى
 عليه وسلم أنه قال : « من صَلَّى من النهار اثنتي عشرة ركعةً بنى الله له بيتا
 في الجنة » ، وصلّ من الليل ثمانى ركعات بجزء من القرآن ، وأعط كل
 ركعة حقها والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلهن مثنى
 مثنى ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى من الليل ثمانى
 ركعات ، والوتر ثلاث ركعات ، سوى ذلك ، يسلم من كل اثنتين ، وصم

ثلاثة أيام من كل شهر: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ذلك صيام الدهر » وأعطى زكاة مالك طيبة بها نفسك ، حين يحول عليها الحول ، ولا تؤخرها بعد حلها^(١) ، وضعتها فيمن أمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا في أهل ملتك من المسلمين ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله تعالى لم يرض من الصدقة بحكم نبي ولا غيره حتى حدها هو على ثمانية أجزاء » ، قال عز وجل : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ » واحجج حجة الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيبا ، وبلغني أن قوله تعالى : « فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ » غفر^(٢) له .
مر بطاعة الله ، وأحبب عليها ، وأنه عن معاصي الله تعالى ، وأبغض عليها ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنَّمَا هَٰذَا مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَتْرَكُهُمْ نَهَيْتَهُمُ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَلَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ^(٣) ، فَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ الَّذِي تَزَلُّ بِهِمْ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، لَا يُقَدِّمُ أَجْلا ، وَلَا يَقْطَعُ رِزْقًا » . أحسن إلى من خولك^(٤) الله تعالى ،

(١) حل الحق حلا وحلولا : وجب .

(٢) الغفر : الغفران .

(٣) الرباني : منسوب إلى الرب أى الله تعالى كقولهم إلهي : هو المثالة العارف بالله ، والخبير

بالكسر ويفتح : العالم .

(٤) التخويل : التليك ، خوله الله نعمة : ملكه إياها ، والمعنى : إلى خدمك وعبيدك الذين

تمسكهم وتلى أمرهم .

واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يُصَلِّي فأنصرف وقال : « أَطَّتْ ^(١) السماء ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَعِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ جَنَّةُ مَلَكٍ سَاجِدٍ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ خَوْلٌ ^(٢) فَلْيُحْسِنْ إِلَيْهِ ، وَمَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ ، وَلَا تَعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ » . أَلْزِمَ الْأَدَبَ مَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ وَأَدَبَهُ ، وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْكَ النَّظَرُ فِي أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ : « لَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ ، وَأَخْفِهِمْ فِي اللَّهِ » . لَا تَسْتَسْلِمُ إِلَى النَّاسِ ، وَاسْتَجِرْهُمْ ^(٣) فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، لَا تَغْمَصُ ^(٤) النَّاسَ ، وَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحٍ ابْنِهِ ، قَالَ : آمُرُكَ بِأَثْنَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَيْنِ : آمُرُكَ بِقَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي كِفَّةٍ ، وَزَنْتَهَا ، وَلَوْ وَضَعْتَهَا عَلَى حَلْقَةٍ قَصَمَتْهَا ، وَقُل : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّهَا عِبَادَةُ الْخَلْقِ ، وَبِهَا تُقْطَعُ ^(٥) أَرْزَاقُهُمْ ، فَإِنَّهُمَا يُكْثِرَانِ لِمَنْ قَالَهُمَا الْوُلُوجَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشُّرْكِ وَالْكِبَرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُحْتَاجٌ عَنْهُمَا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَمِنْ الْكِبَرِ أَنْ يَكُونَ لِي الدَّابَّةُ النَّجِيَّةُ ^(٦) ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَمِنْ الْكِبَرِ أَنْ يَكُونَ لِي الثَّوبُ الْحَسَنُ ؟ قَالَ :

(١) أَطَّ يَطُطُ أَطِيطًا : صَوَّتَ .

(٢) الْخَوْلُ : مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْخَدَمِ ، الْوَاحِدُ خَائِلٌ ، وَقَدْ يَكُونُ الْخَوْلُ وَاحِدًا .

(٣) اسْتَجَرْتُمْ : أَيْ اسْتَخْدَمْتُمْ ، وَالْجَرَى كَفَى : الْخَادِمُ .

(٤) غَمَصَهُ كَضْرِبٍ وَصَمْعٍ وَفَرَحٍ : احْتَفَرَهُ وَغَابَهُ وَتَهَاوَنَ بِحَقِّهِ .

(٥) أَيْ تَقَدَّرَ .

(٦) النَّجِيَّةُ : السَّكْرِيَّةُ الَّتِي يَسَاقُ عَلَيْهَا .

لا ، قال : أفن الكبر أن يكون لى الطعامُ أجمع عليه الناس ؟ قال : لا ، إنما الكبر أن تسفه^(١) الحق ، وتغصص الخلق . وإياك والكبر والزهو ، فإن الله عز وجل لا يحبهما ، وبلغنى عن بعض العلماء أنه قال : « يُحشم المتكبرون يوم القيامة فى صور الذر^(٢) » ، تطوهم الناس بتكبرهم على الله عز وجل . لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله ، فإنه بلغنى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « شاور فى أمرك الذين يخافون الله » . احذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك ، فإنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من نبى ولا خليفة إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا^(٣) ، وهو مع التى استولت عليه ، ومن وقي بطانة السوء فقد وقي . واستبطن أهل التقوى من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه ، وازع حق جارك : يذل المعروف ، وكف الأذى عنه ، فإنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » . وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » . واتق فضول المنطق ، فإنه بلغنى عن ابن مسعود أنه قال : « أنذركم فضول المنطق » . وأكرم من وادك وكافئه بمودته ، وإياك والنفسب

(١) سفه كفرح : جهل .

(٢) الذر : صغار النمل .

(٣) الخبال : الفساد .

فى غير الله . لا تأمر بخير إلا بدأت بفعله ، ولا تنه عن سوء إلا بدأت بتركه .
دَعُ من الأمر ما لا يعنيك ، فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » . صَلِّ مَنْ قَطَمَكَ ، وَاعْفُ عَمَّنْ
ظَلَمَكَ ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ، فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« إِنَّهَا أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . اتَّقِ كَثْرَةَ الضَّحْكَ ، فإنه يدعو إلى
السَّفَهَةِ ، فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ضحكك كان تبشيراً . لا تَمَزَحْ
فَتَذُمَّ نَفْسَكَ ، فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنِّى لَأُمَزَحُ
وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » . لا تُخَالِفْ إِلَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ ، وَإِذَا نَطَقْتَ فَأَوْجِزْ ،
فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي نَارِ
جَهَنَّمَ إِلَّا هَذَا ؟ يَعْنِي لِسَانَهُ » . لا تُصَاعِرْ ^(١) خَدَّكَ لِلنَّاسِ ، فإنه بلغنى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلُّهُمْ لَيَنْ سَهْلٌ طَلَّقَ » .
اترك من أعمال السر ما لا يحسن بك أن تعمله فى العلانية ، اتق كل شئ
تخاف فيه تهمَةً فى دينك ودنياك ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« مَنْ كَانَ يَوْماً مِنَ اللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفُ مَوَاقِفَ التَّهْمِ » . أَقْلِلْ طَلِبَ
الْحَوَائِجِ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّ فى ذَلِكَ غَضَاضَةً ^(٢) ، وبلغنى عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال لرجل : « لَا تَسْأَلِ النَّاسَ » . وليكن مجلسك بيتك أو مسجدك ،
فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الْمَسَاجِدُ بِيُوتِ الْمُتَّقِينَ » .
لَا تُكْثِرِ الشُّخُوصَ مِنْ بَيْتِكَ إِلَّا فى أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ ، فإنه بلغنى عن النبي صلى

(١) صَعَّرَ خَدَّهُ وَصَاعَرَهُ وَأَصْعَرَهُ : أَمَالَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى النَّاسِ تَهَانُوا مِنْ كِبَرِهِ .

(٢) الْغَضَاضَةُ : الدَّلَّةُ وَالْمُنْقَصَةُ .

الله عليه وسلم أنه قال : « ستة مجالس المسلم ضامنٌ على الله ما كان في شيء منهن : في سبيل الله ، أوفى بيت الله ، أوفى عيادة مريض ، أو شهود جنازة ، أو جمعة ، أو عند إمام مُقْسِط ^(١) يعزّره ويوقّره » . أحسنُ خُلُقك مع أهلك ومن اعترّب بك ، فإن في ذلك رضا لربك ، ومحبة في أهلك ، ومثراً ^(٢) في ممالك ، ومنسأة ^(٣) في أجلاك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك . أحسن البشر إلى عامة الناس ، واتق شتمهم وغيبتهم ، فإن الله تعالى قال : « أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » . وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تشتم الناس » . اتق أهل الفُحْش ، ومجالسة أهل الرّدى ، ومحادثة الضعفة ^(٤) من الناس ، فإنه بلغني عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « اعتبر الناس بأخدانهم ^(٥) ، فإنما يخادِن الرجل الرجل مثله » . أكرم اليتيم وارحمه واعطف عليه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كفّل يتيماً له أو غيره كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه ، فضمّهما . اعرف لابن السبيل حقه ، واحفظ وصيّة الله تعالى فيه ، فإنه بلغني أن أول من أضاف ^(٦) الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام . أعن المظلوم ، وانصره ما استطعت ، وخذ على يد

(١) مقسط : عادل (وفي العدل لغتان : قسط وأقسط ، وفي الجور لغة واحدة ، قسط بغير الألف)

والتعزير : التفخيم والتعظيم .

(٢) مثراً : أى مكثرة .

(٣) منسأة : أى تأخير .

(٤) جمع ضعيف .

(٥) الأخدان جمع خدن بالكسر وهو : الصاحب ، وخادنه : صاحبه .

(٦) أضاف الرجل وضيّفه : أنزله به ضيفاً ، وضافه يضيفه ضيفاً وضيافة وتضيفه : نزل عليه

ضيفاً ، وفي الأصل « ضاف » وهو تحريف .

الظالم ، وادفعه عن ظلمه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ، ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام » .
 اتق اتباع الهوى في ترك الحق ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني أخاف عليكم اثنتين : اتباع الهوى وطول الأمل ، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسى الآخرة » . أنصف الناس من نفسك ، ولا تستطل عليهم ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أشرف الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ من المال ^(١) ، وإنصاف الناس من نفسك » . أغضض بصرك عن محارم الله ، فإنه بلغني عن علي كرم الله وجهه أنه قال : « لا تتبع النظرة النظرة ، فإنما لك النظرة الأولى ، وليست لك الأخرى » . اتق المطعم الوبي ^(٢) ، والمشرَب الوبي ، والملبس الوبي ، فإن ذلك تذهب أنفته ^(٣) ، وتبقى عاقبته ، وإن الله سبحانه أذب رساله ، فقال : « كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا » وقال النبي عليه السلام : « من أكل بأخيه المسلم أكلة أطعمه الله مكانها أكلة من نار ، ومن سَمِعَ ^(٤) بأخيه المسلم سَمِعَ الله به يوم القيامة ، ومن لبس بأخيه المسلم ثوبا ألبسه الله مكانه ثوبا من نار » . اقبل عذر من اعتذر إليك ، ورجع عما كرهت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) آساء بحاله : أناله منه وجعله فيه أسوة أى قدوة .

(٢) الوبي : مسهل عن الوبيء ، يقال : أرض وبئة وبئة : أى كثيرة الوباء وهو الطاعون ، والمراد هنا : المكسوب من طريق غير شريف ، المأخوذ من غير حل .

(٣) أنف الشيء وأنفته : أوله واجداؤه .

(٤) التسميع : التشيع والنهي .

أنه قال : « من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يعذره ، كان عليه مثل وزر صاحب مكس^(١) » . لتكن يدك العليا على كل من خاططت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اليد العليا^(٢) خير من اليد السفلى » . أضعب الاختيار ، فإنهم يهينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما تحاب رجلان في الله إلا كان أحدهما أشدهما حباً لصاحبه » . صل رحمتك وإن قطعتك ، ولا تكافئه بمثل ما أتى إليك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال له : إن لي أقرباء ، أعفو ويظلموني^(٣) ، وأصل ويقطعوني ، وأحسن ويسينوني إلى^(٤) ، أفكافئهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إذن تتركوا جميعاً ، ولكن إذا أساءوا فأحسن فإنه لن يزال لك عليهم من الله ظهير^(٥) » . ارحم المسكين المضطر ، والغريب

(١) جاء في لسان العرب : المكس : الضريبة التي يأخذها المكس ، وهو العشار ، ويقال للعشار صاحب مكس ، وفي الحديث « لا يدخل صاحب مكس الجنة » وفي حديث ابن سيرين قال لأُس : « تستعملني على المكس أي على عشور الناس فأما كسهم ويماكسوني » قيل معناه : تستعملني على ما ينقص ديني ، لما يخاف من الزيادة والتقصان في الأخذ والترك اهـ . نقل عن النهاية في غريب الحديث لابن الأثير - انظر ج ٤ : ص ١٠٣ .

(٢) اليد العليا : المعطية ، واليد السفلى : الصدقة .

(٣) هكذا في الأصل ، وقد ذكروا أن نون الرفع تحذف جوازا بكثرة في الفعل المتصل بنون الوقاية نحو قوله تعالى « قُلْ أَفْضَيْتُ اللَّهَ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » بتخفيف النون في قراءة نافع ، فالصحيح عند سيبويه أن المحذوف نون الرفع والمذكور نون الوقاية ، وقيل المحذوف نون الوقاية ، وتحذف نون الرفع جوازا بقلة في غير ذلك نحو قوله :

أبيت أسرى وتنبى تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

وفي الحديث : « والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » . (٤) في الأصل « ويسينوني » والذي في كتب اللغة أن « ساء » متعد بنفسه ، يقال : ساءه يسوءه : فعل به ما يكرهه ، تقيض سره ، وأساء متعد بحرف الجر ، يقال : أساء إليه تقيض أحسن إليه ، ويقع متعدياً بنفسه ولكن بمعنى أفسد ، يقال أساء الشيء : أي أفسده ولم يحسن عمله . (٥) أي معين .

المحتاج ، وأَعِنَهُ على ما استطعتَ من أمره ، فَإِنَّهُ بلغني عن ابن عباس أنه قال :
« كل معروف صدقة » . ارحم السائل وارُدُّهُ من بابك بفضل معروفك ،
بالبذل منك ، أو قول معروف تقوله له ، فَإِنَّهُ بلغني عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال : « رُدَّ عَنْكَ مَذْمُومَةُ السَّائِلِ ، [ولو] بمثل رأس الطير من
الطعام » . لا تَزْهَدْ في المعروف عند مَنْ تعرفه ، وعند مَنْ لا تعرفه ، فَإِنَّهُ
بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تَزْهَدْ في المعروف ، ولو أنَّ
تَعْصِبَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنْاءِ الْمُسْتَقِي » . أَرِدْ بكل ما يكون منك من خير إلى أحدٍ
الله ، فَإِنَّهُ بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قوله عز وجل : « فَوَيْلٌ
لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ » قال : « المنافق » : الذي إن صلى رأى ، وإن فاتته لم يبلغ إليها ،
« ويمنعون الماعون » قال : الماعون : الزكاة التي فرضها الله عز وجل . إياك
والرِّيَاءَ ، فَإِنَّهُ بلغني أنه لا يَصْغِدُ عملُ المرأى إلى الله عز وجل ، ولا يزكِّيه
عنده . إن استطعت أن تعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل ، فَإِنَّهُ بلغني
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نَصَرَ اللَّهُ امرَأً سَمِعَ مَقَاتِي فَوَعَاها
حتى يبلغها غيره ، فَرُبَّ غَائِبٍ أَحْفَظُ مِنْ شَاهِدٍ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِيهِ غَيْرُ
فَقِيهِ » . لا يَغْفُلُ قلبُ امرئٍ مسلمٍ عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ،
والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تُحِيطُ من
ورائهم . إياك وسوء الخلق ، فَإِنَّهُ يدعو إلى معاصي الله تعالى ، وقد بلغني عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » . اخضع لله إذا

خلوت بعملك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن ملكاً أتاه فقال : إن ربك يُقرئك السلام ويقول : إن شئت أجمعك ملكاً نبياً ، أو عبداً نبياً ، فأشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع ، فما أكل متكئاً حتى مات » . لا تظلم الناس فيديهم^(١) الله عليك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : « ما ظلمتُ أحداً أشدَّ على ظلماً ، من أحد لا يستعين على إلا بالله تعالى » . احذر البغى ، فإنه عاجل العقوبة ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أعجل الخير ثواباً صلة الرحم ، وإن أعجل الشر عقوبةً اليمينُ الفموس^(٢) » ، تترك الديار بلا قع^(٣) . لا تحلف بغير الله في شيء ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تحلفوا بآبائكم ، ليحلف حالف بالله أو ليسكت » ولا تحلف بالله في كل شيء ، فإنه بلغني أن ذلك قوله تعالى « وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ » . أرحم الناس يرحمك الله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . أحبب طاعة الله يُحبك الله ويحببك إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيه : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » وقال عليه السلام : « إن الله جعل قرّة عيني في السجود » وقال بعض العلماء : « ما أسرَّ عبد قطُّ سريرةً خيرٍ إلا ألبسه الله رداءها ، ولا أسرَّ سريرةً شرّاً قطُّ إلا ألبسه الله رداءها » . وليكن عليك السكينة والوقار في منطقتك ومجلسك ومركبك ، فإنه بلغني عن النبي

(١) أي فينصرهم ويعطيهم الغلبة .

(٢) اليمين الفموس : هي اليمين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها عالماً بأن الأمر بخلافه ، وسميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار .

(٣) جمع باقع كجعفر : الأرض الففر .

صلى الله عليه وسلم أنه قال ، والناس يَرْحَقُونَ حوله : « عليكم بالسكينة » .
 أعطِ دابتك إذا رَكِبَتْهَا حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ ، وَحَظَّهَا مِنَ الْمَقْصِدِ عَلَيْهَا ، بَلَّغْنِي
 عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا رَكَبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجُجَ
 فَأَعْطَوْهَا حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ » . عَلَيْكَ بِالْحِلْمِ وَالْإِغْضَاءِ عَمَّا كَرِهْتَ ،
 وَلَا تَمْنَعْ ^(١) ذَلِكَ مِنْ أَحَدٍ بَلَغَكَ عَنْهُ أَدْنَى وَلَا تَكْفِئْهُ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ الْفَضْلَ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ
 الْحَلِيمَ الْحَيَّ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ » . ادْفَعِ السَّيِّئَةَ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ، بَلَّغْنِي عَنِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَيُّهَا السَّامِيُّ : اتَّقِ الْعُقُوقَ وَقُطِيعَةَ
 الرَّحِمِ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا ، وَتَبَاعِدَا فِي الْآخِرَةِ » ، وَبَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اشْتَكْتَ الرَّحِمُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّنْ
 يَقْطَعُهَا ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهَا : أَمَّا تَرْضَيْنِ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ ، وَأَقْطَعَ مَنْ
 قَطَعَكَ ! » . إِذَا غَضِبْتَ مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، فَادْكُرْ ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى كَظْمِ
 الْغَيْظِ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » ، وَبَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا امْتَلَأَ
 رَجُلٌ غَيْظًا ، فَكَظَمَهُ اللَّهُ ، إِلَّا مَلَأَهُ اللَّهُ رِضْوَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . إِذَا وَعَدْتَ
 مَوْعِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا تُخْلِفْهُ ، وَإِذَا قُلْتَ قَوْلًا فِيهِ رِضَا اللَّهِ فَأَوْفِ بِهِ وَدُمَّ عَلَيْهِ ،
 بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ تَكْفَّلَ لِي بِسِتٍّ أَتَكْفَّلَ
 لَهُ بِالْجَنَّةِ : إِذَا حَدَّثَ لَمْ يَكْذِبْ ، وَإِذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ ، وَإِذَا أَوْثَمَ لَمْ يَخُنْ ،

(١) فِي الْأَصْلِ « وَلَا تَمْنَعْ » وَأَرَاهُ مُحَرَّفًا .

وَغَضَّ بَصَرَهُ ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ ، وَكَفَّ يَدَهُ . إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ لَيْسَتْ
 مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا تَهْمَنَّ بِهَا وَكُفِّرْهَا ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّهُ قَالَ : « لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ » وَكَفَّارَتُهَا كَفَّارَةُ يَمِينٍ ، وَالنَّذْرُ يَمِينٌ ، وَإِذَا
 حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكُفِّرْ عَنْ
 يَمِينِكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ . إِيَّاكَ وَالتَّزْيِيدَ
 فِي الْقَوْلِ ، وَأَنْ تَقُولَ قَوْلًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْإِمَامُ
 الْكَذَّابُ ، وَالسَّائِلُ الْمَرْهُوُّ ^(١) ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي ^(٢) . بِرَّ ^(٣) وَالذِّكُّ وَخُصَمَاهُ
 مِنْكَ بِالْإِعْمَالِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ ، وَأَكْثَرُ لَهْمَا الْإِسْتِغْفَارُ ، وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ قَبْلَهُمَا ،
 فَإِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيْ » فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ قَبْلَ
 وَالِدَيْهِ ، وَبَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ ^(٤) لَهُ
 فِي عَمَلِهِ ، وَيَزَادَ فِي رِزْقِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ » . اشْكُرْ لِلنَّاسِ
 مَا أَتَوْا إِلَيْكَ مِنْ خَيْرِهِمْ ، وَكَافَهُمْ إِنْ قَدَّرْتَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ »
 إِذَا رَكِبْتَ دَابَّةً فَوَضَعْتَ رِجْلَكَ فِي الرَّكْبِ فَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ ، وَإِذَا
 اسْتَوَيْتَ رَاكِبًا فَقُلْ : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ^(٥) » .

(١) السائل : الفقير ، عالٍ يعيل عيلاً وعيلة : انقصر ، والزهو : التكبر ، من الزهو : وهو
 الكبر والتهو والفخر ، وقد زهى كعنى ، وكدعا قليلة .

(٢) فعله كعلم وضرب .

(٣) أى يؤخر .

(٤) أى مطيقين ، أقرن الامر : أطافه وقوى عليه ، وعن الأمر ضعف ، ضد ، وأول الآية الكريمة

فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة .
 إذا أكلت وشربت فاذا ذكر اسم الله ، فإن نسيت في أول حالك فاذا ذكره إذا
 ذكرت ، بلغني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « تذكر اسم الله
 حين تأكل ^(١) ، فإنه يحول بين الخبيث وبين أن يأكل معك ^(٢) » ، ويتقيأ
 ما أكل » ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ،
 فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ،
 وإذا أكلت ومعك آخر فكل مما يليك يمينك ، ولا تأكل من فوق
 الطعام ، ولا من بين يدي أحد ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 لرجل يفعله : « اذكر اسم الله ، وكل مما يليك ، وكل يمينك ولا تأكل
 بشمالك ، ولا تشرب بشمالك » ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 « إنها إكالة الشيطان » . لا تسافر ما استطعت إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس ،
 لا يسافر إلا فيه . إذا أصابك كرب فقل : يا حي يا قيوم ، برحمتك
 أستغيث ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك عند
 الكرب . احترم من يقرب إليك بالنميمة ، ويبلغ الكلام عن الناس ،
 بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ملعون من لعن أباه ملعون من

« وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَوْنَ كِبُونَ ، لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا
 نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي . . . »

(١) في الأصل « تذكر » وأراه محرفاً .

(٢) في الأصل « معه » .

لَعَنَ أُمَّهُ ، ملعونٌ مَنْ غَيْرَ تَحْنُومٍ^(١) الأرض ، ملعون كلُّ صَقَّارٍ ، وهو النَّمَامُ . لا تَجَرَّ ثِيَابَكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ ذَلِكَ . وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ جَرَّ ثِيَابَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أَطِيعِ اللَّهَ فِي مَعْصِيَةِ النَّاسِ ، وَلَا تُطِيعِ النَّاسَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » . إِذَا أَصَابَكَ حَزَنٌ أَوْ سَقَمٌ أَوْ ذِلَّةٌ أَوْ لَأْوَءٌ^(٢) - يَمْنَى الْجُوعِ - فَقُلْ : اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بذلك مَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ مِنْ فَجَائِعِ الدُّنْيَا وَأَحْزَانِهَا ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى « إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرِينَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » وَالصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ . لَا تَمَارِينَ أَحَدًا وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا ، بلغني أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ « فَلَا رَفْتَ^(٣) وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » أَنَّهُ الْمِرَاءُ^(٤) . إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فِي عَاقِبَتِهِ ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فِي عَاقِبَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ رُشْدًا فَأَمْضِهِ ، وَإِنْ كَانَ غِيًّا فَانْتَهَ عَنْهُ » . إِيَّاكَ وَالتَّجْرِيدَ^(٥) خَالِيًا ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ إِذَا خَلَوْتَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

(١) التَّحْنُومُ : الفصل بين الأرضين من العالم والحدود .

(٢) فِي اللِّسَانِ : اللَّأَوَاءُ : الشَّدَّةُ وَضِيقُ الْمَعِيشَةِ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ « مَنْ صَبَرَ عَلَى الْأَوَاءِ الْمَدِينَةِ ... » وَاللَّأَوَاءُ الشَّقَّةُ وَالشَّدَّةُ وَقِيلَ الْقَحْطُ ، يُقَالُ أَصَابَتْهُمْ الْأَوَاءُ وَشَصَابَاءُ بِالْفَتْحِ وَهِيَ الشَّدَّةُ ، وَتَكُونُ اللَّأَوَاءُ فِي الْعَلَةِ .

(٣) الرَّفْتُ : الْجَمَاعُ وَالْفَحْشُ .

(٤) كَذًا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ قَالُوا : وَلَا جِدَالَ : أَيْ وَلَا مِرَاءً مَعَ الْحَدَمِ وَالرَّقَّةِ ، وَالْمِرَاءُ : الْمَجَادَلَةُ

(٥) التَّجْرِيدُ : التَّعْرِيقُ مِنَ الثِّيَابِ .

« لَا أَحِبُّ أَنْ يَلِيَ لِي شَيْئًا مَنْ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ فِي الْخَلَاءِ » . وإياك أن تدخل الحمام والماء إلا بإزار ، ولا يدخل معك أحد الحمام إلا بإزار ، ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر ففُضْ طَرَفَكَ عن كل أحد كان مكشوفاً ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَدْخُلَ الْحَمَّامَ إِلَّا بِإِزَارٍ » . أفش السلام ، وإن استطعت ألاَّ يَسْبِقَكَ أحد إليه فافعل ، تُعْطَى بِذَلِكَ فَضْلاً عن الناس ، وبلغني عن ابن مسعود أنه قال : « السلام اسم من أسماء الله وَضَعَهُ فِيكُمْ ، فَأَفْشُوهُ فِيكُمْ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَلَّمَ كَتَبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ » . أدِّبْ وَلَدَكَ وَمَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ عَلَى خُلُقِكَ وَأَدَبِكَ ، حَتَّى يَتَأَدَّبُوا عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَيَكُونُوا لَكَ عَوْنًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : « كُلُّ مُؤَدَّبٍ يَحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِأَدَبِهِ ، وَإِنْ أَدَبَ اللَّهُ هُوَ الْقُرْآنُ » . وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكت ، واجتهد رأيك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْمُسْتَشَارُ بِالْخِيَارِ ، إِنْ شَاءَ تَكَلَّمَ ، وَإِنْ شَاءَ سَكَتَ » . لا تُفْشِ عَلَى أَحَدٍ سِرّاً أَفْشَاهُ إِلَيْكَ ، فَإِنَّمَا هِيَ أَمَانَةٌ اسْتَوْدَعَكَهَا وَأَتَمَنَّاكَ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِفْشَاؤُهُ خَيْرًا لَهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ، فَأَفْشِهَا عَلَيْهِ وَانْصَحْهُ فِيهَا ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ أَنْ يَنْصَحَهُ » . إذا تعلَّمت علماً من طاعة الله فليُرَ عليك أثره ، وَلْيُرَ فِيكَ سَمِيَّتُهُ ، وَتَعَلَّمْ لِلَّذِي تَعْمَلُهُ ، وَتَعَلَّمْ لَهُ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَالْوَقَارَ ، بلغني عن النبي صلى الله

عليه وسلم أنه قال : « العلماء ورثة الأنبياء » . رُدَّ جوابَ الكتاب إلى كلِّ أحد كتب إليك ، فإنما هو كردُّ السلام ، قال الله عز وجل : « وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « أرى رجَعَ الكتاب على حق ، كما أرى رجَعَ السلام » . الزم الحياء فإنه خُلِقَ للإسلام ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل شيء خلق ، وخلق الإسلام الحياء » . إذا سافرت ، فقل : اللهم إني أعوذ بك من وَعْثَاء^(١) السفر ، وكآبة المنقلب ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال ، والحوَر بعد الكَوَر^(٢) ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك إذا سافر . إياك وظلم الضعيف ومن لا يستعين عليك إلا بالله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثة لا تُردَّ دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يُفْطِر ، ودعوة المظلوم فإنها تضمَد فوق الغمام ، فيقول الله لها : وعِزَّتِي وجلالي لأُصْرِنَكَ ولو بعد حين » . إذا ودَّعت مسافرا فقل : زوَّدك الله التقوى ، وغفَرَ لك ذنبك ، ويسَّر لك الخير حيثما كنت ، أَسْتودِعُ الله دينَكَ وأمانتك وخواتيمَ عملك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بها أصحابه . إذا حضرت أمرا ليس لله بطاعة ، ولا تقدرُ على أن تدفعه ، فقم عنه ولا تقعد ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ مخافةُ الناس أن يقول الحق إذا شهد به أو علمه » . الزم

(١) الوعثاء : المشقة .

(٢) الحور : النقصان ، والكور : الزيادة ، وفي الحديث : « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » أي من النقصان بعد الزيادة ، وقيل معناه من فساد أمورنا بعد صلاحها .

السُّوَالُ فَإِنَّهُ سُنَّةٌ ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « السُّوَالُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ » . أَفْشَى الصَّدَقَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ، وليكن ذلك من أطيب ماله ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أحدكم ليتصدق بالتمر إذا كانت من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فيجعلها في كفه ، فيربّيها له كما يربّي أحدكم فلوله ^(١) أَوْفَصِيلَهُ ، حتى تكون في يده مثل الجبل » . إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا فليكن مَفَزَعُكَ فيها إلى الله عز وجل حين تنزل بك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن ينزل بعبد قطُّ أسرٍّ كان مَفَزَعُهُ فيه إلى الله إلا فرّج الله عنه » . لا تضطجع على بطنك إذا نمت ، ولا في غير نومك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنها لَضَجْعَةٌ يُبْفَضُهَا الله » . أَوْفٍ بِالْعَهْدِ إِذَا أُعْطِيَته من نفسك لكل أحد ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحقُّ ما وُفِّي به عَهْدُ الله » . إذا حضرت السلطان فاشفع بخير ، وإياك والكلام عنده إلا بما يُرضى الله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سُخْطِ الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتب له بها سُخْطُهُ إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتب له بها رضوانه إلى يوم القيامة » . أَسِرَّ مَا أَرَدْتَ بِهِ الله ما استطعت ، بلغني عن النبي

(١) الفلول بالكسر وكعدو وسحو : الجعش أو المهر فطما أو بلغا السنة ، والنميل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صدقة السر تطفى غضب الرب » . اتق كثرة التزكية لنفسك ، أو ترضى بها من أحد يقولها لك في وجهك ، بلغنى أن رجلا امتدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « وَيَحْكُ قَطَمَتَ عُنْقِهِ ! ولو سمعها ما أفلح أبدا » . إياك ومدح الناس والثناء عليهم في وجوههم ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اخْتُمُوا ^(١) التراب في وجوه المدّاحين » . طهر ثيابك ونقّها من معاصي الله تعالى ، فإنه بلغنى أن قوله « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » يأمره ألاّ يلبسها على عذرة ^(٢) . واكره لكل أحد ما تكره لنفسك ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بايع جريرا البجليّ على الإسلام والنصيحة لكل مسلم ، إياك والحسد والشرّة ، بلغنى أنهما خُلِقَا مُرْدِيَانِ لصاحبهما في الدنيا والآخرة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لَا سَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَسَلَّطَهُ عَلَى إِنْفَاقِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا » . اقتد في أمورك برأى ذوى الإنصاف من أهل التقوى ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خِيَارُكُمْ شُبَّانُكُمْ الْمَتَشَبِّهُونَ بِشُيُوكُمْ ، وَشِرَارُكُمْ شُيُوكُمْ الْمَتَشَبِّهُونَ بِشَبَابِكُمْ » . لا تحتكر ^(٣) أحدا ، ولا تجالس مأبونا ^(٤) . فإن الوخدة خير من جليس السوء . عليك بعمالي الأخلاق وكرميها ، واتق رذائلها وما سفسف

(١) حثا التراب في وجهه يحنوه ويحنيه حثوا وحنيا : رماه .

(٢) العذرة : الغائط .

(٣) الحكر بالفتح : سوء المعاشرة ، وفعله كضرب ، يقال : فلان يحكر فلانا إذا أدخل عليه

مشقة ومضرة في معاشرته ومعايشته .

(٤) أى متبهما بمر .

منها ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب معالي الأخلاق ، ويكره سفاسفها^(١) » . إذا رأيت من فضلت عليه في دينك ودنياك فأكثر حمد الله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنعم الله على عبد بنعمة فقال الحمد لله ، إلا كان ذلك أعظم من تلك النعمة وإن عظمت » . لا تركب الميثرة^(٢) الحمراء ، ولا تلبس المعصفر ، فإنه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذلك . إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعدا فاضطجع ، بلغنى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . لا تتطيرن من شيء تراه أو تسمعه ، وإذا كان من ذلك شيء فقل : اللهم لا يأتى بالخير إلا أنت ، ولا يدفع السوء إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئا لا تتوضأ بشيء مما تأكل من الطعام ، ولا تدلك به في الحمام ، فإن ذلك من الجفاء ، لا تتخلقن بالخلق^(٣) إلا أن يكون في إثر النورة^(٤) ليذهب ريحها ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما رجل في بردتين له متخلق يتبختر فيهما إذ ساخت به الأرض فهو يتجلجل^(٥) فيها إلى يوم القيامة » . لا تغبرن^(٦) أظفارك بالحناء ولا يديك

(١) سفاسف الأخلاق : رديئها .

(٢) الميثرة : مركب من مراكب الأعاجم من ديباج أو زبر ، وثوب مصفر : مصبوغ بالمصفر ككفند .

(٣) الخلق : ضرب من الطيب ، وتخلق : تطيب .

(٤) النورة : حجر الكلس ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرينخ وغيره وتستعمل لإزالة الشعر .

(٥) التجلجل : السوخ في الأرض .

(٦) غبره به تنبيرا : لظنه به ، وفي الأصل « لا تغبرن » وهو تصحيف .

إذا دخلت الحمام ، فإنه ليس من سيمى أهل الفضل ، ولا تحلف بالطلاق ولا بالعتاق ، فإنها من أيمان الفساق ، بلغني عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : « أربع جائزة إذا تكلم بهن : الطلاق والعتاق والنكاح والنذر ، وأربعة يُمسون والله عليهم ساخط ، ويُصبحون والله عليهم غضبان : المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتى بهيمة ، أو عمل عمل قوم لوط » . لا تطيبين بشيء من الطيب يظهر لونه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « طيب الرجل ما بطن لونه وظهر ريحه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وبطن ريحه » الزم الراى الحسن ، والهدى^(١) الحسن ، والاقتصاد ، بلغني عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « الراى الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » إن استطعت ألا تدع العمامة والبرد في العيدين والجمعة فافعل ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة ، وقال : « إن الله تعالى أعز الإسلام بالعمائم والألوية » . إذا طلاك أحد بالنورة فبلغ المراق^(٢) فلا يل ذلك منك إلا نفسك ومن يُحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء أنه كان يلبس ذلك من نفسه . لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلي ، بلغني عن ابن عباس أنه سئل عن الجنب يغتسل في الحمام ، فقال : إن الماء لا ينجس^(٣) ، وإذا تنجست في المسجد فادفنه ، بلغني عن بعض العلماء أنه قال :

(١) الهدى : الطريقة والسيرة .

(٢) مراق البطن : مراق منه ولان ، جمع مرق ، أو لا واحد لها .

(٣) أى لا ينجس .

« هي خطيئة ، وكفارتها دفنها » . إذا نمت فقل عند منامك : « اللهم أنت القائم الدائم لا تروى ، خلقت كل شيء لا شريك لك ، علمت كل شيء بغير تعليم ، اغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا قلتم كما قال علي بن أبي طالب » رضى الله عنه ! وهو الذي قال ذلك . إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستدبرها ولا تستنج يمينك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أصحابه ألا يستقبلوا القبلة ، ولا يستنجوا بأيانهم ، ولا يستنجوا بعظم ولا روث . إذا انصرفت من الصلاة فقل : « اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك من الخير ما سألك الصالحون ، وأعوذ بك من الشر ما عاذ منه عبادك الصالحون ، اللهم آتينا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : مادعا مرسل ولا عبد صالح بشيء حسن إلا هو فيه ، يعنى في هذا الدعاء . لا تشتم عبدا لك ولا أمة بزنا ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قذف أمة أو حرة أو يهودية أو نصرانية ، فلم يضرب في الدنيا ضرب يوم القيامة ثمانين جلد » . إذا كنت مسافرا أو مقيما فامسح إن شئت على خفيك ، إن كنت مسافرا ثلاثة أيام ولياليهن ، وإن كنت مقيما فيوما وليلة ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى ابن أبي طالب وابن عباس رضوان الله عليهم قالوا ذلك . إذا صالحك أحد فلا

تَنَزَّ عَنْ يَدِكَ عَنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ عَنْ يَدِكَ ، بَلَّغْنِي عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَصَافَحْ أَحَدًا فَنَزَعَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ
الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ . إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ رَجُلٌ بِوَجْهِهِ يَحْدُثُكَ فَلَا تَصْرِفْ وَجْهَكَ
عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْكَ ، وَإِذَا جَلَسْتَ إِلَى جَنْبِ
رَجُلٍ أَوْ جَلَسَ إِلَى جَنْبِكَ رَجُلٌ ، فَلَا تَقُومَنَّ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا تَجَاوِزَنَّ
رَكْبَتَكَ رَكْبَتَهُ ، بَلَّغْنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ تَجَاوِزْ رَكْبَتَهُ رَكْبَةً
جَالِسًا لَهُ . وَإِذَا أَحْسَسْتَ مِنْ أَمِيرٍ ظُلُمَةً أَوْ تَغَطُّرُ مَاءٍ فَقُلْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ
أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَعِزُّ مَنْ خَلَقَهُ جَمِيعًا ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ ،
وَأَعُوذُ بِاللَّهِ الْمُمَسِّكِ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مِنْ شَرِّ فُلَانٍ ، اللَّهُمَّ
كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلَانٍ وَجُنُودِهِ أَنْ يَفْرُطَ ^(١) عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطْفَنِي ،
جَلَّ جَلَالُكَ ، وَعِزَّ جَارُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، تَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بَلَّغْنِي
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ وَأَمَرْنَا بِهِ ، وَإِذَا كَتَبْتَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ
الْإِسْلَامِ فَلَا تَكْتُبَنَّ : « سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ » وَلَكِنْ اكْتُبْ : « السَّلَامُ عَلَى
مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى » ، بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ إِلَى
مُسَيْلِمَةَ . إِذَا عَطَسْتَ فِي الْخَلَاءِ فَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ خَفِيًّا . لَا تَذْهَنْ فِي مُذْهَنْ
ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ ، وَلَا تَسْتَجِيرُ فِي مَجَامِرِ ^(٢) الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الشَّرْبِ فِي إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . لَا تَتِمَّ عَلَى
الْحَرِيرِ وَالْدِّيْبَاجِ فَإِنَّهُ لِبِسَةُ النِّسَاءِ ، بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ

(١) أَيْ يَعْجَلُ : عَلَى بِالْعُقُوبَةِ .

(٢) الْمَجَامِرُ جَمْعُ مَجْمَرٍ بِالنَّكَسْرِ : وَهِيَ الْمُبْخَرَةُ .

نهى عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء . إذا رأيت أمرا في أهلك وخاصتك
 مما ينبغي تغييره ، فلا تحايين منهم أحدا ، وقم فيه بالذى يحق عليك ،
 بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » .
 إذا هممت بأمر من طاعة الله عز وجل فلا تحبسك إن استطعت فوفا^(١) حتى
 تمضيته ، فإنك لا تأمن الأحداث ، وإذا هممت بأمر غير ذلك فإن استطعت
 ألا تمضيته فوفا فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك تركه . لا تستحي إذا
 دُعيت لأمر ليس بحق أن تقول : لا ، فإن الله تعالى يقول : « وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي
 مِنَ الْحَقِّ » . إذا سمعت المؤذن يؤذن فقل كما يقول ، إلا أنك تقول إذا
 قال : حَيَّ عَلَى الصَّلَاة ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاح ، لا حول ولا قوة إلا بالله ،
 بلغنى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . لا تخلون بامرأة ليست لك بحرم^(٢) ،
 بلغنى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « ما خلا رجل بامرأة
 ليست له بحرم إلا كان ثالثهما الشيطان » ، إذا قال الإمام آمين ، فقل آمين ،
 فإنه ينبغي إذا فرغ من أم^(٣) القرآن أن يقول آمين ، ويقول من خلفه سرياً
 ولا يجهره ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أمَّن
 الإمام فأمتوا ، فإن الملائكة تؤمن لتأمين الإمام ، فمن وافق منكم تأمين
 الملائكة غُفِر له ما تقدم من ذنبه » . إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشيء حتى
 تغسل فرجك بالماء ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل

(١) الفواق بالضم ويفتح : ما بين الحلقين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

(٢) الحرم : ذات الرحم في القرابة التي لا يحل تزوجها .

(٣) أم القرآن : الفاتحة .

مسجد قباء : إنما نزلت هذه الآية فيكم « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » . فأنبئوني ما هذا التطهير الذي ذكرتم به فأثبتتم^(١) عليه ؟ قالوا : « والذي بعثك بالحق نبيا ، مامنا امرأة ولا رجلا يأتي الخلاء فيبدأ بشيء دون غسل فرجه بالماء » . إذا أكلت طعاما فمَلَقَ بين أصابع فَالَعَقَهَا ، وَأَسْنَانِكَ فَتَخَلَّلْ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس شيء أشدَّ على الملك من أن يرى في الرجل طعاما وهو يصلي » . إذا نزلت منزلا فقل : « أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شر ما خلق » ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نزل منزلا فقال هذه الكلمات وَوَقِيَ شَرَّ مَنْزِلِهِ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ » . لا تأكل شيئا من ثَمَنِ طعام لا يَحِلُّ لَكَ أَكَلُهُ ، ولا شيئا من ثَمَنِ شراب لا يَحِلُّ لَكَ شُرْبُهُ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحمر : « إن الذي حرَّم شربها حرَّم ثمنها » ولا تَدَاوِ بِشَيْءٍ لا يَحِلُّ لَكَ أَكَلُهُ وَلَا شُرْبُهُ ، ولا تَبِعْهُ وَلَا تَشْتَرِهِ وَلَا تَطْعَمَهُ ، ولا تُطْعِمَهُ أَحدا ولا تسقه ولا تَدَاوِ بِهِ أَحدا صغيرا ولا كبيرا ولا بهيمة ولا غيرها ، بلغني عن بعض علماء الصحابة أنه نُعِيَ لِبَعِيرٍ لَهُ خَمْرٌ فَقَالَ : « لا والله لا أوجرُه^(٢) خمرا » . لا تأكل لحم شيء من السباع ولا ذا غَلَبٍ من الطير ، بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل كُلِّ ذِي نَابٍ من السباع . إذا فَرِغْتَ فِي مَنْامِكَ فقل : « أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن شر الشياطين ، وأن يحضُّروني » ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(١) في الأصل « فأنبتوا » .

(٢) أوجره الدواء : صبه في فيه .

« إِذَا فَرَعَ أَحَدُكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلْيَقُلْ ذَلِكَ ». إِذَا قُلْتَ لِأَحَدٍ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتَفْعَلَنَّ ، فَلَمْ يَفْعَلْ الَّذِي أَقْسَمْتَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ وَجِبَ عَلَيْكَ الْحِنْثُ ، وَكَفَّرَ عَنْ عِمْنِكَ ، وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْتَ لَهُ : أَحْلِفْ عَلَيْكَ أَوْ أَشْهَدْ عَلَيْكَ لَتَفْعَلَنَّ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَجِبَ عَلَيْكَ الْحِنْثُ ، وَكَذَلِكَ إِذَا كُنْتَ وَقْتُ لَهُ وَقْتًا مَعْلُومًا فَتَرَكَهُ حَتَّى جَاوَزَ الْوَقْتَ . لَا تَبْدَأَنَّ أَحَدًا مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالسَّلَامِ ، لَكِنْ لَوْ سَلَّمَ هُوَ فَقُلْ : وَعَلَيْكُمْ ، بَلِّغْنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْرَ بِذَلِكَ . لَا بَأْسَ أَنْ تَأْكُلَ جُنْبًا - وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَتَوَضَّأْ - إِذَا غَسَلْتَ يَدَيْكَ . لَا تَقُلْ لِأَحَدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، بَلِّغْنِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَنْبَغِي الصَّلَاةُ مِنْ أَحَدٍ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ » وَلَا تَقُلْ لِأَحَدٍ : يَجْمَعُنِي اللَّهُ فِدَاءُكَ ، بَلِّغْنِي أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا تَرَكْتَ أَعْرَابِيَّتَكَ بَعْدُ ؟ » وَبَلِّغْنِي عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَفْدِي أَحَدٌ أَحَدًا » . لَا بَأْسَ بِمَصَافَةِ الْجُنُبِ وَمُبَاشَرَتِهِ ، بَلِّغْنِي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : « أَرْبَعَةٌ لَيْسَ عَلَيْهِمْ جَنَابَةٌ : الْأَشْنَانُ ^(١) وَالْمَاءُ وَالثَوْبُ وَالْأَرْضُ » . لَا بَأْسَ بِمَصَافَةِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَالصَّلَاةِ فِي يَوْمِهِمْ . لَا تَبْلُغْ بِشَيْءٍ مِنْ أَدَبِكَ إِذَا أَدَّبْتَ وَعَاقَبْتَ أَحَدًا عَلَى جُرْمٍ اجْتَرَمَهُ أَرْبَعِينَ سَوْطًا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ بَلَغَ حَدًّا فِي غَيْرِ حَدٍّ فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ » . إِذَا أَحْبَبْتَ أَحَدًا لِلَّهِ فَأَعْلِمْهُ ، لِمَا قَالَ

(١) فِي الْأَصْلِ « الْأَسْنَانُ » وَأَرَى أَنَّ صَوَابَهُ « الْأَشْنَانُ » وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي ص ١٠ ، وَالْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مِضَافِ أَيْ ذَوُو الْأَشْنَانِ ... الخ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْأَرْبَعَةَ لَا تَعْدِي إِلَيْهَا جَنَابَةُ الْجُنُبِ ، فَلَا بَأْسَ بِاسْتِعْمَالِهَا وَمُبَاشَرَتِهَا إِنْ اسْتَعْمَلَهَا هُوَ وَبَاشَرَهَا .

رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إني أحب فلانا لله ، قال : أما أخبرته ؟ قال : لا ، قال : فأخبره ، فلما أخبره قال : أحبك الله الذي أحببتني له . لا تشفع فيمن وجب عليه حد من حدود الله إذا انتهى إلى الإمام ولا تحل دونه ، ولا بأس أن تشفع قبل ذلك ، قال ذلك بعض علماء الصحابة - وتشفع في سارق - فقيل له : أتشفع فيه وأنت من الصحابة ؟ فقال : لا بأس به قبل أن يبلغ الإمام ، فإذا بلغه فلا عفا الله عنه إن عفا عنه . الزم الصمت ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يستكمل الرجل الإيمان حتى يخزن لسانه » . وإذا أتيت قرية أو بلدا فقل : « اللهم ارزقنا خيرها ، واصرف عنا وباءها » ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إذا دنا من قرية . إذا عطست فقل : الحمد لله ، فإن قال قائل : يرحمك الله ، فقل : غفر الله لنا ولك ، وإن عطس عندك مسلم فقل : الحمد لله ، فقل : يرحمك الله ، كان على رضى الله عنه يقولها لمن عطس ويقول ذلك : يهديك الله ويصلح بالك ، وكان ابن مسعود يقول لمن عطس : يرحمنا الله وإياك ، ويقول ذلك : يغفر الله لنا ولك ، ولا تشمت^(١) حتى يحمد الله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من سخط المسلم إذا عطس أن يشمت إذا حمد الله » . وقر الكبير وارحم الصغير ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا » . لا تصافح امرأة ليست لك بزوجة ولا ملك عَيْن ، ولا تضع يدها على شيء من جسدك ، ولا تضع يدك على شيء من جسدها ، ولا تقبل يدك ولا شيئاً

(١) التشمت : الدعاء للعاطس .

من جسدك ، ولا تعانق رجلاً ولا تقبله ليس بذى رحم لك ، واصنع ذلك
بذى رحمك ، ضمَّ النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب حين قدِم
من الحبشة إلى نفسه وقبَّل بين عينيه ، لا ترفع صوتك في مسجد جماعة ،
ولا تشهر فيه سلاحاً ، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه . إذا دُعيتَ إلى
تحمل شهادة فإنك مخير ، فإن شهدت فلا يسمك الامتناع إذا دُعيت إلى
الأداء . لا تمنُّ على أحد بإحسانك فإنه يُبطل أجرُك ، قال الله عز وجل
« لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى » ومن أولئك معروفاً وعجزة عن
مكافأته ، فأثنى عليه واذكره به ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من أُولِيَ
معروفا فلم يقدر على مكافأته إلا بالثناء فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره »
إذا طعمتَ وعندك أحد فادعُه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن في
الجنة غُرْفاً يُرَى ظاهِرُها من باطنها ، وباطنُها من ظاهرها » قيل : لمن هي ؟
قال : « لمن أطعم الطعام ، وتابع الصيام ، وطيب الكلام ، وصلى بالليل
والناس نيامٌ » . إذا عملت عملاً لله فأحسنه ، لقوله تعالى « لِيَبْلُوَكُمْ
أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » . لا تعجل على أحد بعقوبة ولا بتهمة حتى تُحقِّقَ (١) .
لا تأتِ أهلك أو جارتك أو غيرها يراك أو يسمع حسك ، قال صلى الله عليه
وسلم : « استحيوا من الله حقَّ الحياء » قالوا : وكيف نستحي من الله حق
الحياء ؟ قال : احفظوا الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى ، واذكروا
الموت والبعث ، وذكروا زينة الحياة الدنيا . إذا أصبحت فقل : اللهم لا إله
إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، لك الملكُ ولك الحمد لا شريك لك

عشر مرات « ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قالها عشر مرات حين يُصْبِحُ وَكُلَّ به مَلَكٌ يَحْرُسُ سَنَهُ حَتَّى يُمُتَّى ، وَإِذَا قَالَهَا لَيْلًا فَكَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ » . وَإِذَا كُنْتَ فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ وَيَوْمَ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ فَاغْتَسِلْ ، وَإِنْ تَوَضَّأْتَ أَجْزَأُكَ ، سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا عَنِ الْغُسْلِ فَقَالَ : لِلْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَعَرَفَةَ . إِذَا رَأَيْتَ الْهَلَالَ فَلَا تَسْتَقْبِلْهُ حَتَّى تَدْعُوَ وَقُلْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الشَّهْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ وَشَرِّ يَوْمِ الْمَحْشَرِ . لَا تُؤْمِنَنَّ أَحَدًا فِي بَيْتِهِ وَلَا سُلْطَانَهُ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَكَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يُؤْمِنَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي بَيْتِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ » . وَلَا تَحِبَّ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَمَثُلُوا لَكَ قِيَامًا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . « مِنْ سَرَّهٖ أَنْ يَمَثُلَ لَهُ ابْنُ آدَمَ قِيَامًا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ » . أَجِبِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الدَّعْوَةُ يَوْمَ الْعُرْسِ حَقٌّ » وَقَالَ : « لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ ^(١) لَأَجَبْتُ » . إِذَا حَلَفْتَ عَلَى شَيْءٍ وَحَلَفَ وَالِدَاكَ أَوْ أَحَدُهُمَا عَلَى خِلَافِهِ فَأَطِيعْهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً . احْتَجِمْ فِي سَبْعَ عَشْرَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ ، أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ . إِذَا عُذْتُ مَرِيضًا فَأَخِفْ الْعِيَادَةَ ، وَأَقِلَّ الْأَثْبَثَ ، إِذَا مَرَرْتَ بِالْمَقَابِرِ فَقُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدَّارِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ ^(٢) وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ . لَا بَأْسَ أَنْ تَمْشِيَ أَمَامَ الْجَنَازَةِ ،

(١) الكُرَاعُ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ بِمَنْزِلَةِ الْوُظَيْفِ مِنَ الْفَرَسِ : وَهُوَ مُسْتَدَقُّ السَّاقِ .

(٢) فَرَطٌ : أَيْ مُتَقَدِّمُونَ ، وَالْفَرَطُ فِي الْأَصْلِ : الْمُتَقَدِّمُ إِلَى الْمَاءِ يَتَقَدَّمُ الْوَارِدَةَ فِيهِ لَهَا الْأُرْسَانُ وَالِدَاءُ ، وَعَلَى الْحِيَاضِ وَيَسْتَقِي لَهُمْ ، يُقَالُ رَجُلٌ فَرَطٌ ، وَقَوْمٌ فَرَطٌ .

مشى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وابن عمر أمامها ، وإذا كنت راكبا فلا تسبقها ، ولا تنزل حتى توضع عن عواتق الرجال ، بلغني ذلك عن بعض الصحابة . لا تنفخ في الطعام والشراب فإنه جفاء ، قاله بعض العلماء . ارفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة والعيدين والقنوت والتكبير وعند استلام الحجر وعرفة وجمع^(١) والصفاء والمروة والجمار ، روى ذلك عن ابن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتى تحاذي إبهامك أذنك ، وتبسطهما عند صدرك في باقي ذلك . لا تلعب بالنرد ، لعن النبي صلى الله عليه وسلم اللاعب به وقال : « إياكم وإياه » . لا تمضغ العلك^(٢) ، ولا تحل إزارك ، ولا تجرد ولا تحذف^(٣) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنها من أخلاق قوم لوط » . اجمع الصوَّام عند فطرك على طعامك ، قال صلى الله عليه وسلم : « من فطر صائما كان له مثل أجره ، ولا ينقص من أجر الصائم شيء » .

واعلم - رحمك الله - « أن الله تعالى خصَّك من موعظتي بما نصحتك ، وأنهيتُ إليك منه ما أرجو أن يكون سعادةً لك وسببا إلى الجنة ، فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى واتباع ما هو أهله ما ترجوه القربة عند الله تعالى ، ولا يكن ذلك مما تظلف^(٤) عنه نفسك ، وتعاهدُها

(١) جمع : المزدلفة .

(٢) العلك : ضرب من صمغ الشجر كاللبان يعضغ .

(٣) حذف في مشيته حرك جنبه وعجزه أو تدانى خطوه .

(٤) ظلف نفسه عنه كضرب : كَفَّها .

بالأخذ والتأديب عليه إن شاء الله حتى توقفها على الذي لا ينبغي لك التقصير
بها عنه إن شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب
« رسالة مطبوعة بالمطبعة الأميرية سنة ١٣١١ هـ ، ومنها نسخة محفوظة
في دار الكتب المصرية رقم ١٣٠١ تصوف وأخلاق ^(١) » .

(١) وقد طبعت حديثاً بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

بحمد الله تم طبع كتاب (جمهرة رسائل العرب) بقلم الأستاذ
أحمد زكي صفوت المدرس بدار العلوم العليا مصححاً بمعرفة

رئيس التصحيح

أحمد محمد علي

من علماء الأزهر الشريف

[القاهرة في يوم الخميس ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ هـ / ١١ أغسطس سنة ١٩٣٨]

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة

محمد أمين عمران